الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهـران 1 أحمـد بن بلـة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثـار

تبسة في العصور القديمة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

إعداد الطالب :

فاضل لخضر

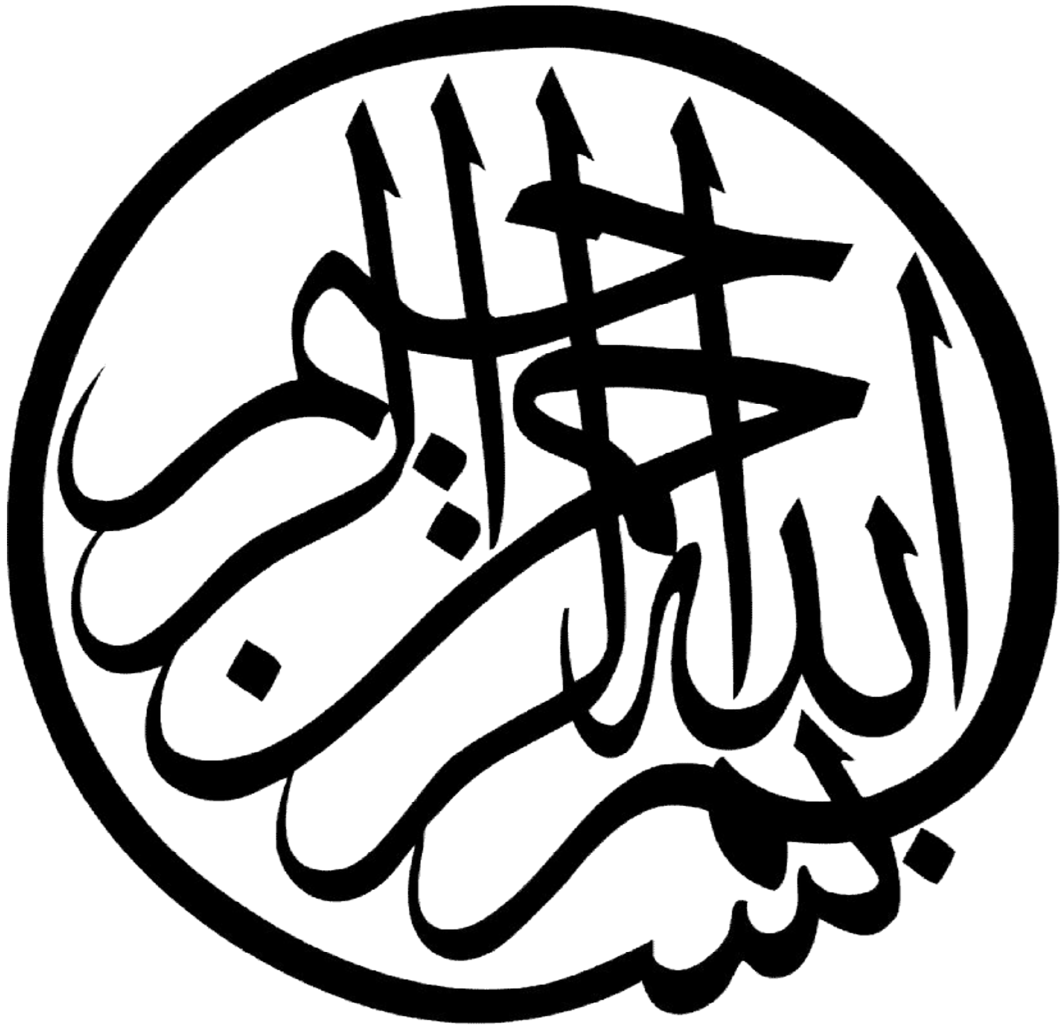
إشراف الأستاذة الدكتورة:

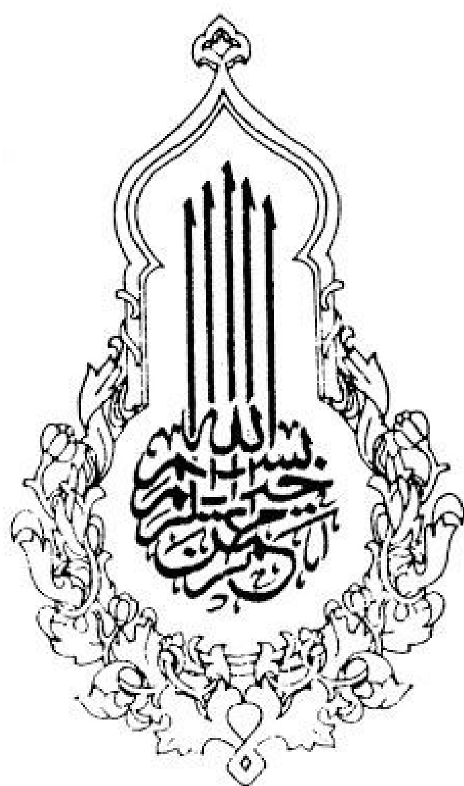
العقون أم الخير

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د بوباية عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 01
أة.د العقون أم الخير	أستاذة التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة وهران 01
أ.د رحماني بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02
أ.د بشاري محمد الحبيب	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02
أ.د ذراع الطاهر	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة أدرار
د.بن عبد المومن محمد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة وهران 01

السنة الجامعية 2018/2017


بسم الله الرحمن الرحيم



وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

سورة النساء آية 113

بسم الله الرحمن الرحيم

«عرضُ بناتِ الصُّلب على الخطاب
أسهلُ من عرض بنات الصدور على الألباب»
الراغب الإصبهاني

شكـــر و تقديـر

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا و أشكره على ما من به سبحانه علي من إكمال هذا العمل وأسأله عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم و أن يكتب لي ثوابه و ينفع به.

و أتوجه بالشكر ابتداء إلى أستاذتي المشرفة والتي أعدها أختا كبرى الأستاذة الدكتورة العقون أم الخير التي قبلت مشكورة مواصلة الإشراف على رسالتي ، ولم تبخل علي بتوجيهاتها و نصائحها التي كانت معينا لي على تجاوز الكثير من الأخطاء .

ولا أنسى أستاذتي أيضا و صاحبة الفضل علي الأستاذة الدكتورة خديجة منصوري التي أحالها المرض على التقاعد و اضطرها للتخلي عن الإشراف علي ، و كانت صاحبة الفضل في توجيهي نحو اختيار هذا الموضوع وشجعتني على خوض غماره بما لها من معرفة واسعة وحسن اطلاع على الدراسات في هذا المجال.

والشكر موصول كذلك لأستاذي الجليل بوعيزم عبد القادر شفاه الله و عافاه الذي رغم مرضه الشديد وجدته ملبيا لندائي لما طلبت مساعدته في الإشراف على الرسالة فلم يبخل و لم يتردد .فلك مني أستاذي الكريم أوفى عبارات التقدير و الامتنان وجزاك الله عني خيرا في الدنيا قبل الآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل أعوان المكتبات المتخصصة و العامة الذين قدموا لي يد العون و المساعدة، ولكل من أعان ولو بشطر كلمة ....زملائي الأساتذة الكرام.

اهــــداء

إلى أبي و أمي الغاليين

إلى شريكة الحياة ورفيقة العمر

زوجتي

وإلى قرة عيني أبنائي

رفيدة   شهاب الدين   لقمان

أهدي هذا العمل

المختصرات

A .A A…………..… ….Atlas Archéologique de L'Algérie.

A.E ……….……..……Année Epigraphique.

Ant. Afr ………..…..….Antiquités Africaines

B.A .A ……………... Bulletin d'Archéologie Algérienne.

B.A.H…………….....…..Bulletin de l'Académie d'Hippone

B.S.G.A.O ……..….…. Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie D'Oran.

B.A.C.…… ……...…..…Bulletin Archéologique de la Comité des travaux Historiques et Scientifiques.

B.S.G.F...............................Bulletin de la Société Géologique de France.

B.S.P.F………………Bulletin de la société préhistorique Française.

C.A.O.M……….……..Centre des archives d'Outre-Mer.

C.I.L ……………..…. Corpus Inscriptionum Latinarum.

C.R.A.I…………….…Comptes Rendus de l'Académie des inscriptions et Belles Lettres.

C.R.A.P.E………………… Centre des Recherches Anthropologiques préhistoriques et Ethnographiques.

C.T……………………Cahiers de Tunisie.

Ency.Ber………………Encyclopédie Berbère

Eph. Epig ……………Ephemeris Epigraphica.

G.G.A…………………Gouvernement Général de l'Algérie.

H. A.A .N. ……………Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.

H.L.AF.CHR…………..Histoire Littéraire de l'Afrique Chretienne

I.L.Alg………………...Inscriptions Latines de l’Algérie
I.L.S……………………..Inscriptiones Latinae Selectae

I . R. A …………….. Inscriptions Romaines de l’Algérie.

J.O………………….…….Journal Officiel

J.R.S…………………...Journal Of Roman Studies
L.A.P.E.M.O…………….Laboratoire d’Anthropologie de Préhistoire et d’Ethnographie des pays de la Méditerranée Occidentale.

Libyca.A.E……….…...Libyca Archéologie –Epigraphie

Libyca A-P-E……….…Libyca Anthropologie-Préhistoire-Ethnographie.

M.A.A…………………..Les Monuments Antiques de l’Algérie.

M.E.F.R.A…………….…..Mélanges de l'Ecole française de Rome Antiquité.
M.S. A.F…………….Mémoires de la Société des Antiquaires de France.

N.A.M…………………...Nouvelles Archives Des Missions

R.A…………………..…Revue Archéologique.

R. Af … ……….. .. .. ..Revue Africaine.
R.I.H.M……………… Revue international de l’histoire militaire

R.E.A………………...Revue des Etudes Anciennes.

R.S.A.C…………….…..Recueil de la Société Archéologique de Constantine.

R.S.A.P.T…………….…..Recueil de la Société d’Archéologie et de Préhistoire de Tébessa.

R.T……………………Revue Tunisienne.

مقدمـــــــة

مقدمة

يعالج هذا البحث واحدا من المواضيع التي لا تزال الدراسات فيها على نطاق ضيق خاصة فيما يتعلق بالمدن الجزائرية القديمة ، ألا وهي الدراسات المونوغرافية أو التاريخ المحلي التي تعنى بتتبع تاريخ مدينة ما في كل المجالات وعبر العصور التاريخية المتعاقبة.

وإذا ما جئنا نحصي عدد المدن الجزائرية القديمة التي أنجزت حولها دراسات من هذا النوع سواء خلال الفترة الاستعمارية أو ما بعد الاستقلال فاننا سوف نعدها على رؤوس الأصابع. فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك عدد من الدراسات حول المدن المهمة كجميلة و تيمقاد وشرشال و تيبازة و خميسة وطبنة و غيرها في العهد الروماني أو في العصور القديمة بشكل عام. و عليه لا تزال أغلب المدن الجزائرية القديمة بحاجة ماسة إلى تسطير تاريخها القديم لاسيما مع وفرة المعطيات بالنسبة لعدد معتبر منها.

و قد كان لي احتكاك بهذا المجال فيما سبق من خلال مشروع بحث علمي كان موضوعه تاريخ مدن الجزائر القديمة منها واحد خاص بمدن غرب موريطانيا القيصرية . و الحقيقة أن العمل على هكذا مواضيع استهواني لأن هذا النوع من الدراسات المتخصصة تتيح للباحث سبر غور تاريخ أي مدينة و رصد المتغيرات الأساسية فيها عبر العصور و في كافة الجوانب المادية و الحضارية.

وصادف أنني و أنا أتخير موضوعا لرسالة الدكتوراه كنت أعمل على أحد هذه المشاريع و استقرت في ذهني فكرة أن أتخذ إحدى مدن المغرب القديم و الجزائر تحديدا موضوعا لرسالتي. وقد عرضت الأمر على أستاذتي المشرفة الأولى فاستحسنت الفكرة مبدئيا ، غير أنها أشارت علي بأن أتجنب اختيار إحدى مدن غرب موريطانيا القيصرية لأنه ليس بينها من تصلح بمفردها كموضوع لرسالة دكتوراه بسبب النقص الشديد في المادة العلمية المرتبطة بها .

و نصحتني عوضا عن ذلك باختيار مدينة أخرى ممن تتوفر بشأنها المعطيات التاريخية، و كان من رأيها أن تكون من الشرق الجزائري لأن مدنه لم تدرس كلها بعد بشكل كاف و واف. و بما أنني تعرضت لكثير من هذه المدن خلال بحثي في الفترة البيزنطية ببلاد المغرب القديم أثناء تحضير شهادة الماجستير، فقد كانت لي نظرة جيدة عنها و عن الجوانب التاريخية و الحضارية فيها و مقدار ونوعية المراجع العلمية المتوفرة عنها.

و كان يمكن أن أختار أي واحدة منها كموضوع دراسة لكنني فضلت مدينة تبسة في المقام الأول لاعتبارات عديدة منها أن تاريخ الفترة ما قبل البيزنطية و إن كانت موجزة كان مجهولا لدي تماما و أردت لصورة المدينة و تاريخها أن يكتملا باضافة العصور التاريخية الأخرى.

علاوة على ذلك فوجئت بحجم المادة التاريخية و الأثرية التي تناولت تاريخ المدينة وتنوعها ، وقلت في نفسي كيف لحد الآن لم تكن تبسة موضوع دراسة شاملة (بروبوزوغرافية) رغم الأبحاث و الدراسات الجزئية التي تعرضت لجانب من تاريخها القديم. وازدادت رغبتي في العمل على تاريخ هذه المدينة القديم كلما استقصيت عنها أكثر حتى اقتنعت في النهاية بها رغم بعض المثبطات التي صافتها بين الحين و الآخر منها شح المادة العلمية في بعض الفترات، الأمر الذي دفعني أكثر من مرة لإعادة التفكير في الموضوع و تغييره كلية أو تعديله جزئيا لكنني قررت في النهاية أن مضيت قدما فيه.

و أذكر مرة أنني اتصلت بالأستاذ الفرنسي يان لوبويك Y.Le Bohec من أجل أخذ رأيه في الموضوع و أسأله عن الجوانب التي يمكن التركيز عليها في تاريخ المدينة، فأجابني بأن تاريخ تبسة القديم قد تمت دراسته من قبل نقيب فرنسي يدعى ميترو في مقال نشره عام 1911 في المجلة الأثرية لقسنطينة ، ونصحني بالاهتمام بناحيتها.

و الحقيقة أنني استغربت هذا الرد من أستاذ له باع طويل في هذا المجال ، ولم يكن عندي سوى تفسير واحد لهذا الأمر و هو أنه لم يطلع جيدا على محتوى الدراسة رغم كبر حجمها بالنسبة لمقال، ولم يشر إلى



دراسات سابقة و لاحقة له، كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار الاكتشافات الجديدة و الحفريات التي أجريت بالمدينة منذ ذلك الحين. لذلك زادني رده إصرارا على خوض غمار الموضوع لأنه فيما بدا لي أن تاريخ تبسة القديم كان بحاجة لمن ينفض عنه غبار القرون و يجليه للباحثين و المهتمين بتاريخ المدن بوجه عام.

وحتى تكون لدي نظرة أوفى عن تاريخ المدينة تمكنني من تحديد زوايا المعالجة بشكل أدق مما سمحت لي به مراجعة المادة التاريخية الخاصة بها، قمت بزيارتين ميدانيتين لها، الأولى كانت في سنة 2003 تمكنت خلالها من التعرف على المدينة و حالة معالمها المختلفة الواقعة داخلها أو في نواحيها و التي هالني ضخامة بعضها و حالة حفظها الجيدة. كما أنني اتصلت بالدائرة الأثرية لتبسة أين أعربت لي رئيستها عن أسفها عن عدم تمكنها من تقديم أدنى مساعدة قد تسهل علي عملي، كما أنها اشترطت علي إحضار رخصة من مكتب المحافظة على الممتلكات الثقافية الموجود على مستوى وزارة الثقافة ، إذا كان في نيتي زيارة بعض معالم المدينة المغلقة أمام الزوار أو أخذ صور أو قياسات عنها.

و الحقيقة أنني كنت أتوقع هذا النوع من العقبات ، لكن ذلك لم يفت في عضدي وعاودت زيارة المدينة سنة 2005 بعد أن استخرجت الرخصة الضرورية التي مكنتني من الوصول إلى كل معالم المدينة و حتى إلى متحفيها و تصوير اللقى الأثرية و الموجودات المحفوظة بهما. إلى جانب ذلك استطعت الوقوف على التحول الذي طرأ على بعض المعالم منذ زيارتي الأولى، إذ لاحظت مثلا تدهورا خطيرا أصاب المعصرة الرومانية الواقعة ببلدية الماء الأبيض بسبب سوء الأحوال الجوية آنذاك . لذا فقد قضت هاتين الزيارتين على ما تبقى عندي من تردد اتجاه الموضوع ، و زادتني قناعة بأن تاريخ المدينة القديم مهم ويستحق عناء البحث و التنقيب فيه.

لقد كان تصوري منذ البداية للإطار الزمني للدراسة أنه سيشمل كل العصور التاريخية القديمة، من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد البيزنطي متضمنا بذلك العهود القرطاجية و النوميدية و الرومانية و الوندالية. أما

الإطار الجغرافي فقد طرح إشكالا منذ البداية. وذلك أن موضوع الرسالة كان مدينة تبسة نفسها دون ناحيتها لذا تمحورت معالجته منذ البداية على هذا الأساس.

غير أنني صادفت صعوبة شديدة في المحافظة على هذا الإطار ووجدتني أنزلق أكثر من مرة وأكاد أخرج عن تاريخ المدينة إلى تاريخ المنطقة المحيطة بها ، وشكل ذلك تحديا كبيرا لأنه أحيانا كان يصادفني خيط رفيع بين الأمرين بسبب التداخل الشديد في المعطيات التاريخية المتعلقة بالمدينة و ناحيتها إلى حد يصعب معه الفصل بينهما بسهولة.

و أكثر ما يظهر هذا الأمر خلال عصور ما قبل التاريخ ، فناحية تبسة مشهورة عالميا بمواقعها و صناعاتها الحجرية التي يعد بعضها نموذجيا لكن المدينة ليست كذلك ، وعليه قد يستغرب بعض القراء عن الاختصار في تناول هذا العصر و غياب بعض الجوانب المهمة فيه مع أهميتها و وفور مادتها . لكني أقول أنه لا غرابة في ذلك طالما أنني التزمت منذ البداية بالبحث في تاريخ المدينة لا نواحيها البعيدة ولم أتوسع كثيرا فيما يخص عصر ما قبل التاريخ الذي هو خاص بالمنطقة المحيطة بها و البعيدة نسبيا عنها.وقصرت بحثي على تتبع و دراسة مواقع و وحضارات ما قبل التاريخ الواقعة في جوارها القريب في شعاع لا يتجاوز ثلاثين كيلومتر.

من ناحية أخرى سيلحظ القارئ تركيزا على العهد الروماني و لا يعد هذا اختيارا مني و تفضيلا على العهود الأخرى و إنما اقتضته أهمية الفترة نفسها وحضورها البارز في تاريخ المدينة وعمرانها الحديث، فحجم المادة التاريخية و الكتابات التي عالجت تاريخ المدينة انصبت في المقام الأول على الفترة الرومانية و هذا أمر مفهوم، لأن معظم الباحثين يفضلون الكتابة في مواضيع تتوفر فيها مختلف جوانب المعالجة التاريخية و الحضارية ، و تاريخ مدينة تبسة الرومانية يوفر لهم هذه الخاصية.

زيادة على ذلك فإن المعالم الأثرية القائمة بتبسة الرومانية منها و البيزنطية تكشف بين الفينة و الأخرى عن بعض جوانبها مما يكون دائما مناسبة لدراسة أو تقرير أثري أو حفرية إنقاذية ، و هذا ما يجعل تاريخ المدينة في

حالة توسع دائم و الكتابات حولها مترادفة كاشفة عن جوانب مجهولة أو غامضة من تاريخها القديم، ولدينا العديد من الأمثلة على ذلك.

لقد تنبه عدد من المؤرخين المهتمين بتاريخ هذه المدينة إلى وجود العديد من الجوانب الغير مدروسة في تاريخها في فترات عدة ، إما بسبب السهو عنها أو باعتبارها غير ذات أهمية . وحاول بعضهم سد هذا النقص بدراسات معمقة قدر الإمكان خصت جانبا معينا دون غيره ، ولم تكن هناك محاولات كثيرة لربط جوانب عدة ببعضها البعض بسبب التزام منهج معين في الدراسة.

كان هذا السبب الثاني الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع و هو تجميع شتات تلك الدراسات الجزئية من أجل كتابة تاريخ شامل للمدينة في عصورها القديمة يراعي المكتشفات الحديثة التي أعقبت آخر الدراسات أو الأبحاث و الحفريات التي أنجزت بعدها وظلت بدون نشر علمي.

هذا التصور للموضوع طرح علي عددا من الإشكاليات التي وقف عندها بعض الباحثين وحاولوا الرد عليها استنادا إلى ما وصلت إليه أيديهم من معطيات وحسب زاوية المعالجة التي تبنوها . فمنهم من حاول جاهدا البحث عن مكان الفوروم و المعسكر الروماني الذي أقامه الفيلق الثالث الأوغسطي لارتباطهما بتاريخ نشأة المدينة الرومانية.

أما الإشكال الثاني فهو إلى أي حد كانت محاولات تقدير عدد سكان المدينة خلال الفترة الرومانية على الأقل صحيحة و هل المنهج المتبع في ذلك كان علميا. ثم هل أثرت كثرة التجمعات العمرانية حول المدينة وعدم استقلاليتها الاقتصادية عنها على هذه الأخيرة و المراكز الأخرى المجاورة . وما طبيعة علاقة الساكنة الحضرية بالمدينة بالجماهير الريفية؛ هل كانت قائمة على الاستغلال أم التعاون و التكامل.

إلى أي مدى منع البناء على تبسة القديمة معرفة الكثير عن تاريخها، و هل الخطوات المتخذة إلى الآن من الجهات المسؤولة حفظت ما تبقى من الفضاء الأثري للمدينة من الاندثار تحت وطأة التوسع العمراني الحديث.

هل يمكن الحديث عن تمازج حضاري بين مختلف الأعراق التي سكنت المدينة و كانت أصولها و ثقافتها متعددة و ما أثر ذاك على التنوع الثقافي في تاريخ المدينة. ما هي طبيعة التكوين الاجتماعي و العرقي للمدينة و دور كل طرف فيها خلال العهد الروماني على وجه الخصوص، وهل حدث فعلا انصهار أو اندماج العناصر الوافدة و الأهلية كما يصر الباحثون الفرنسيون ، أم أن المسألة خلاف ذلك. و إن حدث فما هي أدلتهم عليه. هل يمكن الاعتماد على النقوش وإلى أي حد لاثبات مسألة مقاومة الرومنة لدى السكان المحليين بكافة أشكالها الأنوماستيكية.

أيمكننا بناءا على ما توصلت إليه أحدث الدراسات تحديد و بدقة أصول الاستقرار البشري بتبسة وعوامله و عوامله. و هل كل العصور ممثلة فيها ، وماهي المنجزات الحضارية التي تحققت في كل عصر منها. هل يوجد مشكل في انقطاع تسلسل تاريخ المدينة ، وإن كان الأمر كذلك متى حدث ذلك و إلى أية درجة قد أثر على صورة التواصل الحضاري في تاريخ المدينة القديمة ، أم أنه ببساطة لا تأثير له .

لماذا بعض الأنشطة الاقتصادية في العهد الروماني خاصة تنعدم أو تنقص حولها المعطيات، و هل تنطبق على تبسة نظرية المدينة التي تعرضت للخراب في نهاية التاريخ القديم بفعل الدور السلبي للعناصر المحلية المورية كما تروج لذلك الأسطوغرافيا الفرنسية التقليدية.

هذه جملة من التساؤلات طرحتها على نفسي من خلال قراءة متمعنة لجل المادة التاريخية التي وقعت يدي عليها و التي لاحظت أنها لم تسلط عليها الأضواء بشكل كاف ، فارتأيت التركيز عليها و محاولة تقديم أجوبة علمية بشأنها بما مكنتني منه المادة العلمية التي حصلتها.

و لأجيب عن كل هذه التساؤلات المطروحة و لمعالجة مختلف المواضيع المشّار إليها قسمت البحث إلى مدخل و ثمانية فصول. خصصت المدخل للدراسة الجغرافية لمدينة تبسة ونواحيها، عالجت فيه موقع المدينة و الناحية التضاريسية و المناخية و التركيبة الجيولوجية وموارد المنطقة ، كل ذلك بإيجاز.

حاولت في الفصل الأول القيام بمسح شامل للدراسات و الأبحاث التي كانت مدينة تبسة هدفا لها منذ مطلع القرن التاسع عشر، حيث قسمتها زمنيا لثلاث فترات كبرى استنادا للتحولات التي طرأت على الاتجاه

العام الذي اتخذته تلك الأبحاث، وراعيت في ترتيبها العامل الزمني بادئا بالدراسات و الحفريات المنظمة و غير المنظمة من الأقدم نحو الأحدث.

أما الفصل الثاني فقد بدأت فيه تناول تاريخ مدينة تبسة منذ أقدم عصورها، وأقصد بها فترة ما قبل التاريخ. إذ تعرضت لكل من عصر ما قبل التاريخ بأقسامه الثلاثة ؛ الباليوليتي و الباليوليتي المتأخر ثم النيوليتي، ففجر التاريخ أو ما يسمى كذلك بعصر استخدام المعادن. تتبعت فيها المنجزات الحضارية التي حققها الانسان في هذه العصور بتبسة ونواحيها، سواء من ناحية الصناعات الحجرية و العظمية أو ممارسة الزراعة والاستقرار وما ترتب عن ذلك من إنتاج فكري وفني وعادات وطقوس دينية. ثم يليه العصران القرطاجي و النوميدي اللذان يعدان أول العصور التاريخية بالمدينة، حاولت من خلالهما الوقوف على الأصول التاريخية لتأسيس المدينة انطلاقا من المصادر المتوفرة وعلاقتها بالدولة القرطاجية و أشكال تبعيتها للملوك النوميديين ونظام إدارتها.

تأتي بعد ذلك الفصول المخصصة للعهد الروماني حصرا بالنظر لأهمية هذه الحقبة في تاريخ المدينة و حجم الوثائق و المخلفات الأثرية المتعلقة بها. و هي الفصل الثالث الذي عالجت فيه الجوانب الإدارية–السياسية من تاريخ المدينة الرومانية والنشاط الاقتصادي بها، بحيث تناولت تاريخ الاحتلال الروماني لتبسة ومسألة انتمائها الإداري لمقاطعة نوميديا ثم البروقنصلية. ثم عالجت بتفصيل النظم و المؤسسات الإدارية الرومانية التي عرفتها المدينة و أصول بعضها البونية و التحولات التي طرأت عليها. أما الجانب الاقتصادي فقد تعرضت فيه لمنشآت المياه المختلفة بالمدينة وضاحيتها و النشاط الزراعي بما فيها أنواع الملكيات الزراعية و المسح الكنتوري للأرض وأنواع المحاصيل، و الأنشطة الحرفية و الصناعية التي أثبتت المعطيات الأثرية وجودها بالمدينة.

الفصل الرابع خصصته لشبكة الطرق الرومانية التي كانت تربط المدينة بغيرها من مدن نوميديا أو المقاطعات الأخرى. أما الفصل الخامس فكان خاصا بالجانب الاجتماعي، تناولت فيه الدراسة الديمغرافية لسكان المدينة من ناحية التركيبة الجنسية و العمرية ومتوسط العمر و معدل وفيات الأطفال و الروابط الأسرية.

ثم الدراسة الاجتماعية التي تعرضت لأهم الأسماء و الألقاب التي شاعت بين السكان و المصادر الأجنبية و المحلية التي اسقيت منها أنوماستيكا المدينة. كما حاولت تحديد الأصول العرقية المتنوعة التي ينتمي إليها السكان الرومان أو المعدودين من الأجانب مهما كان جنسهم، علاوة على التوليفة الاجتماعية و طبقات المجتمع التفستي المختلفة التي تعايشت في ظل السلطة الرومانية.

خصص الفصل السادس لدراسة الأديان و المعتقدات المختلفة التي تركت آثارها بالمدينة ما بين عقائد ليبية وعبادة رسمية مخصصة للإمبراطور أو مكرسة للآلهة الرومانية أو المحلية أو ذات الأصول الأجنبية الأخرى بالمدينة نفسها أوضواحيها، إلى جانب الديانات السماوية التي اقتصرت على المسيحية منذ القرن الثالث الميلادي و ما عرفته من اضطهاد و تضييق ، ثم تحولها لديانة منتصرة معنويا و ماديا وما ترتب عن ذلك من نتائج سواء عبادة الشهداء التي شاعت منذ القرن الرابع الميلادي، أو انطلاق حركة تشييد واسعة لمعالم الديانة الجديدة من كنائس و أديرة و أضرحة وقبور الشهداء بفخامة و ضخامة قل نظيرها بالمدينة و نواحيها.

أما موضوع الفصل السابع فكان تغطية لتاريخ المدينة في العصور القديمة المتأخرة من خلال ثلاثة مباحث ، الأول لعهد الاحتلال الوندالي و الثاني للعهد البيزنطي وما أحدثوه من تعديلات جوهرية على عمارة المدينة و معالمها الرومانية. أما المبحث الثالث فكان بحثا في تاريخها من خلال نصوص المصادر الإسلامية المبكرة في العصور الوسطى القريبة من العصور القديمة.

و الفصل الأخير من الرسالة خصصته لمعالم المدينة القديمة سواء ما بقي منها قائما و هو الأكثر أو الذي اختفى لكن بقي ذكره في نصوص قديمة تثبت وجوده. منها المدرج و المسرح و الفوروم و قوس النصر و الحمامات و الكنيسة الكبرى الرومانية ، و السور البيزنطي و غيرها من الأطلال الأثرية داخل المدينة و خارجها.

و وضعت في نهاية البحث خاتمة خصّصتها لأهم النتائج المتوصل إليها مع قائمة الفهارس العامة التي قسمتها بدورها لفهرس المصادر والمراجع ، و فهرس للأعلام و الشعوب و القبائل..... ....الخ.

لقد اعتمدت في انجاز الموضوع على المنهج السردي في بعض الفصول لكونه في نظري أكثر ملائمة لها لكونها تتضمن سردا للمعلومات التاريخية . و في فصول أخرى كان المنهج التحليلي للمعطيات أجدى في استخلاص النتائج.

و على صعيد المصّادر استعنت في إنجاز هذه الدراسة بعدد منها ممثلة في النّصوص الأدبية و النقوش و تقارير الأبحاث و التنقيبات الأثرية، و استخدمت أيضا عددا من المراجع الحديثة سواء تلك التي تعرضت للموضوع بصورة أساسية أو تناولت جوانب محدّودة منه. فقّيما يخص المصادر لاسيما الأدبية منها اعتمدت على عدد من مؤلفات المؤرخين و الكتاب الإغريق و اللاتين الذين تعرضوا لتاريخ تبسة بشكل غير مباشر في الغالب لأن المدينة لم تكن محور اهتمامهم وإنما ساقهم الحديث عنها ارتباط ذكرها بأحداث أساسية عالجوها، لذا فإن الملاحظ بشكل عام على هذه المصادر أن أخبارها عن المدينة مقتضبة جدا تبعث أحيانا على الحسرة و لا تشفي غليل الباحث في معرفة المزيد عن تاريخها. و من هذه النّصوص كتاب "التاريخ " للمؤرخ الإغريقي بوليبيوس[1] « Polybius » ، و "الأجزاء"[2] لديودور الصقلي و "الرجال العظام"[3] لكورنيليوس نيبوس و "التاريخ ضد الوثنيين " لباولوس أورسيوس[4] «Paulus Orosius» ، و "تعليقات القديس جيروم على رسالة القديس باولوس إلى أهل غلاطية"[5]، و "الحوليات" و "التاريخ الروماني"[1] للمؤرخ الروماني تاكيتوس.

---

[1] Polybius, Histoire, Texte traduit et annoté par Denis Roussel, Bruges-Belgique, édition Gallimard, 1970.

[2] Diodore de Sicile, Fragments, texte traduit par l'Abbé Terrasson, tome septième, Paris, 1744.

[3] Cornelius Nepos , La vie des hommes illustres, Texte établit et traduit par Paul Pedech, Dubochet, Paris,1850.

[4] Paul Orose, Histoire contre les païens, texte éditer et traduit par Armand-Lindet M.-P., éd. Les Belles Lettres, Paris, 1991-1992.

[5] Saint Jérome, Commentaire de la lettre de Saint Paul aux Galates, 2, apud Migne, patrologie latine, XXVI, Paris, 1882.

إن مجموع هذه النصوص المبكرة بالنسبة لتاريخ المدينة لاتسعفنا بالكثير حين نريد الاستعانة بها في استجلاء تاريخها بكل تفاصيله الحضارية، لأن أصحابها لم يكلفوا أنفسهم عناء ذلك بسبب أن ذكرهم لها جاء عرضيا دون تقصد. فبولبيوس و ديودور الصقلي و كورنيليوس نيبوس تعرضوا لها في سياق تغطيتهم للحرب البونية و حملات القادة القرطاجيين في البلاد الليبية و استيلائهم على بعض مدنها، وكانت تبسة من جملتها و في محور أحداثها ، لذا كان لا بد من الإشارة إليها و لو بإيجاز. وعليه لم يروا ضرورة إيراد معلومات أكثر من ذلك عنها، لأنه أمر خارج عن مقاصد مؤلفاتهم المهتمة بالتاريخ السياسي و العسكري العام لا بتاريخ المدن وتطورها الحضاري.

أما بالنسبة لكتابات العهد الروماني فلا نجد إلا القليل منها ممن أشار صراحة أو تلميحا إلى المدينة ، وقد خضعت لنفس الأسباب و الاعتبارات التي حكمت الكتابات الإغريقية قبلها. فالمؤرخ تاكيتوس في القرن الأول الميلادي لم يشر إليها بشكل مباشر في خضم حديثه عن ثورة تاكفاريناس، لكننا نفهم من سياق الأحداث أنها كانت طرفا فيها ،لأنها كانت تقع في قلب بلاد المزالمة معقل الثورة.

أما المؤرخ الكونت أميانوس ماركلينوس في القرن الرابع الميلادي فقد مر على ذكرها مرور الكرام حين حديثه عن ثورة الأمير الموري جيلدون ، من باب أن المعركة الفاصلة التي وقعت بينه و بين أخيه ماسكزيل كانت قربها. و لولا ذلك لانعتقد أنه كان سيأتي على ذكرها أصلا.

هذا عن مصادر العهد الوثني ، أما الكتابات المسيحية فقد تعاملت هي الأخرى بنفس الجزئية مع تاريخ المدينة ولم ترع لها بالا إلا حين تكون لبعض الأحداث التي تعرضت لها المدينة صلة وثيقة بتاريخ المسيحية لا أكثر.

---

[1] Tacite,Annales, Œuvres complètes de Tacite .Traduites en français avec introduction et des notes de Burnouf .J-L, Hachette, Paris, 1859. ;Id, Histoire romaine, texte traduit par Lassère E., éd. Garnier Frères, Paris, 1950.



ولذلك لا نتوقع أن نعثر فيها على كشف مفصل لتاريخ تبسة الديني في العصر المسيحي أو غيره.

و الملاحظ على الكتابات المسيحية كلها المشيرة إلى المدينة أنها اقتصرت في حديثها عنها على الإشارة إلى أخبار الشهداء المسيحيين الذين قتلوا على يد السلطة الوثنية أيام الاضطهاد، أو أخبار الصراع المذهبي بين أتباع الديانة المسيحية.

فكبريانوس أسقف قرطاجة الشهير في القرن الثالث الميلادي ذكر في أحد مؤلفاته أحد شهداء المدينة وأثنى على شجاعته و قوة إيمانه[1]. و العالم المسيحي الكبير أسقف عنابة أغسطينوس ذكر في مواعظه و مؤلفات أخرى إحدى شهيدات المدينة وضرب بها المثل في الصبر على العقيدة المسيحية و الدفاع عنها ، وعدها من أعظم الشهيدات في تاريخها[2].

أما أوبتاتوس الميلي أسقف ميلة فقد توسع مقارنة بسابقيه عندما تعرض للصراع الدوناتي الكاثوليكي في الحديث عن المدينة نوعا ما لأنها كانت ذات أهمية دينية بالغة في الوقت الذي كتب فيه عنها باعتبارها أحد معاقل خصومه الدوناتيين بنوميديا.[3]

ويستمر التجاهل لتاريخ المدينة من قبل الكتاب القدامى حتى في نهاية عهدها القديم لنفس الاعتبارات السابقة، و هي كونها طرفا غير مباشر في أحداث المنطقة السياسية و العسكرية التي اندلعت بسبب تعاقب

[1] Cyprien, Lettres. Duchenne.L, Chronologie des lettres de S.Cyprien, collection Subsidia hagiographica,54,Bruxelles,1972.

[2] Augustin, Œuvres complètes .Traduites pour la première fois en français, sous la direction de Raulx. M, Bar-Le-Duc,. Guérin et Cie Editeurs, Paris, 1868. : Augustin, Sermon. Perone et autres, œuvres complètes de Saint Augustin évêque d'Hippone, traduit en français et annotés par Perone et autres ,tome19, librairie de Louis de Vive, Paris, 1873.

[3] Optatus Milivensis, De Schismate Donatistarum,Tome I,(livre 1 et 2),introduction .texte critique .traduction et notes par Mireille Labrousse , les éditions du Cerf, Paris,1995.

المحتلين ، و لم يحتفوا بذكرها إلا حين دخلت دائرة اهتمامهم ولم يكن هناك مناص من ذكرها حتى تكتمل التغطية لأخبار الجهات التي كانوا منحازين إليها ويعكسون وجهة نظرها عبر كتاباتهم.

من هذه الأخيرة نذكر "حرب الوندال" للمؤرخ البيزنطي بروكبيوس[1] « Procopius » لأنه ذو أهمية كبيرة، إذ عاصر مؤلفه الأحداث منذ بداية الحملة البيزنطية وأشار إلى أهمية تبسة كمدينة ذات قيمة استراتيجية للبيزنطيين. كما اعتمدت على مقتطفات من الجوهانيد « Johannide » و هو كتاب قصائد للشاعر كوريبوس « Corrippus » الذي عاصر القائد تروقليتا «J. Troglita» و سجّل حملاته و مقاومة السكان لها في أشعاره.

هذا بالنسبة للنصوص الأدبية ، أما فيما يخص النوع الثاني من المصادر فهي النقوش على اختلاف أنواعها ، وهي بخلاف النصوص الأدبية ذات قيمة تاريخية بالغة جدا بالنسبة لتاريخ المدينة، وإن كان عيبها الأكبر أنها تعود حصرا للعهدين الروماني و البيزنطي و نزرا يسيرا عن العهد الوندالي. لكنها تتضمن معطيات أساسية عن المدينة في كل الجوانب ، و لا يسع الباحث الاستغناء عنها لأنها ببساطة احتوت مواضيع لا تذكرها النصوص و لا غيرها، لاسيما ما يتعلق بالمجال الاجتماعي و الإداري وحتى الاقتصادي.

من هذه النّقوش اعتمدت على المجلد الثامن من " سجّل النقوش اللاتينية "[2]، و على الجزءان الأول و الثاني من مجموعة " النقوش اللاّتينية للجزائر" لستيفان غزيل[3] « St. Gsell » و مجموعة " النقوش الرّومانية للجزائر" لليّون رونيي[4] « L. Renier». و النقوش اللاتينية المختارة لهنري دوسو « H.Dessau»

[1] Procopius, La guère Contre les Vandales, traduit et commenté par Denis Roques, Paris, Les belles lettres, 1990

[2] Cagnat .R, Schmidt.J, Corpus Inscriptionum Latinarum (= C.I.L), VIII, Pars I-II, Berlin, 1891-1894.

[3] Gsell .St, Les Inscriptions latines de l'Algérie, I, (les inscriptions de la Proconsulaire)Paris 1922.

[4] Renier .L, Inscriptions romaines de l'Algérie, Paris, imprimerie impériale, 1855.

و تتمثل قيمتها في أنها مؤرخة وتعطي الباحث إطارا زمنيا للمعطيات التي نستقيها منها ، و يحمل معظمها تواريخ الحكام المدنيين و العسكريين الرومان والبيزنطيين ، الأمر الذي يتيح لنا وضع الأحداث التي عرفتها المدينة من خلالها في سياق تاريخي دقيق.

و فيما يخّص النوع الثالث و هي النّصوص القانونية، فقد استخدمت مقتطفات من مدّونة قوانين ثيودوزيوس[1] و مجموعة القوانين المدنية[2] التي أشارت لمراسيم إمبراطورية تخص تعيين حكام و موظفين من ذوي الرتبة العالية، وبعضها نص بالذكر لمدينة تبسة بسبب أهميتها الإدارية كمقر إقامة لأحد كبار الموظفين الجدد.

جوستنيانوس « Codex Justinianus » المتعلقة بالتنظيم الإداري و العسكري لمناطق الاحتلال البيزنطي، و بعضها مراسّيم دينية خاصة بالتنظيم الكنّسي أو قوانين ضدّ المنّشقين عن الكنيسة الكاثوليكية. [3]

وظفت في هذا البحث أيضا بعض المراجع العربية التي تزودنا بمعلومات قيمة عن تاريخ المدينة قبيل الفتح الإسلامي. من بينها الجزء الثامن من كتاب " المسالك و الممالك" لأبو عبيد اللّه البكري[4] المعنون بالمغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . إذ أورد هؤلاء المؤرخون في سياق حديثهم أخبارا شتى عن المدينة ووصف موجز لها

أما المعطيات الأثرية فقد اعتمدت على تقارير البعثات العلمية الأثرية و على المقالات المنشورة في الدّوريات المتخصصة، زيادة على الكتب و أعمال بعض الباحثين المتخصصين، و الدراسات الميّدانية التي أنجزها

[1] Kruger .P, Codex Théodosianus ,Berlin, 1968.

[2] Mommsen. Th , Kruger. P, Corpus juris civilis,1-3,Frankfaurt-Main,1968.

[3] Kruger P., Codex Justinianus, Berlin, 1967.

[4] أبو عبيد اللّه البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، الجزائر، المطبعة الحكومية، 1857.

مول[1] « Moll» حول تبسة و ضواحيها و التي نشرت في " مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة"، و نتائج تحقيقات مايترو[2]« Maitrot» و جيرول[3] « A.Girol» عنها وحفريات كلارينفال في كنيسة المدينة الكبرى . [4]

و لا ننسى أن نذكر في هذا السّياق أيضا نتائج الحفريات التي قام بها لوكيمان[5] « R.Loquement » في مدرج تبسة ما بين (1965-1968) و التي نشرت في " مجلة الآثار الجزائرية"، و تلك التي نشرها ألبير بالو تباعا على امتداد سنوات وتخصص أعمال الحفر و الترميم و الصيانة التي كانت معالم المدينة مسرحا لها في سنوات الثلاثينات و الأربعينات من القرن الماضي[6].كذلك استفدت من الجزء الثاني من "المعالم القديمة للجزائر" لغزيل « St.Gsell ».[7]

لقد تطرق إلى بعض جوانب هذا الموضوع عدد من المؤرخين و الباحثين سواء من المهتمين بتاريخ هذه المدينة تحديدا، أو من أولئك الذين درسوها في سياق بحثهم في تاريخ بلاد المغرب القديم بشكل عامّ. ومّما يلاحظ

[1]Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tebessa (Thevesté) et ses environs , 4, 1859-1860, pp 188- 221.

[2]Maitrot, Etude militaire d'une cité romano-byzantine, R.S.A.C, 45, 1911, pp 31-263

[3]Girol .A, Etude archéologique sur Thevesté et ses environs, R.S.A.C, 10,1866, pp 71-215.

[4] Clarinval, Rapport sur les fouilles faites à la basilique de Tébessa pendant l'année 1870, R.S.A.C, 14, 1870, pp. 605 -611.

[5]Loquement .R, Fouilles de l'amphithéâtre de Tébessa (1965-1968) , B.A.A, 2, 1968, pp7-252.

[6] Ballu A., Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des des monuments historiques pendant l'année 1919, Jourdan, Alger, 1921. ;Id, Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l'année 1922, Jourdan, Alger, 1923. ;Id., Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l'année 1924, Jourdan, Alger, 1925.
Ballu A., Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l'année 1926, Jules Carbonel, Alger, 1927.

[7]Gsell .St, Les Monuments antiques de l'Algérie, 2, Paris, Fontemoing, 1901.

أن دراسات هؤلاء المؤرخين تختلف من حيث درجة الإحاطة بالموضوع، فأكثرها تناولت جوانب محدودة من تاريخها.

لذلك فضلنا تقسيمها بهذا الاعتبار إلى مجموعتين ؛ ضمت الأولى الدراسات العامة التي أنجزت حول الموضوع ، و هي في معظمها عبارة عن مقالات و نتائج التحقيقات و التنقيبات الأثرية التي قام بها المؤرخون و الأثريون الفرنسيون في بحثهم عن آثار الاحتلال الروماني في ببلاد المغرب أينما كانت في المقام الأول، لذلك قاموا بتسجيل كل الملاحظات عن الآثار القديمة بما فيها العائدة لعصر ما قبل التاريخ ، ونشروها مفصلة أو باسهاب في المجلات و الدوريات الأثرية.

و من بين هذه الدراسات نذكر على سبيل المثال المقالات و التحقيقات الأثرية التي نشرتها " مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة"، و التي حاول فيها أصحابها البحث عن آثار المدن أو كتابة تاريخها ضمن دراسات مونوغرافية مشيرين فيها إلى الفترات المختلفة التي مرت بها. من بينها مقالات مايترو[1]« Maitrot » و جيرول[2] « A. Girol» و شاباسيير[3] « M. Chabassière » و توسان[4] « M.Toussaint» « M.Toussaint» و دوفيلفوس[5] « H. Delvillefosse» و مسكوراي[6] « E.Masqueray»

[1]Maitrot, Etude militaire d'une cité romano-byzantine, R.S.A.C, 10, 1866, pp 31-263.

[2]Girol .A, Notes Archéologiques sur Thévesté et ses environs , R.S.A.C, 10, 1866, pp 171-215.

[3]Chabassière .M, Recherches à Thubursicum, Madauri, Tipasa , R.S.A.C, 10, 1866, pp 129-172.

[4]Toussaint .P, Etude du réseau routier et ses principales ruines de la région de Khamissa, Mdaourouch, Tifech, Ksar Sbehi , B.C.T.H.S, 1897, pp260-286

[5]Devillefosse .H, Rapports sur une mission archéologique en Algérie, archives des missions scientifiques et littéraires , 2, 1875, pp 377-496

[6]Masqueray .E, Les ruines de Timgad , R.Af, 21, 1876, pp 456-470.

« E.Masqueray» و بيليتيي[1] « Pelletier» و مول[2] « Moll» التي نشرت ما بين سنوات 1860-1897 بعضها في نفس المجلة، و أخرى " بالمجلة الإفريقية " أو في " دفاتر المجلة الفرنسية بروما ". أما عن عصر ما قبل التاريخ بالمدينة و ناحيتها القريبة فقد كانت الأبحاث منذ البداية مكثفة و إن اتسمت بكثير من العمومية لأن هذا العلم لم تكن أسسه قد اكتملت بعد و وسائله بدائية ، فلم تكن هناك طرق للتأريخ المطلق للقى الأثرية. مع ذلك جرى مسح عشرات المواقع الماقبل تاريخية وتصنيف أدواتها و وضع أساس مرجعي للحضارات و الصناعات التي عرفتها المنطقة.

وكانت أعمال دوبروج و فوفري و ريقاس و بالاري و غيرهم في القرن 19 م سباقة في هذا المجال[3]، ثم تلتها أعمال أخرى في القرن 20م كانت أكثر تطورا و دقة من الناحية العلمية و العملية بسبب تقدم الأساليب العلمية في علم ماقبل التاريخ من تقنيات التنقيب إلى التحليل المخبري للمعطيات. و أسفر عن ذلك تضاعف حجم الدراسات عن مواقع ماقبل التاريخ بتبسة لاسيما القفصية منها التي حظيت بنصيب الأسد من اهتمام الباحثين و جهودهم ، الأمر الذي أدى إلى ظهور عدد كبير من المقالات المتخصصة في مواضيع دقيقة تخص كافة الجوانب التقنية و الحضارية من حياة أقوام ما قبل التاريخ بالمنطقة القريبة من المدينة.

[1]Pelletier, Entre Sétif et Bou Taleb , R.Af, 5, 1861, pp 447-455.

[2]Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Thevesté) et ses environs, R.S.A.C, 5,1859-1860, pp 188- 221.

[3] Debruge A., Stations préhistoriques des environ de Tébessa, R.S.A.C, 43, 1909, pp. 225-232 ; Reygasse M., Latapie J., Découvertes préhistoriques dans le cercle de Tébessa, R.S.A.C, 45, 1911, pp352-354 ; Reygasse. M, Etude de palethnologie Maghrébine, R.S.A.C,52,1919-20,pp513-570 . ; Pallary P., Notes critiques de préhistoire africaine, R.Af, 63, 1922, pp. 369-424.

ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى بعضها فقط منها مثلا أعمال لودي و دوروش [1]، وجان موريل J.Morel عن الصناعة الحجرية و العظمية وجانب من حياة الأقوام القفصية [2]. وكوليت روبي C.Roubetحول زينة القفصيين [3].

أما المجموعة الثانية فقد تناولت المجالات التاريخية و الحضارية لتبسة وسلطت الضوء على وضعيتها و التغيرات الأساسية التي طرأت عليها ، إلى جانب محاولة رصد خصوصيات ثقافية أو دينية إن وجدت تكون قد انعكست صورتها في مصادر أو كتابات فترة من الفترات ، مع التركيز قدر الإمكان على أسبابها و نتائجها . لأن إثبات الخصوصية الحضارية بعد مسألة التواصل التاريخي و الحضاري لتبسة هما أكثر ما لمسناه في الدراسات التي عدنا إليها.

من بين هذه الأعمال كتابا ألبير بالو الذي درس في أحدهما الحصن البيزنطي و الكنيسة المسيحية . و في الثاني الدير البيزنطي[4]. وكتاب بيير كاستل P.Castel الذي اجتهد فيه ليعطينا صورة قدر الامكان

---

[1] Le Dû I., De Roch S., «Le gisement capsien de Bekkaria (commune mixte de Morsott-Département de Constantine) », Libyca, Ethnographie –Préhistoire, I, 1953, pp. 141-155.

[2] Morel J., «La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod (Sud-algérien). Ce qu'elle nous apprend de l'alimentation et des conditions des populations du Capsien supérieur», L'Anthropologie, 74, 2, 1974, pp. 299-320. ; Id, La faune de l'escargotière de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod(Sud-Algérien) , L'Anthropologie, Tome78,1974 ,n°2, pp299-320. ; Id, «L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod dans le sud est algérien. Sa composition, son évolution», L'Anthropologie, 82, 3, 1978, pp. 335-372 ; Id., «L'industrie osseuse du Capsien supérieur de Dra –Mta –El- Ma-El-Abiod», Libyca, Anthropologie-Ethnographie, XXIV, 1976, pp. 181-188.

[3] Roubet C., Les pendeloques en plaques dermiques de tortue dans le néolithique de l'Afrique du Nord, Libyca.,Préhistoire- Ethnographie, XIV, 1966, pp. 233-259.

[4] Ballu .A, Tébessa, Lambèse, Timgad, Paris, 1894. ; Ballu A., Le monastère byzantin de Tébessa, Paris, 1897.



كاملة عن المدينة ومعالمها و يعرفنا على أهم المراحل التاريخية فيها، لكنه كسابقيه وقف طويلا ممجدا و مهللا للهدين الروماني و الفرنسي قافزا على الحقب الأخرى كأنها ليست جزءا من تاريخ تبسة[1] .

زيادة على ما تقدم نشير إلى أبحاث نويل ديفال N.Duval عن كنائس تبسة داخل المدينة الحديثة و خارجها و الخصوصيات الهندسية و الليتورجية التي تميزها عن غيرها من كنائس بلاد المغرب القديم بسبب أهميتها البالغة ككنيسة للشهداء.[2]

و لا يتسع المجال هنا لإيراد كل المراجع المعتمد عليها و التعليق على أهميتها للموضوع و حدود علاقتها به و مدى استفادتنا منها، لذلك أفردنا فصلا خاصا عالجنا فيه هذه المسألة بتوسع أكبر لأننا مقتنعون بأن أهمية البحث تبرز أكثر من خلال القيمة العلمية للمراجع المتخصصة في الموضوع و المعتمد عليها فيه.

هذا و لا يفوتني أن أشير إلى الصعّوبات التي صادفتها أثناء إنجاز هذه الدراسة، و التي كان أكثرها ثقلا محاولة التوفيق بين حصر الموضوع و إدماج كل العصور القديمة فيه لاسيما مع شح المادة في بعضها ووفرة في البعض الآخر الشيء الذي خلق لي مشكلة تمثلت في المحافظة على توازن منهجي بين الفصول ومباحثها ، و أظنني وفقت في بعضها.

كما عانيت كثيرا من ثغرات زمنية كبيرة في تاريخ المدينة حاولت ملئها باستقراء المعطيات التاريخية المتاحة دون أن أعد ذلك اجتهادا مني أو شيئا سبقت به من قبلي من الباحثين ، لكنه تبصر و قراءة أتيحت لي من خلال المدة الطويلة التي قضيتها في انجاز هذا الموضوع.

---

[1] Castel P., Tébessa. Histoire et description d'un territoire algérien, 1, Paulin éditeurs, Paris, 1905.

[2] Duval N., Les églises africaines à deux absides .Recherches archéologiques sur la liturgie chrétienne en Afrique du Nord, II, De Boccard, Paris, 1973.

و أخيرا و ليس آخرا لا يفوتني طبعا أن أجدد شكري الجزيل و امتناني لأختي و أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة العقون أم الخير التي أشهد لها أنها يسرت علي الأمور كثيرا من الناحية العلمية والإدارية ، ووجدتها متعاونة و متفهمة ومتقبلة لآرائي و إن اختلفت مع آرائها أحيانا، ولم تفرض علي شيئا لم أكن مقتنعا به ، و قدمت لي توجيهات و نصائح منهجية صححت على ضوئها الكثير من الزلات و الأخطاء المتنوعة التي لا ينفك عن الوقوع فيها كل طالب علم. كما أنني لا أستغني مستقبلا عن مساعدتها و عونها.

وأخص بشكري أيضا الأستاذة الزميلة الدكتورة مقرانطة بختة التي أعانتني جدا في المراحل الأخيرة من البحث و مكنتني مساعدتها من انجازه في الوقت المناسب مع كثرة مشاغلها البيداغوجية و العلمية و الأعباء الإدارية التي تثقل كاهلها.

و أوجه الشكر كذلك لكل موظفي وأعوان مراكز الأرشيف والبحث و المكتبات الجامعية و العامة و الخاصة داخل الوطن و خارجه التي زرتها سعيا وراء مادة البحث أو لقاء المختصين في المجال، الذين قدموا لي كل العون و المساعدة التي يسرت لي حقا الوصول إلى أصول و مراجع ودراستا لا غنى لي عنها.

وأخص بالذكر أعوان مركز أرشيف ما وراء البحر بمدينة أكس بروفانس الذين تلقيت مساعدتهم في تحصيل تقارير الضباط العسكريين الفرنسيين حول المدينة و معالمها القديمة غداة الاحتلال، علاوة على عدد مهم من تقارير الحفريات غير المنشورة التي أنجزها ضباط الجيش الفرنسي وقادة الفرق الطوبوغرافية.

أشكر كذلك أمينة مكتبة المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بجامعة السوربون التي أتاحت لي الوصول إلى قسم الرسائل و الأطاريح الذي وجدت فيه بغيتي. و لا أنسى طبعا موظفي مكتبة مركز كاميل جوليان بجامعة اكس بروفانس الذي زرته مرات عديدة و استقيت منه الكثير من المادة التاريخية المهمة ، منها دراسات جامعية عليا تعرضت لجوانب من تاريخ المدينة. و الحقيقة أنني وجدت كل التيسير و التعاون الكامل من قبل

المشرفين عليها لاسيما السيد جاك بينيي J.Benier الذي أثقلت عليه كثيرا بطلباتي ، لكنه كان دائما واسع الصبر رحب الصدر معي.

ثم هناك إخواني من أبناء الجزائر الذين لا يقلون أدبا و كياسة الذين وجدت عندهم بدورهم كل التفهم و الاستعداد لمساعدة ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ؛ أمينة مكتبة المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة و أعوان المكتبة البلدية، وأعوان ومشرفة مركز التوثيق الاقتصادي و الاجتماعي بوهران الآنسة ليلى، مدير و موظفات المتحف الوطني للآثار القديمة و مسؤول وأعوان مكتبة قصر رياس البحر(Bastion23)بالعاصمة.

فإن أصبت فمن الله وحده و إن أخطأت فمن نفسي و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل.

مدخل

دراسة جغرافية

1–الموقع

2– التضاريس

3– المناخ

4–الأودية و التربة و الغطاء النباتي

5– التركيبة الجيولوجية

1- الموقع:

تقع مدينة تبسة في أقصى الجهة الشرقية للجزائر ، تبعد عن العاصمة حوالي 588كلم وعن قسنطينة 198كلم. تحدها شمالا ولاية سوق أهراس و من الجنوب بسكرة ، من الغرب ولايتي أم البواقي و خنشلة و من الشرق تونس[1]. تنتصب على ارتفاع 900متر عن سطح البحر، و فلكيا تنحصر تبسة بين خطي طول 8 و 9 درجة غربا و خطي عرض 35 و 36 درجة شمالا.[2]



خريطة رقم01: موقع تبسة الجغرافي

[1] Muratti . P, Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébessa, R.Af,81, 1937, p258.

[2] Côte. M, Paysages et patrimoine .Guide d'Algérie, Media Plus, Alger,1996, n°60.

خريطة رقم 02: الحدود الادارية لتبسة ونواحيها

و تشكل امتدادا طبيعيا لسلسلة الأطلس الصحراوي .هذه الجبال الواقعة إلى الشرق من جبال الأوراس تعد صلة وصل طبيعية بين جبال النمامشة في الجنوب الغربي وجبال الظهرة التونسية في الشمال الشرقي[1]. متوسط ارتفاعها يتجاوز 1400متر . و أهم قممها تقع في جنوب المدينة و هي جبل الدكان (1714متر) ، جبل أزمور (1353متر).[2]

[1] Mitrad .A-E, Considérations sur la subdivision morphologique de l'Algérie orientale, R.Af,81,1937,p568-569.

[2] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 14.

و مما يزيد في أهمية موقعها اتصالها بجبال سوق أهراس من الناحية الشمالية وبجبال النمامشة الممتدة إلى جبال الأوراس من جهة الغرب. فهي بذلك تشكل حصنا طبيعيا من الزوابع الرملية ورياح السموم القادمة من الجنوب. كما تكثر فيها السهول الزراعية.[1]

2-التضاريس :

أهم تضاريس المنطقة تتمثل في الجبال إذ نجد في شمال المدينة جبل دير(1472متر) الذي يتميز بكثرة القمم و الأودية ثم يبدأ في الانحدار تدريجيا نحو سهل المريج الذي تشكل عن انهيار في القشرة الأرضية ، و هو يمثل ممرا طبيعيا بين السهول العليا القسنطينية و منطقة الهضاب التونسية[2]. وهضبة دير التي تنتج الكثير من الحبوب ، و النقاط المرتفعة منها مغطاة بالغابات التي توفر خشب البناء و التدفئة.[3]

ثم جبل بورومان(1545متر) و أزمور (1353متر)و جبال تبسة (1500متر) و الصفصاف و العاتر و العنق وجرار و مهمل التي تحاذي الحدود مع تونس . وبالصعود شمالا نصادف جبال أم الذبان و الدكان وتروبية و كملال و قريقر التي تحيط بسهل الشريعة الكبير. علاوة على جبال تنولكة و كاريتة و رفانة و العنبة و مستيري التي تشرف على سهل تبسة. أما في غرب تبسة فنجد سلسلة جبال أخرى قابلة الاستغلال منها راس الدلاع الذي ينبع منه واد مسكيانة ، وحلوفة و متلوق(1253متر) و زيتونة(1324متر). هذه الجبال المشرفة على السهول و التي تتخللها الأودية و الشعاب تتوزع بطريقة لا تسمح لها بوقف المؤثرات المناخية الصحراوية التي

[1] Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit, p442.
[2] Despois .J, Raynal.R, Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest, Payot, Paris, 1967,p178-185.
[3] Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit, p443.



خريطة رقم03: تضاريس تبسة و نواحيها

المرجع: Lequement .R, Les fouilles de l'amphitéatre,p15

(بتصرف الطالب)

يمكنها التغلغل بعيدا نحو الشمال.[1]

أما السهول فتتمثل في سهل المرجة الذي يبلغ متوسط ارتفاعه عن سطح البحر 850متر تحده سلسلة من الجبال الشاهقة من كل النواحي مانحة إياه شكل قرن يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.[2]

3- **المناخ:**

[1] Ibid, p 442-443.
[2] Despois .J, Raynal. R, op.cit, p 180.

نظرا لموقعها الفلكي تنتمي تبسة مناخيا إلى المنطقة المدارية شبه الجافة المتميزة بارتفاع الحرارة صيفا و البرودة و المطر شتاءا مع فترة جفاف طويلة خلال الصيف[1]. وتغطي الثلوج كل المرتفعات المحيطة بها بسبب الانخفاض الشديد في درجة الحرارة . هذه الثلوج تذوب مع بداية فصل الربيع مشكلة سيولا جارية ينتعش بها القطاع الزراعي.[2]

و يتميز التساقط فيها بالقلة وعدم الانتظام إذ يبلغ سنويا مابين 300 350 ملم. و الهواطل الرعدية لا تستفيد منها الزراعة.و ينتظر فلاحو المنطقة بصورة خاصة فصل الربيع بفارغ الصبر لهطول أمطار غزيرة يتوقف عليها إنقاذ الموسم الزراعي[3]. و يزيد الارتفاع من حدة هذا المناخ القاري صيفا و شتاءا[4]، حيث يضرب الصقيع تبسة و نواحيها لمدة تزيد عن 20يوما سنويا ، مابين شهري نوفمبر و مارس وهو ما من شأنه إلحاق أضرار بالغة بالمحاصيل الزراعية.[5]

و تشير البيانات المأخوذة من محطة الأرصاد الجوية لتبسة ونواحيها أن درجة الحرارة لشهر يناير هي بين 6-8° مئوية ، و بين 25-38°مئوية لشهر جويلية. و الرطوبة النسبية تبلغ 67.2% في يناير و44.4% في جويلية. من هذه المعطيات يمكن تحديد بعض المحاصيل التي تشيع زراعتها في المنطقة، وهي الطماطم و الجزر و البصل الجاف و الفلفل الحلو و البطاطا.[6]

4-الأودية و التربة و الغطاء النباتي :

لقد أثرت طبيعة التضاريس ونوعية المناخ في شبكة الأودية و نوعية التربة و الغطاء النباتي. فالشبكة الهيدروغرافية لتبسة التي تنتمي لمنطقة الشطوط أو السباخ تتألف من عدد من الأودية التالية :

---

[1] Albertini E, Marçais.G, Yver. G, L'Afrique du Nord française dans l'histoire, Archat, Lyon-Paris,1937,p24.

[2] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 14

[3] Nouschi.A ,Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919.Essai d'histoire économique et sociale, P.U.F,Paris,1961,p286.

[4] Despois .J, Géographie de l'Afrique du Nord,I, l'Afrique Blanche, P.U.F ,Paris,1964,p17.

[5] Nouschi. A ,op.cit, p7.

[6] **مسعود عباس ، الموازنة المائية لشمال الجزائر(1950/1980) .أطروحة لنيل شهادة الماجستير. فرع الجغرافيا .إشراف د.حليمي عبد القادر، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية ،1982/1983، ص 115-116.**

واد شبرو الذي يأخذ منبعه غير بعيد عن غرب تبسة و يتلقى مياهه من واد تبسة و عين العنبة و عدد من العيون التي تسيل من هضبة دير. و الواد الكبير الذي يجري على بعد 3 كيلومتر شرق المدينة. و واد تلمسين الذي يجري من شمال منطقة تبسة إلى جنوبها و يتلقى مياهه من واد زرقة.علاوة على واد زعرور الذي كان يخترق المدينة فيما مضى.[1]

وهنالك أيضا واد حلايل وواد مشرة الذي يؤلف اجتماع روافدهما وديان جرش و مهوين وجنتيس. فواد مهوين يكونه واديا الأسود و الأرنب شمال الماء الأبيض ويدعى الوادي الأبيض. وجنوبا عند بئر أم علي يسمى واد الصفصاف. وواد جنتيس الذي يروي سهل قساس يجري بعد ذلك قرب تبسة تحت اسم واد دكان.[2]

و تعد جبال النمامشة خزان طبيعي لمياه الأمطار و الثلوج شتاءا و ترسلها على هيئة عيون إلى السهول و المنخفضات الواقعة عند سفوحها. وتصل منها سهول تبسة كميات كبيرة في صورة عيون و مياه جوفية ، مما يساهم في دعم النشاط الفلاحي.[3]

أما التربة فقد أغنتها الترسبات التي تخلفها السيول بما تحتويه من عناصر معدنية و أملاح مفيدة لزراعة الحبوب في المقام الأول خاصة في سهل المرجة الذي تتوضع فيه بعد نزولها من السفوح الجبلية المجاورة.وتختص المناطق الجبلية بجنوب غرب تبسة بالمقابل بتربة جبلية غنية خاصة تسمح بنمو بعض الغابات الكثيفة لأشجار الصنوبر على بعض القمم. في حين نجد في مناطق أخرى تربة فقيرة لا تنمو معها إلا أصناف شجرية جبلية مقاومة للحر و الجفاف.[4]

5-التركيبة الجيولوجية :

تكونت سلسلة الجبال المحيطة بتبسة خلال نهاية الزمن الثاني مع الالتواء البريني الذي بدأ خلال عصر الايوسين و بلغ مداه الأقصى في مطلع عصر الميوسين. و هناك انكسارات وقعت في العصر الطباشيري الأقدم تعد دليلا على هذا النشاط التكتوني في منطقة جبل قوراي و جبل كويف. ومن الميوسين إلى عصر البليوسين

[1] Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit, p443.
[2] Reygasse. M, Notes sur la distribution géographique et la morphologie de diverses stations préhistoriques relevées sur le territoire de la commune mixte de Tébessa(Sud constantinois),Recueil de la société archéologique de Tébessa=R.S.A.P.T,I,1936-37,p44.
[3] Despois .J, op.cit, p69.
[4] Lequément. R, Fouilles, loc.cit, p14.

حدث التواء ثاني ترتبت عنه التضاريس الحالية [1]، وهي الجبال و المنخفضات التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي .هذا الالتواء الثاني ترك هو الآخر آثارا بارزة على جيولوجية المنطقة ، ليس أقلها شأنا مجموعة صدوع ومنخفضات.[2]

و يتكون حوض تبسة من رواسب الجبال الفوسفاتية الممتدة من تونس و التي تسمى هنا الكويف و دير. وتتحمل الرواسب الطينية المتراكمة ثقلا كبيرا من الحجر الكلسي الرمادي الصلب لكنها تتآكل حين تتصل بالرواسب الرمادية مشكلتين معا تعاقبا طبقيا جيولوجيا واضحا.[3]

و تشكل الطبقة السينومانية(العصر الطباشيري الأوسط) تجمعين أساسيين واحد بجبل أنوال جنوب تبسة ، وآخر أكبر في الشمال انطلاقا من جبل حلوفة حتى المنعطف الكبير لواد ملاق وشمال حجار الذيب[4] .كما يوجد في هذه المنطقة تشكلات نيوكومية وتيرونية و رواسب حديثة(هولوسينية) [5]. وبحجار الذيب على وجه الخصوص لوحظ وجود مواقع غنية بالحفريات. أما العصر السينوني فيعرف بجبال تبسة من خلال توضعاته الكلسية التي احتوت طبقات حفرية سميكة خاصة برفانة الواقعة على بعد 10كلم جنوب شرق تبسة. في حين تشكلت في العصر الطباشير الأعلى جبال كملال و الدكان وأم الذبان وجرار و العاطش .[6]

ومباشرة فوق العصر الطباشيري تظهر رواسب الزمن الثالث التي يمثلها العصر الأيوسيني الأسفل (السويسوني) بجبل دير بتبسة بنفس التركيبة و المظهر ؛ طين رمادي ذا تكوين رسوبي هرسيني (فحمي) يحتوي على نسبة عالية من الفوسفات. وفي الأعلى تتعاقب طبقات ثلاث من الركام الجليدي و الصلصال و الكلس الجليدي الذي يحتوي على صوان أسود وتتوجها طبقة من الكلس الأبيض.[7]

---

[1] Dalloni.M, Pliocène et quaternaire de l’Algérie, B.S.G.A.O,60-61,1939-40,p18.

[2] **عبد القادر حليمي ، المختار في جغرافية المغرب العربي ،منشورات دار المعارف، القاهرة ،1969، ص10.**

[3] Lorin. H, L’Afrique du Nord(Tunisie, Algérie, Maroc),Armand Colin Paris,1908, p 7,9.109.

[4] Pomel.A, Carte géologique de l’Algérie, ,Imprimerie Fontana, Alger, 1890,p70-71.

[5] Reygasse. M, Notes,R.S.A.P.T,1936-37, loc.cit,p 43.

[6] Laffitte .R, Etude géologique de l’Aurès, Bulletin du service de la carte géologique de l’Algérie,2e série, N°15,Alger,1939, p132,200,232-233,284.

[7]Déspois .J, op.cit, p33 ; Durand. J-H, Les croutes calcaires et gypseuses en Algérie :Formation et âge ,Bulletin de la société géologique de France=B.S.G.F, V, 1963,p959-968.

أما في الجنوب حيث جبال تازبنت فنجد قطاعا واسعا تشكل أيضا خلال العصر الأيوسيني الأوسط وتمتد رواسبه من جنتيس حتى بئر العاتر. و في القسم الجنوبي من قيدة علاوة و براشة وحتى جبل العنق و سيدي عبيد وأم الكماشن ،كل هذه المنطقة اختفت منها الطبقات الكلسية المؤلفة من النوموليت ، إذ تنعدم الحيوانات الحفرية في أعلى هذه الطبقة.[1]

إن أهمية منطقة الحدود الجزائرية التونسية عند قفصة و تبسة تكمن في استغلال مناجم الفوسفات والحديد التي اكتشفت عام 1885 قرب تبسة من قبل الطبيب البيطري العسكري فيليب توماس[2]. ولكنها لم تجذب في البداية إلا المستثمرين الأجانب ثم الفرنسيين الذين سجلوا حضورهم من خلال تحسين طرق الاستغلال و الإنتاج المتبعة في الونزة منذ عام 1878. [3]

إن هذه الخصائص الطبيعية و الإستراتيجية وحصانة الموقع هي التي أعطت لمدينة تبسة هذه الأهمية التاريخية التي ميزتها وجذبت إليها أعين الشعوب التي تعاقبت عليها.فوجودها ضمن دائرة من الجبال المحيطة بها كالمعصم منحها تحصينا طبيعيا وصعب من مهمة الغزو الخارجي لها. كما أن خصوبة التربة الزراعية وجودتها وقابليتها العالية لكل أنواع المحاصيل، وكثافة الغابات المنتشرة بنواحيها و تنوع أشجارها و اتساع سهلي المرجة و تبسة وتخللهما من طرف شبكة هيدروغرافية مؤلفة من عدد من الأودية و الروافد ، زيادة على مياه السيول و الينابيع التي تنزل من الجبال المحيطة أو تتحول لمياه جوفية لا تلبث أن تظهر بواسطة الآبار ،كل ذلك جعلها مركزا ملائما للاستقرار البشري منذ عهد مبكر.

من ناحية أخرى كانت طبيعة التكوين الجيولوجي للمنطقة عامل جذب آخر لاسيما في العصر التاريخي ، ذلك أن غنى الجبال المحيطة بها بالحجارة الكلسية والرملية سيجعل منها مصدرا لإنسان ما قبل التاريخ ليشحذ منها أدواته الحجرية الأولى. وستتحول أيضا إلى معين لا ينضب للورشات التي ستدأب منذ العهد الروماني أو حتى قبله على تحويلها إلى محاجر لاستخراج و صقل الحجارة الضرورية للبناء.

[1] Pomel.A, op.cit, p120.
[2] Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit, p111.
[3] Dussert .D, Berthier. G, Les mines et les carrières en Algérie, Larose, Paris,1932, p25,38,84-85,144.

إذن موقع المدينة وموارد المنطقة الغنية التي توجد بها قد يفسران جيدا أسباب نشأتها والازدهار الذي ستعرفه لاحقا . لكن هذا التطور التاريخي لم يبدأ من فراغ وإنما تمتد جذوره عميقا في عصور ما قبل التاريخ . وهو ما سنتطرق إليه في الفصول اللاحقة ، لكن قبل ذلك سنحاول في الفصل الأول من هذا البحث حصر أهم الدراسات التاريخية والأثرية التي تعرضت لتاريخ المدينة و جوارها القريب حسب ترتيبها الكرونولوجي.

الفصل الأول

تاريخ الأبحاث و الدراسات حول تبسة

–توطئة

1– الأبحاث و الدراسات خلال القرن 19م

2- **انطلاق التنقيبات الأولى**

3– مرحلة الحفريات المنظمة في القرن العشرين

توطئة:

لقد كانت تبسة محط اهتمام الباحثين المختصين والهواة على حد سواء من المهتمين بتاريخ المدينة وجوارها منذ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تراوح ذلك الاهتمام بين الزيارات الاستطلاعية التي كان دافعها الفضول من قبل الرحالة والموظفين المدنيين والعسكريين ورجال الدين وغيرهم من الهواة الشغوفين بالبحث عن المعالم القديمة ، أو لإعادة بعثها وكتابة المؤرخين وعلماء الآثار المختصين الذين قصدوا البحث في تاريخ المدينة والكشف عن أنقاضها وتاريخها.أو من السلطات الرسمية سواء هيئات أو أشخاص التي حرصت من جهة على المحافظة على الآثار القديمة وصيانتها من التلف والتخريب المتعمد أو من عوادي الزمن ، ومن جهة ثانية على تمويل الحفريات الأكاديمية وتقديم التسهيلات الإدارية والمادية لها ، ومتابعة عن قرب الأشغال العامة التي قد ينجر عنها تحقيق أحد المكتشفات الأثرية لأجل التدخل السريع لوقف العمل ووضع الموقع تحت إشراف الهيئات المختصة مثل الدائرة الأثرية أو مراقبتها الإدارية الخاصة كما هو الحال مثلا بالنسبة لمعصرة بريزقال الواقعة جنوب المدينة بنحو ثلاثين كيلومتر و التي يتولى حمايتها وحراستها مواطن عادي بتكليف من بلدية الماء الأبيض التي هي من تدفع أجرته لا الدائرة الأثرية بتبسة.

لذا وانطلاقا من تعدد الجهات التي أبدت اهتماما بدراسة تاريخ المدينة ومعالمها تنوعت الدراسات و التقارير والبحوث وامتدت على مدار أكثر من قرن ونصف من الزمن ، من منتصف القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين وما بعده ، ارتأينا تتبعها زمنيا لإعطاء صورة شاملة عن تاريخ هذه الدراسات وإبراز مدى الاهتمام التي حظيت به المدينة والمنطقة طيلة عقود.

1 / الأبحاث و الدراسات خلال القرن 19م:

إن أول الأعمال التي كتبت عن تبسة كانت تلك التي أعقبت احتلال القوات الفرنسية لمدينة تبسة في 31 ماي 1842 بقيادة الجنرال نغريي ، إذ قام هذا الأخير بتوجيه تقرير عن سير العمليات العسكرية إلى وزير الحربية نشر حينها في أحد اليوميات الباريسية. ومن ضمن ما اشتمل عليه التقرير وصف دقيق لمعالم المدينة القديمة ،حيث أثار إعجابه ضخامة السور البيزنطي وقوس كراكلا. غير أن ما ركز عليه اهتمامه المدرج الروماني أو ما تبقى منه الواقع عند الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة. حيث قام بحساب أبعاده الرئيسية بدقة بالغة أكدتها التنقيبات التي جرت في الستينات من القرن العشرين.[1]

[1] Général Négrier.F.M.C, , Relation officielle sur la prise de Tébessa adressé a M. le Ministre de la guerre , Président du conseil , Le Moniteur universel , n°180,29 juin 1842.

بعدها بأربع سنوات جمع بيربريجير Berbrugger من جهته العشرات من النقوش الجنزية و بعض الإهدائية لأباطرة رومان وجدها داخل مدينة تبسة . غير أنه لم يجر أية دراسة بشأنها بل اكتفى بإتمام الأجزاء الناقصة منها وتصحيح الأخطاء النحوية التي تضمنتها بعضها، وقد نشرها بعد ذلك في أحد أعداد المجلة الإفريقية.[1]

من جانبه أورد الجنرال راندون Randon في دفتر يومياته أثناء إحدى حملاته سنة1846 ملاحظات مهمة عن معالم تبسة القديمة،إذ ذكر أهم ما احتوته من آثار رومانية ،بيزنطية وحتى إسلامية. ويبدو أن حالتها العامة كانت لا تزال جيدة لاسيما السور والقوس و المدرج الروماني الذي أثار إعجابه برغم حالة التدهور الشديدة التي كان يعاني منها.[2]

تأتي بعد ذلك أول دراسة عن المدينة تعرض لوترون Letroneمن خلالها إلى بعض معالم المدينة بالوصف منها معبد مينرفا و السور البيزنطي ، غير أنه ركز اهتمامه وجهده على قوس كراكلا و منحه الحيز الأكبر فيها.إذ تعرض بالوصف الدقيق لكل أجزاء هذا المعلم سواء الهندسية أو الزخرفية ، كما درس النقوش التي يحملها وقارنه بغيره من الأقواس من نفس النمط الهندسي .ولم يجد له مثيلا في أنحاء الإمبراطورية الرومانية إلا قوس تراجانوس بروما .ولم يهمل قبل ذلك كله وضع نبذة قصيرة عن تاريخ المدينة من خلال ما وقع تحت يديه من مصادر ونصوص قديمة.[3]

ظهرت بعد ثمان سنوات من ذلك دراسة معمقة للونوار حول الكنيسة المسيحية بتبسة التي عدها واحدة من أفضل وأجمل المعالم المسيحية في قرونها الأولى.وقام لونوار بدراسة معمارية لمختلف ملحقات الكنسية ومرافقها ووجدها في مبادئها الأساسية مطابقة تماما لما كانت عليه أساسيات العمارة الدينية المسيحية الأولى .كما قارنها بعدد من المنشآت في فلسطين وسوريا لاسيما الأديرة ، وأكد على أنها تتفرد ببعض الخصائص الإفريقية دون غيرها.[4]

وكانت نقوش تبسة من أوائل المواضيع التي اهتمت المجلة الإفريقية بنشرها في عددها الأول ، وذلك لعددها الكبير وتنوعها . وأكثر ما ركزت عليه النقوش الموجودة على المعالم الرومانية خصوصا قوس كراكلا الذي احتوى نقوشا إهدائية ذات قيمة سياسية و تاريخية كبيرة[5].وفي السنة الموالية أثرى النقيب غرولت سجل النقوش المتعلقة

[1] Berbrugger.A , Epigraphie Numidique , R.Af, VIII, 1864,pp 267-284.

[2] Général J.C Randon , Itinéraire suivi par la colonne sur les ordres de M.Général Randon , pendant les mois de mai, juin et juillet 1846, dans les journaux de marche 1837–1846.

[3] Letrone .A L'arc de triomphe de Thévesté (Tébessa) Et sur les autres ruines romaines de cette ville située dans la province de Constantine , R.A, 1847, pp1-16.

[4] Lenoir .A, Architecture monastique , 2 et 3 parties, Paris, Imprimerie officielle,1856.

[5] Anonyme ,"Inscriptions de Tebessa" ,R.Af, 1,1856-1857 , pp502-507.

بتبسة بثلاثة نقوش عثر عليها أثناء تأدية إحدى المهمات ،أحدها غاية في الأهمية لإشارتها إلى مسرح المدينة الروماني.[1]

ودائما في مجال البحث عن النقوش جمع المهندس العسكري مول Moll على مدار أربع سنوات ونشر مجموعة كبيرة ومهمة من النقوش الرومانية الجنزية والرسمية التي وجدها في المدينة وضواحيها في العددين الرابع و الخامس من مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة.[2]

على أن أهم عمل أنجزه مول برأينا حول تبسة هو مقالتين نشرهما في عددين متتابعين في نفس المجلة السابقة. الأول منهما بحث تاريخي وأثري مفصل عن تبسه وضواحيها في جزأين تعرض في القسم الأول منهما لتاريخ المدينة من فترة ما قبل التاريخ إلى العهد الروماني مرورا بالفترة القرطاجية،مع دراسة أثرية وهندسية وافية لمعالم المدينة العائدة إلى هذه الفترة.[3]

أما القسم الثاني فقد تتبع فيه تاريخ المسيحية بالمدينة وتطورها، علاوة على انعكاس الأحداث التاريخية المهمة عليها مثل الثورة ا لدوناتية وثورة جيلدون .ثم تناول فترة الاحتلال الوندالي فالبيزنطي ،مع دراسة معمارية جيدة للمنشآت البيزنطية كالسور والدير رغم بعض الأخطاء الفادحة التي وقع فيها دون قصد حين تقدير أبعادها ، والتي جرى تصحيحها فيما بعد.[4]

في السنة الموالية أرسل السيد فيكتور فلوني V.Flogny رئيس دائرة تبسة إلى السيد بيربريجير صورة مطبوعة لحجارة قديمة أثناء تهديم منازل عربية.كما خصص أموالا لترميم قوس كاركلا و المعبد الغني بالآثار الرومانية وأوكل المهمة لشخص خبير في الفن القديم ،لأنه في رأيه يقع حتى في العاصمة أن تضر الترميمات بالمباني المرممة أكثر من أعمال التخريب إذا أشرف عليها شخص غير مؤهل.[5]

---

[1] Berbrugger.A, Chronique , R.Af, III,1858-1859,pp62-74.

[2] Moll ," Inscriptions romaines découvertes à Tébessa et les environs pendant les années 1858 et 1859 ",R.S.A.C,3- 4, 1859-60, pp 177-208.; Id ," Inscriptions romaines trouvées à Tébessa et les environs pendant les années 1860 et 1861 ", R.S.A.C, 5, 1860-61 ,pp257-265.

[3] Moll ," Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste) et ses environs", R.S.A.C, 3- 4, 1859-60, pp 26-85.

[4] Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste), et ses environs », R.S.A.C, 5, 1860-61,pp 188-221.

[5] Berbrugger .A, Chronique , R.Af, VI,1862,pp462-480.

بدوره جمع الرائد سيريزيا Seriziat في جولة استكشافية له في إقليم تبسة الخاضع لإشرافه العسكري ثروة معتبرة من النقوش أكثرها جنزية ، لكنها تتضمن معطيات تاريخية مهمة عن بعض الأحداث و الشخصيات التي عرفتها مقاطعة نوميديا.[1]

أعقب الرائد سيريزيا Seriziat ذلك العمل بتسجيل ملاحظات جديدة حول كنيسة تبسة تحصل عليها على ضوء اكتشافات حديثة وقعت نتيجة تنقيبات غير أكاديمية.وقد وصف بدقة الأقسام المكتشفة حديثا كالأروقة والأعمدة و الجدار الجنوبي من المنشأة ، كما لاحظ بدقة أن هذه الأجزاء لحقها التخريب المتعمد لاسيما الأعمدة التي تعرضت لتكسير شديد. ولم يستطع سيريزيا تقدير الأبعاد الحقيقية لهذه المنشأة الدينية نظرا لوجود الحفريات في مراحلها الأولى ، والتي أوصى بشدة بمتابعتها لكن في أطر أكاديمية لأنها الوحيدة الكفيلة بإبراز أهمية المكان بالنسبة للتاريخ الديني للمدينة.[2]

2 / انطلاق التنقيبات الأولى:

تعد حملة التنقيبات المهمة المنظمة التي أجراها الرائد كلارينفال Clarinval الأولى من نوعها في تاريخ المدينة واستهدفت أنقاض الكنيسة الكبرى ، وعدت تكملة للعمل الذي بدأه الرائد سيريزيا في سنة 1868 . وقد شملت الحفريات كل أجزاء المعلم ، لكن العمل تركز على الغرف الإثنى عشر التي وجدت بها العديد من الفسيفساء و قبر لأحد الأساقفة وهو بالاديوس الذي توفي بالمدينة أثناء زيارة لها ، فدفن بكنيستها. وقد توصل كلارينفال إلى أن الكنيسة نهبت في يوم ما ثم أحرقت عرضا أو عمدا من قبل الذين اجتاحوها.[3]

توالت الأعمال عن المدينة والمنطقة حيث نشر بول Poulleعددا من النقوش أرسلها إليه المقدم لوكاس قائد منطقة تبسة التي عثر عليها أثناء قيادته لحملة تهدئة عسكرية فيها سنة 1871[4].ثم قام لوك دوبوسريدون بالبحث De Bosredon داخل مدينة تبسة والمناطق المحيطة بها في الفترة من شهر مارس إلى ماي من سنة1873 سعيا وراء بقايا العهد الروماني. فداخل المدينة لم يعثر على أشياء ذات قيمة لكن جوارها أتاح له فرصة العثور على كم هائل من النقوش الجديدة كما هو الحال بصومعة الخنق ،صومعة بنت العبري، صومعة رؤوس العيون،هنشير سجرات العش، قصر تبينات. بعض هذه النقوش تعود للعهد الروماني وأكثرها من الحقبة البيزنطية، كما عاين أيضا قبور جبل مستيري الدائرية وأخذ قياسات أربعة منها ،في انتظار أن يخصها بدراسة ميدانية معمقة، وجمع النقوش

---

[1] Seriziat .E , Epigraphie de Tébessa, R.Af , XII ,1868 , pp61-68.
[2] Ibid., La basilique de Tébessa , R.S.A.C, 12 ,1868, pp 475-477.
[3] Clarinval , Rapport sur les fouilles faites à la basilique de Tébessa pendant l'année 1870 , R.S.A.C, 14,1870 ,pp605 -611.
[4] Poulle .A , Inscriptions de la province de Constantine , R.S.A.C ,15 ,1871-72, pp415-426.

الدائرية التي تنتشر بشكل ملفت بأرجاء المدينة وضواحيها ، وهي في معظمها جنائزية تعود للعهدين الروماني والبيزنطي.[1]

من جهته سجل إيرون دو فيلفوس De Villefosse في تقريره حول مهمته الأثرية إلى الجزائر المهام التي أنجزت بتبسة ، منها قيام المهندس المعماري جول دو لوربي برفع هندسي للكنيسة وملحقاتها ، وإجراء الضابط الهندسي باروش Baroche مقطعين لها أحدهما طولي و الآخر عرضي، و وضع المهندس لونوار في كتابه مخططا مرفوعا للكنيسة ، غير أن هذا المخطط رفع قبل الكشف النهائي عن المعلم، لذا جاء ناقصا و اشتمل على مجموعة كبيرة من الأخطاء الهندسية.[2]

ثم ما لبث دو فيلفوس و دائما في إطار جولته الأثرية أن زار مطلع سنة 1875 آثار مدينة تبسة وضواحيها أين عثر على العديد من النقوش الجديدة ،كما عاين حالة الآثار الرومانية والبيزنطية. وقد سجل كل ملاحظاته في تقرير رفعه إلى لجنة إفريقيا الشمالية في معهد النقوش و الآداب الجميلة.[3]

وخلال نفس هذه السنة انطلق النقيب دوبوسريدون في جولة أثرية واسعة شملت معظم المناطق المحيطة بمدينة تبسة. حاول من خلالها تتبع شبكة الطرق القديمة التي ربطت تبسة بغيرها من الحواضر النوميدية و البروقنصلية، وقد تمكن من زيارة عدة مواقع منها هنشير غوسة أين سجل بقايا محاجر الرخام القديمة المستغلة في العهد الروماني.كما طاف بأنقاض كل من هنشير متكيداس ، مكيمان، هنشير الكلب ، يوكس، تروبية، هنشير هماشة، مرسط، قصطل، قصر قوراي، جبل عصمور ، أين رصد فيها عددا من الملاجئ الصخرية الفجرية ، أنقاض الحمامات والمعابد الوثنية .علاوة على كهوف،و معالم ميلية وآثار قنوات ناقلة للمياه خلفها الرومان بالمنطقة.[4]

---

[1] De Bosredon .L, Notice sur quelques monuments de l' occupation romaine dans le cercle de Tébessa , R.S.A.C,16,1873-74,pp53-76;Id., "Inscriptions tumulaires recueillis à Tébessa pendant l'année 1873-74" , R.S.A.C, 16 ,1873-74, pp471-477.

[2] DeVillefosse. H, Rapport sur une mission archéologique en Algérie, Paris , Imprimerie nationale ,1875.

[3] De Villefosse .H ,Rapport sur une mission archéologique en Algérie,Archives des missions, Tome 2 ,2e livraison ,1875, pp373-496.

[4] De Bosredon .L, Promenade archéologique dans les Environs de Tébessa

,R.S.A.C,18,1876-1877,pp382-427.

مما نشره مجموعة أيضا من النقوش اللاتينية التي كانت كلها تقريبا شواهد قبور مسيحية.وحاول في نفس العدد وفي مقال آخر رصد بقايا شبكة أهم الطرق الرومانية التي تنطلق من تبسة وتصل إليها وتربطها بمدن نوميديا وجنوب البروقنصلية وتصحيح المسافات الفاصلة بينها بالاستعانة برحلة أنطونينوس.[1]

ومن الأعمال الهامة التي مست تاريخ تبسة ، الجولة التي قام بها الرحالة الإنجليزي بلايفير Playfair إلى تونس و الجزائر حيث قادته إلى منطقة تبسة أين زار أنقاضها الرومانية وجبل تازبنت أين رصد ضريحا رومانيا كان لا يزال في حالة جيدة ، كما بلغ في تجواله إلى مدينة تبسة ذاتها التي رأى فيها واحدة من أهم المدن الرومانية بشمال الأوراس ، وقدم وصفا عاما لبعض معالمها . كما زار كذلك الآثار الرومانية بجبل مستيري و يوكس أين لاحظ وجود معالم ميغاليتية دائرية وأحصى ما يقرب المئة منها.[2]

وبتمويله الخاص جمع أندريه بول Poulle في السنة الموالية وفي إطار جولته الأثرية في عمالة قسنطينة العديد من النقوش المهمة التي وجدها بتبسة، وهي في غالبها جنائزية وبعضها إهدائي ذا أهمية كبيرة نظرا لتضمنها إشارات عن تطور الإداري للمدينة.[3]

أعقب ذلك نشر الملازم أبيل فارج A.Farges الملحق بالمكتب العربي بتبسة لبحث مفصل عن منشأة اكتشفت داخل السور البيزنطي في سنة 1878 تبين له فيما بعد من خلال مخططها و دراسة محتوياتها أنه معبد، لاحتوائها على نقوش جنائزية و نصب نذرية وبقايا تماثيل لآلهة رومانية . وقد وضع فارج قائمة مفصلة بكل المعثورات التي وجدت بعين المكان إلى جانب مخطط للمعبد.[4]

وبعد آخر تقرير له عن المدينة منذ خمس سنوات أفرد الباحث الفرنسي إيرون دو فيلفوس De Villefosseدراسة معتبرة عن تبسه ومعالمها القديمة في مجلة "جولة حول العالم "، تناول فيها نتائج الزيارة الميدانية التي قادته إلى معالم المدينة وآثارها .وقد اشتمل وصفه على تفاصيل كثيرة لقوس النصر عند بوابة السور البيزنطي اختفى أكثرها الآن. كما تعرض إلى المعالم الأخرى منها الكنيسة الكبرى ، بقايا الدار الرومانية، الأبرشية الفرنسية ،المعبد الدائري وبقايا الكنيسة الصغيرة بتبسة الخالية. هذا إلى جانب الآثار الإسلامية كالمسجد العائد إلى العهد التركي وغيره.ومما يلاحظ على عمل

[1] De Borsedon. L , Inscriptions recueillis à Tébessa et les environs pendant les années 1876 et 1877, R.S.A.C,18 ,1876-77, pp356-381.

[2] Playfairs .R-L, Travels in the footsteps of bruce in Algeria and Tunis ,London, Kegan Paul company,1877.

[3] Poulle. A, Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie, R.S.A.C,19,1878,pp336-338.

[4] Farges .A ,Simples réflexions au sujet de la découverte d'un sacrum à Tébessa", R.S.A.C, 20,1879-80, pp215-253.

دوفيلفوس هو حرصه على رصد الوضعية الحقيقية التي صارت إليها حالة الآثار في نهاية القرن التاسع عشر ، إذ توصل إلى أن ضررا بالغا أصاب العديد من المنشآت بفعل الزمن أو التصرفات التخريبية للأفراد.ولذا شدد عل ضرورة أن تولي السلطات الفرنسية اهتماما أكبر في المحافظة على التحف الثمينة التي تحتويها المدينة.[1]

في السنة الموالية نشر الدكتور سيريزيا Seriziat عملا ثانيا عن تبسة تمثل في دراسة تاريخية وأثرية حول المدينة ونواحيها نشره في مجلة أكاديمية عنابة ، اعتمد فيها على ما وقع تحت يديه من وثائق أثرية مختلفة عثر عليها شخصيا في مهماته أو زوده بها ضباط الجيش و الأهالي . وقد عمل على توظيف معطيات تلك الوثائق في كتابة تاريخ موجز للمنطقة في عصور ما قبل التاريخ و التاريخ القديم، مركزا على مواقع محدودة لها أهمية أكثر من غيرها ،لما احتوته على بقايا أثرية ذات أولوية علمية وتاريخية.[2]

عثر بعدها الملازم فارج Farges خلال إحدى جولاته سنة1883 بمناطق عدة منها تبسة على أنواع مختلفة من الجرار الفخارية من الطين المحروق بعضها ذات استخدامات جنزية، إلى جانب خلاخيل وأقراط و أنواع عدة من الخواتيم البرونزية فيما عدا واحد مصنوع من الزجاج.ثم نشر في السنة التي بعدها مقالا مكملا لذلك الذي نشره منذ خمس سنوات مضت حول معبد تبسة المكتشف داخل السور البيزنطي على مقربة من بوابة صولومون. وقد تعرض فيه لاكتشاف آخر وقع قرب هذا المعبد وتمثل في العثور على مقبرة على بعد خطوات منه بها العديد من القبور والشواهد القبرية ،إلى جانب بعض المصابيح الفخارية.[3]

جاء بعده شارل تيسو Ch.Tissot الذي تتبع في كتابه حول الجغرافيا التاريخية المقارنة لمقاطعة إفريقيا الرومانية تاريخ مدينة تبسة منذ العصور القديمة .ومما أشار إليه تأسيسها المبكر السابق لقدوم القرطاجيين ، ثم تطورها الإداري و السياسي والاقتصادي و الحضاري خلال الاحتلال الروماني .كما لم ينسى التعرض لفترة الحكم الوندالي بها . واتسمت معلوماته عنها بالشمولية و الدقة نظرا لاعتماده على المصادر الأدبية و المعطيات و الوثائق الجغرافية و الإدارية ، وإن كان البعض من المعلومات التي أوردها قد أعيد الآن النظر فيها بعد أن بينت الدراسات الحديثة خطئها.[4]

---

[1] Héron deVillefosse .A, Tébessa et ses monuments, Le Tour du monde , 2^{e}semestre, Paris,1880,pp.

[2] Seriziat , Etude sur Tébessa et ses environs , B.A.H,XVII ,1881,pp27-66.

[3] Farges.A , "Appendice au sacrum de Theveste", R.S.A.C, 23,1884, pp135-151. ; Id., Notes sur divers petits objets de fabrications romaines découvertes à Tébessa ,Tifech, Souk Ahras et autres localités limitrophes de la Tunisie , Bulletin de l'académie d'Hippone,18,1883, pp79-90.

[4] Tissot.Ch ,Géographie comparée de la province romaine d'Afrique ,Tome 1,Paris , Imprimerie nationale ,1884. ;Tome 2 ,1885.

وتحضيرا لكتابه حول تاريخ الاحتلال البيزنطي لشمال إفريقيا الذي كان بصدد تأليفه ،قام شارل دييل بمهمة Ch.Diehl أثرية إلى الجزائر وتونس بغرض معاينة و دراسة الحصون والقلاع البيزنطية ومختلف المنشآت الدفاعية والتحصينات التي أقامها البيزنطيون بهذه البلاد ليجمع المعطيات الأثرية.ومن ضمن المواقع التي قام بدراستها مدينة تبسة التي عاين بعضا من معالمها وترك لنا وصفا دقيقا لأجزائها .وكان السور البيزنطي وقوس كراكلا والكنيسة المسيحية أكثر ما شد انتباهه ،غير أنه ركز في وصفه للمعالم على السور بأبراجه وجدرانه والمواد التي بني بها والمنشآت التي أخذت منها هذه المواد.ثم تطرق للكنيسة التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن الرابع الميلادي، حيث حاول إبراز التعديلات الجوهرية التي أدخلها عليها البيزنطيون لتحويلها إلى دير محصن ، خاصة وأنها تقع خارج السور البيزنطي لتفادي هجمات القبائل المعادية.[1]

من جهته نشر الدكتور سيريزيا Seriziat في مجلة أكاديمية عنابة سنة 1886 دراسة وافية عن آثار مدينة تبسة والمنطقة المجاورة لها ، حيث أشار إلى أهم المعالم الرومانية والبيزنطية التي احتوت عليها ، مع وصف هندسي لها كالسور البيزنطي والمدرج الروماني و الكنيسة الكبرى انطلاقا من معاينات ميدانية.[2]

في نفس الفترة عثر النقيب ألوت دولافوي A.De la Fûye رئيس كتيبة الهندسة العسكرية أثناء تهيئة حي الخيالة الجديد داخل السور البيزنطي على لوحتين فسيفسائيتين كانتا تشكلان أرضية لمنشأة هي على الأرجح حمام. روماني وبعد نقله للرسوم وأخذه للصور وجهها إلى السيد إيرون دو فيلفوس H.De Villefosse عضو أكاديمية النقوش و الآداب الجميلة الذي جعل منها موضوع دراسة نشرها في السنة الموالية توصل فيها إلى أن المبنى الذي وجدت فيه الفسيفساء كان حماما عموميا، وقد ضمن المقال أيضا مخططا له.[3]

ويبدو أن اهتمام السيد إيرون دو فيلفوس H.De Villefosse وهو العضو الدائم في الجمعية الوطنية الفرنسية للأثريين بهذا الاكتشاف لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد أرسل إلى هذه الأخيرة بصور اللوحتين الفسيفسائيتين المتمثلتين بموكب أمبفتريت تحيط بها عرائس البحر ، و مركبا محملا بالأمفورات وتفاصيل أخرى منها مناظر لمصارعين وحيوانات مفترسة.[4]

---

[1] Diehl .Ch, Deux missions archéologiques dans l'Afrique du nord , Nouvelles archives des missions scientifiques et littéraires , IV, 1885, pp42-48.

[2] Sériziat. Ch, Etudes sur Tébessa et ses environs ,Bulletin de l'Académie d'Hippone , XXII, 1886,pp27– 66.

[3] De Villefosse. H , Les mosaïques de Tébessa (Théveste), R.S.A.C ,24, 1886-87,pp234-245.

[4] Saglio.E, Séance de la commission de l'Afrique du nord » , Bulletin de la Société nationale des antiquaires de France , 1886,pp261-286.; Id., Comptes rendus sur les travaux de la société , Bulletin de la société nationale des antiquaires de France, Paris,1886,pp265_268.

كما تحققت كذلك جملة من الاكتشافات منها العثور على علبة حافظة للوثائق طولية الشكل مع غطاء طوله 0,20 م منذ سنتين أثناء أشغال شق طريق بين عين البيضاء وتبسة على عمق1,50 م. و على مقربة من كنيسة تبسة. وجدت لوحتين فسيفسائيتين الأولى و الأهم اكتشفت من قبل ألوت دولافوي سنة 1887.و الثانية أكثر لفتا للانتباه لاحتوائها موضوعا جديدا كلية حيث يظهر في قسمها العلوي سفينة محملة بأمفورات،

كما جمع بولPoulle نقوشا أخرى بطرق شتى لاسيما بمرسط.[1]

بدورهما اهتم لوتاي و أدولون Audollent .A . Letailleاهتماما بالغا بتبسة والمنطقة المحيطة بها حين قيامهما بجولة أثرية بالجزائر بهدف البحث عن النقوش الرومانية وجمعها.إذ تجولا طويلا بالمنطقة وجمعا كما معتبرا من النقوش لاسيما بمحيط المدينة والمحلات القريبة نسبيا منها مثل مرسط ، الحمامات ، بكارية.والملفت في هذه النقوش أن عددا كبيرا منها وجد على المعالم الميلية، مما يكسبها قيمة تاريخية لارتباطها بسني حكم الأباطرة وتضمنها أسماء القيادات العسكرية بهذه النواحي.[2]

أعاد بول Poulle في السنتين المواليتين نشر نقيشتين اثنتين رآهما مهمتين من جملة ثلاثين نقيشة حصل عليها من خلال جولة أثرية شخصية، أو من خلال مراسلات بعض الأعضاء المراسلين للمؤسسة الأثرية لقسنطينة، و أهميتهما تكمن في تضمنهما أسماء شخصيتين إحداهما دفينة مدينة تبسة كان لها دور فاعل في الأحداث السياسية بنوميديا.[3]

وممن اهتم بتاريخ المدينة صولومون ريناخ S.Reinachالذي كتب تقريرا عن تابوت عثر عليه بتبسة بناءا على معلومات أرسلها إليه أبيل فارج . وقد تضمن ملابسات هذا الاكتشاف ووصفا للتابوت الذي لم يعثر فيه على أية رفات ، والذي يعود للعهد المسيحي حسب شكله.[4]

وفي مقال موجز عن العصر الحجري بتبسة ، تناول ديبرا Duprat المعالم الميغاليتية وأصناف من الأدوات الحجرية التي احتوتها بعض المحطات الحجرية بإقليم تبسة مثل جبل عصمور، أولاد جلال، بئرعلي[5] .كما جمع شارل فارس في إطار

Ch. Vars بحثه عن النقوش الرومانية في عمالة قسنطينة حصيلة مهمة من نقوش تبسة ذات الطابع الإهدائي بعث بها إليه ديبرا Ch.Duprat الذي وجدها على بعض المعالم الميلية. هذه النقوش ذات أهمية تاريخية بالنسبة لأهمية شبكة الطرق التي كانت تبسة ملتقى لها، وذلك خلال فترة حكم الحكومة الربعية.[1]

---

[1] Poulle .A, Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie , R.S.A.C ,24 ,1886-87, pp160-162.
[2] Audollent .A , Letaille. J , Mission épigraphique en Algérie, M.E.F.R , 10,1890, pp515-551.
[3]Poulle .A , Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie , R.S.A.C , 26,1890-91, pp324-326.
[4] Reinach. S , Sarcophage de Tébessa , B.A.C ,Fasc 1, 1891 , pp159-160.
[5] Duprat .Ch , L'âge de pierre a Tébessa ,R.S.A.C,29,1894,pp543-551.

ومن الدراسات الهامة عن تبسة نذكر ذلك البحث المعمق عن كنيستها قدمه شارل ديبرا وهو باحث فرنسي وعضو في المؤسسة الأثرية لقسنطينة نشر في العدد الثلاثين من مجلة المؤسسة.فبعد وضعه مختصرا لتاريخ المدينة عبر مختلف المراحل التاريخية مع بعض الأخطاء و التجاوزات التي وقع فيها،تطرق إلى الحفائر التي كانت الكنيسة محلا لها منذ احتلال الفرنسيين للمدينة.أما القسم الأعظم من المقال فقد تناول فيه بالوصف كل أقسام الكنيسة وملحقاتها كالمدخل الرئيسي، الرواق ،الإسطبلات ، المعبد المثلث و السلم الرئيسي المفضي إلى داخل الكنيسة نفسها. وقد ختم ديبرا بحثه بملحق قيم جمع فيه كل النقوش التي عثر عليها في أنقاض الكنيسة أثناء التنقيبات التي جرت على مدار السنوات المنصرمة.[2]

وأعقب هذا العمل قيام ألبير بالو A.Ballu بدراسة وافية للدير البيزنطي الذي هو في الأصل الكنسية المسيحية التي يعود إنشائها إلى القرن الرابع الميلادي ، وعرفت تغيرات جذرية خلال الحقبة البيزنطية لتتلائم مع الهندسة الدينية السائدة ذلك العصر . وقد خلص بالو في نهاية تلك الدراسة إلى أن ذلك الدير لم يكن أكثر من أسقفية.[3]

إلى جانب هذه الإسهامات توالى البحث عن البقايا الأثرية بالمدينة أو محيطها .في هذا السياق عثر على عدة تماثيل صغيرة وكبيرة من الطين المحروق مطلية بألوان عدة بعين شبرو الواقعة على بعد 12كلم بغرب تبسة ، و

كانت مكدسة في مكان واحد ومخفية عن الأعين، وأتى اكتشافها مصادفة أثناء أعمال إزالة أتربة.[4]

لقد أولى الباحث رافني Ravnet في نهاية القرن التاسع عشر اهتماما كبيرا للمعبد المنسوب إلى مينرفا ، بحيث خصص له دراسة هندسية ونمطية قيمة تعرض من خلالها إلى النمط الهندسي العام الذي ينتمي إليه وهو الكورنثي.كما انتبه إلى أن المهندس الروماني المشرف على إنجازه تعمد الخروج عن القواعد الهندسية العامة المتبعة في إنشاء المعابد في عصره لأسباب تبقى مجهولة.غير أن هذا التفرد الذي يتميز به المعبد جعل رافني يعتبره المعلم الوحيد من نوعه في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية.[5]

كما انكب السيد مينان Menanعلى دراسة ختمين آسيويين يعودان للعهد الساساني عثر عليهما بوادي يوكس على بعد 18 كلم من تبسة.ويرجح أنه جئ بهما من قبل جنود من الفيلق الثالث الأوغسطي أو من أحد فرقه المساعدة.[6]

---

[1] Vars .Ch , Inscriptions inédites de la province de Constantine , R.S.A.C, 29,1894, pp688-690.
[2] Duprat .Ch , Monographie de la basilique de Tébessa , R.S.A.C,30,1895-96, pp5-87.
[3] Ballu .A, Le monastère byzantin de Tébessa, Paris , 1897.
[4] Ibid., Comptes rendus de la séance du 26 novembre , C.R.A.I,25, 1897,p692.

[5] Ragvenet .A, Temple de Minerve a Tébessa , Paris, Imprimerie Réunies, 1897.
[6] Gsell .St, Chronique archéologique ,R.Af, 37,1897,pp56-128.

من الجهود التي أضافت لبنة أخرى إلى تاريخ المدينة أبحاث موريس بسنيي M.Besnier الخاصة ، الذي أفرد لتبسة إلى جانب لامبيز دراسة دقيقة لنقوش المدينة ومعالمها المصورة التي جعل على رأسها معبد مينرفا والنصب و المنحوتات المتنوعة الأحجام ، علاوة على الفسيفسائيات .وقد أشاد في مقالته تلك بجمال القطع الأثرية التي تحتويها المدينة والتي لم يجد لبعضها نظيرا في مدن أثرية أخرى.[1]

ثم ظهرت إثر ذلك سلسلة من المقالات المتخصصة ، منها مقال حول بعض الحصون القديمة بعمالة قسنطينة ، تعرض فيه غزيل St.Gsellإلى تلك الواقعة بمنطقة تبسة ، حيث أشار إلى عدد منها بناه البيزنطيون أو الأهالي بها خلال عهد الاحتلال البيزنطي. من بينها قلعة قصطل ، حصن قصر قوراي ويوكس على بعد ثمانية عشر كيلومتر غرب تبسة.[2]

ومقال آخر نشره فاغنان Fagnanفي مجلة مؤسسة قسنطينة الأثرية حول وضعية إفريقيا الشمالية في القرن الثاني عشر الميلادي من خلال استقراء أحد المصادر المعاصرة للفترة وهو كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. وقد خصص حيزا معتبرا من المقال لمدينة تبسة التي أشار صاحب الكتاب إلى وضعيتها الاقتصادية والعمرانية، مع بعض الإشارات الاثنوغرافية و الجغرافية حول المدينة وسكانها.[3]

لقد أولى ستيفان غزيل في كتابه حول المعالم الأثرية للجزائر بجزأيه اهتماما كبيرا بالمنشآت الدينية القديمة المتنوعة الليبية منها التي أنشأها السكان المحليون في الفترة السابقة للعهد القرطاجي بمنطقة تبسة، إلى جانب المعالم الرومانية المختلفة المدنية و العسكرية ، علاوة على التحصينات العسكرية البيزنطية التي أقامها هؤلاء وأولئك للسيطرة على المدينة وجوارها. فإلى جانب الوصف الهندسي الدقيق لهذه المنشآت، حرص غزيل على وضع خلفية تاريخية مفصلة لها حتى تكتمل الصورة بشأنها. ولاشك في أن المادة التاريخية المتضمنة في البحث المتعلقة بتبسة والمنطقة المجاورة لها هي نتاج سنوات طويلة من التنقيبات والأبحاث الميدانية.[4]

3/ مرحلة الحفريات المنظمة في القرن العشرين:

هذا وفي الوقت الذي كانت تصدر فيه هذه الدراسات، وبموازاة مع أعمال التنقيب التي انطلقت بتيمقاد استأنفت في مطلع سنة1900 أشغال إزاحة الأتربة عن ساحة الدير البيزنطي بتبسة الواقع على بعد 460 م من

[1] Besnier. M , Inscriptions et monuments figurées de Lambèse et de Tébessa , M.E.F.R ,17,1897,pp445-465.
[2] Gsell. St , Notes sur quelques forteresses antiques du département de Constantine , R.S.A.C, 32,1898, pp 249-295.
[3] Fagnan .E , L'Afrique septentrionale au XII siècle de notre ère d'après Kitab-el-Istibsar ,R.S.A.C,37,1899, pp1-299.
[4] Gsell. St , Les monuments antiques de l'Algérie, Tome 1, Paris, Fontemoing , 1901 ; Id ., Tome 2 , Paris ,Fontemoing , 1901.

أسوار المدينة .إن أنقاض هذا الدير التي تعد الأجمل بالجزائر بعد آثار تيمقاد تم الكشف عنها وترميمها ما بين سنوات 1880_1891 .ولتكملة النتائج المتوصل إليها كان يتوجب العثور على المستوى الأصلي للساحة و الذي كان يحيط بمختلف أجزاء الكنيسة المسيحية الذي تحده بقايا التحصينات للدير المؤسس من قبل الأسقف أوغسطين .هذا الهدف تم تحقيقه لكن الجزء الأكبر من المساحة لم يكشف إلا عن جزء منه .كما أجريت أعمال صيانة و ترميم لموجودات المتحف الأثري الكائن داخل معبد مينرفا ، وكذلك قوس كراكلا الذي دعمت بعض أكبر أحجاره.أما بمرسط الواقعة إلى الشمال من تبسة والتي توجد بها آثار ذات أهمية لم تستطلع لحد الآن، وفي محاولة منه لاستغلال اليد العاملة المحلية في أعمال ذات منفعة عامة، خطرت للسيد باري Barryرئيس الإدارة البلدية فكرة القيام ببعض التنقيبات ، وقد أسعفه الحظ في العثور على أسس كنيستين مسيحيتين وحمام. وللأسف فإن آثار الكنيستين في حالة شديدة من التدهور يصعب معها حتى التعرف على مخططاتهما إلى بصعوبة كبيرة، ذلك أن شركة السكك الحديدية استخدمت بقايا هذه المنشآت في مد الخط.من جهة أخرى عثر هذا الإداري على أجزاء مهمة من بينها دعامات بيزنطية صغيرة تذكرنا أبعادها بالدعامات الجميلة بكنيسة تبسة . كما وجد إلى جانب ذلك كمية من الكلس و الملاط و المرمر تغطيها زخارف هندسية متنوعة ، علاوة على نصب للإله ساتورنوس في حالة حفظ جيدة . أما فيما يخص الحمامات فهي في حالة أحسن ، واستطاع باري أن يميز بسهولة بين الغرف، المسابح، والبهو الذي تحيط به عدة غرف متعددة الخدمات، وأخرى تغطي أرضيتها اللوحات الفسيفسائية . بوسط المبنى عثر على الجزء الداخلي لتمثال من المرمر الأبيض الجيد ربما كان للإله أبولون مع نسر يقف على سلحفاة عند قدميه.[1]

و في شهر جويلية من نفس السنة كشفت ورشات التنقيب عن منزل احتوت غرفه العديدة على لوحات فسيفسائية مزخرفة ، وحسب باري فانه كان من الأفضل قبل القيام بأعمال حفر جديدة وجوب الكشف نهائيا و بصورة كاملة عن الأبنية التي أبانت عنها الأشغال في المرة الأولى، مع مراعاة ترتيب الأجزاء المعثور عليها و إعادة نصب الأعمدة إن أمكن بحيث تعطي لهذه الآثار المكتشفة مظهرا لائقا قدر الإمكان .ومهما يكن فقد تقدمت الجهات الأثرية المختصة بالشكر للسيد باري على مدى حرصه الشديد على حماية اللقى الأثرية و حفظها بمبادرة شخصية منه، وحثته على مواصلة الحفريات لأنها كانت تأمل في العثور على نقوش تحمل اسم المدينة القديمة التي يعتقد أنه كانت ليبية المنشأ، ومدينة مهمة إذا ما وضعنا في الاعتبار بوابتها العامة المؤطرة بأعمدة وكوات إلى جانب الضريحين اللذان وصلا إلينا.[2]

---

[1] Groslambert.A,L'archéologie algérienne de 1895 à1915 . Les rapports d'Albert Ballu publiés au journal officiel de la république française de 1896à1916(=J.O), Paris, diffusion de Boccard, 1997,rapport du 24 mai 1902, p2157.

[2]J.O du 24mai 1902,p 2158.

من جهتها شجعت هذه النتائج مصلحة المعالم التاريخية بالعاصمة على المضي قدما في الحفريات فحرصت على وضع المخططات وتوفير المخصصات المالية الضرورية لتغطية التنقيبات التي ستجرى في أنقاض تبسة الخالية بتاريخ 30 ديسمبر 1901.[1]

و بتكليف من السلطات الفرنسية و في إطار إنجاز موسوعة شاملة عن متاحف الأقطار المغاربية، أصدر ستيفان غزيل الأستاذ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة أول دليل لمتحف تبسة سنة 1902 ، شمل إحصاءا ووصفا دقيقين لكل ما اشتمل عليه المتحف من موجودات ومقتنيات. بدءا بالنقوش والنصب النذرية والجنزية والتوابيت ، ومرورا بالفسيفساء و بقايا القطع الهندسية ، وانتهاء بالمنحوتات والأواني الفخارية.وقد وضع في نهاية هذا الدليل ملحقا ضم المجموعة الخاصة بالسيد كامبون J.Cambon رئيس بلدية تبسة التي جمعها بنفسه ووضع جزءا منها بحديقة منزله ، والجزء الآخر بالحديقة العامة الواقعة خارج السور البيزنطي عند باب قسنطينة.[2]

كما أحصى غزيل أيضا في الورقة التاسعة والعشرون من الأطلس الأثري الخاصة بتالة ، كل المواقع الأثرية التاريخية أو العائدة لفترة ماقبل التاريخ بمدينة تبسة والمنطقة المحيطة بها ، وتتبع كل أنواع المنشآت والبقايا المادية التي أشار إليها الباحثون و المختصون قبله على مدار نصف قرن. فبعد مدينة تبسة التي جمع حولها كل معطيات النصوص والنقوش والأدلة الأثرية ، وكتب من خلالها مختصرا لتاريخ المدينة نشأة وتطورا منذ أقدم العصور في المجالات السياسية ، الإدارية ، الاقتصادية والاجتماعية والدينية. رصد معالم المدينة كالسور البيزنطي والمقابر ، قنوات السقاية ، شبكة الطرق ، الجسور، المحاجر، المناجم والمعالم الميلية ، الكنيسة وغيرها.كما حاول تسليط الضوء على معالم الوجود الإنساني خلال عصر ماقبل التاريخ والفترة الرومانية ومابعدها بالمواقع الحضارية بالمنطقة المجاورة لها مثل قصطل في الشمال ، مرسط ، هنشير فراغة ، هنشير غونيفيدة ، هنشير كيسة ، هنشير طورشة ، هنشير القصور ، هنشير صومعة، راس العيون ، خنقة ناصر، خنقة الموحاد ، جبل مستيري ، قصر تبينات ، بكارية وغيرها من المواقع الأثرية التي لا تزال تحتفظ برصيد تاريخي وأثري هي محصلة لمختلف الحضارات و الشعوب التي استوطنتها وتعاقبت عليها على مر العصور القديمة.[3]

أما بمرسط فقد استأنفت الحفريات بإشراف السيد جورج باري رئيس البلدية المختلطة بكل حماسه و إخلاصه المعهودين. فالحمامات و المنزل الروماني التي كشفت عنهما حديثا كانا يرتبطان حسبما أسفر عنه إزالة الأنقاض بطريق قديمة طولها 115 متر و عرضها25,5متر على امتداد 40 مترا ، وهذه الطريق تبعد بأكثر من 22 مترا عن الجدار الذي يغلق من هذه الجهة المبنى الذي توصل إليه البوابة الرئيسية ، هذه الأخيرة التي ترتفع أنقاضها

---

[1] C.A.O.M ,G.G.A,55 Serie/ carton n°.7.
[2] Gsell.St,Musées de Tébessa. Dans Musées et collections archéologiques de l' Algérie et de la Tunisie, deuxième séries, Paris, Leroux,1902.
[3] Gsell .St, Atlas archéologique de l' Algérie, Alger-Paris,1901,Feuille N°29.

كثيرا فوق الأرض استقطبت اهتمام المنقبين فيما بعد .لقد بلغ متوسط ارتفاع الأنقاض المزالة حوالي 60 ,1 متر ، و من المؤسف أن المنحة المخصصة لبلدية مرسط خلال السنة الأخيرة لم تسمح ليس فقط بدفع الحفريات أبعد من ذلك ، ولكن حالت أيضا دون القيام بتدعيم غدا ضروريا جدا للزاويتين الشمالية و الجنوبية للضريح الكبير إلى جانب الركائز الثلاث العليا التي تقوم عليها البوابة. وقد تمت برمجة هذه الأشغال في ميزانية العام 1902 بما يسمح باستئنافها .ولقد تمت إزاحة 320 متر مكعب من الأتربة ونقلها إلى أحد المنحدرات على بعد 80 مترا من الموقع .كما عثر على عدد من القطع الفخارية ذات أهمية وضعت بمقر البلدية التي تستعمل كمتحف مؤقت.[1]

لقد كان مقررا أيضا إجراء أعمال الترميم على برج جبل مستيري ، غير أن بطء الإجراءات الإدارية التي لم تتخذ في وقتها حال دون ذلك، ولذا فقد أجل البدء فيها إلى سنة1904 . وعوضا عن ذلك أجريت على قوس كراكلا بعض الترميمات للصيانة ،و خصص للمتحف مبلغ مالي صغير لوضع بعض الخزانات من أجل حفظ المعثورات بإشراف السيد باري.[2]

لم تغب تبسة الخالية كذلك عن اهتمامات هذا الأخير إذ تكفل أيضا بالإشراف على التنقيبات بها، وكان قد سبق للرائد شيدي Chédéقائد الكتيبة الثالثة للزواف أن قام بإزاحة التراب عن بعض الأماكن في هذه الأنقاض التي تبعد بحوالي ثلاث كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينة تبسة. و من بين جميع هذه المواقع اجتذبت القاعة الدائرية انتباه باري بشكل أساسي ودفعته لإجراء أبحاثه. وقد ظهر له جليا أنه أمام حمامات جميلة كانت قاعتها الدائرية أهم قسم فيها.ولتوسيع دائرة البحث أجرى مسحا حول الآبار الأولية التي تعرف عليها من قبل الرائد شيدي و الواقعة إلى الشمال الشرقي من القاعة الدائرية الكبيرة .هذا المسح مكنه من العثور على غرفة مستطيلة مبنية بالحجارة المنحوتة .الأعمدة الأربعة المحيطة بالبئر وضعت بدورها وسط القاعة التي تنفتح ثلاث جوانب منها على باحات نصف إدارية، ربما كانت هذه المنشأة جزءا داخلا في الغرف السابقة وتكون جميعها مبنى واحدا لا يعلم على وجه التدقيق نوعيته . وتتمثل الأجزاء المعثور عليها ضمن عملية إزالة الأنقاض في عدد كبير من الأسطوانات مختلفة الأقطار بين 38،44 سم و حتى 32 سم وجدت تقريبا كلها خارج القاعة الكبرى ، ويعتقد أنها كانت جزءا من بهو أعمدة محيط بالجدران الخارجية للقاعة.لقد كانت التنقيبات مثيرة وتقرر مواصلتها و دفعها أكثر من ذلك هذه السنة.[3]

بموازاة هذه الجهود الميدانية أولت السلطات الإدارية لتبسة جل اهتمامها لتوفير الصيانة والحماية للمعالم الأثرية، إذ دفعت بلدية تبسة فاتورة بقيمة 200 فرنك فرنسي قديم في 13 أبريل 1902 لقاء الترميمات التي أجريت على قوس

[1] J.O du 4 avril 1903,p 2159.
[2] Ibid.,p 2160.
[3] Ibid.,p 2161.

كراكلا.كما وجهت مراسلة لرئيس مكتب المعالم التاريخية تحمل تاريخ 29 أوت 1902 تشير فيها إلى أن أنقاض السيرك الروماني قد لا تمثل كبير أهمية لمصلحة المعالم التاريخية بالنظر لحالتها.وحصلت من عامل قسنطينة على ميزانية خصصتها للتنقيبات المبرمجة بمرسط في جانفي 1903.زيادة على هذا خصصت مبلغ 73313 فرنك فرنسي قديم لتغطية تكاليف التنقيبات التي انطلقت بأنقاض تبسة الخالية منذ 14 جوان 1904.[1]

نذكر كذلك مراسلة محافظ المتحف لحاكم إقليم قسنطينة مؤرخة بثلاثين نوفمبر 1905 بخصوص التنقيبات التي أجراها الرائد شيدي سنة 1882 بتبسة الخالية ونتائجها التي يمكن أن تساعد في توجيه حفريات أكاديمية مستقبلية مثلما أفادت السيد باري في عمله قبل ذلك.[2]

تواصلت كذلك عملية جمع نقوش المدينة ودراستها ، فقد نشر جيروم كاركوبينو مجموعة جديدة من نقوش تبسة اكتشفت خلال سنة 1905 من طرف لوي ليشي وهي متنوعة ما بين جنزية و إهدائية ، ولبعضها أهمية خاصة لاحتوائها عبارات وأسماء ليست منتشرة كثيرا ضمن النظام الاسمي الروماني ببلاد المغرب القديم. وهي تحتاج لدراسة تحليلية تاريخية مقارنة مع نقوش أخرى للاستفادة منها قدر الإمكان.[3]

في خضم ذلك لم تنقطع المراسلات المتعلقة بالآثار القديمة إذ نشير لمراسلة بتاريخ 22 أبريل 1906 تشير إلى العثور على معبد وحمامات رومانية أثناء التنقيب في تبسة الخالية.و في رسالة موجهة من قبل المهندس العام المسؤول إلى الحاكم العام في 3 0 ماي 1906 يبين أنه خلال التنقيبات المستأنفة منذ 22 أبريل بالمعالم القديمة بتبسة الخالية اكتشف أن المعلم الذي صنف من قبل على أنه معبد ، هو في حقيقة الأمر حمام روماني. وأيضا مراسلة صادرة عن رئيس البلدية تخص عملية نقل فسيفساء في شهر سبتمبر من نفس السنة من أنقاض حمامات مرسط الرومانية المصنفة كمعلم تاريخي إلى متحف تبسة.[4]

قام الرائد غينان Guenin قائد منطقة تبسة بحفريات بهنشير فرعون القريب من المدينة.وتركز البحث حول معلم تبين أنه كنيسة مسيحية تنتمي لنفس النمط الذي تنتمي إليه كنيسة تبسة الكبرى التي تم الكشف عنها كلية منذ سنوات عدة.والتي تتشابه معها في هندسة البناء والزخارف. هذا وقد أجرى على خرائب القلعة التي بناها البيزنطيون عند سفح جبل فوا حفريات منظمة انبثقت منذ الوهلة الأولى عن نتائج باهرة، شجعته على مواصلة الحفر لأسابيع طويلة .و توصل إلى تحديد معالم كنيسة صغيرة الأبعاد بناها الجنود البيزنطيون داخل القلعة، حيث أبان عن مخططها العام

---

[1] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.
[2] Ibid.,55 S/7.
[3] Carcopino .J , Inscriptions de Khamissa, Lambèse , Tébessa et Timgad ,B.C.T.H.S, 2^{e} livraison ,1905 ,pp243-249. ; Id., Inscriptions de Khamissa , Lambèse, Tébessa, Timgad, B.A.C, 1905, pp218-245.
[4] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.

وأجزائها الأساسية مع مقاساتها مثل الرواق الرئيسي وغرفة الأمتعة المقدسة وبيت الكاهن وشباك الاعترافات. ومما تحقق إنجازه أيضا بتبسة تلك التنقيبات التي أجراها صاباتيي Sabatier مفتش مصلحة المطابقة للمعالم التاريخية بمعبد مينرفا.[1]

لقد عثر أثناء الحفر على نقيشة دائرية محيطة برمز المسيح تشير إلى أن هذه اللوحة الحجرية وضعت خلال أسقفية فوستينوس أسقف تبسة في يوم10 أبريل سنة500 ، وقد شجعت هذه الاكتشافات الرائد غينان على مواصلة التنقيبات التي أدت إلى الكشف عن كنيسة مسيحية صغيرة وجهتها جنوبية شرقية أبعادها19,43 م ×10,30 م وتحتوي على بهو رئيسي وغرفة خلفية.ولم تسفر التنقيبات عن أية نقوش ، بل كل ما عثر عليه تمثل في بقايا الزجاج ومقابض كؤوس و مصابيح وعدة قبور. وعلى بعد 28كلم من تبسة و بالجهة الغربية من بحيرة الأرنب على السفح الشمالي للمرتفع المسمى رويس ، عثر هذا الرائد على في شهر مارس من سنة 1907 على أسقفية مربعة طول ضلعها 0.50م و سمكها 0.50م تحمل اسم القديسين ميشال و غابرييل . وتذكر ببعض الشهداء المسيحيين مثل القديس فينكتيوس ، دوناتيلا، ماكسيما،سكوندا المستشهدين بتبوربة سنة 304 وكريسبينا بتبسة في نفس السنة.[2]

وفي أواخر هذه السنة أرسل تقرير عن أبراج تبسة القديمة الواقعة في ضاحية المدينة والمصنفة ضمن المعالم التاريخية إلى مصلحة الفنون الجميلة بالعاصمة. والملفت للانتباه أن ستة فقط من بين تسعة عشر برجا توجد في حالة كاملة ، بينما لم يتبق من الأبراج الثلاثة عشر برجا الأخرى إلا بقايا صغيرة. وقد تدخلت السلطات الفرنسية ممثلة في حاكم قسنطينة الذي راسل الحاكم العام للجزائر بتاريخ 29ديسمبر1907 يطلب تدخله لوقف تحويل هذه الأبراج من موقعها الأصلي.وعليه فقد راسل هذا الأخير بعد ذلك المهندس العام للمعالم التاريخية في 12 مارس 1908 بخصوص بقايا هذه الأبراج الرومانية الواقعة على أحد الأملاك العامة مستفسرا عن الإجراءات العملية التي اتخذها لإبقائها في مكانها وصيانتها من الاندثار.[3]

في منتصف سنة 1908 نشر أندريه بيغانيول A.Pigagnol ملاحظاته حول نقيشة جديدة كانت قد اكتشفت حديثا بتبسة ، بدا أنه يعتبرها مهمة وعلق عليها آمالا كبيرة في إعادة النظر في التطور الإداري للمدينة خلال القرن الثاني الميلادي.وبتاريخ 21اكتوبر 1908 وصلت رسالة من فارنيي الحاكم العام للجزائر إلى المهندس العام المسؤول عن

[1] J.O du 03/12/1907,p 2164.
[2] Manguellone .J, Chronique archéologique, RSAC,XLI, 1907,pp263-274.
[3] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.

المعالم التاريخية للجزائر معنونة بأبراج تبسة القديمة يحثه فيها على اتخاذ إجراءات مستعجلة لحماية أحد أبراج السور البيزنطي التي يتهددها الزوال تحت وطأة الأشغال التي تقوم بها شركة استغلال الفوسفات.[1]

تعتبر سنة 1909مهمة في تاريخ المدينة لأنها حفلت بسلسلة من الأعمال و المكتشفات .فقد افتتحت باكتشاف آثار بهنشير توتة التي تقع بضواحي تبسة، وهي واسعة جدا تبلغ حوالي كيلومتر طولا وأربعمئة متر عرضا.حيث أسفرت الأبحاث عن منزل روماني، لكنها لم تزودنا سوى ببقايا أمفورة تحمل أسماء التجار أو الدائنين للتاجر صاحب المحل[2].و بتاريخ21 أكتوبر أرسل المهندس بوليس إلى تبسة للإشراف على التنقيبات التي انطلقت أعمالها في الشهر الموالي.[3]

من جهته أحصى جولو Joleaud في مقال في له كل الآثار القديمة االواقعة في محيط تبسة و إقليمها، سواء تلك العائدة إلى عصور ما قبل التاريخ مثل جبل عصمور، عين شبرو ، رفانة.أو تلك المنتمية إلى العهود اللاحقة مثل مرسط ، عين الكبيرة وتبسه.[4]

كذلك قام الرائد غينان Guenin بجرد شامل للمعثورات و المواد الأثرية االتي عثر عليها بإقليم تبسة منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي للمدينة. وقد شمل كل البقايا التي عثر عليها مصادفة من قبل الأهالي أو عمال الأشغال أو الضباط والجنود الفرنسيين، أو تلك التي كشفت عنها التنقيبات الأكاديمية. وتضمن الجرد النقوش، النصب الجنزية و النذرية والإهدائية، المعالم الميلية، التوابيت، الأعمدة والتيجان، المسكوكات، الأواني الفخارية والزجاجية مثل الجرار والنياطل والأمفورات وقوارير العطور، التماثيل و التماثيل النصفية، اللوحات الفسيفسائية، القطع المعدنية المختلفة الاستخدامات(دبابيس، مشابك، قارورات الرماد،مسامير،أختام رصاصية.....) وغيرها من اللقى الأثرية. وهذا الجرد غدا لمدة طويلة دليلا لمتحف تبسة في غياب الدليل الرسمي، وقد اختفت أو أتلفت الكثير من الآثار المجرودة بسبب الإهمال أو السرقة، ولكن لحسن حظ المؤرخين والباحثين أن المعطيات المتعلقة بها ظلت محفوظة لاسيما فيما يخص النقوش.[5]

و بمبادرة شخصية منه زار السيد لاتابي Latapieوهو دركي بتبسة مهتم بما قبل تاريخ المنطقة بعض المواقع القريبة من المدينة بحثا عن مكتشفات جديدة. ومن ضمن ما زار على وجه الخصوص موقع الماء الأبيض الذي سجل فيه

---

[1] Ibid.,55 S/7.; Piganiol .A, Note sur une inscription inédite de Tébessa , M.E.F.R ,28, 1908 ,pp 314-3.44.
[2] Fabre .A, Chronique archéologique, B.S.G.A.O,29,1909,pp110-117.

[3] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.
[4] Joleaud .L , Ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine , R.S.A.C, 43,1909,pp101-160.
[5] Commandant Guenin , Inventaire archéologique du cercle de Tébessa , Nouvelles archives des missions, Tome XVII,Fasc 4,1909,pp75-230.

وجود غزارة في الأدوات الأشولية. وحلزونية لوبيرة الواقعة على بعد اثنان وعشرون كيلومتر جنوب غرب تبسة. وقد رفع تقريرا مفصلا عن هذه الجولة الاستكشافية إلى مجلة قسنطينة.[1]

كما تلقى دوبريج Debruge في سنة 1909 مراسلة من أحد المهتمين بتاريخ منطقة تبسة تتضمن إحصاءا لمواقع ماقبل التاريخ جمعها المراسل بنفسه من خلال زيارة هذه المواقع التي تأتي على رأسها رفانة، بكارية، عين العنبة ،عين الديبة، مرسط، هنشير ببوش، يوكس ، هنشير رمايدية، جبل بلكفيف وغيرها. وقد أشار دوبريج إلى أن معظم هذه المواقع مذكور في الأطلس الأثري لغزيل،لكن بعضها جديد ويحتاج لمعاينة ميدانية وحفائر.[2]

إن الملاحظ أنه ابتداء من سنة 1910 أخذت الدراسات عن تبسة وإقليمها عند بعض الباحثين تميل بحكم اختصاصهم نحو الاهتمام بفترة ما قبل التاريخ بها .فالباحث دوبريج وضع بحثا موجزا عن فترة ماقبل التاريخ بتبسة وجوارها لخص فيه نتائج جولته في رماديات المنطقة مثل رفانة، هنشير رمايدية، هنشير ببوش، مرسط، خنقة الموحاد، الكيلومتر ثلاثمئة، عين مزوي. ووسع دائرة بحثه لتشمل حتى تفتيش المواقع التي تحوي معالم حجرية مثل الأضرحة البازينية والجثوات والدولمينات مثل تلك الواقعة بقصر قوراي، كاف الجمل،كوشادة والماء الأبيض. ووضع في النهاية قائمة جردية للأدوات العظمية والحجرية وبيض النعام المزخرف وبقايا البيئة الحيوانية.[3]

كما انصب اهتمامه بشكل خاص على إبراز الخصائص المورفولوجية والصناعية للحلزونيات وهي المواقع النموذجية للحضارة القفصية المنتشرة في جوار تبسة. وحاول التركيز على نقطة مهمة أوصلته إليها الحفريات المكثفة التي قام بها في موقع واحد منها هو خنقة الموحاد ألا وهي أن المواقع التبسية تعد أهم المواقع القفصية بشمال افريقيا وأحسنها حفظا، وطبقاتها تحتاج إلى المزيد من الحفر والاستكشاف والدراسة.[4]

أما في الخامس من جوان سنة 1911 فقد اكتشف موريس ريغاس M.Reygasseموقعا أشوليا على بعد ثلاثمائة متر شمال برج الماء الأبيض على بعد خمسة وعشرون كيلومتر جنوب تبسة ،عثر فيه على العديد من الأدوات الأشولية المتقنة الصنع لكنه لم يجد بقربها أية بقايا آدمية.وبمرسط أجرى لاتابي في شهر فبراير مسحا أثريا في منحدرات جبل دريمين على بعد عشرة كيلومتر جنوب الماء الأبيض أسفرت عن العثور على عدد كبير من الفؤوس الأشولية منتشرة على أديم الأرض . وتم إرسال هذه المكتشفات كلها إلى متحف العاصمة وقسنطينة لمزيد من الدراسة.[5]

---

[1] Manguellone .J , Chronique archéologique , R.S.A.C,43,1909,pp289-304.
[2] Debruge .A , Stations préhistoriques des environ de Tébessa , R.S.A.C,43,1909, pp225-232.
[3] Debruge.A., Le préhistorique dans les environs de Tébessa , R.S.A.C,44,1910,pp225-232.
[4] Id., A propos des escargotières de la région de Tébessa, R.S.A.C,45, 1911,pp377-392.
[5] Reygasse .M, Latapie. J , "Découvertes préhistoriques dans le cercle de Tébessa " , R.S.A.C,45,1911,pp351-354.

من زاوية أخرى ظهرت في عدد خاص بأسقفيات نوميديا وموريطانيا السطيفية بضع صفحات مهمة أفردها شارل جوبير Ch.Jaubertللتاريخ الديني لتبسة منذ بدء ظهور المسيحية بها، حيث انكب على تتبع الأساقفة الذين تعاقبوا عليها ، إلى جانب الأحداث البارزة لاسيما أيام الاضطهاد الديني وما خلفته من شهداء. كما أنه لم ينسى التعرض بالوصف الوجيز لمعالمها المسيحية البارزة كالكنيسة الكبرى و المعبد المثلث.[1]

وفيما يخص جوار المدينة فقد خصصت السلطات بمرسط مبلغا ماليا صغيرا لمواصلة التنقيبات بين الطرق المكتشفة السنة الماضية و الحمامات التي أزيلت عنها الأنقاض منذ ثلاث سنوات من طرف السيد جورج باري رئيس إدارة البلدية .هذه التنقيبات كشفت عن منشآت لا تمثل أية خصوصيات مهمة.أما بتبسة الخالية فمن الأعمال التي تحققت، الغرفة الدائرية التي اكتشفت جزئيا السنة الماضية أبرزت هذه السنة بشكل كامل بحيث عثرنا على حمامات ملاصقة لها .وهي بالتأكيد جزء من هذا المرفق كانت تحوي مصطبة حجرية تحمل أربعة أسطوانات أي أنها ترتفع بأربعة أمتار ، في قمتها تنتصب أعمدة ارتكاز أفقية تحمل السقف.كما قطر ك منها 40 سم توجد نوافذ عرضها 1,60 م تضيء المكان ، وقد عثر على الثقوب التي كانت تثبت فيها الشبابيك المحيطة فيها .إن القاعة الدائرية الأكثر لفتا للانتباه ، هي القاعة المربعة التي تتخذ ثلاث جوانب منها شكلا نصف دائري ، عثر السيد باري الذي أشرف على هذه التنقيبات بإخلاصه المعهود على بقايا نوافذ صغيرة الأبعاد ،فسيفساء وأجزاء من خليط الجبس ورأس إمبراطورة من الرخام الأبيض . وقد نقلت هذه المقتنيات إلى تبسة لتوضع في المتحف.[2]

ولم يغب برج جبل مستيري الواقع على بعد كيلومترات من تبسة عن دائرة اهتمام مصالحها الأثرية إذ خصصت له هذه الأخيرة مبلغ مالي لترميمه.وهو أحد النماذج النادرة عن هذا النوع من المنشآت التي أقامها السكان المحليون بغرض السيطرة على المنطقة أثناء صراعهم مع الرومان ،البيزنطيين أو العرب المسلمين.[3]

هذا وقد استأنفت سنة 1915عملية إعادة ترميم الدير البيزنطي التي بدأت تحت إشراف المهندس كوجيا Coggiaمنذسنة 1913 ثم توقفت سنة 1914 بسبب الحرب . و تقدمت الأشغال إلى الحد الذي صار لا يخشى معه على الأنقاض من الزوار الغير مرغوب فيهم. فالأسوار الغربية والجنوبية أعيد بنائها بارتفاعات مناسبة.كما حفر خندق على امتداد الأسوار الغربية الشمالية و الشرقية ، ثم نظفت الأنقاض من الأعشاب والحشائش التي كانت تغطيها واستخرج عشرون عمودا منها.[4]

---

[1] Jaubert .Ch, Anciens évêchés de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne, R.S.A.C, 46 ,1912, pp84-98.
[2] J.O du 19 janvier 1913,p146.
[3] Ibid., p147.
[4]J.O du 29 avril 1916,p175.

بعد ذلك ومن أجل حماية آثار الدير البيزنطي الواقع من خارج السور البيزنطي الاندثار،أعاد السيد Coggia كوجيا مدير هيئة الجسور والطرق ومحافظ المتحف بواسطة الحجارة المنتشرة حوله بناء السور القديم الذي كان يحيط به خلال العصر الوسيط ويعزله عن باقي مباني المدينة.[1]

فيما يتعلق بفترة ما قبل التاريخ أجرى كل من الباحثان لاتابي و ريغاس Latapie et Reygasse بحر هذه السنة حفريات بمواقع ماقبل تاريخية تقع على بعد ستة كيلومترات جنوب غرب الداموس الأحمر بضواحي منطقة تبسة .ويتعلق الأمر بمغارة وملجأ صخري بغابة جبل أنوال، وتعود الصناعة الحجرية لهذا الموقع إلى العصر الحجري الحديث مع وجود أدوات أقدم زمنا منه. ومن جملة ما عثر عليه بقايا حيوانية متنوعة إلى جانب الصناعة الحجرية الممثلة في القطع الموستيرية ذات الاستخدامات المختلفة والأدوات العظمية والأواني الفخارية، علاوة على هيكلان عظميان كاملان وجمجمتان، وقد أرسلت هذه اللقى إلى متحفي قسنطينة والجزائر.[2]

وسيرا على خطاهما انكب ريغاس Reygasseفي العام الموالي على دراسة حلزونية الشريعة التي سبق وأن أحيط علما بوجودها ست سنوات قبل ذلك من قبل دولاهو Delahautالقائد الأعلى لإقليم تبسة و الملازم بونيي Bonierرئيس المكتب العربي. وقد تركز اهتمامه وجهده فقط على تتبع الصناعة الحجرية للموقع وتصنيف أدواتها حسب الاستخدام والتقنية، غير أنه جانب الصواب حينما شبه الأدوات القفصية المتطورة بالصناعة الأورغناسية بأوربا التي تبدو أقل اتقانا وبدائية مقارنة بها.[3]

بدوره أعد مانغلون Manguellone دراسة قيمة عن الطرق الرئيسية التي تشتمل عليها منطقة تبسة تناول فيها معظم الطرق التي أنشأها الرومان لربط تبسة بمدن المزاق وجنوب البروقنصلية شرقا، وشمال جبال الأوراس وجنوبها وغربها. وأهم ما في هذه الدراسة أنها كشفت عن طرق جديدة لم تشر إليها رحلة أنطونينوس أو أيا من الوثائق الجغرافية القديمة ، منها طريقان يصلان تبسة بفريانة بجنوب تونس.[4]

كما خصص توز Touzeدراسة موجزة عن قطعتين نقذيتين بدتا له رومانيتين وجدتا بالدير البيزنطي، غير أنه تبين له أنهما بيزنطيتان تعودان إلى عهد الإمبراطور حنا زمسكيس أي القرن العاشر الميلادي، وهو الأمر الذي استغربه لبعده زمنيا عن فترة الحكم البيزنطي لبلاد المغرب.إلا أنه رد ذلك إلى عامل المبادلات التجارية التي نشطت بين البيزنطيين و الفاطميين في هذه الفترة ، الشيء الذي يفسر وجود هذه العملة بالمدينة.[5]

---

[1] Manguelonne .J , Chronique archéologique départementale , R.S.A.C,49,1915,p252.
[2] J.O du 29 avril 1916,p177.
[3] Reygasse .M , L'escargotière de Chéria , R.S.A.C ,51,1917-18,pp263-274.
[4] Manguellone .J ,Les principales voies romaines de la région de Tébessa ,R.S.A.C, 51,1917-18, pp1-25.
[5] Touze , Etude sur deux pièces byzantines , R.S.A.C, 51 ,1917-18 ,pp 287-89.

هذا وقدم السيد روني كانيا R.Cagnat ملخصا عن أعمال التنقيب التي جرت سنة 1919 و التي تضمنها تقرير السيد ألبير بالو .ومن ضمن هذه الأعمال الكشف عما تبقى مطمورا تحت الأتربة و الأنقاض من الساحة الكبرى للدير البيزنطي(الكنيسة).[1]

زيادة على ما تقدم أجرى السيد كوجيا Coggia المهندس المساعد في مصلحة الجسور والطرق ومحافظ متحف تبسة سنة1919 قرب باب قسنطينة عدة أسبار أثرية كشفت عن العديد من النقوش . لكن العمل الأكثر أهمية تمثل في إنهاء الكشف الكلي عن البهو الكبير للدير البيزنطي أو الكنيسة الكبرى .هذا العمل بدأ به سنة 1917 وتوقف سنة 1918 بسبب ظروف نهاية الحرب ليستأنف هذه السنة.ومما تحقق إنجازه هذه المرة ، تسوية كوجيا للجزء الذي نقب بغرب الكنيسة وذلك بنزع طبقة من الأتربة سمكها 0,15 م. وحين لم يصل إلى الأرض البكر قام بسبر أثري في محور الكنيسة على بعد ثمانية عشر متر شمال الطرق الملاصقة لها . وعلى عمق خمسة أمتار لم يعثر سوى على كومة من الحجارة منحوتة وغير منحوتة من مختلف الأنواع مختلطة بالتراب .ثم قام بمسح أثري آخر اجري على بعد 18,50 م من الأول قرب الغرفة الغربية كشف عن حفرة أبعادها متوسطة.وعلاوة على هذه التنقيبات قام بإعادة بناء 190 مترا طولية من درجات السلم الكبير الذي اشتمل على 16 درجة طول كل واحدة منها 20 مترا .هذا الترميم أعاد لهذا السلم الجميل كامل روعته السابقة .وخلال هذه الحفريات لم يعثر على أية نقوش ذات أهمية اللهم إلا بعض الأجزاء لنقوش جنزية.[2]

إلى ذلك عثر كوجيا Coggia أيضا قرب البرج الشمالي الغربي على سلسلة من الجدران وبجانبها طبقات من الركام المشكل من الفحم وبقايا مواد البناء التي نتجت ولاشك عن سلسلة حرائق واحدة متتابعة أو وقعت في فترات مختلفة.[3]

و مما يبدو من وثائق السلطات البلدية و المصالح الأثرية لتبسة أن ضررا كبيرا بدأ يطال الآثار القديمة داخل المدينة ، حيث يظهر أن توسع النسيج العمراني الحديث تم على حساب المعالم التاريخية لاسيما بالحي المشتمل على بقايا المنزل الروماني. مما حمل المصالح الأثرية على مراسلة الحكومة العامة للجزائر التي استصدرت بدورها قرارا رئاسيا من الرئيس بوانكاريه في 15 جويلية 1919 يمنع أية عملية بناء داخل السور البيزنطي، ماعدا تلك التي تسمح بها السلطات الرسمية.[4]

---

[1] Badellon .A, Séance de la commission de l’Afrique du nord du 15 février , BAC,1921, ppLV-LXX.

[2] Ballu. A, Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations exécutés en 1919, R.Af,1920, p315. ;Id., Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l’année 1919 , Jourdan, Alger,1921.

[3] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.
[4]Ibid.,55 S/7.

مع مطلع العشرينات انطلقت وتيرة الأشغال بخطى متسارعة لرغبة السلطات في استدراك التأخر الذي عرفته فترة الحرب.وعليه استأنفت فرقة بحث سنة 1919 عملية إزالة الردم في الحيز المحصور بين الكنيسة وسورها من ناحية الشمال و التي كانت قد بدأت سنة 1917 وتوقفت سنة 1918.ويظهر أن هذا الحيز الذي كانت تنتصب فيه منشآت مختلفة سابقا، كان خلال فترة ازدهار الكنيسة مهيئا ربما لأجل إنشاء حديقة. وفي فترات الفوضى والغزوات أقيم على عجل سور بدون أبراج فلم يراعى التخطيط الهندسي.خلف هذا السور فيما كان قبلا حديقة تجمع السكان بدوابهم في مساكن شيدوها بمختلف المواد .لذا نجد في هذا الميدان محل التنقيب جدرانا بنيت في العهود المتأخرة بدون تخطيط هندسي، طواحين ، أحواض المياه حجارة من كل الأنواع، صناديق حجرية و شواهد جنزية، أعمدة مربعة جمعت من هنا و هناك لتشييد هذه المساكن.[1]

ولم تحل العراقيل وقرارات المنع الإدارية من السلطات المركزية دون تواصل الجهود بمعية السلطات المحلية ،فقد طالب المجلس البلدي لمدينة تبسة في مراسلة مؤرخة بالسابع ديسمبر سنة 1921 حاكم عمالة قسنطينة بالسماح للدائرة الأثرية باستئناف التنقيبات داخل المدينة وبالمنطقة المحيطة بها أين توجد بقايا الفترة الرومانية ، وكذا بالكنيسة التي لم يكشف عنها كلية إلى حد الساعة .علاوة على حي الخيالة في الموضع الذي اكتشفت به سابقا عدد من اللوحات الفسيفسائية القيمة.[2]

لقد كانت السنة الموالية زاخرة بالاكتشافات المهمة الأكاديمية أو الفجائية. ففي مطلعها أي في شهر جانفي عثر على فسيفساء فيما يشبه بقايا ورشة رومانية أثناء أعمال شق إحدى طرق المدينة، و توصل الباحثون بعد دراسة إلى أن تبسة كان بها مركز فني مهم خلال الحقبة الرومانية.[3]

وفي فبراير سنة 1922 كان على السيد السيد كوجيا Coggia محافظ الآثار بتبسة أن يقوم قبل نقله إلى عنابة بآخر أعماله الجليلة للمدينة، وهو الكشف عن معبد مينرفا كلية وتجميع قطع الحجارة المنحوتة التي عثر عليها بأرجاء المدينة في ساحة الكنيسة الكبرى أو ما يعرف كذلك بالدير البيزنطي، ما ترتب عنه إغناء بهو هذا الأخير ببقايا أثرية مهمة. وقد خلفه السيد ريغاسReygasse الذي قام من فوره بحفائر مثمرة جدا أعطت نتائج غير متوقعة.

حيث جرى التنقيب في ميدان فسيح يقع قرب جنوب شرق السور البيزنطي أين كشفت ضربات المعاول الأولى عن. فسيفساء مبلطة.و بالنظر إلى حالتها نقلت بسرعة إلى المتحف حيث تولى السيد توسو Toussotالخبير الفسيفسائي الذي جاء من العاصمة تثبيتها على أحد جدرانه الداخلية. هذا التبليط الذي عثر عليه على بعد أمتار من طريق الزاوية

[1] Albertini .E, Les fouilles d’Algérie en 1919 et 1920 ,B.S.G.A.O,XLII, 1921, pp1-8.

[2] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.

[3] Leschi .L, Une mosaïque de Tébessa , M.E.F.R,XLI, 1924, pp95-110.

كان للأسف ناقصا إذ اختفى جزئه الأيمن كلية ولم يبقى سوى اليسير من قسمه الأيسر ، وأبعاده 7 × 2,70م تحيط به حاشية من ثلاثة أجزاء وعرضها الكامل 063م ، وهي إطار للوحة الفسيفسائية التي تمثل الالهة دافني والإله أبوللون التي اغتنى بها المتحف.وعلى بعد مئة وخمسون مترا شمال غرب المكان الذي وجدت به هذه الفسيفساء سمحت عدة أسبار أثرية بالتعرف على بقايا حمام جميل أرضيته مبلطة بالفسيفساء وأبعاده 50،8م×80،7م ، يحتوي على كل الأجزاء الرئيسية للحمامات الرومانية مثل رواق تصريف الهواء الحار، الغرف الحارة و الباردة ، أحواض السباحة، غرف تبديل الملابس .على أن أحسن ما عثر عليه ضمن هذه الأقسام هو ذلك العدد من اللوحات الفسيفسائية التي تزين أرضية القاعة الواقعة في الناحية الجنوبية من الأنقاض، وبقايا سواقي في الجهة الشمالية يبدو أنها كانت تزود الحمام بالمياه.كما تضمنت الآثار المكشوف عنها قاعة طولها8,70م وعرضها 3,80م تقع في الناحية الشمالية ، إلى جانب قاعات أخرى في الجهة الشمالية الشرقية والشرقية الجنوبية مبلطة بأرضيات فسيفسائية وبها أحواض تبين فيما بعد أنها أحواض الاستحمام .هذه التنقيبات برمج لها لتتواصل في السنة الموالية.[1]

و بتاريخ 20 سبتمبر 1922 بعث المفتش العام لأثريات الجزائر برسالة إلى الحاكم العام حول اكتشاف فسيفساء بالمدينة أثناء أشغال إنجاز جسر قرب الزاوية، يقترح فيها نزعها وحفظها بمعبد مينرفا.كما صدر قرار من الحاكم العام للجزائر بتخصيص قرض بقيمة ألفي فرنك فرنسي قديم للسيد ريغاس Reygasseرئيس إدارة بلدية تبسة من أجل مواصلة الحفريات التي استأنفت بها في الأول ديسمبر سنة 1922 وكانت قد بدأت مطلع هذه السنة.[2]

وفيما يتعلق بالكتابات حول فترة ما قبل التاريخ ناقش بلاري Pallary في مراجعاته النقدية حول ما قبل تاريخ بلاد المغرب الكثير من الأخطاء التي وقع فيها الباحثون الفرنسيون قبله حينما نسبوا مواقع الحضارة القفصية بتبسة إلى صناعات حجرية أوربية، غير أنه وقع هو نفسه فيها حينما أطلق على المواقع القفصية لمنطقة تبسة مسميات تجعلها تابعة حضاريا لصناعات الباليوليتي الأعلى الفرنسية.[3]

و بتاريخ 23 فبراير سنة 1923 تقدم رئيس هيئة السياحة لتبسة إلى السيد موريس ريغاس بتقرير رئيس حول حفريات باشرتها بنفسها جنوب المدينة أدت إلى اكتشاف فسيفساء تمثل تحول الإلهة دافني، وقد نقلت اللوحة إلى المتحف.وعلاوة على الحفريات الأكاديمية التي أدت إلى الكشف عن فيلا رومانية بها قاعة استحمام تتواصل أعمال الإزالة بدون انقطاع وما ترتب عنها من اكتشافات مهمة منها عدد من الفسيفساء عثر عليها بواسطة سبر أثري ، إلى جانب إزاحة الستار عن أنقاض القديمة المدينة. كما هيئت أيضا المغارات المهمة الواقعة بجوار المدينة.[4]

---

[1] Ballu .A , Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l’année 1922,Alger, Jourdan,1923.

[2] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7 .

[3] Pallary .P,Notes critiques de préhistoire africaine, R.Af ,63,1922,pp369-424.

[4] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.

و بجنوب المدينة الأوربية وعلى بعد مئة وخمسون مترا من الزاوية الجنوبية الشرقية من السور البيزنطي في ميدان رئيس الإدارة البلدية منذ ثلاث سنوات Reygasseمحاذي من الشرق لطريق الزاوية، قام السيد ريغاس بحفريات أكاديمية مولتها مصلحة المعالم الأثرية وانبثقت عن نتائج مبهرة. فقد كشف عن إنشاءات رومانية تستحق دراسة معمقة. وعلى بعد حوالي عشرون مترا غربا تم التعرف على أنقاض الحمامات التي اختفت كلية الآن تحت معسكر الخيالة وملحقات مكتب الهندسة. من هذه الحمامات جاءت الفسيفساء التي تعد أنفس موجودات المتحف. وعلى إثر اكتشاف فسيفساء أخرى نقلت إلى المتحف من طرف مصلحة المعالم التاريخية ، انطلقت حملة التنقيبات الحالية. هذه الأعمال حطمت للأسف ثلث تلك الفسيفساء بصورة كاملة، والجزء المتبقي يبلغ حوالي 5,80 م طولا و2,55 م عرضا.[1]

لقد كانت إسهامات الموظفين الإداريين في الاكتشافات دوما معتبرة، فقد برهن ترويلو Truillot عن اهتمامه بأثريات تبسة حين حرص على استخراج و نقل نصب يحمل نقشا رومانيا عثر عليه في أساسات أحد المطاحن الواقعة على واد زعرور إلى متحف المدينة لحفظها. و اتضح بعد المعاينة أن النقيشة جديدة لم يسبق نشرها في سجل النقوش اللاتينية .[2]

من ناحية أخرى أدت أعمال الإزالة المنجزة من قبل السيد ريغاس رئيس الإدارة البلدية هذه السنة في ذلك القسم من أطلال تبسة القديمة الذي يقع خارج السور البيزنطي أدت إلى العثور على منشأة ذات أعمدة وأرضيتها مبلطة إلى جانب مبنى ذا حجرتين لحفظ المتاع، كما يشتمل على قاعة طولها ستة أمتار وعرضها ستة أمتار ونصف يفصلها صف من الأعمدة شبه الدائرية ذات قطر واحد، و ربما كان هذا المبنى كنسية صغيرة.[3]

وفضل دوبريج Debruge أن يجعل من حلزونيات منطقة تبسة إحدى مواضيع الدراسة التي حاول فيها وضع أسس علمية لتحديد زمني لعمر الحلزونيات أو الرماديات المنتشرة بكثرة بالشرق الجزائري وتونس. وكانت رماديات خنقة الموحاد ومرسط أحد أهم المناطق التي أخذ منها عينات الدراسة لتوفرها على توضع طبقي واضح فيها أكثر من غيرها لكل فترات ما قبل التاريخ لاسيما العصرين الباليوليتي الأعلى والنيوليتي.[4]

[1] Leschi .L, Un quartier de Théveste , R.S.A.C ,55, 1923-1924, pp209-213.

[2] Truillot .A, Stèle trouvée à Tébessa, R.S.A.C, 55 ,1923-24, pp215-216.

[3] Ballu .A, Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l'année 1924, Alger, Jourdan,1925.

[4] Debruge. A, Essai de chronologie sur les escargotières, R.S.A.C, 55 ,1923-24, pp53-81.

مما أنجزه السيد ريغاس Reygasse أيضا برمجته خلال هذه السنة لعدد من أعمال التنقيب والإزاحة في مواضع متعددة من المدينة القديمة خارج السور البيزنطي .فقرب الدار المسماة بالرومانية عثر على بقايا منشأة اشتبه من أبعادها المتوسطة ومخططها العام في أن تكون كنيسة صغيرة ، غير أنه لم يجزم بذلك. وقد تمكن من تحديد الأجزاء الرئيسية لهذا المعلم بمقاساتها كالرواق (12،50م×2،60م) ، الحوض المستطيل (2،40م× 1،60م).[1]

كما أجريت تنقيبات بتبسة في حي سكني ضم في السابق منازل للطبقة الراقية الرومانية، و أخرى أسفرت عن العثور على صندوقين حجريين وجد الأول بسيدي فراج (على سكة حديد الكويف) والثاني في السوق وبهما نقيشتان جنائزيتان لسيفيروس ، ولفابريا تيكوزا التي أقام لها زوجها فابريوس التفستي وابنها هذا التذكار.[2]

و بيوكس وجدت نقيشة مسيحية نشرت قبل ذلك من طرف السيد بول مونصو P.Monceauxبناءا على نسخة السيد كوجيا، و اطلع ستيفان غزيل بعد ذلك على الحجارة التي كانت تغطي مدفنا لآل بونتيوس. وقد اكتشف في نفس الفترة تقريبا نقيشة أخرى أرسلها إلى المهندس نوبلا Noblaبتبسة وهي جنائزية خاصة بلوكيوس بونتيوس إياستر أو إيادير، لأن عددا من أفراد هذه العائلة كانوا يحملون ألقابا محلية.[3]

وتلقى ترويلو Truillot كاتب بلدية مرسط المختلطة في سنة 1925مراسلة من معلم في أحد المدارس الأهلية بقوراي الواقعة على الطريق بين تبسة و الكويف تشير إلى عثوره في مكان يدعى خنقة ناصر على ثلاث معالم ميلية للطريق الرابط بين تبسة وقرطاجة تحمل نفس البعد. وتمكن ترويلو من إعادة تشكيل نصوصها التي أشارت إلى الامبراطور ماكسيميانوس شريك ديوقلديانوس في الحكم. إلى جانب ذلك أجرى تنقيبات في الموضع ، الذي وجدت به هذه المعالم عهد بالإشراف عليها إلى المعلم هاريز Hariz أسفرت عن العثور على معلمين آخرين يرجعان إلى ما بين سنتي 214-215. وتم نقل هذين المعلمين على عجل إلى متحف تبسة خاصة بعد ضياع المعالم الثلاث الأولى.[4]

[1] Ballu .A , Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l’année 1924 ,Alger, Jourdan,1925.
[2] Debruge. A, Chronique d’archéologie algérienne en 1925 ,R.Af, 67,1926,pp237-244.
[3] Gsell.St, Séance de la commission de l’Afrique du nord, 12 mars 1925 , pp CXLV-CLXII.

[4] Truillot. A, Notice sur trois bornes miliaires de la route de Théveste a Carthage portant le même numéro:CLXXXIII, R.S.A.C, 57, 1926, pp247-254.

و أولت المصالح الأثرية اهتماما بالغا بمعبد مينرفا باعتباره منذ سنوات متحفا أثريا لتبسة، فبعد كان محاطا بجدار يخفي موجوداته وبناءا على طلب السيد غزيل Gsellالمفتش العام للمتاحف الأثرية بالجزائر خصص مبلغ سبعة آلاف وستمائة فرنك لهدم هذا السور وتعويضه بشباك حديدي يقوم على أساس حجري.[1]

وخصص أوجين ألبرتيني E.Albertiniدراسة موجزة جدا لكن مهمة عن نقيشة جنزية لأحد الجنود الذي دفن بالمدينة .و بسبب صعوبة في قراءة النقيشة فإن انتمائه للفيلق الثالث الأوغسطي يطرح مشكلة عويصة ،لأنه يدعو إلى إعادة النظر في الانتماء الإداري لتبسة في نهاية القرن الثاني ومطلع الثالث الميلادي، وهو أمر كان يعتقد أنه مفصول فيه.[2]

وضمن مساعيه المتواصلة عثر ترويلو Truillot على أجزاء لأربعة معالم ميلية للميل 183 للطريق الرابط بين تبسة و قرطاجة ، واحدة تحمل اسم الإمبراطور كاراكلا ، واثنان تعودان لعهد ديوقلديانوس وماكسيميانوس والرابعة للإمبراطور غالوس، إلى جانب نقيشتان إهدائيتان للإمبراطورين فسباسيانوس وتيتوس وجدهما بتبسة.[3]

كما لا ننسى هنا أن نشير لرسالة موجهة بتاريخ 21 أبريل 1927 من السيد موري Murry رئيس بلدية مرسط إلى الدائرة الأثرية لتبسة حول آثار رومانية بهنشير مجانين قرب بلديته الواقعة على بعد 30كلم شرق تبسة ، هي عبارة عن تمثال للإله جوبيتر، طالبا نقلها إلى متحف تبسة خشية ضياعها أو سرقتها.[4]

في شهر أبريل من سنة 1928 عثر ماكس M.Cambon على قطع فخارية بين جبل العنق وتامزرة عليها نقوش كامبون غير واضحة نسبيا ولكنها قابلة للقراءة. وقد اختلف حولها الباحثون ، فرأى بعضهم أنها كتابة بونيقية حديثة شبيهة جدا بالنقوش الجنزية المرسومة على مزهريات وجدت بمقبرة سوسة.في حين اعتقد آخرون أنها لاتينية فيها الكثير من الحروف الإغريقية. وتم أيضا في جويلية اكتشاف ستة وثلاثون لوحا خشبيا تعود للعهد الوندالي بجنوب تبسة من طرف أحد الأهالي العاملين بالمناجم استخرجها من أمفورات بعد كسرها وباعها بعد مفاوضات للسيد هيلي

كامبون H.Cambonعضو المؤسسة الأثرية لقسنطينة.هذا الأخير وجهها للسيد ألبرتيني مدير مصلحة الأثريات الجزائرية، الذي أكد بعد قراءة أولية لها أنها عقود بيع وشراء وندالية لضياع، مكتوبة باللغة اللاتينية على لوحات خشبية تعود لعهد الملك الوندالي غونتاموند، وهي ذات أهمية تاريخية بالغة.[1]

---

[1] Ballu .A, Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l’année 1926, Alger, Carbonel,1927.

[2] Albertini. E, Inscription funéraire inédite de Tébessa, R.S.A.C, 57, 1926, pp275-277.
[3] Ibid., Bulletin des antiquités africaines , R.Af, 68, 1927, pp276-302. ; Debruge.A, Chronique d’archéologie algérienne en 1927 ,R.Af, 9,1928,pp 155-157.

[4] C.A.O.M, G.G.A, 55 S/carton n° 1.

و قبيل انقضاء هذه السنة طلب السيد لوموان Lemoins رئيس مصلحة البريد بتبسة تدخل السلطات المعنية في رسالة بتاريخ 28 نوفمبر 1928 من أجل تدارك السور البيزنطي الذي أصابته أضرار بليغة جراء العوامل الزمنية و المناخية[2].كما حلت في شهر ديسمبر البعثة الأثرية الأمريكية التي فتحت ورشات تنقيب في رماديات رفانة وخنقة الموحاد .[3]

كما ظهر في عدد سنتي 1928-29 من مجلة المؤسسة الأثرية لقسنطينة دراسة إحصائية للنقوش الجديدة التي اكتشفت من طرف ترويلو .وقد عثر على تلك النقوش في مواضع متفرقة من المدينة منها المسرح الروماني و بقايا القناة الناقلة للمياه الرومانية،و أساسات السور المحيط بسوق المواشي. هذا في مدينة تبسة. أما في جوارها فقد وجدت نقوش مختلفة جنزية ونذرية رومانية وليبية بكل من حمامات يوكس، مركز المراقبة الروماني على جبل العنق وعين الكبيرة قرب مرسط.كما تفضل السيد ألبرتيني Albertiniبمراجعة عدد منها لاسيما تلك التي عثر عليها على أحد المصابيح أثناء إحدى الحفريات قرب أحد العيون التي تزود المدينة، وذلك بطلب من السيد ترويلوTruillot.[4]

شكل السور البيزنطي معضلة دائمة للسلطات المحلية بسبب المشاريع العمرانية التي كان يعيق إنجازها، إذ نورد مثلا رسالة من رئيس بلدية تبسة بتاريخ 14 فبراير 1929 إلى الحاكم العام يطلب الإذن بإجراء تعديلات على الجدار الجنوبي الغربي للسور من أجل شق طريق عبره رغم معارضة مصلحة المعالم التاريخية خشية أن يؤدي ذلك إلى إلحاق أضرار بليغة بالمعلم. و يبدو من خلال معاينتنا الميدانية لهذا القسم من السور أن التعديل تم فعلا لكن على حساب السور الذي اختفى جزء مهم منه. نذكر كذلك مطالبة الحاكم العام للجزائر في رسالة موجهة إلى رئيس عمالة قسنطينة بتاريخ17 ماي 1929بتهيئة فجوات إطلاق النار في جدران السور البيزنطي دون الإضرار به.

و لقد راعت الجهات الرسمية عدم المساس بمعالم المدينة و صيانتها حين أقدمت هذه السنة على إنجاز البعض من المرافق العمومية، يتجلى ذلك في مراسلة بتاريخ 17 أكتوبر من مدير المصالح المركزية للبريد إلى صاباتيي مدير Sabatier الداخلية والفنون الجميلة لطلب معلومات بشأن قطعة أرضية قرب السور قبل مباشرة عملية بناء مركز بريدي عليها.ثم في رسالة مدير الداخلية و الفنون الجميلة بتاريخ ستة نوفمبر إلى الحاكم العام يطلب فيها

---

[1] Alquier. P, Chronique archéologique, R.S.A.C ,59, 1928-1929, pp401-413.

[2]C.A.O.M ,G.G.A,55 S/ carton n° 7.

[3] Leshi .L, L'archéologie algérienne en 1928, R.Af, 70,1929, pp196-205.

[4] Truillot. A, Inscriptions inédites de la région de Tébessa, R.S.A.C, 59,1928-29, pp247-287.

إعانة مالية لتمويل عملية الكشف عن قوس نصر كاركلا. وقد منح مبلغ خمسة آلاف فرنك فرنسي قديم إلى متحف المدينة لأجل ذلك.[1]

لقد قدر ستيفان غزيل المفتش العام لأثريات الجزائر بشأن أعمال التنقيب والترميم التي جرت سنة1930 بتبسة بأن مواصلة الحفريات جنوب شرق المدينة الرومانية ليس أمرا مستعجلا حاليا. ومن الأجدى جمع الحجارة المهمة من الآثار الموجودة في الجنوب و الجنوب الغربي من المدينة الحديثة، ونقلها إلى متحف تبسة أين ستكون بأمان، لأنها في موقعها الحالي معرضة لتدمير حتمي و وشيك.[2]

كما انبثق عن البحث المستمر للسيد ترويلو Truillot عن الأثريات بمنطقة تبسة عدة اكتشافات مهمة من بينها عثوره على نقيشة ليبية بجبل دير و بمدينة تبسة، إلى جانب مقبرة محفورة قبورها في الصخر. والملاحظ على طريقة الدفن والتي رغم أنها تعود إلى العهد الروماني، إلا أنها تحتفظ بوضوح بالتقاليد البونيقية.[3]

لقد نشر الباحث أوجين ألبرتيني Albertini أخيرا في سنة1930 تقريرا مستفيضا عن الوثائق الأثرية المهمة التي أشرنا إليها سلفا وعثر عليها سنة 1928 بأراضي قبيلة أولاد سيدي عبيد التي تمتد أراضيها جنوب منطقة تبسة عبر الحدود الجزائرية التونسية. هذه الوثائق حسب ألبرتيني تقدم معلومات وافية وقيمة عن الوضعية القانونية لبعض الملكيات العقارية وطرق نقلها بين الملاك.[4]

وأقدم السيد لوي ليشي L.Leschiمدير الدائرة الأثرية على القيام بجولة أثرية مثمرة في بلدية تبسة وجوارها، جمع من خلالها كما كبيرا من النقوش استقاها من المعالم القديمة كالمباني المدنية و المنشآت العسكرية والمعالم الميلية. و تمثلت مواضيع هذا الحصاد النقشي في الإهدائيات و التذكاريات والجنائزيات.[5]

كما شدد ريموند فوفري R.Vaufrey في مقال له مفصل عن الصناعة القفصية على الفارق الكبير الموجود بين مواقع منطقة تبسة المنتمية لهذه الصناعة بسبب انتماء بعضها للقفصي الأعلى و البعض الآخر للقفصي النموذجي. ما دفعه للقيام بجولة ميدانية سنة 1933 إلى أهم رمادياتها لتأكيد تلك النظرية.[6]

---

[1] C.A.O.M ,G.G.A,55 S/7.
[2]Ibid.,56 S/1.
[3] Truillot .A , L'archéologie algérienne en 1930, R.Af, 1930, pp342–344.
[4] Albertini .E, Actes de ventes du V^{e} siècle trouvés dans la région de Tébessa (Algérie), Journal des savants , 1930 ,pp1-8.
[5] Leshi.L , Recherches épigraphiques dans le pays des Nemenchas (commune de Tébessa) , R.Af ,72,1931,pp262-295.
[6] Vaufrey .R, Notes sur le capsien, L'Anthropologie, Tome 43,1933, pp457-483,8fig.

إلى ذلك مثلت كنيسة تبسة الكبرى محور دراسة معمقة في جزئين أنجزها ترويلو Truillot ونشر الأول منهما في المجلة الأثرية لقسنطينة سنة 1934، حيث تضمن تاريخ تسرب المسيحية إلى المدينة و الأحداث الدينية الكبرى التي شهدتها لاسيما أيام الاضطهاد الديني. ثم تطرق إلى المعالم المسيحية التي أنشأتها الجالية المسيحية الأولى التي ظهرت بالمدينة منذ القرن الثاني الميلادي وعلى رأسها قبور الشهداء الأوائل. أما في القسم الثاني من الدراسة فقد ركز فيه على الكنيسة الكبرى من حيث تاريخ وهندسة إنشائها والتطورات المهمة التي تعاقبت عليها خاصة خلال العهد الوندالي .إلا أن التعديلات الهندسية الأساسية التي رصدها الباحث تمت حسبه إبان حكم البيزنطيين الذين قلصوا مساحة الكنيسة كثيرا لاعتبارات دفاعية وحولوها إلى مجرد دير صغير.[1]

في مجال ما قبل التاريخ أجرى ريموند لودي R.Le Dû سبرا أثريا بموقع واد جوف الجمل العاتري سنة 1933 مكنه من العثور على بقايا أدوات عاترية كثيرة، ثم أتبعه بتنقيبات محدودة أسفرت عن الكشف في الطبقة الأولى التي بلغ سمكها 2.50 م عن كم هائل و متنوع من الأدوات العاترية المتقنة الصنع التي تمثل المرحلة الأخيرة و المتطورة من الصناعة العاترية وتشمل الأدوات ذات العنق مثل الفؤوس، رؤوس السهام، المكاشط، المحتات إلى جانب مستحثات حيوانية. وقد قارن لوديR.Le Dûهذه الأدوات مع أخرى عثر عليها بمواقع أخرى حول تبسة مثل الكاف الأحمر،خنقة الموحاد وبرج الماء الأبيض. وخلص الباحث في النهاية إلى أن موقع وادي جوف الجمل يمثل بتقنية أدواته و نمطيتها حلقة وصل بين الصناعة العاترية و الصناعة القفصية التي ظهرت بعدها.[2]

وعلى إثر اكتشاف Vaufrey سنة1933لرسوم صخرية قرب فم السايد بناحية ثليجان جنوب الشريعة فوفري.قام لودي بجولة استكشافية إلى منحدرات جبال تازرمبوت و الكيفان ورليلاي حيث تكثر الملاجئ الصخرية ، وهناك عثر على عدد معتبر من الرسوم الصخرية المتفاوتة المواضيع بين الرسوم الحيوانية و البشرية والأشكال الرمزية والإيحائية. وكان واد الصفصاف أكثر الأماكن أهمية لما احتوته من جدران صخرية محفورة عليها تلك الرسوم التي هي من عمل الأقوام القفصية التي خلفت أيضا بأرضيات الملاجئ طبقات أثرية سميكة تدل على استيطانها بها لعدة أجيال.[3]

في أثناء حملة تنقيبات بجنوب مدينة تبسة وتحديدا بثليجان عثر مدير الأثريات على مجموعة من المباني المسيحية متمثلة في معمدانية محفوظة جيدا ،كنيسة القديس فيلكيوس ، العديد من المدافن و النقوش .وداخل قبو مغلق وجد صندوق للمخلفات المقدسة مصنوع من الفضة حملها معه إلى متحف تبسة.[4]

---

[1] Truillot .A , Autour de la basilique de Tébessa .Première partie , R.S.A.C, 64,1934, pp115-199.
[2] Le Dû. R, Stations Atérienne de l'Oued Djouf El Djemel. Région de Tébessa-Chéria, R.S.A.C, 64,1934,pp201-217.
[3] Le Dû .R, Les gravures rupestres de la région de Tébessa, R.S.A.C,63,1935-36, pp107-124.
[4] Leshi .L, L'archéologie algérienne en 1936, R.Af, 81, 1937, pp 120-122.

لقد افتتح سيري دوروش S.De Rochسجل أعماله الكبيرة عن تبسة بعد التحاقه بدائرتها الأثرية ببعض الحفريات بهنشير فيلالي، هذه الأنقاض تقع على ذراع فيلالي قريبا من مدرسة البنين بتبسة. وهي عبارة عن مقبرة وجد بها العديد من الحجارة غير المنحوتة وكشف عن مدافن تحوي فخارا وبقايا عظمية آدمية ومصابيح ونصب.[1]

وشجع عثور السيد لويس ميليس L.Melisرئيس إدارة بلدية مرسط المختلطة سنة1936 أثناء عملية غرس الأشجار حول مقر البلدية على مصباح روماني جيد الحفظ، هذا الأخير على القيام بحفريات على نطاق واسع سمحت بالكشف عن عدد من القبور وعدة لقى فخارية أكثرها مصابيح. وهو ما دفعه إلى توسيع دائرة البحث لمساحة أكبر أدت للعثور على مدافن عديدة متقاربة مما أوصله في النهاية إلى الاستنتاج بأنه أمام مقبرة رومانية .إضافة إلى ذلك سجل أيضا العثور أثناء تلك الحفريات على العديد من الأشياء المختلفة كالأطباق ، المصابيح، الأواني الزجاجية ، المشابك، و الإبر الذهبية والعاجية و النحاسية و بعض المجوهرات المعدنية .لكنه ركز اهتمامه فقط على دراسة المصابيح المئة وإحدى عشر دون غيرها من اللقى، بحيث قسمها إلى خمسة أصناف حسب شكلها و ما تحمله من صور وأشكال ودرس قياساتها ونمطها و المواضيع التي تضمنتها.وأشار ميليس في الأخير إلى أن هذا الموقع سبق البحث فيه حيث لاحظ أن الصناديق قلبت رأسا على عقب و المدافن فتحت وربما كان ذلك من عمل الباحثين عن الكنوز، ويؤكد ذلك عدم العثور على أي قطعة ثمينة أو مجوهرات وحلي.[2]

وفي الوقت الذي كشف فيه عن مقبرة غنية بالمصابيح و القرميد عليها علامات الفيلق الثالث الأوغسطي بتبسة إلى جانب نقيشة لرجل إغريقي[3].ابتدأ فوفري .Vaufreyبحثا ميدانيا مفصلا عن الحضارة القفصية بإقليم تبسة ليثبت أن القفصي النموذجي يوجد فقط في محيط خمسة عشر كيلومتر حول المدينة ، ولا نصادف بعد هذه المسافة إلا مواقع القفصي الأعلى حتى تلك الواقعة شمال الأوراس من خنشلة إلى باتنة وحتى سطيف وقسنطينة واضطر لأجل ذلك لمعاينة كل تلك المواقع ودراسة أدواتها.[4]

أما في سنة 1937 فقد استأنف السيد ريموند لودي R.Le Dû بنجاح كبير أعماله الميدانية في رماديات ومواقع ماقبل التاريخ بمنطقة تبسة التي بدأها السنة الماضية. أما السيد لاووت فلقد اضطلع من جهته

---

[1] De Roch. S, Quelques fouilles à Tébessa, Recueil de la société d'archéologie et de préhistoire de Tébessa=R.S.A.P.T, I,1936-1937, pp287-293.
[2] Mellis. L,Quelques remarques sur les lampes romaines funéraires trouvées à Tébessa, R.S.A.P.T, 1936-1937, pp197-220.

[3] Cagnat. R, Séance de la commission de l'Afrique du nord ,B.A.C, 1936-1937, pp183-210.

[4] Vaufrey .R, Le capsien des environs de Tébessa , R.S.A.P.T, 1936-37, pp 131-172.

بمهمةالتنقيب في مقبرة تعود إلى أوائل العهد الروماني، وفي مجموعة منشآت متكاملة وذلك في تبسة الخالية.
كما تولى السيد مونييMeunierوهو مهندس مؤهل القيام برفع هندسي لقوس كراكلا و معصرة بريزقال.[1]

سنة بعد ذلك أشرف Reygasseعلى تنقيبات في مواقع ماقبل تاريخية منها المقبرة الميغاليتية بقصطل ريغاس شمال تبسة، حيث أستطلع حوالي اثنا عشر قبرا اكتشف فيها إلى جانب الأثاث الجنزي الغني سلسلة من الهياكل العظمية السليمة في مدفنها الأصلي، مما سمح لنا بدراسة وبدقة الطقوس التي كانت تسبق عملية الدفن. ومن جهته درس الدكتور رونو Renaudقضية المدافن السابقة للعهد الإسلامي بفضل الدراسات التي كانت قد بدأت سنة 1937 بمنطقة أولاد هلال. كما واصل السيد لاووت التنقيب في مقبرة سيدي فراج قرب محطة السكك الحديدية التي أعطته حينها أثاثا مهما.[2]

و نشر مونيي Meunier في السنة الموالية مقالا مفصلا بالمجلة الإفريقية لخص فيه نتائج الدراسة التي أنجزها حول قوس كراكلا، حيث وضع موجزا تاريخيا للمعلم و الأطوار الرئيسية التي مر بها قبل أن يدرسه دراسة هندسية وافية بين من خلالها خصائصه العامة وتلك التي يتفرد بها عن غيره من أقواس النصر الأخرى .غير أن أهم ما أتى به هو إعادة تصميم الشكل الأصلي للقوس الذي اندثرت الكثير من أجزائه لا سيما القسم الأعلى منه ، وذلك انطلاقا من حسابات هندسية دقيقة والملاحظات والرسومات التي تركها الباحثون الذين درسوا القوس قبله من أمثال مول ، لوترون و الرقيب لاردي.[3]

شكلت قبور جبل مستيري الدائرية مرة أخرى محل دراسة أثرية من قبل ريموند لودي رئيس جمعية علم الآثار و ما قبل التاريخ لتبسة الذي كلفته سلطات المدينة بإجراء حفريات بها وزودته بالدعم المالي الضروري لذلك. وقد أجرى حفريات محدودة لكن منظمة في أربعة أضرحة من ضمن عشرات المدافن المنتشرة في المنحدرات. وكللت تلك التنقيبات بالنجاح حيث تم الكشف عن غرف جنزية تضم عظام الموتى وغرفا أخرى لا تحتوي عظاما ولا أثاثا جنائزيا. وأوصلت دراسة هذه المعالم لودي إلى الاستنتاج بأنها مدافن شخصيات رفيعة أو مقدسة لدى أولئك الناس الذين شيدوا الأضرحة ، وأنهم أعيد نقل رفاتهم من مدافنهم الأولى إلى الأضرحة برميها من فتحة بأعلى المدفن ليواصلوا حياة أخروية غامضة.[4]

[1] Leschi .L , L'archéologie algérienne en 1937, R.Af, 82 ,1938,pp190-192.
[2] Ibid., L'archéologie algérienne en 1938, R.Af, 83,1939, pp151-154.

[3] Meunier .J, L'arc de Caracalla a Théveste (Tébessa) .Relevé et restitution, R.Af , 82, 1938,pp84-107.
[4] Le Dû .R, Les tombeaux ronds du Djebel Mistiri ,IV e congrés de federations des sociétés savantes de l'Afrique du nord , Rabat ,18-20 Avril 1938, Tome 2,Alger, 1939,pp567-587.

لم تزل تنقيبات مقبرة سيدي فراج بتبسة متواصلة بإشراف السيد لاووت منذ مطلع سنة 1939، ومعها نتائج الحفر المتمثلة في الأثاث الجنائزي التي بدأت ترد بكثرة على المتحف وزادت من عدد معروضاته[1].بيد أن

الذي استأنف S.De Roch ذهاب هذا الأخير وهو محافظ المتحف أخر الأبحاث، لكن خلفه سيري دوروش الحفريات بشمال غرب المدينة والتي حققت نتائج جد مثمرة. وقد أضاف المتحف لموجوداته تشكيلة جميلة من التحف التي عثر عليها من طرف السيد ميليس رئيس إدارة بلدية مرسط المختلطة إلى جانب وثائق أخرى وجدت بضواحي تبسة ، وقد حفظت كلها داخل المعبد.[2]

إن فترة تولي سيري دوروش الإشراف على معالم تبسة وآثارها تعد الأهم في تاريخ المدينة بالنظر للمدة الطويلة التي شغل فيها منصب مدير الدائرة الأثرية الثالثة منذ سنة 1941، والمجهودات الهائلة التي بذلها في صيانة المعالم الأثرية و تأطير الحفريات في مختلف المواقع داخل المدينة وخارجها وحتى مباشرة الكثير منها بنفسه. فمما قام به إجراء عدة أسبار أثرية عميقة بالكنيسة أدت إلى الكشف اسفل المعبد المثلث على عمق 1,60م على مبنى مسيحي يعود لفترة سابقة ، ومن بين ما كشف عنه أرضية فسيفسائية تحمل نقوشا من بينها سلسلة من النقوش الجنزية لعدد من رؤساء الكنيسة وتذكار لشهداء لا تزال أسماؤهم عليه واضحة جدا أقيم من طرف الشماس نوفيلوس .هذا الاكتشاف المهم سيسمح ولاشك بتحديد تاريخ بناء الكنيسة نفسها، و قد توقفت الأشغال بسبب انصراف الجهود نحو اتخاذ تدابير عاجلة لحماية معروضات المتحف.[3]

في ربيع سنة 1942 أدى قيام مجهول بحفر ليلي في أحد المباني الملحقة بالكنيسة وهو الكنيسة الصغرى المثلثة إلى تشجيع دوروش على إجراء أسبار أثرية به. وحملته نتائج البحث الأولى على الاعتقاد بأن هذا المبنى اتخذ في الأصل معمدانية، وأن حوض التعميد كان يقع بوسط القاعة المثلثة أين شيد لاحقا مذبح لا تزال آثاره باقية للآن. وبعيد انتهاء هذه الأعمال طرأ حادث جديد وهو اكتشافه في شهر جويلية من سنة 1944 لأروقة نفقية واسعة تنفتح على السلم الكبير وتمتد مسافة تسعة أمتار تحت سطح الأرض. والأعمال الجارية آنذاك بكل نشاط رغم صعوبات العمل قدمت لنا دلائل زمنية لهذا المعلم المسيحي الذي بدا الآن واضحا أنه أكثر اتساعا وغنى مما كان يعتقد.[4]

واصل دوروش طيلة سنتي 1946_1947 بتبسة أبحاثه حول الكنيسة المسيحية في نفس المستوى السابق،

---

[1]Leshi.L, L’archéologie algérienne en 1939, R.Af, 83,1940, pp146-148.

[2] Id., L’archéologie algérienne en 1941, R.Af, 86, 1942, pp 172-174.

[3] Leshi. L, L’archéologie algérienne en 1942, R.Af, 87, 1943, pp 145-148.

[4] Merlin. A, Séance de la commission de l’Afrique du nord, B.A.C,1943-1945, pp 415-444. ; Leschi .L, Inscriptions de Tébessa,B.A.C,1943-1945, pp429-437.

لكن في غرفة ملحقة بالمعبد عثر على نقيشة جنزية مسيحية إغريقية ولوحة فسيفسائية جميلة . وعند مواصلة التنقيب خارج المعبد في الفضاء الضيق نسبيا الذي يفصل المعلم عن السور المحيط به، استطاع التوصل إلى أن سور المعبد بني فوق الفسيفساء ما أدى إلى إلحاق أضرار بها . كما كشف أيضا في الحيز الممتد شمال الكنيسة والمحصور بين مقدمتها وبين السور المحيط بها عن مجموعة من المنازل صغيرة الأبعاد وسيئة البناء احتوت جدرانها على عدد من الشواهد القبرية مصدرها ولا ريب المقبرة الوثنية السابقة زمنيا لتاريخ بناء هذا المعلم المسيحي.[1]

علاوة على ذلك حرص خلال هذه السنة على المحافظة على المعروضات داخل المتحف وخارجه من كل الأخطار، وكذلك بالنسبة لكل المواقع و المعالم الأثرية بكل تفان ومهنية.وبما أن حالة الحرب كانت تعيق مواصلة الحفريات قرر استئنافها حالما تستقر الأحوال الأمنية وتتوفر الموارد المالية،و هو ما حدث العام الموالي.[2]

لم تتقدم وتيرة الأعمال كثيرا في سنة1944 بسبب الصعوبات التي لاقاها دوروش بشكل دائم وكادت توقفه، لكن واقعة مثيرة حدثت وجاءت لتكافئ تفانيه وإخلاصه .وهي اكتشاف مدخل نفق أمام سلالم الكنيسة الكبرى في شهر جوان. وأوحى المخطط العام للمدخل آنذاك له بأنه أمام مدافن قبوية ، مما حمله على الاعتقاد بوجود مقبرة أسفل الكنيسة. غير أن مواصلة الحفر في نظره وحده الكفيل بالإجابة عن هذا التساؤل، ولم يخف اغتباطه بهذا الاكتشاف الذي يزيد من الأهمية الكبيرة لهذا المعلم المسيحي.[3]

لقد استعادت تبسة أهميتها ولفتت من جديد انتباه الباحثين كميدان للبحث الأثري منذ نهاية الحرب بعد حالة الركود النسبي التي تسببت فيها هذه الأخيرة وانعكاساتها، وذلك بفضل الاكتشافات الجديدة و المهمة مثل الأروقة القبوية تحت مجموعة المعالم المسيحية، وهي الأولى من نوعها التي يعثر عليها بالجزائر.[4]

استكمل دوروش التنقيب في الأنفاق المكتشفة سنة 1944 بأسفل الكنيسة المسيحية ، وقد جرت أعمال الحفر بصعوبة شديدة لأن تلك الأنفاق شيدت على عجل ثم سدت بواسطة البناء. وقد كانت أقصى نقطة توقف عندها الحفر تقع تحت الكنيسة المثلثة الذي لا تزال الآراء حول تاريخ بنائها وطابعها متضاربة إلى حين أن تساعد الأشغال الجارية على إيجاد أجوبة للتساؤلات المطروحة بشأنها كما كان يأمل.و يظهر أن تلك السراديب استعملت كمدافن إذ وجدت قبور محفورة في الجدران وعلى الأرض، وثلاث أخرى بنقوش تحتوي اثنان منها في

---

[1] Leschi. L, Inscriptions de Tébessa ,B.A.C, 1946-1949, pp419-422.

[2] Id., L'archéologie algérienne en 1943, R.Af, 88, 1944, pp 163-166.

[3] Id, L'archéologie algérienne en 1944, R.Af, 89,1945, pp131-134.

[4] Id., La recherche archéologique en Algérie (Octobre1945-Décembre1946), Documents algérien,1947, pp253-256.

الأرض تغطيهما لوحة حجرية عليها نقوش، و لوحة أخرى مرتفعة عن الأرض تشكل في مجموعها مذبحا موجه لمدخل القبو. وتوجد فتحة في أعلاه تسمح بإضاءته لأنه يقع على عمق ثمانية أمتار تحت سطح الأرض . واستدعت طبيعة هذه المعالم تدابير أمنية وحماية ضرورية مكلفة ، لم يكن ممكنا تجسيدها في ذلك الوقت .قام دوروش أيضا بسبر أثري آخر محدود للمعمدانية الواقعة عند سلمها الرئيسي.[1]

وخص ميرلان نقوش القسم الداخلي لقوس كراكلا بدراسة هدفها تحديد ماهية أيام الاحتفالات التي تقام فيها ألعاب الجيمنازيا شهرا بعد شهر التي أهداها كورنيليوس أغريليانوس في وصيته لسكان تبسة .دراسة خلص صاحبها إلى أن الأيام الاحتفالية المذكورة على قوس كراكلا وعددها أربعة وستون يوما مطابقة لتواريخ الاحتفالات الرسمية الخاصة بمولد الأباطرة أو تاريخ توليهم العرش.[2]

اصطدمت التنقيبات الجارية بكنيسة تبسة منذ مطلع سنة 1946 بعقبات خطيرة منذ عدة شهور ، فالحفر في الأنفاق الواقعة أسفل الكنيسة و التي يتجه فرع منها نحو داخل المبنى طرح مشكلات تقنية عويصة ،إذ لم يكن ممكنا التقدم إلا بخطى حذرة عبر أساسات الكنيسة .وإن اللجوء إلى عمليات تدعيم بالأخشاب كان سيكون مكلفة وسيستدعي جهودا ستؤخر سير الأشغال . ولقد كشف عن عدد من القبور الوثنية في أغلبها بجوار الكنيسة التي بنيت في منطقة تعج بالمقابر. وبعض المقابر الأخرى مسيحية وجدت بأرضية المعبد الواقع شرق الكنيسة و المسمى كنيسة غابنيلا. كما تولت ورشة أخرى التنقيب في مجموعة من الأنقاض واسعة المساحة تقع قرب الطريق الإستراتيجية الجديدة إلى الشمال من الحي العسكري. ويتعلق الأمر بحمامات خاصة بحكم وجودها قرب ضريح عائلة الأننيين، وهي مزينة بعدد من الفسيفساء المزخرفة ذات طابع جميل أوصى دورروش بالمحافظة عليها بوضعها في المتحف حين يتوفر فيه مكان يتسع لها.[3]

ركز السيد دوروش في السنة التي تليها حفرياته بشكل أساسي على جوار الكنيسة، و أدت للكشف عن بقايا ثلاثة وأربعين منزلا عند مقدم الكنيسة في داخل السور المحيط بها و العائد إلى عهد متأخر.كما تم العثور على نقوش وثنية جنزية لإغريق أعيد استخدامها في بناء الأسوار على أيام البيزنطيين وسمحت بعض الأسبار التي أجريت في أماكن متعددة بالعثور على مدافن وثنية تحت أرض الكنيسة. وأدت أيضا أعمال التهيئة بجوار محطة

[1] Id., L'archéologie algérienne en 1945, R.Af, 90, 1946, pp 228-232.

[2] Merlin .A, Séance de la section archéologique ,B.A.C,1946-1949, pp 249-265.

[3] Leshi .L, L'archéologie algérienne en 1946, R.Af, 91, 1947, pp 195-198.

سكة الحديد إلى الكشف عن فسيفساء في حالة حفظ جيدة ، وهي تحت حماية وصيانة مديرية السكك الحديدية .غير أنه يجب نزعها ونقلها في أقرب الآجال.[1]

من الدراسات الجادة التي أنجزت حول تبسة بالموازاة مع ذلك تلك التي قام بها الباحثان ريموند لودي و جان ساكاردي بهدف تحديد نوعية المناخ الذي ساد هذه المنطقة خلال نهاية الباليوليتي المتأخر وبداية العصر النيوليتي من خلال تحليل بقايا الفحم الذي يتوافر بكثرة بمواقعها القفصية .وكانت العينات المخبرية قد أخذاها من مواقع عين خنقة ، رليلاي، و واد جوف الجمل. وساهمت النتائج المحصل عليها في توضيح الصورة أكثر حول طبيعة البيئة المناخية وأثرها على حياة الأقوام القفصية والنيوليتية وحضارتها.[2]

وتبعا لأعماله السالفة استمرت بتبسة جهود دوروش المهمة حول الكنيسة ، ففي المعبد الذي دفنت فيه غابنيلا ، عثر على عدة قبور مسيحية و نقوش تحت أحد اللوحات القبرية في المكان الواقع بين مدخل الكنيسة وجدارها الخارجي. فتحة ثانية للنفق وجدت وأدت إزالة الأنقاض عن الغرفتين الأوليين الملاصقتان للجدار الشرقي للكنيسة إلى العثور على قبور وشواهد جنزية وثنية .كما أجريت أبحاث أخرى عند مفترق طريق مرسط فريانة ، وكشفت عن أسس بناء شيد بالحجارة الكبيرة، إلى جانب العثور على فسيفساء عادية وفي حالة متدهورة . وقد أرسل الفريق العامل المختص في نزع وإعادة تثبيت الفسيفساء من تيمقاد إلى تبسة منذ عدة أيام بغرض نقل اللوحات من مكانها الذي ظلت فيه منذ زمن طويل بمقر الوكالة الأثرية إلى حين بناء متحف يحويها. وآخر إنجازات هذه السنة تمثل في إجراء عدة أعمال صيانة وتهيئة مهمة منها تنظيف وصيانة قوس كاركلا وجوانبه ، تثبيت شباك حديدي في البرجين الشمالي الشرقي و الشرقي من السور البيزنطي.[3]

انصب عمل دوروش بتبسة دائما حول الكنيسة ، بحيث عثر على بئر قديمة في مقدمتها نقبت وأعيد استغلالها.كما وجد بالقرب منها قبور وثنية وفسيفساء عثر عليها في نفس الوقت إثر سبر أثري بأرضية الكنيسة .دعم أيضا الأنفاق التي لم تنتهي أعمال الحفر بها نهائيا بدعامات خشبية. وقد فرضت الاكتشافات المتكررة للفسيفساء ضرورة البحث عن مكان تحفظ فيه جميعها من التلف. هذا وقد اكتشفت بلاطتين فسيفسائيتين جديدتين في ممتلكات آل أنيوس، لكن الأهم من ذلك الكشف عن منزل أرضيته مبلطة كلية بالفسيفساء يقع خلف مدرسة البنين ، وأحد أقسام البلاطة الفسيفسائية يمثل مشهدا لعدة أشخاص. وواصل السيد بالو بالتنسيق مع دوروش مدير الدائرة الأثرية لمنطقة تبسة التنقيب في رمادية عن الدقارة .وفي ربيع سنة **1951** زار وفد

[1]Leshi .L, L'archéologie algérienne en 1947, R.Af, 92, 1948, pp 225-229. ; Merlin .A, Séance de la commission de l'Afrique du nord, B.A.C,1946-1949, pp 415-425.

[2] Le Dû .R, Saccardy .J, Etudes de quelques charbons préhistoriques de la région de Tébessa, R.Af, 92, 1948,pp111-119.

[3] Leshi L, L'archéologie algérienne en 1949, R.Af, 94, 1950, pp201-207.

سويسري مهم من أعضاء المؤسسة السويسرية لما قبل التاريخ المواقع الرئيسية في الشرق الجزائري لاسيما الواقعة بضواحي تبسة.[1]

توقفت الحفريات في رمادية عين الدقارة بسبب حضور الباحثين لأشغال المؤتمر المنعقد بمتحف الباردو حول عصر ما قبل التاريخ . ولقد بذلت في أثناء ذلك جهود كبيرة لحماية مواقع واد الجبانة ببئر العاتر المحطة الأهم للحضارة العاترية ، وقد تسبب فيضان الوادي إلى جانب الانحرافات والتنقيبات غير الأكاديمية في تسريع عملية تدمير الموقع .والأخطر ما في الموضوع أنه لم يكن محل دراسة أثرية مفصلة من قبل، فلا توضعه الطبقي أو مستحثاته أو حتى صناعته الحجرية وصفت بشكل كامل .ولذا صار إنقاذه من الاندثار من الأمور المستعجلة وذات الأولوية.وفي هذه السنة أعاد المحافظ دوروش ترتيب داخل السور المحيط بالكنيسة، الجدران، الأرضية، الغرفة الخلفية لكنيسة غابنيلا .ومن بين القبور الجديدة التي أظهرها السبر الأثري نجد صندوقا من حجارة بيضاء عثر فيه على عظام رجل ومزهرية زجاجية جميلة جدا، تابوت مسدود ثلاث مرات بالرصاص كشف عنه بشكل غير كامل. كما سمح سبر أثري عميق أسفل مذبح الكنيسة بالاعتقاد بوجود سرداب على عمق اثنا عشر مترا تم ردمه بعناية أثناء تشييد الكنيسة ، والأكيد أن له علاقة بالأنفاق الباطنية التي كشف عنها حول الكنيسة و التي ردمت هي أيضا.هذه المدافن القبوية تعود لفترة سابقة لتشييد المعلم المسيحي. ولأغراض أمنية ردمت كلها أثناء عملية البناء.[2]

و من الدراسات التي تناولت تاريخ تبسة والمنطقة المجاورة لها كتاب موريس ريغاس حول المعالم الجنزية السابقة للعهد الاسلامي بشمال افريقيا، حيث سلط الضوء على المعالم الجنزية التي خلفها الانسان في عصور ماقبل التاريخ و مطلع العصر التاريخي و المتمثلة في المدافن والأضرحة المختلفة و المعالم السلتية المتواجدة بتراب منطقة تبسة لاسيما قرب قرية قصطل التي ينتشر فيها عدد كبير من الجثوات و الدولمينات و الغرف الجنزية المحفورة في الصخر التي فتش العديد منها وعثر بها على أثاث جنزي متنوع ضم الأواني الفخارية و المصابيح و المزهريات و الحلي البرونزية و النحاسية والحديدية. كما تم بطلب منه تفتيش ستون معلما منها خمسة وخمسون جثوة وخمسة دولمينات من قبل المهندس مونيي لفائدة متحف الباردو سنة 1950 بعد أن عثر على نقوذ بونيقية ونوميدية ورومانية داخل العديد منها.كانت المكتشفات مهمة جدا تمثلت في هياكل عظمية وفخاريات مشابهة تماما لما عثر عليه في الجثوات

---

[1] Id., L’archéologie algérienne en 1950", R.Af, 95,1951, p210.

[2] Ibid., p212.

المجاورة لها. و قد عد مدافن جبل مستيري و جبل الدخان وغيرهما من أهم ما خلفه الإنسان المغربي القديم بهذه النواحي.[1]

من أعمال التنقيب المشتركة ما قام به كل من لودي و دوروش بموقع بكارية القفصي الواقع ببلدية مرسط في شهر يناير من سنة1953 بعد توفير الموارد والإمكانيات الضرورية للعملية من طرف السيد ميليس رئيس البلدية الذي اهتم بدراسة هذا الموقع منذ سنوات. وأسفرت الحفريات عن العثور على ستة هياكل عظمية معظمها في حالة سيئة،إلى جانب العديد من الحجرقزميات الهندسية و الحلي المتنوعة. واستخلص الباحثان أن هذه الرمادية استخدمت في فترة لا يمكن تحديدها بالضبط لكنها اتخذت في العصر التاريخي مدفنا جماعيا.[2]

ومثلت الجمجمة التي وجدها جان موريل J.Morelسنة 1944 أثناء حفرياته المنظمة بموقع خنقة الموحاد موضوع دراسة أحاثية أجراها كابو بريغس من أجل تحديد الخصائص المورفولوجية للأقوام التي استوطنت هذه النواحي أثناء الباليوليتي المتأخر. ومما توصل إليه أن هذا الجنس الذي يحمل خصائص سودانية لا يشبه أيا من الأجناس المعروفة للدارسين ، ولا يمت إلا بصلة بعيدة جدا للنمط ما قبل المتوسطي الذي ينتمي إليه القفصيون، الأمر الذي يفتح المجال للبحث في العلاقة الأنتروبولوجية بين الجنس المتوسطي والسوداني في الحضارة القفصية.[3]

كما سمحت الحفريات التي استأنفها بوشي J.Boucher سنة 1952 بتبسة الخالية له بحوصلة نتائجها في مقال نشره في مجلة المدرسة الفرنسية لروما سنة 1954 بعنوان أبحاث جديدة بتبسة الخالية[4].أما جان

باراديز J.Baradezفقد تناول في دراسة له أهمية تبسة الاستراتيجية والعسكرية وكنقطة مفصلية أساسية في شبكة الطرق البرية التي أنشئوها بين البروقنصلية ونوميديا منذ عهد الإمبراطور تيبيريوس، والدور العسكري و الاقتصادي الذي لعبته بالشمال النوميدي حتى نهاية الاحتلال الروماني.[5]

أما اهتمام السيد دوروش DE Rochفقد انكب في سنة 1954 أولا على إنقاذ العديد من الفسيفساء التي وضعت في صناديق إلى حين عرضها في المتحف بعد بنائه. نذكر من بينها فسيفساء ذات أشكال هندسية و

[1] Reygasse .M , Monuments funéraires préislamiques de l’Afrique du nord , Paris, Arts et métiers graphiques ,1950.
[2] Le Dû .R ,De Roch .S, Le gisement capsien de Bekkaria(commune mixte de Morsott-Department de Constantine) , Libyca, Ethnographie –Préhistoire,I, 1953,pp141-155.
[3] Capot Briggs .L, Tête osseuse du Khanguet-el-Mouhaad ,(Fouilles J.Morel) , Libyca.Préhistoire-Ethnographie,I,1953,pp120-140.
[4] Leglay .M, L’archéologie algérienne en 1953, Libyca,Archéologie-Epigraphie,II ,1er semestre, 1954,pp481-517.

[5]Baradez .J, Organisation militaire romaine de l’Algérie antique et évolution du concept défensif et ses frontières , Revue internationale de l’histoire militaire ,13,1953,pp25_42.

الفسيفساء المدعوة غانتيسلاي، وتبقى له أكثر من 100 متر مربع بحاجة إلى إعادة تثبيت.ثم استأنف عملية التنقيب في المدرج الذي وصفه النقيب مول جزئيا في سنة 1859 .النتائج الأولى للحفريات كشفت عن وأبواب فخمة و أروقة و بقايا منحوتات ونقوش، وهي مشجعة جدا وتبشر باكتشافات مهمة. وباذلا جهدا كبيرا يشكر عليه جاب دوروش دائرته الأثرية في ظروف صعبة للغاية، حيث مكنته معايناته الميدانية من جمع وثائق أثرية متنوعة تمثلت في النصب، التوابيت والنقوش. أخيرا و بالتعاون معه، استطاع السيد بوشي Boucherالعضو السابق في المدرسة الفرنسية لروما و الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة ليون، من إدارة حملة التنقيب الرابعة بتبسة الخالية في أحسن الظروف، إذ استطاع الربط بين مجموعة المنشآت ذات الطابع الصناعي التي كشفت عنها التنقيبات السابقة بالكنيسة الكبيرة ذات الصحون الثلاثة. و قد جذبت نقيشة كبيرة لكن للأسف مشوهة جدا وصعبة القراءة اهتمام بوشي نحو القاعة الدائرية المجاورة للحمامات التي لا يزال التعرف على طبيعتها أمرا عويصا. وفي انتظار بناء المتحف الذي صار ضرورة ملحة بسبب الاكتشاف المتزايد للوحات الفسيفسائية (بعضها ذات أهمية بالغة) ووفرة المواد الأثرية التي هي بحاجة إلى عرض، قام دوروش بتهيئة المتحف الحجري الذي يزخر بآثار عديدة منها القبر العائلي لآل أنيوس الذي رمم، تيجان ،معالم ميلية ، ساعة شمسية ومذبح للإله نبتون عثر عليه عند حوض تجميع المياه بعين رحيلان. وفي نهاية هذه السنة استأنف بوشي مرة أخرى أعمال التنقيب بتبسة الخالية التي أوقفها مؤقتا.[1]

وفي تقرير حول نشاطات سيري دوروش De Roch التنقيبية بتبسة رفع إلى فرع شمال إفريقيا في لجنة الأعمال التاريخية والعلمية، أشير إلى العثور على نقوش جنزية لجنود من الفيلق الثالث الأوغسطي بجوار الكنيسة المسيحية.وهو اكتشاف مهم إذا ما وضعنا بالاعتبار قلة هذا النوع من النقوش بتبسة.[2]

مما أنجز أيضا مقالة لبوشي Boucherظهرت في سنة 1954 بأحد أعداد مجلة المدرسة الفرنسية لروما ضمنها نتائج الأبحاث و التنقيبات التي أجراها طيلة أشهر في أنقاض تبسة الخالية .وقد تركز عمله حول الآثار ذات الطابع الديني مثل المعبد الدائري و الكنيسة التي كثف من العمل حولها للكشف عنها كلية،وهو أمر وفق فيه كثيرا.[3]

في هذه السنة أيضا وجه دوروش جهوده لحماية وإنقاذ معالم المدينة وآثارها، منها وضع اللوحات الفسيفسائية في صناديق بانتظار بناء المتحف لتثبيتها فيه. وكذلك استئناف عملية التنقيب والحفر في المدرج ، والتي تنبئ نتائجها الأولى عن حصيلة واعدة تشجع على مواصلة العمل.[4]

---

[1] Leglay .M, Balout. L, L'archéologie algérienne en 1954, R.Af, 99,1955, pp209-233.

[2] Merlin .A, Séance de la commission de l'Afrique du nord , B.A.C, 1954, pp 181-203.

[3] Boucher .J-P, Nouvelles recherches à Tébessa Khalia ,M.E.F.R ,LXVI,1956, pp165-187.

[4] Leglay .M, L'archéologie algérienne en 1954, Libyca A-E, III,1er semestre, 1955,pp183-206.

كما استمر في نوفمبر من سنة 1954 في أعمال الكشف عن مدرج تبسة، والنتائج الأولى بدت جد ملفتة. غير أنه بسبب العمق الذي يوجد فيه المدرج و كثافة الحجارة المنحوتة الكبيرة تقدمت الأشغال ببطء شديد. ويعود هذا الإصرار في متابعة أشغال الحفر إلى ضرورة ملحة وهي رغبة السلطات البلدية في امتلاك الأراضي المحيطة به دون المساس بالمساحات التي قد تحتوي آثارا قديمة [1].و زيادة على ما تقدم نجح دوروش هذه المرة أيضا في صيانة وحماية معالم المدينة. وإذ لم يتمكن من إجراء حفريات بأماكن أخرى، إلا أنه رمم جزءا من الأنفاق الممتدة أسفل الكنيسة. [2]

ومن الكتابات التي ألفت حول المدينة كتاب في جزئين عن تاريخ المدينة منذ القديم وضعه بيير

كاستل P.Castel وهو موظف بتبسة، و رغم افتقاره للدقة و المنهجية العلمية إلا أن لمؤلفه هذا قيمته التاريخية عند الباحثين في تاريخ المدينة. فعلاوة على السرد التاريخي المفصل للأحداث التاريخية، اهتم الكاتب بايراد معلومات دقيقة ومحينة آنذاك عن حالة الآثار الرومانية و البيزنطية وحتى الإسلامية للمدينة في خمسينيات القرن الماضي.[3]

كما تناول لوي ليشي L.Leschi في كتابه الذي تضمن مزيجا من الدراسات الأثرية والنقشية والتاريخية عددا من المواضيع الجوهرية حول تبسة، شملت النسيج الاجتماعي للمدينة خلال القرن الثاني الميلادي من خلال تسليط الضوء على إحدى عائلاتها المهمة. إلى جانب تعرضه للنقوش الرومانية ذات الطابع الجنائزي وتلك الموجودة على الفسيفساء والمعالم الميلية، إذ حاول من خلالها استخراج المعطيات السياسية و الاقتصادية و الدينية التي تساعد المؤرخين على إعادة بناء تاريخ المدينة من كافة جوانبه.[4]

و بالعودة إلى التنقيبات ، نجد أن الوضعية الأمنية لم تسمح إطلاقا للسيد دوروش إلا بإنجاز أعمال صيانة ، لاسيما منها تدعيم الأقبية أسفل الكنيسة وتجميع المواد الأثرية المنتشرة في المدينة داخل الحديقة الأثرية.كما أشار إلى اكتشاف عدد من القبور بين مرسط وتبسة تنتمي لمقبرة سبق وأن أكتشف عدد من مقابرها في حديقة بلدية مرسط المختلطة، وكذلك فسيفساء في ساحة ثكنة نيغريي Negrier.وقد شرعت إدارة البلدية الجديدة في مخطط عمراني وتوسيع بعض أبواب السور البيزنطي لتسهيل حركة المرور ، مما تطلب مراقبة عن قرب للمشاكل التي

---

[1] Lassus .J, L'archéologie algérienne en 1955, Libyca A-E, IV,1er semestre, 1956, pp161-189.

[2] Balout .L, Lassus. J, L'archéologie algérienne en 1956, R.Af,101,1957,pp181-204, pp439-449. ; Lassus.J, L'archéologie algérienne en 1956, Libyca A-E,1er semestre ,1957, pp123-152.

[3] Castel .P , Tébessa. Histoire et description d'un territoire algérien ,Tome 1,Paris, Paulin éditeurs ,1905.

[4] Leschi .L , Etudes d'épigraphie ,d'archéologie et d'histoire africaines, Paris, Arts et métiers graphiques, 1957.

قد تنجم عن أشغال التهيئة تلك لأجل المحافظة على المعالم أو لاستغلالها لإجراء أسبار أثرية محتملة على المساحات التي ستكشف عنها تلك الأشغال المؤقتة.[1]

فيما يخص المتحف تمت برمجة بناء واحد جديد ضمن المخطط العمراني الحديث لكن دون توفير المخصصات المالية اللازمة. والموجودات اغتنت بالعديد من الأجزاء المنحوتة والنقوش التي عثر عليها مصادفة. كما نقلت إلى تبسة فسيفساء وأحواض الاستحمام بالحمام الذي عثر عليه بهنشير صافية تمهيدا لعرضها في المتحف الجديد المزمع إنجازه مستقبلا، وكانت الدائرة الأثرية تأمل في إعادة ترميم جزء بسيط على الأقل من هذا الحمام.[2]

لقد أعلم السيد فورنيي Fournierمهندس الري مدير الدائرة الأثرية الذي يتابع عن قرب الإنشاءات الجديدة العمومية و الخاصة التي قد تكشف يوما عن بقايا أثرية، عن العثور على فسيفساء جميلة جدا إلى جانب لوحات فسيفسائية أخرى. و في كل مرة ينتقل خبير الفسيفساء التابع لمصلحة المعالم التاريخية لنزعها. أما ببئر العاتر فقد أبلغ النقيب تيريي Terrierالضابط بالمصلحة الإدارية عن اكتشاف كنيسة جميلة جدا. هذه الكنيسة التي أعيد بنائها خلال العهد البيزنطي حافظت من مخططها الأول على فسيفساء مهمة ذات نقوش، لكن أهمية هذا المعلم تكمن في عناصره المنحوتة و التيجان و الدعامات العائدة إلى القرن الخامس الميلادي على الأرجح، وإن ندرة المنحوتات الزخرفية المسيحية بإفريقيا تزيد من أهمية هذا الاكتشاف.وبأحد المواقع المهملة حاليا و المسمى بئر الهنشير قام تيريي بمساعدة السيد فورتيي Fourtier وهو إداري بإعادة ترميم وتأهيل أربعة عشر خزانا رومانيا لحفظ الماء في هذه المحلة القديمة التي كان وجودها مجهولا حتى ذلك الوقت.[3]

وكان للإنشاءات المائية الرومانية ونظام الري الذي أقامه الرومان بمدينة تبسة و ماجاورها نصيب أكبر من الدراسة والاهتمام من قبل جان بريبنت J.Birebentالذي أفرد لها صفحات طويلة في كتابه عن المنشآت الرومانية المائية بالشرق الجزائري. ومما بينته هذه الدراسة فيما يخص منطقة تبسة أهمية أجهزة الري و السقاية التي أقامها الرومان بها و اتساعها وتعقدها مما يعكس الأهمية الزراعية التي كانت تمثلها في أعينهم.[4]

---

[1] Lassus.J, L’archéologie algérienne en 1958, R.Af, 102,1959, pp169-192.

[2] Id., L’archéologie algérienne en 1958, LibycaA-E, VII, 1959, pp233-346.

[3] Id., L’archéologie algérienne en 1960, R.Af, 105,1961, pp438-448.

[4] Birebent .J,Aquae Romanae. Recherches d’ hydrauliques romaines dans l’est algérien ,Alger, 1964.

كما لا تفوتنا الإشارة هنا لما قام به الباحث الفرنسي روبير لوكمان R.Lequementمن ثلاث حملات تنقيبية بمدرج تبسة الروماني الواقع على الضفة الغربية لواد زعرور، وذلك خلال سنوات مابين 1965-1966 استغرقت كل واحدة منها شهرا ونصف، وعدت كتكملة للعمل الذي بدأه دوروش في مطلع الخمسينيات. وقد شملت هذه الأبحاث الدراسة المعمارية للمدرج بأبعاده و هندسته وتفصيلاته ونقوشه،مع معاينة المواد الأثرية التي كشفت عنها التنقيبات كالمصابيح والأواني الفخارية المتنوعة. و ركزت هذه الحفريات بصورة أساسية على تتبع التطورات التي مر بها المدرج الروماني منذ تأسيسه حتى نهاية العصر القديم. و وضع لوكمان خلاصتها في تقرير ضمنه كل الخطوات التي سارت عليها حملة التنقيبات. فبدأ بوضع تقييم لحالة الآثار قبل انطلاق الأعمال، ثم انتقل مباشرة إلى استعراض وبدقة شديدة مراحل عمليات الحفر والإزالة في كل جزء من أجزاء المدرج، مشيرا في أثناء ذلك إلى المشاكل التي أعاقت التنقيب في المعلم ومنها المساكن التي بنيت بداخله و التي ألحقت أضرارا ببعض الأجزاء الداخلية للمدرج، ليختم هذه الحصيلة بجملة من النتائج.[1]

أما خلال شهري سبتمبر وأكتوبر من سنة 1966 فقد استأنفت الحفريات من جديد في المدرج، وقد تكفل السيد لوكمان بنشر تقاريرها بمجلة الآثار الجزائرية. وقد شارك في هذه الحملة بول ألبير فيفريي P-A.Février منير بوشناقي الذي ساعده في إدارة التنقيبات، داجنس من المدرسة الفرنسية لروما ، فريدوي الأستاذ المساعد بجامعة السربون و الرسام داونيك الذي قام بالرسومات و الرفع الطوبوغرافي ،و طلبة كلية الآداب بالعاصمة. وبفضل تضافر الجهود صارت الواجهة الخارجية الشمالية الشرقية جد واضحة، حيث لوحظ العديد من التعديلات التي أجريت عليها سابقا، أحدثها تبليط بني بالحجارة الضخمة الكلسية المنحوتة التي لا يمكن أن تعود لما قبل القرن الرابع الميلادي.و بالنسبة للرواق الواقع على المحور الكبير نحو الغرب و الممران المجانبان له فيوجدان في طور الكشف. أما في الداخل فالتنقيب في المستويات السكنية الثلاثة لا يزال مستمرا . وأقدم هذه المستويات يعود على الأرجح إلى العهد البيزنطي، والآخران يعودان ربما إلى العصر الوسيط أو الحديث لأن تاريخهما لم يحدد بدقة إلى الآن. هذا وقد أعيد إحياء التنقيبات التي كان أجراها سابقا المحافظ السابق للمتحف السيد سيري دوروش بالكنيسة الكبرى لاسيما حول الكنيسة المثلثة وداخلها، وذلك للسماح للسيد جورجن كريسترن J.Christern من المعهد الأثري الألماني والسيد مولر Mûllerللقيام برفع هندسي والقيام بمقاطع معينة وكاملة لهذا المعلم الذي يكتسي أهمية كبرى بالنسبة للعمارة المسيحية بإفريقيا.[2]

[1] Lequement. R, Fouilles de l'amphithéâtre de Tébessa(1965-1966) , B.A.A, 2, 1966-1967,pp107-122.

[2] Fevrier .P-A, Recherches archéologiques en Algérie(1964-1967) ,C.R.A.I, 1967,pp92-109. ; Baghli .S-A, Fevrier. P-A, Recherches et travaux(1966-1967) ,B.A.A, II, 1967-1968,pp1-9.

في مجال الدراسات حول ماقبل تاريخ تبسة، نشير لنتائج الأبحاث الميدانية لكوليت روبي C.Roubetحول استخدام الصفائح الدرعية للسلاحف من قبل أقوام ما قبل التاريخ في الزينة وصناعة التمائم والتعاويذ السحرية خلال العصر النيوليتي، التي قادتها إلى عدد من أبرز المواقع القفصية بالمنطقة. النتائج المحققة دلت على انتشار واسع لاستخدام هذه الصفائح عند القفصيين في منطقة تبسة لاسيما بناحية الكيفان ورليلاي و الداموس الأحمر عند منحدرات جبل أنوال المحيط بتبسة من الجنوب الغربي. ليس هذا فحسب بل ثبت بعد دراسة مخبرية للعينات المستقاة من هذه المواقع على تفرد قفصيو المنطقة وبراعتهم في صناعة الحلي منها ، وعلى الأغراض السحرية و الوقائية من الأرواح الشريرة المتوخاة من وراء هذه التمائم.[1]

من ناحية أخرى استرعت كنيسة تبسة وملحقاتها مرة أخرى انتباه جورجن كريسترن الذي درسها من الناحية الهندسية و الزخرفية ، معتبرا إياها أهم مركب مسيحي متكامل موجود بشمال إفريقيا. وقد شدد هذا الباحث على الخصائص الهندسية وعناصر الزخرفة المميزة التي تنفرد بها لاسيما ما يتعلق بالأعمدة الكورنثية و الكنيسة المثلثة أو ما اصطلح عليه بأبرشية غابنيلا.[2]

لقد شكلت الفصول لاسيما الثالث و الرابع منها التي تحدث فيها بول ألبير فيفريي عن الفن المعماري الديني الروماني ، ونشاط الحرفيين التبسيين في صناعة الفسيفساء و التماثيل و المصابيح في كتابه عن الفن في الجزائر القديمة أحسن ما كتب عن الهندسة المعمارية الرومانية بمدينة تبسة خلال القرون الثلاثة الأولى الميلادية، فضلا عن خصائص الإنشاءات العسكرية البيزنطية التي سلط عليها جانبا كبيرا من اهتمامه. على أن تركيزه كان أشد في التقصي عن الورشات الحرفية الرئيسية للفخار و الفسيفساء و الحلي التي ذاع صيتها بنوميديا و البروقنصلية أثناء العهد الإمبراطوري الأول.[3]

ويعد البحث الميداني لموريل النظام J.Morel من الدراسات المهمة التي حاول فيها طرح نظرية جديدة حول الغذائي و المعيشي للأقوام القفصية التي استوطنت منطقة تبسة و تخالف النظرة التقليدية التي دأب الباحثون قبله على تبنيها والتي جعلت من سكان المنطقة القدماء أكلة الحلزونات من الطراز الأول. وقد دعم رأيه بدراسة إحصائية تحليلية للبقايا الغذائية بموقع الماء الأبيض، برهن من خلالها بشكل قاطع على أن قفصيو منطقة تبسة على الأقل تبنوا نظاما غذائيا قائما أساسا على المواد النباتية، وأن قواقع الحلزونات والحيوانات الصغيرة والمتوسطة لم تكن

[1] Roubet .C, Les pendeloques en plaques dermiques de tortue dans le néolithique de l'Afrique du nord, Libyca. A-P-E, XIV,1966,pp233-259.
[2] Christern. J, Il complesso cristiano di Tebessa .Architettura e decorazione , Estratto da corsi di cultura sulla'arte ravennate e bizantina", Ravenna , 1970, pp103-117.
[3] Fevrier .P-A , Art de l'Algérie antique , Paris ,Edition Boccard , 1971.

سوى نظاما غذائيا تكميليا. كما أثبت أن هذا النظام الغذائي القريب من العصر الباليوليتي كان شائعا في كل المواقع التبسية حسب دراسة مقارنة مع بقايا مواضع أخرى.[1]

و إلى جانب الدراسات المذكورة سابقا ، نالت فترة ماقبل التاريخ بمنطقة تبسة اهتماما كبيرا من غابرييل

كامبص G.Camps في كتابه حول حضارات ماقبل التاريخ بشمال إفريقيا و الصحراء الكبرى. إذ درس كل الصناعات الحجرية التي ظهرت بها منذ الباليوليتي الأسفل إلى فجر التاريخ ، ولم يهمل الجوانب الفكرية و الدينية في حياة الإنسان الذي عاش بهذه المنطقة ليصل إلى إبراز أهمية الموروث الحضاري في هذه الحقبة.[2]

كذلك ظهرت في سنة 1975 في مجلة ليبيكا دراسة مشتركة لعدد من الباحثين المتخصصين في الأنتروبولوجيا وماقبل التاريخ منهم لوبيل Lubell ،بايلي Baillyغوتيي و أوماسيب كانت بمثابة النتائج الأولية للبحوث الميدانية والحفريات التي مست حلزونيات منطقتي الشريعة وثليجان ما بين سنتي 1972-1973 . ومما خلصت إليه مجموع هذه الأعمال المتكاملة هو إثبات تحول جذري للمناخ في هذه المنطقة في منتصف الألف العاشر قبل الوقت الحاضر نحو مناخ أكثر أمطارا وبرودة من المناخ الحالي حسبما تدل عليه رواسب موقع عين المستحية، ثم تحول آخر في بداية الألف السابع قبل الميلاد حسب البقايا الحيوانية والقواقع البرية التي تدل على بيئة براري تسودها الحشائش مع نقص في عدد الحيوانات. كما رصدت الأبحاث تطورات في الأدوات الحجرية المنتمية للقفصية العليا بتأثير البيئة المناخية. وأخيرا تبين على أن المواقع السكنية لم تكن مأهولة طيلة العام ، كما اتبع السكان نظاما دوريا في سكنى المواقع وأن النظام المعيشي للأقوام القفصية القائم على عناصر غذائية يعد نظاما ناجحا مما يفسر تأخر دخول الاقتصاد النيوليتي لبلاد المغرب القديم.[3]

أما الباحث كلود براهيمي C.Brahimi فقد كانت له وقفة عند منطقة تبسة في كتابه حول فترة ما قبل التاريخ بالجزائر، حيث تتبع تاريخها عبر كل العصور الحجرية وسجل أهمية إسهامات مواقعها في توفير المعطيات حول مواضيع ما يزال الجدل حولها قائما، ومنها البدايات الفعلية للفن وعصور المعادن.[4]

وخصت ماري لويز إنيزان Inizanبدراسة مفصلة الأدوات الحجرية القفصية المطلية بالمغرة الحمراء في معظم المواقع القفصية الجزائرية والتونسية ، ونشرت نتائج أعمالها في مقال بمجلة الأنتروبولوجيا .وقد ركزت بشكل خاص

[1]Morel. J., La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod (Sud-algérien) .Ce qu'elle nous apprend de l'alimentation et des conditions des populations du Capsien supérieur, L'anthropologie ,74,1974,N°2,pp299-320.

[2] Camps .G ,Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara , Paris ,Doin ,1974.

[3] Lubell .D et Autres, The préhistoric cultural ecology of Capsien escargotieres, Libyca.A-P-E,XXIII,1975,pp43-122.

[4] Brahimi .C, Initiation à la préhistoire de l'Algérie, Alger ,S.N.E.D, 1976.

على الأدوات التي عثرت عليها برماديات منطقة تبسة وبينت انفرادها ببعض الخصائص المحلية التي تميزها عن غيرها من المواقع المشابهة الأخرى.[1]

يضاف إلى هذه البحوث الميدانية الدراسة التنميطية والإحصائية لجان موريل الذي يعد من كبار المختصين في الصناعة القفصية حول الصناعة العظمية للمرحلة القفصية العليا بموقع ذراع الماء الأبيض ،حيث شملت مادة صنع الأدوات العظمية وتقنيتها واستخداماتها.[2]

وتولى جاك تيكسيي J.Tixierدراسة الصناعة الحجرية المتأتية من الحفريات التي أجراها كل من ليونيل بالو وسيري دوروش برمادية عين الدكارة المعروفة بحلزونية الثعلب على مرحلتين ؛ الأولى سنة1949 والثانية سنة1951 بناءا على طلبهما. وقد خصص مقالا لذلك ، وخلاصة ما توصل إليه هو اكتشاف تقنية جديدة في تقطيع الشفرات والشفيرات بواسطة الضغط لم تظهر إلا عند القفصيين ثم انتشرت إلى مناطق أخرى. وغالبية الأدوات الحجرية لاسيما الحزات والمسننات والقطع القزمية الهندسية المصنوعة بواسطة التقطيع بالضغط تنتمي للمرحلة القفصية العليا.[3]

إن الدراسة التي وضعتها الباحثة ماري كوليت دو بيير سنة 1977و ظلت مخطوطة M-C.De Pierre إلى الآن، و إن كانت موجزة لكنها تبقى قيمة لتاريخ المدينة وآثارها. و رغم أن المعلومات المتضمنة فيها عامة إلا أن أهميتها تكمن في جملة التقارير المهمة التي احتوتها والتي استقتها من أرشيف مصلحة الأثريات بالعاصمة و التي استدعتها حالة الآثار آنذاك. ومن جملة هذه التقارير التي سمحت حينها للجهات المعنية التي تسعى لوضع مخطط تجديد عمراني للمدينة بتحديد مواقع الاكتشافات الجديدة كالمساكن الرومانية، اللوحات الفسيفسائية ، المقابر وغيرها من المنشآت ، نذكر ذلك المتعلق بالعثور في 3 ماي 1976 بوسط المدينة إلى الغرب من السور البيزنطي في موقع تابع للبلدية على مقبرة مسيحية كبيرة تعود للقرنين الرابع و الخامس الميلاديين، وهي تمتد أسفل كل من سكنات مجهزة تابعة لها ومستودعات تابعة لشركة النقل البري. و قد كشف عن وجود هذه المقبرة خلال أشغال بناء مدرسة.كما عثر أيضا على فسيفساء هندسية أبعادها ستة أمتار على أربعة أمتار قبالة منشأة تعليمية بشارع الأمير عبد القادر.[4]

وأثناء أشغال توسيع مدرسة الدكتور سعدان الواقعة خارج السور البيزنطي على مقربة من طريق قسنطينة، عثر على قبور مغطاة بلوحات قرميدية وتوابيت. وفور إعلامها تدخلت مديرية الآثار لدى السلطات المحلية بغرض وقف

---

[1] Inizan .M-L , Outils lithiques capsiens ocrés , L'Anthropologie, tome 80, 1976 ,N°1,pp39-64.
[2] Morel .J , L'industrie osseuse du Capsien supérieur de Dra –Mta –El- Ma-El-Abiod, Libyca, Anthropologie- Ethnographie, XXIV,1976, pp181-188.
[3] Tixier .J , L'industrie lithique capsienne de l'Ain Dokkara .Région de Tébessa, Algérie. Fouille de L.Balout , Libyca.Préhistoire-Ethnographie,XXIV,1976,pp21-54.
[4] De Pierre .M-C, Tébessa. Notice manuscrite,1977.

الأعمال الجارية وتنظيم حملة حفريات إنقاذية أشرفت عليها الآنسة فاطمة قادرية خضرة طيلة شهر ماي من سنة1978 . وهذه الحفريات أسفرت عن اكتشاف مقبرة مسيحية احتوت علاوة على التوابيت، على قبور شهداء مسيحيين تزينها لوحات فسيفسائية مع ملاحظة أن معظم القبور تعلوها نقوش جنائزية مسيحية.وزيادة على ذلك أجريت طيلة شهر ماي من سنة 1978 أعمال بحث بمنطقة ذراع الغودار الواقعة على بعد كيلومتر ونصف شمال مقبرة الدكتور سعدان .في هذه المنطقة الثانية عثر على مقبرة في شهر مارس سنة1979 بها توابيت مغطاة وقبور شهداء مسيحيين ونقوش جنائزية مسيحية كشفت عنها التنقيب. و من المحتمل أن مقبرة الدكتور سعدان وذراع الغودار تنتميان لمجموعة جنائزية مسيحية متأخرة زمنيا تقع شمال غرب تبسة القديمة.[1]

لقد استأنف موريل البحث في الصناعة الحجرية العائدة للقفصية العليا بموقع الماء الأبيض الذي يعود تاريخه حسب التقويم بالكربون المشع إلى النصف الثاني من الألف السادس قبل الميلاد. ومن النتائج المهمة التي حققها هذا البحث هو رصد ذلك التنوع الكبير في الأدوات الحجرية بمنطقة تبسة –قفصة لدرجة ظهور صناعات محلية مختلفة عن بعضها البعض كلية رغم القرب الجغرافي الشديد بينها.كذلك لوحظ تطور محسوس لكن مستتر تمثل في ظهور نوع جديد من المثاقب و المحتات، لكن عموما تم إثبات الخصائص العامة المميزة للقفصية العليا بتبسة.[2]

كما درس منصور غاكيM.Ghaki العلاقات بين الفينيقيين و سكان البلاد في كافة النواحي، وقد خصص جزءا مهما من أطروحته لموقع مدينة تبسة في هذه العلاقات و الدور السياسي و الاقتصادي و الحضاري الذي لعبته كحلقة وصل بين النوميديين و المملكة القرطاجية. وقد سلط اهتمامه على التقصي عن طبيعة العلاقة التي ربطتها بالقرطاجيين، هل كانت علاقة تبعية أم مستقلة ذاتيا عنهم. ثم تطرق إلى تاريخ المدينة خلال حكم الملوك النوميديين مركزا على أنها كانت أهم المناطق الاقتصادية و الحضارية المهمة في مملكتهم حتى زوالها.[3]

وناقش الباحث الإيطالي ليديانو باكييللي L.Bacchieli في مداخلة له في أحد ملتقيات ساساري السنوية حول إفريقيا الرومانية إسهامات رجل تبسة الشهير في مطلع القرن الثالث كورنيليوس إغريليانوس الذي أوصى ببناء

[1] Khadria .F-K, Recherches et travaux en 1977-1979, B.A.A,VII, 1977-1979,pp9-28.

[2]Morel .J, L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod dans le sud est algérien. Sa composition, son évolution, L'Anthropologie, L'Anthropologie,82,N°3,1978,pp335-372.

[3] Ghaki .M, Recherches sur les rapports entre les Phénico-puniques et les Libyco-numides entre le V et le I siècle avant J-C. Thèse de l'école Pratique des hautes études .sous la direction de Maurice Sznycer,Paris, Sorbonne,1980.

قوس نصر على شرف الإمبراطور كاركلا عل نفقته الخاصة المقتطعة من تركته بموجب وصية منه بذلك . وذلك كخاتمة لجملة التبرعات والأعمال الخيرية التي قدمها لمدينته على مدار حياته.[1]

وفي إطار المنشورات حول تاريخ تبسة، تضمن العدد الرابع من الموسوعة البربرية مقالا لكل من كامبص وموريل حول النظام الغذائي عند الأقوام القفصية التي عاشت بالمواقع القفصية وعلى التبسية منها على وجه الخصوص.وكان موقعا ذراع الماء الأبيض وخنقة الموحاد هما مرجعا الدارسين اللذان استقيا كل المعلومات والإحصاءات اللازمة للدراسة منهما.[2]

و أنجزت الباحثة جينات دي فيتا افرارد G.Evérardدراسة مهمة عن الاختصاص الإداري لتبسة وحدودها الإقليمية، حاولت من خلالها تتبع التطور التاريخي للتقسيمات الإدارية التي انتمت إليها على مدار العهد الروماني كله، مولية اهتماما أكبر بالتعديلات التي طرأت عليها لاسيما أثناء عهد الحكومة الربعية وإصلاحات الإمبراطور دقلديانوس، معتمدة في ذلك على دراسة أساسها إعادة نظر تقييمية في النصوص و الوثائق الدينية والإدارية و النقوش المرتبطة بذلك.[3]

و من الدراسات الحديثة عن جوار تبسة ما قام به أحد طلبة معهد الآثار بالجزائر من إنجاز بحث ميداني مهم عن بازينات جبل مستيري المحيط بتبسة، حيث وضع موجزا لفترة ما قبل التاريخ بتبسة. ثم أجرى معاينة ميدانية للأضرحة البازينية من الخارج والداخل ووصف ملحقاتها وأجزائها مثل الأروقة والغرف الجنائزية والأثاث الموجود بها .كما أشار إلى أن أعمال الحفر العشوائية التي قام بها لصوص المقابر بحثا عن الكنوز أضرت كثيرا بالموقع.و توصل في النهاية إلى أن هذه المعالم الفجرية تعد من أقدم ما خلفه الإنسان المغربي القديم في مجال المنشآت الدينية قبيل العصر التاريخي.[4]

وفيما يخص متحف المدينة، فبعد الدليل الأول الذي أصدره دوروش في سنة 1954، شهدت سنة 1999 إصدار ثاني دليل سياحي لمتحف تبسة ومعالمها الأثرية باشراف علي سلطاني رئيس الدائرة الأثرية لتبسة و محافظ المتحف آنذاك وتحت إشراف الوكالة الوطنية للآثار و المعالم والنصب التاريخية سابقا. تضمن قسمه

[1] Bacchielli .L, Il testamento di C. Cornelio Egriliano ed il coronamento dell'arco di Caracalla a Tebessa , Atti di VI convegno di studio , 12-14 Dicembre 1986, Africa Romana ,Sassari ,Edizioni Galizzi,1987, pp295-321.
[2] Camps .G ,Morel .J, Alimentation ,Encyclopédie Berbère, IV,1987, pp472-483.
[3] Di Vita- Evrard .G, Une inscription errante et l'extra –territorialité de Théveste au IVe siècle, Atti di VI convegno di studio , 16-18 Dicembre 1988, Africa Romana , Sassari ,Edizioni Galizzi, 1989, pp293-319 .
[4] إفراح محمد عبد الرؤوف، بازينات جبل مستيري بتبسة ، مذكرة نهاية ليسانس في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر ،1994.

الأول نبذة مختصرة عن تاريخ المدينة منذ العصور القديمة حتى وقتنا الحاضر. والقسم الثاني شمل إحصاءا لمعالم المدينة العائدة إلى العصور المختلفة مع التركيز على المعالم الرومانية و البيزنطية كالمدرج الروماني، قوس النصر،القصر القديم ،الكنيسة الكبرى والسور البيزنطي. أما القسم الثالث من الدليل فقد خصصه للحديث بالتفصيل عن متحف المدينة الذي يحتضنه معبد مينرفا ومعروضاته الغنية من أفاريز وتيجان وتماثيل وأعمدة وأواني و مصابيح فخارية و لوحات فسيفسائية.[1]

كما تتبعت إيفون تيبير في الدراسة الإحصائية و الوصفية للحمامات الرومانية بشمال إفريقيا، تلك الواقعة بمدينة تبسة حيث وصفتها وصفا دقيقا شمل المواد الموظفة في البناء، التقنيات الهندسية المستخدمة في بنائها ،الأقسام الرئيسية و الملحقات.كما تعرضت للوحات الفسيفسائية التي غطت أرضية قاعاتها خاصة بالحمامات الكبرى بوسط المدينة وحاولت استقراء بعض نقوشها ورسومها لإثبات بعض الحقائق، ولكنها لم تصل سوى إلى فرضيات سبقها بها بعض الباحثين في منتصف القرن 19 منهم ألفرد ميرلان حول الوظيفة الحقيقية للحمامات الرومانية.[2]

وكانت أحدث الأعمال عن تبسة تخصيص جون بول بران J-P Brun جزءا هاما من كتابه حول كل ما يتعلق بإنتاج الخمر والزيت في الإمبراطورية الرومانية للبحث في منشآت إنتاج زيت الزيتون المنتشرة في منطقة تبسة. حيث تعرض لزراعة الزيتون وشروطها بها، إلى جانب أهم معاصر إنتاج الزيت ، وأهمها تلك الواقعة في بريزقال على بعد ثلاثين كيلومتر جنوب تبسة، إلى جانب تلك الموجودة بتبسة الخالية.[3]

وعلى صعيد الملتقيات احتضنت جامعة تبسة في الفترة مابين 25–29 أبريل2009 ملتقى دولي حول الآثار بالاشتراك مع عدد من الجامعات الأجنبية ومراكز البحث الوطنية والأجنبية و الهيئات الرسمية. وقد كان تاريخ تبسة وآثارها حاضرا بقوة في أعمال الملتقى* من خلال عدد من المداخلات التي تناول فيها أصحابها جوانب مختلفة من تاريخ المنطقة. منها مداخلة حول المباني العمومية لتبسه من خلال النقوش

---

[1] علي سلطاني، تبسة. مرشد عام للمتحف الوكالة الوطنية للآثار والمعالم و النصب التاريخية، تبسة، مؤسسة الطبع الجديدة،1999.

[2] Thebert .Y, Thermes romains d'Afrique du nord et leurs contexte méditerranéen , Ecole française de Rome, 2003 .

[3] Brun .J-P , Archéologie du vin et de l'huile dans l'empire romain, Paris, Edition Errance, 2004.

للأستاذة خديجة منصوري حاولت من خلالها إحصاء معالم المدينة العمومية من خلال النقوش التي تحمل عبارات تشير إلى ممولي بنائها أو ترميمها أو تجديدها. ، مع الإشارة إلى مختلف المظاهر التي تطبع بنائها.[1]

وأخرى حول المجتمع السياسي للمدينة خلال العهد الإمبراطوري الأول الروماني للباحثة صابين لوفيبر من جامعة ديجون الفرنسية ، تطرقت فيها إلى العائلات المتنفذة والنخب المحلية بالمدينة و الدور الذي لعبته في الحياة السياسية وإلى أي مدى احتكرت المناصب والوظائف السياسية والإدارية و الدينية .وهل كانت الممارسة السياسية مفتوحة للجميع أم حكرا على عائلة واحدة أو مجموعة من العائلات تربطها صلات مصاهرة وثيقة ،كل ذلك استنادا إلى معطيات النقوش.[2]

نشير كذلك إلى مجموعة أخرى من المداخلات تناول بعضها سبل حفظ معصرة بريزغان وإعادة الاعتبار لقيمتها التاريخية، ولمحة عن تاريخ تبسة البيزنطية ، ودراسة عن أراضي قبيلة المزالمة المجاورة لتبسة ، وبحثان عن التركيبة الجيوتقنية لقوس كاركلا والمشاكل المرتبطة بصيانته. إلى جانب دراسة نقوش المدرج و المجمع الكنسي وأصول الاستقرار البشري و المدافن بجبل دير المجاور لتبسة.

إن هذا المسح الشامل لأغلب – و لانقول لكل–الدراسات والأعمال الميدانية التي مست تبسة و نواحيها القريبة تضعنا أمام صورة مدينة نالت نصيبا وافرا من الاهتمام العلمي و البحث الأكاديمي التاريخي و الأثري منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر استمر إلى وقتنا الحاضر متخذا مظاهر عدة مبرهنا بذلك على أهمية تاريخ المدينة القديم .

هذه المادة العلمية المتعددة الجوانب سنحاول من خلالها تتبع تاريخ المدينة منذ عصورها السحيقة إلى نهاية الفترة البيزنطية ، من كل جوانبها التاريخية و الحضارية بما تسمح به المعطيات التي تضمنتها، و التي قد لا

---

[1] Mansouri . Kh, Les monuments publics de Theveste à travers les inscriptions. Colloque international sur l'archéologie, Tebessa, Algérie (25-29 Avril 2009).

[2] Lefebre . S , La société politique de Théveste.

***حاولت المشاركة في هذا الملتقى للاحتكاك بالباحثين و الاستفادة من المداخلات العلمية المقدمة و الاطلاع على آخر الأبحاث و الدراسات المرتبطة بتاريخ تبسة القديم لكن لم يسعفني الحظ بسبب انقضاء آجال المشاركة. وحاولت مع ذلك الحصول على أعمال الملتقى و اتصلت شخصيا بالمشرفة على أعماله السيدة "ميريل جراب" ، غير أنها اعتذرت لي وبينت صعوبة إرسالها إلي قبل طبعها رسميا. و إلى الآن لم أحصل للأسف عليها.**

توفر لنا كل المعلومات الكافية اللازمة لمعالجة كل فترة من تاريخ المدينة القديم بكل جزئياته و تفصيلاته . ونبدأ في الفصل الثاني بعصر ما قبل التاريخ بتبسة ونواحيها وصولا إلى الفترة النوميدية.

الفصل الثاني

تبسة من عصور ماقبل التاريخ إلى نهاية العهد النوميدي

أولا– من العصر الحجري القديم (الباليوليتي) إلى العصر الحجري الحديث(النيوليتي)

1–العصرالحجري القديم (الباليوليتي)

أ – الباليوليتي الأسفل

ب–الباليوليتي الأوسط

ج–الباليوليتي المتأخر : ج1–التقنية الصناعية

ج2–المظاهر الفنية

ج3–البيئة القفصية

2– العصر الحجري الحديث (النيوليتي)

ثانيا– عصر المعادن أو فجر التاريخ

1– أنواع البازينات

2–الأثاث الجنائزي

3–طرق الدفن

ثالثا–العهد القرطاجي

1–السيطرة القرطاجية على المدينة

2– التأثير الحضاري القرطاجي

رابعا– العهد النوميدي

أولا- من العصر الحجري القديم (الباليوليتي) إلى العصر الحجري الحديث(النيوليتي):

1-العصر الباليوليتي:

أ – الباليوليتي الأسفل:

يعد أقدم و أطول مرحلة للصناعة الحجرية عرفها الإنسان حيث اتجه فيها إلى تشكيل أولى أدواته الحجرية مستفيدا من ملائمة العوامل المناخية التي تمثلت في العصور المطيرة المعروفة بالتنسيفية و العامرية و تقابلها الفترة ما بين الجليدية مندل و ريس. وتنحصر أوجه الإنتاج الحضاري خلال هذه المرحلة في صناعتين أساسيتين هما الشيلية و الأشولية، و هما تضمان مختلف الأدوات الباليوليتية التي وجدت إما في الطمي أو المغارات أو في غيرها من المواقع.[1]

هذا على العموم، أما بمدينة تبسة وضاحيتها القريبة فليس لدينا الكثير من المواقع أو المخلفات المهمة عن هذه المرحلة باستثناء بعض الأماكن التي وجدت بها أدوات تنتمي لصناعة النواة كالشيلية-الأشولية و الكلاكتونية ذات تقنية موستيرية تميزها الفؤوس اليدوية الكبيرة الجوزية الشكل ذات الوجهين التي عثر عليها بالماء الأبيض[2]، و المثلثات و الفؤوس الصغيرة ، علاوة على الصناعة الشظوية التي تتألف من المكاشط و المحكات[3]. و رغم التنوع في الأدوات تبقى سمتها البارزة الفؤوس اليدوية التي جاء ظهورها نتيجة تطور الصناعة الحصوية .[4]

ومن جملة المواقع المكتشفة بالمدينة وجوارها نذكر واحدا على بعد 50 متر من البرج المائي للمدينة، والثاني على بعد 400متر من المدينة على الطريق نحو رفانة. و بعين العنبة و عين الذيبة و عين الملاح و عين المزوي و هنشير ببوش وكوشادة ، وهضبة دير التي وجدت بها شظايا مشذبة على الوجهين[5]، تميزه الصناعة الأشولية التي تتواجد في عدة مواقع منها العوينات بشمال تبسة و بالماء الأبيض جنوبها الذي اكتشفه "دوبروج"[6]. ثم عثر موريس ريقاس لاحقا به على عشرة آلاف أداة بيفاسية من الصوان ذات حواف دقيقة تنتمي للأشولي الأعلى أو النهائي الذي تميزه الفؤوس اليدوية المتطورة ، ترافقها شظايا و مثاقب ذات تقنية غير موستيرية.هذه الأدوات وجدت بين الحصى النهري[7]. و تعد الأدوات الأشولية في موقع الماء الأبيض حسب

---

[1] Morgan .J, L'évolution de l'humanité. L'humanité préhistorique, Paris,1924, p46.
[2] Sauter. M,La préhistoire de la méditerranée, Payot, Paris, 1948,p104.
[3] Reygasse. M, Latapie , Découvertes préhistoriques dans le cercle de Tébessa, R.S.A.C,45, 1911, p 353-354.
[4] سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1990، ص 97-98.
[5] Debruge.A, Stations préhistoriques des environs de Tébessa, R.S.A.C, 43,1909,p225-232.
[6] Pallary .P, Le Préhistoire dans la région de Tébessa, M.E.F.R, XXII,1911, p560,563.
[7] Alimen .A, Préhistoire de l'Afrique, Edition Boubée ,Paris ,1955, p55.

"بالاري" أرقى ما وصلت إليه تلك الصناعة من حيث التقنية الصناعية[1]، حيث تظهر مورفولوجية الأدوات بداية انتقال تدريجي لكن محسوس من الصناعة الأشولية إلى الموستيرية .[2]

من جهته كان الباحث" لودي" قد قام قبل ذلك في نهاية سنة1894 بجولة ميدانية في المدينة وحول السور البيزنطي و في حديقة الكنيسة الكبرى و حي الخيالة الفرنسي و باب قسنطينة وصولا إلى رفانة وفج تنولكة مكنته من التعرف و جمع مئات القطع الصوانية الصغيرة التي تنتمي لهذا العصر ، قام بتصنيفها حسب استخداماتها وشكلها إلى فؤوس مستقيمة مشذبة بدقة بالغة ، و حزات و سكاكين طويلة و مقوسة ومناشير، ومكاشط كلها صغيرة الحجم ينتهي طرفها الأدنى بحافة حادة لأجل استخدامها في كشط الجلود. إلى جانب المصاقل و القادحات التي استخدمها الإنسان الباليوليتي بتبسة في الحصول على الشظايا من الحصى الكبيرة تمهيدا لتحويلها إلى أدوات أخرى متعددة الاستخدامات.لكن ما استرعى انتباهه هو وجود نوع آخر من الصوان في هيئة شفرات صغيرة رقيقة مربعة لا يتجاوز طول ضلعها 2سم و جزئها العلوي مقسم إلى أربعة أقسام مثلثة الشكل، اعتبرها نوعا من التمائم أو الزينة المعشقة في قطع خشبية[3].

ب–الباليوليتي الأوسط:

يمتد هذا العصر نظريا من حوالي 100ألف إلى 20ألف سنة قبل الميلاد و يتميز بالمرحلة المناخية المطيرة المعروفة بالسلطاني التي تقابل فترة جليد فورم. و يتميز هذا العصر بتبلور تقنية صناعية جديدة تماما تختلف عن تقنية الحصى المشذب ، وهي صناعة الأدوات الحجرية انطلاقا من الشظايا و ليس النواة.[4]

وشهد هذا العصر ظهور و انتشار صناعتين حجريتين هما الموستيرية و العاترية. و بالنسبة لمدينة تبسة و منطقتها القريبة لا تتوفر الكثير من المعطيات حولهما، إذ جلها يقع على مسافة بعيدة منها. و يمكن فقط أن نستثني هنا موقعي الماء الأبيض الذي عثر فيه على فأس مذنبة أو ذات العنق العاترية مصنوعة بتقنية عالية جدا

لا تختلف عن نظيراتها المكتشفة في موقع بئر العاتر النموذجي و غيره. و اعتبر أحد الباحثين وجود هذه الأداة المنتمية للعاترية العليا في هذا الموقع دليلا على تأثير مبكر و مباشر للتقنية الصناعية العاترية على الصناعة القفصية.[5]

---

[1] Pallary .P, Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest de l’Afrique, Paris,1909,p41.

[2] Reygasse. M, Etude de palethnologie Maghrébine, R.S.A.C,52,1919-20,p531.

[3] Duprat.Ch, L’âge de pierre,loc.cit,p545-548.

[4] رشيد الناضوري ، المغرب الكبير : العصور القديمة .أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية ، المجلد الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 53.

[5] Le Dû. R,Station atérienne, loc.cit,p214-215.PL X.n°45.



خريطة رقم 04: مواقع ماقبل التاريخ بنواحي تبسة

المرجع : Vaufrey. R, La préhistoire de l’Afrique, op.cit,p394.

(بتصرف الطالب)

أما الموقع الثاني فهو الأكثر أهمية من الناحية الصناعية، وهو موقع عين منصورة الذي يقع على مسافة 36كلم جنوب شرق تبسة، وقد وقع اكتشافه على يد موريس ريغاس في سنة 1919 و نشر عنه دراسة موجزة في المجلة الأثرية لقسنطينة سنة 1920. و تكمن أهميته في أنه كشف القناع عن حضور فعلي و قوي للصناعة العاترية في جوار تبسة بخلاف ما كان معتقدا. إذ كشفت حفريات موريل في سنتي 1938 و1953عن تتابع طبقي تظهر فيه الأدوات العاترية على عمق مترين تحت الحلزونيات القفصية التي تهيمن على السطح.[1]

و لقد توصل من خلال الدراسة التقنية و التنميطية للأدوات العاترية لعين منصورة إلى أنها مصنوعة في أغلبها من حجر الصوان النصف شفاف(6% من الأدوات) و الأصفر و البني القاتم و يظهر عليها التأثير الموستيري،كما و أنها لا تخرج عن التصنيف العام المعروف لهذه الصناعة، حيث ينتمي معظمها إلى نمط كينا ومصنوعة وفق تقنية التقطيع و التشذيب لوفالوا. و هي مؤلفة بنسبة 81.75% من الشظايا منها 18% عبارة عن نصال أو شفرات و نصيلات. ويظهر التشذيب على حوافها لاسيما في الفؤوس البيفاسية بشكل جلي إذ تهيمن الزنجرات على قسمها السفلي لاسيما في القطع ذات الشكل المنحرف.[2]

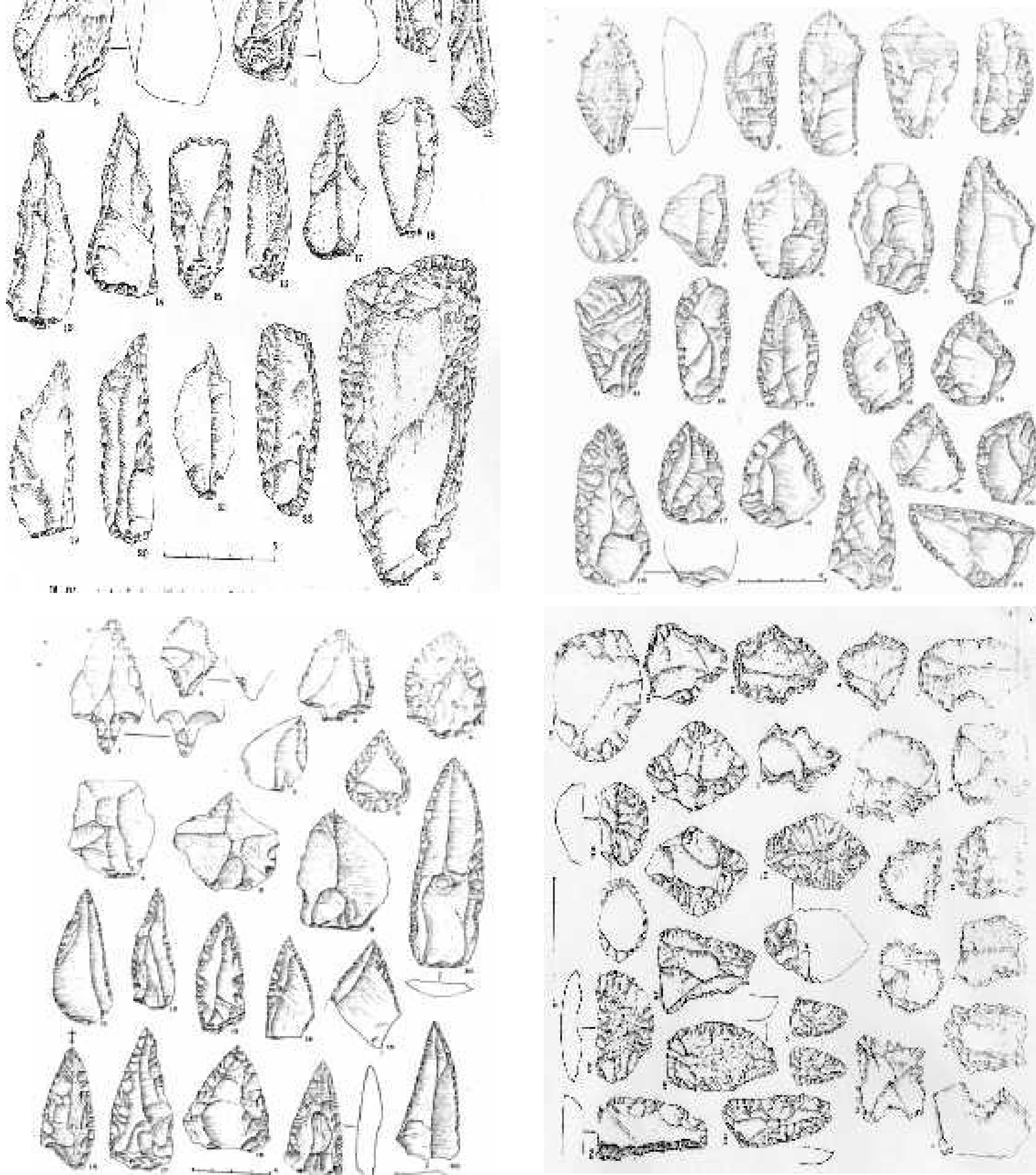
و علاوة على الأدوات السابقة أفرز التنقيب عن أنواع أخرى منها على سبيل المثال المكاشط (509قطعة أي 41.78%من مجموع الأدوات)، الأسطوانات، المثاقب، المحتات، المسننات (304 قطعةأي 25%)ذات الشكل المثمن و الورقي و الحافة غير المستوية،و الحزات الصغيرة و المتوسطة.و بعضها الآخر تعد خاصية مميزة للعاترية و هي الأدوات ذات العنق و إن كان عددها ضئيلا مقارنة بالمجموع العام للأدوات. كما نسجل حضورا معتبرا للأدوات المصنوعة من النواة(166) مثل الفؤوس اليدوية، و بعض القادحات البيضوية الشكل. وكخلاصة عامة توصل موريل إلى أن موقع عين المنصورة عاتري تماما في تقنيته الصناعية، حيث تغيب عنه الحصى المشذبة و البيفاسيات ويشتمل على نسبة كبيرة من الأدوات المتقنة الصنع و بمهارة عالية في فصل الشظايا و تشذيبها، مع وفرة في الفؤوس الممددة ذات التقنية الموستيرية[3].

ج-الباليوليتي المتأخر:

يعد هذا العصر آخر مرحلة من العصر الحجري القديم في بلاد المغرب القديم و يقابله في أوربا العصر الحجري القديم الأعلى[4]، وقد وقع الإشكال طويلا بين الباحثين حول التسمية الصحيحة لهذا العصر. فهناك من يسميه

[1] Morel.J, L'industrie Atérienne de l'Ain Mansoura. Région de Tébessa (Est algérien),Libyca. A-P-E,XXV,1977,p9.
[2] Ibid.,p17.
[3] Ibid.,p18-25.
[4] Vaufrey .R, Préhistoire de l'Afrique. Tome II, au Nord e à l'Est de la grande forêt, Paris, 1919,p 447.

بهذه التسمية الأخيرة إتباعا للتقسيم العالمي للعصور الحجرية[1]، أما غيرهما فقد راعى خصائصه المحلية ببلاد المغرب لا سيما على المستوى الصناعي وخصوصا الصناعة العظمية التي لا توجد مثيلاتها في صناعات الباليوليتي الأعلى الأوربية ، فأطلق عليه تسمية ما بعد الباليوليتي أو العصر الحجري القديم المتأخر.[2]



شكل رقم01: موقع عين منصورة .أدوات عاترية .Morel.J,L'industrie Atérienne,p12-18.

[1]بيومي محمد مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،1990، ص32.؛ الناضوري رشيد، المرجع السابق ، ص106.

[2]سحنوني محمد، المرجع السابق، ص116.

وتميزه عدد من الصناعات الحجرية المهمة التي عرفت تطورا كبيرا في تقنياتها الصناعية و تنوعا في أدواتها إلى درجة أنها خلفت لنا عددا لا يستهان به من الصناعات الجهوية في نطاق جغرافي ضيق. غير أنه بالنسبة لمدينة تبسة لم تعرف سوى صناعة أو بالأحرى حضارة واحدة و هي القفصية التي تشكل المدينة و ناحيتها قلب المنطقة التي ظهرت بها ثم انتشرت منها، إلى جانب منطقة قفصة بتونس.

ج1-التقنية الصناعية:

لقد استمرت الصناعة القفصية لما يقرب من3000سنة من حوالي 7350 إلى 4390 سنة ق.م[1]، و خضعت لتقسيمات عديدة آخرها لفوفري سنة 1933[2]، و اعتمدت من قبل كل المختصين وشملت مرحلتين أساسيتين : القفصي النموذجي الذي ظهر أساسا في موقع قفصة- تبسة و تميزه الأدوات الحجرية الخشنة مثل المحتات و المحكات و النصيلات ذات الظهر و هي متنوعة تضم النصيلات ذات الظهر المستقيم و المقوسة و الحزات . ثم القفصي الأعلى الذي يتميز بصناعة حجرية دقيقة و صغيرة . و أهم المواقع القفصية في ناحية تبسة القريبة رفانة ، خنقة الموحاد، عين الدقارة[3]. و بخلاف الايبيرومغربيين لم يصنع القفصيون الكثير من الشفرات ، بل استخدموا النصال و الشظايا على نطاق واسع . و كانوا يشذبون تلك النصال باستخدام أداة عظمية يدخلونها بين النواة و القادح لتحديد مكان الضرب بدقة متناهية .[4]

كما يحتمل أنهم استعملوا أيضا عملية الفصل عن طريق الضغط و ليس الضرب بواسطة القادح ، وذلك باستخدام أداة طرفها السفلي مدبب يوضع على مكان الضغط ، وعن طريق استخدام قوة الصدر على اليدين تنفصل الشفرات المطلوبة. و لذا تتخذ النواة و الشفرات شكلا هرميا متناسقا ، أما تلك التي تؤخذ منها الشظايا فتكون أقل تناسقا. و هذه النصال و الشفرات تهيأ فيما بعد و تشذب لصنع أدوات أو أسلحة .[5]

وتعد الصناعة القفصية غنية بأدواتها الميكروليتية و الأسلحة و الأزاميل إلى جانب المحكات و المثاقب و المحتات، وكانت معظم أدواتها الحجرية تصنع من الصوان و العظمية من عظام الحيوانات . علاوة على المخارز صنعت حزات عظمية للصيد ، وتطورت أحجامها و أشكالها من الضخامة حتى اتخذت في النهاية أشكالا هندسية قزمية.[6]

[1] Vaufrey .R, op.cit,p49.
[2] Grébénart.D, Vues générales sur le peuplement capsien au nord des Némenchas :secteurs de Chéria,Téldjène et Ras el Euch, Libyca. A-P-E, XIX,1971, p175.
[3] Dastuge.J, Ain Dokkara,Ency.Berb,III,1986,p326.
[4] Brahimi .C, Préhistoire de l'Algérie, S.N.E.D, Alger,1981, p52-53.
[5] Ibid., p53.

[6] سحنوني محمد ، المرجع السابق، ص120-121.

من الناحية الصناعية نلاحظ على الصناعة القفصية بتبسة غلبة المحتات في القفصي النموذجي في مرحلته النهائية بنسبة 41.9% من مجموع الأدوات إلى جانب الحجرقزميات الهندسية و المحتات الصغيرة التي وصلت نسبتها حتى 13.9%[1].أما النصال ذات الظهر فلم تتجاوز 9.5% و الأدوات المسننة فترتفع نسبتها إلى 21.5%. ونسجل في موقعي القفصي الأعلى برليلاي و رفانة وفرة في المحتات و الأدوات الهندسية الشكل المتخذة كأسلحة.[2]

وخلال مرحلة القفصية النموذجية تتميز الصناعة العظمية بالندرة و قلة التنوع، لكن ما يميزها أكثر ظهور المخارز التي سيشكل تطورها إلى جانب المثاقب سمة بارزة للمرحلة القفصية العليا. وحتى هذه المرحلة لم تظهر بعد الإبر لكن نصادف تلك التي على هيئة ريشة بعين الدقارة. كما نجد بعض الحلي و التمائم المصنوعة من عظام طويلة مجوفة.[3]

وتعتبر صناعة القفصي الأعلى لموقع الماء الأبيض التي تعود لحوالي 5050سنة ق.م، و الذي تواكب المرحلة الأخيرة منه الصناعات الميزوليتية بأوربا التي تعود لما بعد العصر الجليدي فورم أحسن مثال عن التطور التقني الكبير الذي عرفته هذه الصناعة[4]. فالأدوات الحجرية القفصية فيه خاصة المثاقب ذات تقنية صناعية عالية عالية جدا إذ تتوفر على معظم خصائص التقنية القفصية التي يميزها عدد الأدوات الكبيرة لاسيما القطع المستقيمة و المقوسة المضروبة الظهر و الحزات.[5]

أما عن صناعته العظمية التي تعود حسب التحاليل المخبرية بالكربون المشع إلى ما بين 5050±110 ق.م و5330 ± 120ق.م فنلاحظ تنوعا كبيرا في أدواتها مع وجود حزات على امتداد أغلب العظام قد تكون ناتجة عن عملية فصل اللحم عنها تمهيدا لتهيئتها قبل استخدامها كأسلحة أو أدوات. و تتراوح هذه الأدوات ما بين الأدوات القاطعة كالخناجر و الحزات و الثاقبة كالمخارز و المثاقب إلى جانب المصاقل.[6]

من ناحية أخرى يكتسي موقع عين الخنقة الأقرب إلى تبسة و المنتمي هو الآخر للقفصي الأعلى أهمية أثرية بالغة ، وذلك لأنه احتوى على أدوات لا تدل فقط على قمة تطور القزميات الهندسية لاسيما منها المحتات المثلثة

---

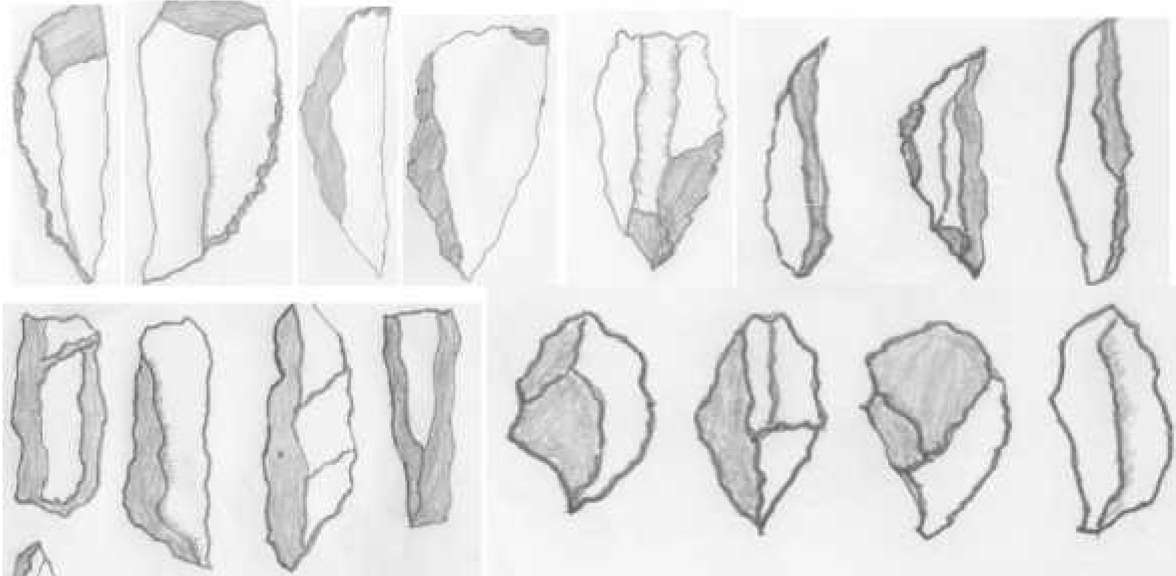
[1] Morel. J, L'industrie lithique,loc,cit, p344-358.
[2] Camps. G, Le capsien des régions de Tébessa et d' Ouled-Djellal, op.cit,p292.
[3] Camps-Fabrer.H, Matière et art mobilier dans la préhistoire Nord-Africaine et saharienne, Mémoire du C.R.A.P.E, Arts et métiers graphiques, Paris1966,p,105-151.
[4] Brahimi .C, op.cit, p 81.
[5] Brahimi .C, op.cit, p 55-56. ; Morel .J, L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod dans le Sud-Est Algérien sa compostion .Son évolution, L'Anthropologie,82,1978, p 336,359.
[6] Morel .J, L'industrie osseuse du Capsien supérieur de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod , loc.cit, p 181-185.

الشكل ، بل تضمن كذلك أدوات قزمية ذات أشكال جديدة لم تكن معروفة من قبل في مواقع قفصية أخرى . ليس هذا فحسب بل قدم أيضا أشباه منحرفات مطابقة تماما لتلك التي ظهرت خلال النيوليتي ذو التقليد القفصي.[1]

ج2–المظاهر الفنية:

لقد استخدم القفصيون مجموعة من الأشياء و الطرائق للتعبير عن اهتمامات فنية أو دينية منها الحجارة المنقوشة بخطوط و أشكال هندسية تتراوح ما بين الخطوط المنكسرة و المتقاطعة و المتوازية و المنحنية و الثلاثية تنفذ بواسطة الحز الغائر و التنقيط بواسطة محتة أو الطرق الخفيف باستخدام مثقب مدبب و حاد.[2]

كما عثر علاوة على ذلك على حجارة برمادية بذراع الماء الأبيض تتخذ هيئة آدمية أقرب إلى الشكل الأنثوي تدل ملامحها العامة على شبه كبير مع تماثيل الأمومة التي انتشرت في منطقة الشرق الأدنى القديم وكانت تجسد عقيدة الخصوبة لدى سكانها[3]. فهل يمكن اعتبار هذه الحجارة دليلا على عقيدة دينية ما أم مجرد تعابير فنية.



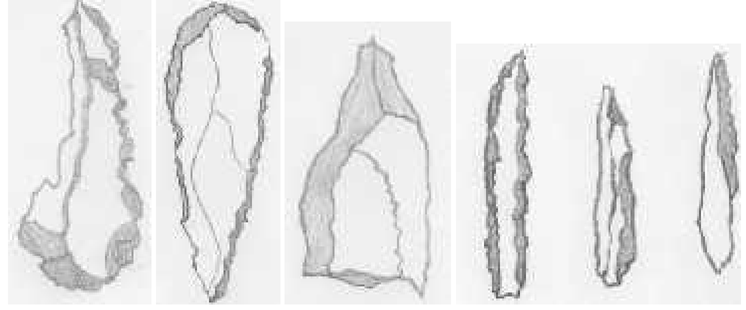
[1] Le Du .R, Quelques remarques sur le capsien supérieur de la région de Tébessa. La station D'Ain-Khanga, R.S.A.P.T,I,1936-37,p224,244-246,249.

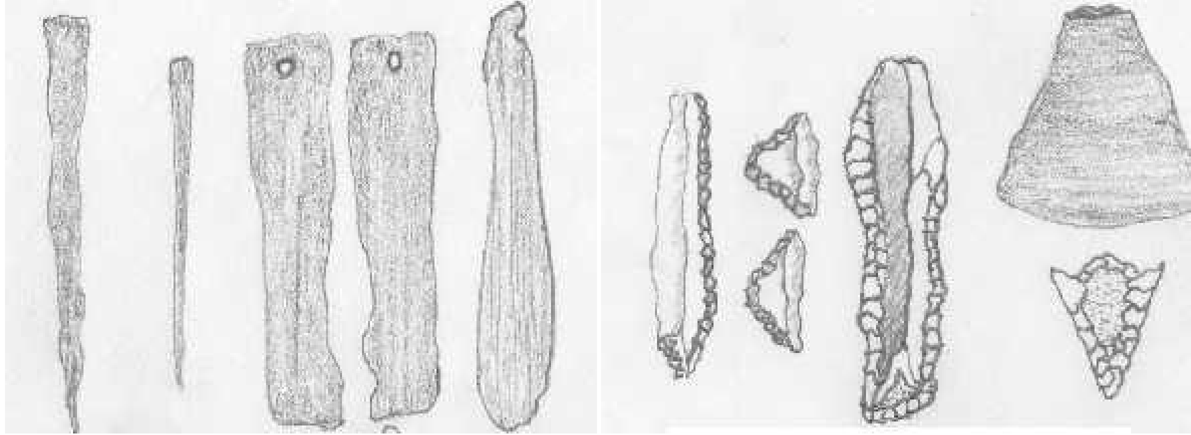
[2] Camps-Fabrer.H, Matière, op.cit,p210,212,224,226.

[3] Morel.J, Découverte d'une pierre à gorge dans une escargotière capsienne de la région de Tébessa, Libyca,A-P-E, XV,1967,p126-130.

أدوات صوانية (مكاشط ، حزات، محتات،نصال مصاقل وفؤوس يدوية ومستقيمة باليوليتية) :

Duprat.Ch ,L'âge de pierre à Tébessa,loc.cit,pl I.





رؤوس سهام و مكاشط ومحتات ذات الظهر قزمية قفصية **أدوات عظمية نيوليتية**

شكل رقم 02: أدوات حجرية وعظمية باليوليتية ، قفصية و نيوليتية متنوعة

المرجع:Camps-Fabrer.H, Damous El Ahmer,loc.cit,p2195-2197

(انجاز الطالب)

هذا و تعطينا القطعة الحجرية الكلسية المسطحة المكتشفة من قبل جان موريل بموقع خنقة الموحاد المنتمي للقفصي الأعلى فكرة أفضل عن هذا النوع من الحجارة التي عبر القفصيون في منطقة تبسة من خلالها عن الجانب الفني لديهم[1]. وتظهر عليها خطوط محفورة عميقا وتغطيها المغرة الحمراء و الرماد على وجهيها[2].و هي علاوة على احتوائها أشكالا هندسية متنوعة ، تتضمن كذلك خطوطا يفضي التمعن فيها إلى الجزم بأنها

[1] Aumassip.G, L'Algérie des premiers hommes,Editions Ibis Press,Paris,2001,p120.
[2] Inizan . M-L, Outils lithiques Capsiens ocrés, L'Anthropologie, 80,1976,p44-48.

تشكلات حيوانية قد تعد من أولى المحاولات لرسم الحيوانات[1]. وقد عثر على عدد كبير منها في مواقع الماء الأبيض و خنقة الموحاد و واد سماعة عليها حزات و آثار المغرة الحمراء.[2]



صورة رقم01 : أدوات حجرية باليوليتية (فؤوس يدوية كبيرة ونصال و مكاشط)

(تصوير الطالب)

ج3-البيئة القفصية:

تشير المعطيات النباتية القديمة في مواقع ذراع الماء البيض (5050±110 ق.م و5330 ± 120ق.م) و رليلاي (6900-5400ق.م)[3]، و عين الدقارة أو رمادية الثعلب (6500-5000ق.م)[4]، إلى بيئة رطبة و باردة عاش فيها قفصيو تبسة تنمو فيها أشجار المران و الصفصاف و البلوط و الأرز و الصنوبر البحري و الحلبي خلال مرحلة القفصي النموذجي[5]، حيث تشير الأبحاث الأحدث إلى أن نسبة التساقط بتبسة وناحيتها

[1] Camps-Fabrer.H, Figurations animales dans l'art mobilier préhistorique de l'Afrique du nord,Libyca.A-P-E,IX-X,1961-62,p107,109 ; Id., Matière,op.cit,p235,236.

[2] Morel.J, Pierres gravées , pierres incisées et palettes à ocre du capsien supérieur de la région de Tébessa,Libyca A-P-E,XX,1972,p169-177.

[3] Couvert .M,Variations paléoclimatiques en Algérie, traduction climatique des informations paléobotaniques fournies par les charbons des gisements préhistoriques, travaux de L.A.P.E.M.O,1973, p6 .

[4] Balout.L, Roubet .C, Datation radiométrique de l'Homme capsien de l'Ain Dokkara et de son gisement (« Escargotière du chacal »),région de Tébessa,Algérie), Libyca.A-P-E,XVIII,1970, p34. ; Aumassip.G,op.cit,p121.

[5] Renault –Miskorsky .J , L'environnement végétale des sites algériens .Données actuelles de la paléobotanique, l'Anthropologie, 89,1985,p308.

تجاوزت خلال هذه الألفية 520ملم(أعلى من المستوى الحالي ب 155ملم). و درجة الحرارة الشتوية الدنيا بلغت 4° مئوية (أي أعلى من المستوى الحالي ب1.4°م). ونتج ذلك تغطية مرتفعات جبل الدخان بغابات الأرز حتى ارتفاع 1600متر[1] . أما أثناء المرحلة القفصية العليا فقد اتجه المناخ نحو الجفاف و هو ما يتوافق مع العصر ما بعد الجليدي فورم بأوربا.[2]

لقد اشتهرت المواقع القفصية عالميا باسم الرماديات أو الحلزونيات نظرا للكمية المعتبرة للرماد ولقواقع الحلزون المكتشفة بها و التي كانت قوام غذاء القفصيين. و تتفاوت هذه الرماديات الاهليليجية الشكل في حجمها و مساحتها بحسب المدة التي استقرت بها تلك الأقوام و التي عادة ما تتجاوز مئات السنين حسب الكربون14. و تعد رماديات تبسة الأكبر مقارنة بتلك الموجودة بتونس أو بمناطق أخرى من الجزائر كالمشتى العربي وواد مدفون و مجاز2 وعين مليلة بمنطقة سطيف ، ويوضح الجدول التالي أبعاد أهمها[3]:

-جدول رقم 01 : أبعاد أهم رماديات منطقة تبسة:

الموقع	الطول الأقصى	العرض الأقصى	سمك التربة
عين الدقارة	50متر	25متر	1.10متر
الكيلومتر3200	150متر	/	20متر
عين رحيلان	100متر	70متر	2.50متر
بكارية	35متر	25متر25متر	/
رفانة	50متر	25متر	10متر
خنقة الموحاد	95متر	35متر	05متر

لقد شكلت قواقع الحلزون ما بين 35 و40% من المخلفات القفصية ، إذ نجد في كل 200م3 منها ما بين 75 إلى 80مليون قوقعة بموقع ذراع الماء الأبيض و هي حلزونية ذات أهمية أثرية متوسطة. أما برمادية خنقة الموحاد التي تعد أكبر وأكثر أهمية فنصادف في كل 3000م3 من 300إلى 320 مليون قوقعة. و رغم

[1] Aumassip.G,op.cit,p163. ;Santa. S, Essai de reconstitution des paysages végétaux quaternaires d'Afrique du nord, Libyca.A-P-E, VI-VII,1985-59,p43. ;Couvert. M, Traduction des éléments de la flore préhistorique en facteurs climatiques, Libyca, A-P-E,XXIV,1976, p10-12.

[2] Camps.G, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Doin, Paris,1974,p172.

[3] Camps.G, Les escargotières, Ency.Berb, XVIII,1997,p2686.

التباين النسبي بين هذه الأصناف الرخوية من موقع لآخر إلا أنها تعكس بيئة برية واحدة متشابهة عاشت في إطارها الأقوام القفصية بتبسة.[1]

كان الحلزون من نوع هليكس يعد طعاما صحيا بالنسبة لقفصيي نواحي تبسة رغم فقره من الدهنيات (0.8حتى 1%) لكنه غني جدا بالبروتيد (15% في المتوسط) و الأملاح المعدنية. و تبلغ متوسط سعراته الحرارية 90. أما عن كيفية استهلاكه فيبدو أن الحيوان بداخل القوقعة كان يصعب إخراجه و هو حي بدون كسر قوقعته، لكن الملاحظ أن هذه الأخيرة سليمة. لذلك من المحتمل أنه كان يغلى في الماء عوض شويه على النار، لأنه لم يعثر إلا على نسبة 3% من القواقع مفحمة في موقع ذراع الماء الأبيض من مجموع القواقع المستهلكة.[2]

و تجدر الإشارة إلى أن كل 120 حلزون كان يوفر طاقة قدرها 154سعرة حرارية لكل شخص و هو

دون المعدل الطبيعي البالغ 2750 حريرة للانسان البالغ مما أثر على صحة القفصيين وأفقدتهم المناعة ضد كثير من الأمراض لاسيما المفاصل و مرض اللثة حسب دراسة الهياكل العظمية[3]، التي نلاحظ من خلالها أيضا قلة الإصابات بالكسور مما يعد دليلا على حياة هادئة.[4]

ومثل سابقيهم من الأقوام الوهرانية (الايبيرومغربية)كانوا يقتاتون على مجموعة من النباتات والجذور أو التوت البري الصالح للأكل. كما كانوا أيضا صيادين يعيشون من خلال الصيد البحري أو القواقع البرية، وتكتمل قائمة غذائهم مع الأطعمة النباتية البرية. زيادة على ذلك كان القفصيون يستهلكون أيضا كطعام أساسي لحوم الحيوانات التي يقتلونها أثناء المطاردة كما يتضح من عظام عثر عليها في مواقعهم.[5]

من ناحية أخرى تشير البقايا العظمية للحيوانات إلى نسبة مرتفعة في استهلاك الطرائد مثل الظباء القديمة التي تمثل بقاياها في موقع الماء الأبيض مانسبته 69% من الطرائد الكبيرة و 43% من الطرائد المتوسطة. و بنفس الموقع لوحظ أنه من بين 53 سنا لبعض الحيوانات ، 41 منها لحيوانات صغيرة السن لا يتجاوز عمرها الثلاث سنوات. فهذا الاختيار لسن معينة للطرائد اعتبره البعض دليلا على استئناس مبكر لهذا النوع من الظباء. و ما يدعم هذا الرأي هو أن كل أجزاء الهيكل العظمي لها حاضرة بالموقع ما عدا الأضلاع و عظام الحوض ، مما يعني أن الحيوان الذي يتراوح وزنه ما بين 80 و120كلغ برمته قطعت أوصاله بعين المكان و أخذت منه أجزاء معينة

---

[1]Camps.G, Les civilisations, op.cit,p168.
[2] Camps.G, Morel. J, Alimentation ,Encyclopédie Berbère, IV, Paris,1987,p476-477.
[3] Chamla .M-C, Etude anthropologique de l'homme capsien de l'Ain Dokkara(Algérie orientale), Ency. Berb ,XXII,1973,p20-22.
[4] Morel .J, La faune de l'escargotière de Dra-Mta-el-Ma-el-Abiod(Sud-Algérien) , L'Anthropologie, Tome78,1974 ,n°2,p 314-316. ;Chamla .M-C, Anthropologie, Ency. Berb ,V, Paris,1988,p717.
[5] Brahimi.C, op.cit.,p58.

مفضلة لدى القفصيين إلى مقر سكناهم لتجنب نقله كلية مع بعد المسافة وثقل وزنه[1]. وقد فعلوا الأمر عينه مع الثور القديم و الحصان الموريطاني الذي وجدت عظامه بكثافة عالية في ذراع مواقع الماء الأبيض (7380ق.م) و خنقة الموحاد(7000 سنة ق.م) و رليلاي (من 7760 إلى 5810سنة ق.م).[2]

كان استهلاك اللحم يتم بعد طهيه و استنادا إلى نسبة العظام المتفحمة أو تلك التي تعرضت للنار لكن دون تفحمها و التي لا تتجاوز بالموقع 2.5% من مجموع العظام إلى جانب قشور بيض النعام غير المزخرفة التي لا تتعدى نسبتها 15إلى 20% ، يبدو أن هؤلاء القوم لم يستعملوا الطهي المباشر إلا نادرا و بلفح الجمر على قطع الطرائد بعظامها. هذه الأخيرة التي لا تظهر عليها آثار القطع بالحجارة الصوانية مما يدل على مهارة الصياد القفصي في فصل اللحم عنها. و فيما يخص الطرائد الصغيرة جدا على غرار السلاحف و الأرانب فقد كانت تغلى في الماء على ما نستنتجه من حالة بقاياها، وكانوا يكسرون العظام الطويلة لاستخراج النخاع.[3]

إن مجموع الموارد الغذائية المستخلصة من الحلزونات و الفقاريات لموقع الماء الأبيض توفر لنا ما مقداره 500ألف وجبة فردية من البروتيد و74500 وجبة سعرية. هذا التفاوت في الطاقة كان يستكمل بالطعام المأخوذ خارج المسكن و المكون من الحيوانات اللافقارية و النباتات. و بالنسبة للساكنة القفصية بهذا الموقع و غيره مثل الصيد على الأقل 5/6 من التزود باللحم الحيواني و السدس الباقي من لحم الحلزون.[4]

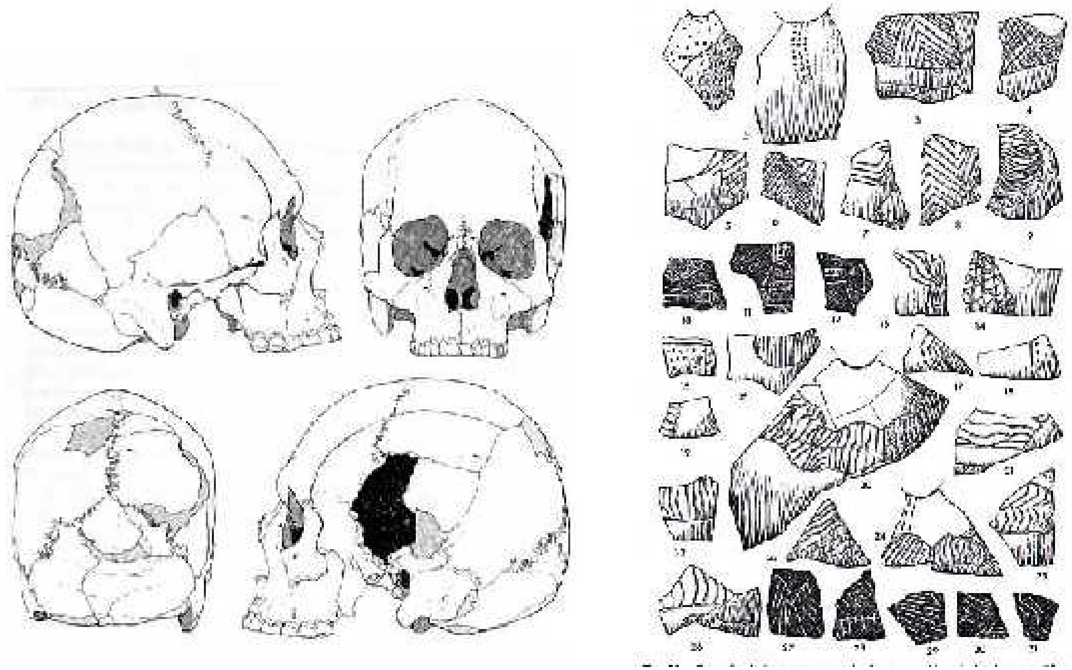
و بسبب عدم توصلهم للأواني الفخارية استخدموا أواني محفورة في الخشب أو مصنوعة من الجلد أو أعضاء الحيوانات أو أغصان نباتية. وكان الماء يسخن فيها بوضع حجارة ساخنة فيه. و من الغريب أنهم فضلوا هذه العملية الطويلة و الشاقة في إنضاج الطعام عوض الطريقة الأسرع و الأسهل و هي وضعه مباشرة على الجمر. هذا وتسمح مقارنة بقايا الطعام في عدد من المواقع القفصية مثل الداموس الأحمر وعين الدقارة مع غيرها أن القفصيين علاوة على كونهم صيادين مهرة في الغابات المحيطة بهذين الموقعين أو في السهول المجاورة، مارسوا تربية الماعز و الأغنام مساهمين بذلك في التأسيس لاقتصاد رعوي في الجبال المحيطة بمدينة تبسة.[5]

---

[1] Fadel .L, Considérations anthropologiques sur les Capsiens ,peuple épipaléolithique du Maghreb oriental, Islamic Culture Review,18,2013, p440.
[2] Camps .G, Quelques réflexions sur les représentations des Equidés dans l'art rupestre de l'Afrique du Nord –Africain et Saharien, Bulletin de la société préhistorique Française, 81,1984,p377.
[3] Camps. G, Morel .J, Alimentation , loc. cit, p477-478.
[4] Ibid., p479.
[5] Camps. G, Morel .J, Alimentation , loc. cit, p477, 479-480.

أما سكان ملجأ الداموس الأحمر فيبدو أنهم كانوا شبه رحل يملكون قطعانا صغيرة من الأغنام و الماعز المدجنة و عاشوا مثل البدو المجاورين بجبال الأوراس في الألف الرابع قبل الميلاد، مستقرين في ملاجئهم الصخرية طيلة أشهر الشتاء مقتاتين بعد تساقط أمطار الربيع على الرخويات الأرضية التي تمتلئ ببقاياها أرضية الملجأ.[1]

نخلص إذن مما سبق إلى أن القفصيين بتبسة على شاكلة غيرهم في المناطق الأخرى أسسوا اقتصادهم على استهلاك الحيوانات البرية و قطف الثمار أو جمعها وحتى أنواع معينة من البذور التي استطاعوا تدجينها كما يدل على ذلك الرحى التي وجدت بموقع خنقة الموحاد الذي يظهر أن سكانه استخدموها في طحن الحبوب البرية.[2]



شكل رقم03: قشور بيض النعام المزخرفة   شكل رقم 04: جمجمة إنسان عين الدقارة

-المرجع:

Camps. G, les civilisations, op.cit,p329;Chamla. M-C, Etude, loc.cit,p14 15,18.

وعلاوة على اللحوم الحيوانية التي وجدت بمواقعهم لم توفر سوى نسبة صغيرة من غذائهم، و لذا يمكن أن يكونوا في أغلبهم مستقرين ، وفرضت ضرورة الصيد و الالتقاط على قسم منهم تنقلات موسمية داخل إقليم لا نعلم يقينا حدوده .[3]

---

[1] Camps-Fabrer .H, Damous-el-Ahmar , Ency. Berb, XIV, Paris,1994,p2202.
[2] De Roch. S, Quelques remarques sur « un broyeur » de Khanguet El Mouhad,R.S.A.P.T,I,1963-37,p291-297.
[3] Camps.G, les civilisations, op.cit,p168.

2- العصر الحجري الحديث (النيوليتي) :

تتميز تبسة بعدد من المواقع المهمة التي تمثل العصر الحجري الحديث ، و هي كثيرة جدا يضيق المجال هنا عن التعرض إليها كلها. لذلك سوف نركز على عدد صغير منها مثل الرديف وغيرها أعطتنا صناعة حجرية و عظمية متنوعة و غنية ومتميزة تتمثل في المثاقب و الأزاميل و المحتات الصغيرة و القزمية. هذه الأدوات تظهر في مجموعها اتجاه الإنسان خلال هذه المرحلة إلى إضفاء طابع جمالي و دقيق على الأدوات الميكروليتية.[1]

و يسمح لنا الجدول التالي بمقارنة نسب الأدوات النيوليتية العظمية و أنواعها بين مواقع داموس الأحمر ، عين الدقارة، خنقة الموحاد و رفانة:[2]

-جدول رقم 02: نسب الأدوات العظمية في بعض مواقع نواحي تبسة :

الموقع / نوع الأدوات	داموس الأحمر	عين الدقارة	خنقة الموحاد	رفانة
المخارز	95	02	03	/
المثاقب	02	/	/	/
المناجل	08	/	/	/
المصاقل	/	/	10	/
الخناجر	04	/	/	/
المشابك	03	/	/	/

ويبدو أن إنسان العصر الحجري الحديث في نواحي تبسة قد توسع في استخدام العظام كمادة أولية لصناعة مختلف الأدوات و الأسلحة، سواء كانت تلك العظام حيوانية تعود لمختلف أنواع الحيوانات التي كان يقتات عليها مثل الطيور و الخيليات وآكلات اللحوم التي وجدت بقاياها بمعظم المواقع النيوليتية المكشوفة، أو في الملاجئ مثل داموس الأحمر الذي يمثل النيوليتي ذو التقليد القفصي، بكارية، و خنقة الموحاد. أو عظاما بشرية جرى تشذيبها من أجل استخدامات متعددة، إذ أن هذه العظام لاسيما الجماجم منها لم تكن موجهة فقط للجانب الطقسي

[1]Camps.G., Les phénomènes de néolithisation en méditerranée occidentale et dans le nord de l'Afrique, L.A.P.E.M.O,1971,p6.
[2] Camps-Fabrer.H, Matière,op.cit,p172.

التعبدي. بل صنعت من أجزاء منها أدوات و أسلحة، مثل تحويل شظية من عظم الفخذ عثر عليها سنة 1928 بخنقة الموحاد إلى خنجر.[1]

وتكثر بناحية المدينة المواقع القفصية التي تتضمن أدلة على الاستخدام الواسع لقشور بيض النعام في عملية الزينة مثل فج الكيفان و كهف داموس الأحمر وعين الدقارة و خنقة الموحاد[2]، إلى جانب موقع الماء الأبيض الذي قدم لنا لوحده مئات القطع المزينة بمختلف الخطوط والأشكال الهندسية[3]. و يبدو أن النساء القفصيات كن يلجأن إلى ثقب حبات البيض من أحد قطبيها بعد تحريكها بشدة لتمييع السائل الداخلي بغرض إخراجه بسرعة. و كن يستخدمنها كأوعية لجلب الماء بحكم وجود ثقب واحد فيها[4]. و قد عثر بالرديف و داموس الأحمر و عين دقارة و الكيلومتر 3200 على عدد من هذه البيوض الكاملة أو شقف منها مزينة بخطوط متوازية. و يمكن أنهم استخدموها كنوع من الكؤوس بعد قطعها إلى نصفين كما فعل الليبيون و القرطاجيون فيما بعد.[5]

زيادة على ذلك قدمت لنا المغارة النيوليتية للداموس الأحمر دليلا ملفتا للانتباه على تطوير سكان هذا الموقع لقدراتهم الفنية في الرسم و التعبير عن البيئة المحيطة بهم، حيث يظهر على حجارة مسطحة اهليليجية سمكها مابين 5.2 و 5.9 سم وطولها المتوسط 13سم و عرضها 10سم ، رسمان أحدهما واضح كل الوضوح لثعلب بكل تفاصيله الواقعية باستثناء طول الأذنين الزائد. وهو ما نعتبره البدايات الأولى للفن الصخري النيوليتي الذي ظهر على نطاق واسع بعد ذلك بالمنطقة.[6]

---

[1] Ibid., p35,37.
[2] Aumassip. G,op.cit,p 166-167.
[3] Morel.J, Les témoins des activités non immédiatement utilitaire dans le capsien supérieur de Dra –Mta-El-Ma-El-Abiod(Région de Tébessa-Algérie),Libyca,A-P-E,XXVI-XXVII,1978-79,p117-126.
[4] Camps-Fabrer.H, Note sur les techniques d'utilisation des coquilles d'œufs d'autriches dans quelques gisements capsiens et néolithiques d'Afrique du Nord, B.S.P.F, LIX,1962,p526.
[5] Id, Matière, op.cit,p308,p315-319.
[6] Vaufrey. R, Préhistoire, op.cit,pp309-310 ;Camps-Fabrer. H, Figurations, loc.cit,p 111,113.

ثانيا- عصر المعادن أو فجر التاريخ:

يتوسط فجر التاريخ أو عصر استخدام المعادن ببلاد المغرب القديم العصر النيوليتي و العصر التاريخي، وتبقى ملامح بدايته غير واضحة تماما بسبب إشكالية بداية استخدام المعدن بهذه المنطقة. غير أن ما هو مؤكد

و هو أن مخلفاته الأبرز في كامل المنطقة بما فيها تبسة وناحيتها هي بقايا المدافن التي تنتشر على نطاق واسع . و يمكن أن نضيف إليها السمات العامة لهذا العصر و هي قلة استخدام الحجارة ، الذي قابله توسع في استخدام العظام و بيض النعام و الصلصال[1]، مع توظيف على نطاق ضيق للخشب. و بشكل عام تميزت هذه الفترة ما بعد النيوليتية بتطور ملحوظ في الأدوات المستعملة وفي تزيين للأواني الفخارية.[2]

تتمثل المظاهر الحضارية في مرحلة فجر التاريخ بتبسة في ذلك العدد الكبير من المعالم المدفنية أو القبور المختلفة الأشكال التي اصطلح على تسميتها خطئا ومنذ وقت مبكر من قبل الباحثين الفرنسيين باسم المعالم السلتية. هذه المعالم التي لا شك في وظيفتها الجنائزية تعددت هندستها و اختلفت مخططاتها الخارجية وترتيباتها الداخلية، لكنها يجمعها قاسم مشترك هو وجود الغرفة الجنائزية في وسط المعلم بغض النظر عن وجود سرداب موصل إليها أم لا. غير أن مظهرها الخارجي هو الذي جعل الأثريين يقسمونها إلى الدولمينات أو القبور المنضدية أو القاعدية و البازينات و الحوانيت و التلال أو الجثوات Tumulus.

إن أهم المعالم الفجر-تاريخية بتبسة تتركز بالجبال المحيطة بها مثل جبل دير الذي نجد به عددا من المعالم المسماة سلتية كالدولمينات في مكان يدعى الرميلة [3] ، وجبل عصمور الذي احتوى عددا معتبرا من القبور المحفورة في الصخر المصطفة جنبا إلى جنب و الموجهة شرق -غرب و التي تراوح متوسط أبعادها ما بين 1.90 م و1.95م طولا و0.45م عرضا مع عمق لايتجاوز 0.30إلى 0.40م[4]. أما بجبل دير شمال المدينة فنصادف

---

[1]Camps- Fabrer H, Disparition de l'Autriche en Afrique du nord, C.R.A.P.E, Arts et métiers graphiques,Paris,1963,p 11-12 ;.Aumassip.G, Dégraissant dans la céramique néolithique, Libyca.A-P-E, XIV,1966,p269-270.

[2] Brahimi. C, op.cit, p83.

[3] Ferauld.Ch, Monuments dits celtiques de la province de Constantine, R.S.A.C, 65,1864, p120.

[4]Duprat .Ch, Tombeaux creusés dans le roc à Tébessa, R.S.A.C,26,1890-91,p280.

فنصادف تجمعا معتبرا لدولمينات من النوع البسيط الخالي من الغطاء الحجري أو الرواق في كل من الكاف الأبيض و هنشير كيسة. إلى جانب الحوانيت المحفورة في جدرانه الكلسية.[1]

إلى جانب بازينات جبل مستيري التي كانت محل العديد من الدراسات و الحفريات و الدراسات الميدانية بدءا من لوتورنو إلى ريبو و دوبوسريدون[2] ، وكارتون وانتهاء بدراسات أحدث. هذه المدافن التي بلغ عددها في القرن 19م حوالي 232 عبارة عن قباب مستديرة أو شبه مستديرة قد تبنى بالحجارة وحدها أو بالحجارة و الأتربة معا .أما من حيث التهيئة المعمارية فنجد السرداب و البلاطة و الغرفة الجنائزية[3] . و يمكن أن ينفذ إلى البازينة بواسطة فتحة صغيرة أو ممر يؤدي مباشرة إلى غرفة الدفن. و هناك عدة أنواع لهذه القبور و هي البازينات المقببة و ذات القاعدة الأسطوانية المتعددة القبور و قبور الشوشة.[4]

ويتضمن جبل مستيري عددا من الأضرحة البازينية ذات أنماط مختلفة منها ذات المدرجات و ذات القاعدة الدائرية و ذات الكوة و القمة المستطيلة و الغرفة الجنائزية المهيأة[5]. و تعد البازينة وهي كلمة بربرية و تعني الربوة الصغيرة هندسة محلية غير مستوردة وتنتشر خاصة على قمم الجبال في شكل خطوط طويلة مرئية عن بعد ، و هي في حد ذاتها لا تختلف كثيرا عن الجثوات من حيث الوظيفة فكلاهما قبر تدفن فيه الجثث وقد تكون بنيت في بعض الحالات الاستثنائية لمجرد تخليد ذكرى أحد المتوفين.[6]

فالبازينة ليست مجرد تكديس للحجارة و التراب و إنما هي عبارة عن هندسة لها قواعد معمارية أنجزت بكثير من التنضيد و العناية . فالتنضيد الدائري للحجارة نجده متماسكا و دقيقا رغم غياب مادة الملاط. و يمكن حصر بازينات جبل مستيري في النماذج التالية :

1- أنواع البازينات:

-جدول رقم 03: أنواع البازينات بجبل مستيري:

النوع	العدد
بازينة ذات مدرجات	139

[1]Briga.E, Djebel Dyr,Ency.Berb,XV,1995,p2353.
[2] De Bosredon.L, Notice, loc.cit,p70-76.
[3] Camps.G, Gastel,Ency.Berb,XIX,1997,p2979.
[4] Berthier .A, Les Bazinas de Tiddis, Libyca.A.P.E,IV,1e semestre,1956,p147.
[5]Le Dû. R, Les tombeaux ronds de Djebel Mistiri, IV congrés de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du Nord.Rabat 18-20 avril1938, Tome II, Alger, 1939, p568.

[6] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص 23..

بازينة ذات قاعدة دائرية	28
بازينة ذات كوة	01
بازينة ذات قمة مستطيلة	01
بازينة ذات سلم	02

أ – البازينة ذات المدرجات :

تعد قبورا ذات شكل دائري متميز، عادة ما تكون القاعدة محاطة بحجارة مسطحة رباعية الزوايا غبر مهيأة و منضدة فوق بعضها البعض بدون ملاط . هذه القبور عادة ما نجدها بمدرجين و حتى أربعة مدرجات لا أكثر. و معظم قبور جبل مستيري تعد بازينات ذات مدرجات تختلف فيما بينها من حيث عدد المدرجات . فمنها ذات مدرجين و ذات ثلاثة، و أخرى رباعية المدرجات.قطرها لايتعدى 15 مترا و يقدر عددها بحوالي 143 قبرا. و على قمة "ذراع المزارعة" توجد بازينة ذات مدرجين لا يمكن ملاحظتها إلا من جانب المنحدر. أما من الناحية المقابلة فالقبر تقريبا مساو لمستوى سطح الأرض. و هذا النوع من البناء يعد تقنية مازالت مستخدمة لحد الآن لتعديل نسبة الانحدار الذي يبنى عليه القبر. و الحالة العامة لهذا الأخير متضررة بسبب الطبقة الرسوبية الهشة المكونة لأرضية المنحدر و التي أدت لانهيار جزء من المدرج القاعدي بعد انزلاقها.[1]

أما عن مورفولوجية القبر، فالغرفة الجنائزية تقع وسط القبر و الولوج إليها يكون من الأعلى بعد رفع بلاطة كبيرة . و داخل الغرفة نجد أربعة جدران مبنية بقطع جيرية منضدة تعطينا في الأخير شكل صندوق مستطيل ليس له قاعدة مبلطة توجهيها جنوبي –شمالي .أما البنية الخارجية للقبر فنجدها مبنية بقطع حجرية مسطحة من الجير استخرجت من عين المكان، وهي بنية اللون تميل إلى الاصفرار توضع الواحدة فوق الأخرى أو تكون متداخلة فيما بينها بدون أي نوع من أنواع الملاط ، ومع هذا فهي جد متماسكة بفعل الثقل المحوري.[2]

و يبلغ القطر العام للقبر عند القاعدة 6أمتار و قطر ثاني مدرج 5أمتار ، و ارتفاع القبر 0.75متر . وعلى بعد بضعة أمتار نصادف بازينة أخرى ذات مدرجين يساوي قطرها 8أمتار و ارتفاعها الحالي (عام1994) 1.25متر. أما قطر المدرج الثاني فيبلغ 6.50متر ، وتوجيه الغرفة الجنائزية جنوبي-شرقي إلى شمالي-غربي، وهي مغطاة ببلاطتين ظاهرتين. و على نفس القمة تم العثور على بازينة ذات ثلاثة مدرجات مواصفاتها الهندسية شبيهة

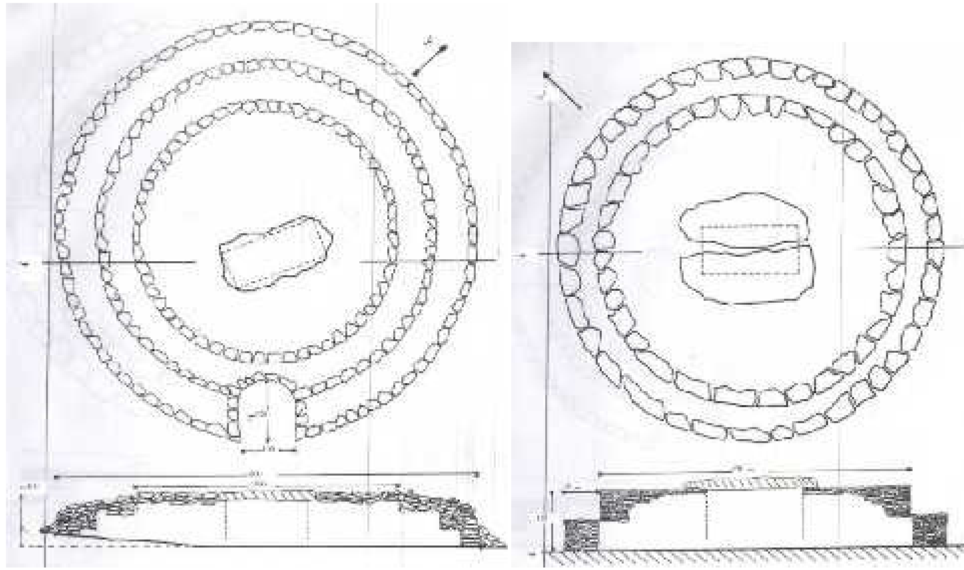
[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص 24-25.

[2] Le Du. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p577.

بالتي قبلها. فغرفتها الجنائزية وجهتها طوليا بحسب البلاطة الأحادية الحجر المستخدمة أصلا كغطاء للغرفة الجنائزية من الجنوب إلى الشمال.[1]

كما عثر على بازينة رابعة على امتداد القمة نحو الجنوب مكونة من أربعة مدرجات دائرية جد متضررة خاصة بمركز القبر أين يمكن ملاحظة آثار التنقيب العشوائي داخل الغرفة الجنائزية التي كانت تبدو عادية و صغيرة مقارنة مع حجم القبر كله. و كان توجيهها من الجنوب جنوب شرقي إلى الشمال شمال غربي. و يقدر قطر القبر ب12متر عند القاعدة، وعند ثاني مدرج 9.65متر و عند الثالث 7.15متر ، و يبلغ قطر القمة 5.15متر.[2]

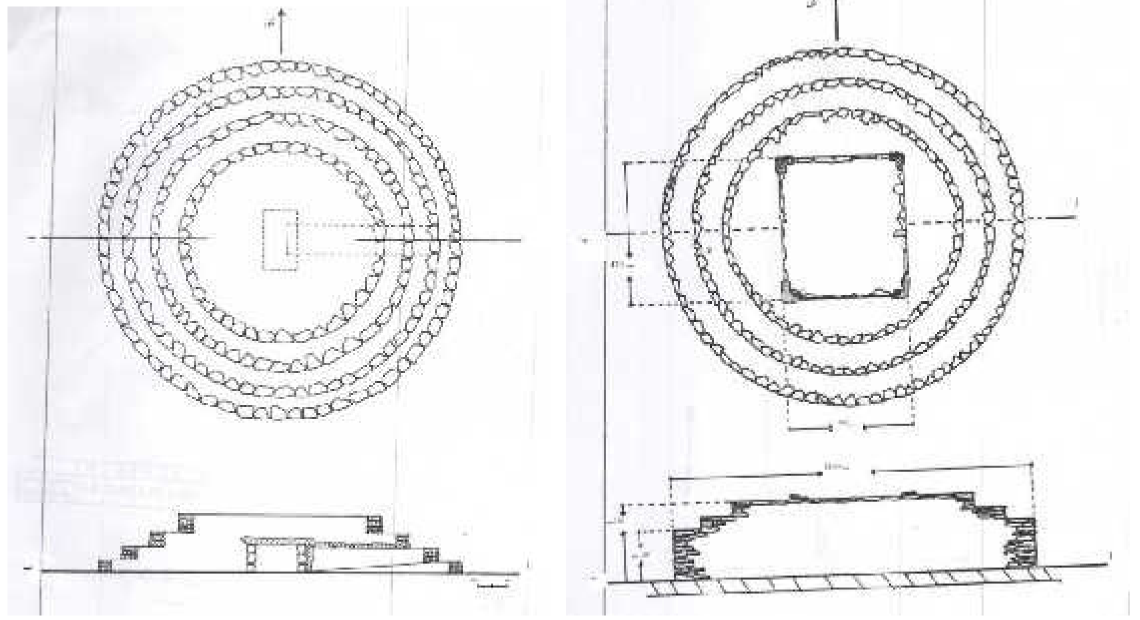
بازينات جبل مستيري



شكل رقم 05: بازينة ذات مدرجين ثنائية الحجر شكل رقم06: بازينة ذات كوة أحادية الحجر

[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص26..

[2] Le Dû. R, Les tombeaux ronds loc.cit, p573.



شكل رقم07: بازينة ذات مدرجين أحادية الحجر شكل رقم08: بازينة ذات أربعة مدرجات وسرداب

المرجع: إفراح محمد عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص66– 67.

وما يلفت النظر في قمة ذراع المزارعة هو ذلك القبر الأسطواني الذي يحتوي خندقين ، الأول موجه نحو الجنوب و الثاني نحو الشرق و الاثنان معا يتقاطعان وسط القبر مشكلين زاوية قائمة.هذه البازينة ذات المدرجات قطرها عند القاعدة يصل إلى 11متر و عرض الخندقين يبلغ 0.70متر تقريبا، وعلى جدرانهما لا توجد آثار النقر بالازميل أو الحفر. و القبر مبني بنفس المواد و الطريقة التي استعملت في القبور الأخرى، فالعناية المتبعة في تنضيد الألواح الجيرية لتشكيل الجدار الخارجي الدائري كانت شرطا من شروط بقاء هذه المعالم الأثرية. غير ان هذا القبر تعرض لعملية تنقيب منهجية و ذلك برفع الصخور ابتداء من القمة أفقيا و النزول كل 20سم لذلك لم نجد بقية المدرجات.[1]

ب- البازينة ذات القاعدة :

وهي قبر دائري الشكل به جدار واحد دائري ذو ارتفاع لايفوق قطر القبر، وهو مبني بواسطة قطع من الحجر الجيري رباعية الزوايا منضدة بعضها فوق بعض بدون ملاط. أعلى القبر يكون مخروطيا ، أما داخله فهو عادة ما يكون مملوءا بتكديس غير منتظم من الحجارة المخلوطة بالتراب. هذا النوع من القبور الدائرية الشكل تعد ثاني

[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص27.

صنف من البازينات التي يشملها جبل مستيري حيث كان يبلغ عددها حوالي 152[1] ،لم يتبقى منها سوى 28 بازينة ذات قاعدة أسطوانية وهي تتخلل مجموعات من القبور ذات مدرجات، أي أنها مختلطة ببعضها بشكل عشوائي دون أي تنظيم عددي أو نوعي، و أول واحدة منها توجد على قمة ذراع المزارعة.[2]

أما القبر فقد وجد مبنيا بواسطة ألواح جيرية منضدة بشكل محكم و دقيق و خالية من آثار النقر بالازميل مصدرها المقالع الطبيعية بعين المكان. مقاسات هذا القبر بلغت كالتالي: الارتفاع لايتعدى 1.35متر ، القطر عند القاعدة 6 أمتار. الغرفة الجنائزية غير ظاهرة و ذلك راجع لعدم وجود أي أثر يمكننا من تحديد موقعها و بالتالي توجيه القبر.[3]

و دائما على نفس القمة باتجاه الشمال توجد بازينة أخرى ذات قاعدة دائرية ، وشكلها من بعيد يوحي للناظر بأنها جثوة بسبب الحواف المنخفضة جدا إثر تفتت القطع الحجرية التي كانت تشكل محيط القاعدة.[4]
كما نجد ثلاث نتوءات في أعلى المعلم قد تكون مؤشرا على تواجد غرف جنائزية انهارت البلاطات التي تغطيها فتكونت من جراء ذلك تلك النتوءات. وقمة القبر مكسوة بحصى صغير ، أما قطر الهيكل عند القاعدة فيساوي 14.40متر و عليه يمكن القول بأنها أكبر بازينة ذات قاعدة دائرية في جبل مستيري. ارتفاعها يبلغ1.60متر لكن يفترض أنه كان أعلى من ذلك إذ من المحتمل أن يكون القبر قد تعرض لعملية تنقيب أفقي.[5]

ج- البازينة ذات الكوة :

تعد كغيرها من القبور الجنائزية لكنها تختلف عنها من حيث احتوائها على تجويف نصف دائري على مستوى القاعدة الدائرية للبازينة ذات المدرجات علما أن ذلك التجويف غير متصل بالغرفة الجنائزية للقبر. ويوجد بجبل مستيري عدة قبور ذات كوة ، لكن الملفت أن هندستها معقدة لوجود أسوار ساندة من جهة المنحدر.

و الكوة نجدها مهيأة في الناحية الجنوبية الغربية من القبر في محيط قاعدته، و حسب المعاينة فان الامتداد الأفقي أي التجويف يتخلل مدرجين .هذه الكوة لها شكل نصف دائري و هي مبنية بنفس الكيفية التي

بنيت بها مختلف أجزاء القبر ،كما أن أرضيتها غير مبلطة. و القبر ذو الكوة يبلغ هنا قطر قاعدته 8متر و قطر ثاني مدرج يساوي 6.50متر و قطر الثالث حوالي 5 أمتار.أما الارتفاع الكلي للقبر فهو يساوي حوالي 1متر.و

---

[1] Le Dû. R, Les tombeaux, loc.cit, p568.

[2] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص28.
[3] نفسه ، ص.28.

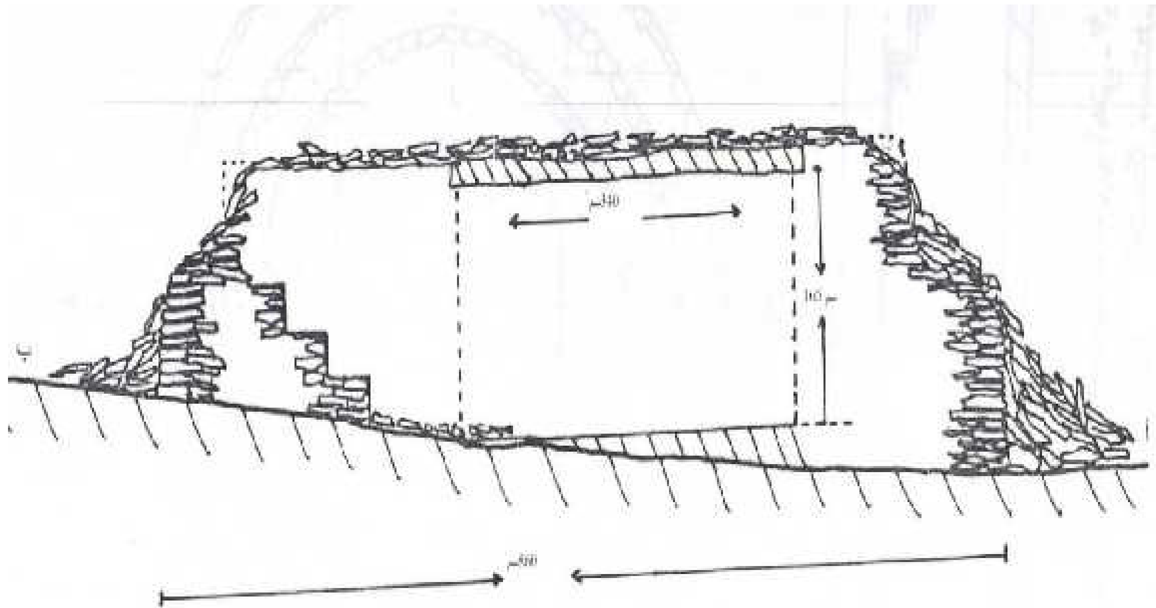
[4] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p570.

[5] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق، ص29.

فيما يخص عمق الكوة بحد ذاتها فقد بلغ 1.20متر و عرضها 1متر و ارتفاعها من الأرضية إلى أعلى حد 0.70متر.[1]

د-البازينة ذات القمة المستطيلة:

هي بازينة ذات مدرجات دائرية غير أنها أعلاها له شكل مستطيل غير بارز. ومن هذا النوع يوجد بالجبل قبر واحد دائري الشكل من ثلاث مدرجات عثر عليها على قمة ذراع المزارعة و هي معزولة عن بقية القبور[2]. وشكل القمة المستطيل غير البارز يوحي بأنه كان هناك مدرج مستطيل يعلو القبر. هذا الأخير يوجد في أعلى ثالث مدرج و يبلغ ارتفاعه من القاعدة 2.50م ، و قطره يقدر بحوالي 11.60 متر. إلا أن غير المعتاد هنا يتمثل في الارتفاع المفرط في المدرج القاعدي و الذي يعادل 1.60متر . وللإشارة فانه لا اثر لوجود بلاطة أو غرفة جنائزية ، وهذا ما طرح مشكلة توجيه القبر. أما تشييده فكان كالعادة بواسطة قطع حجرية جيرية منضدة بدون ملاط ، و القمة ليست مغطاة بحجارة مسطحة و إنما وجدت عليها قطع مهشمة من الحجر الجيري.[3]

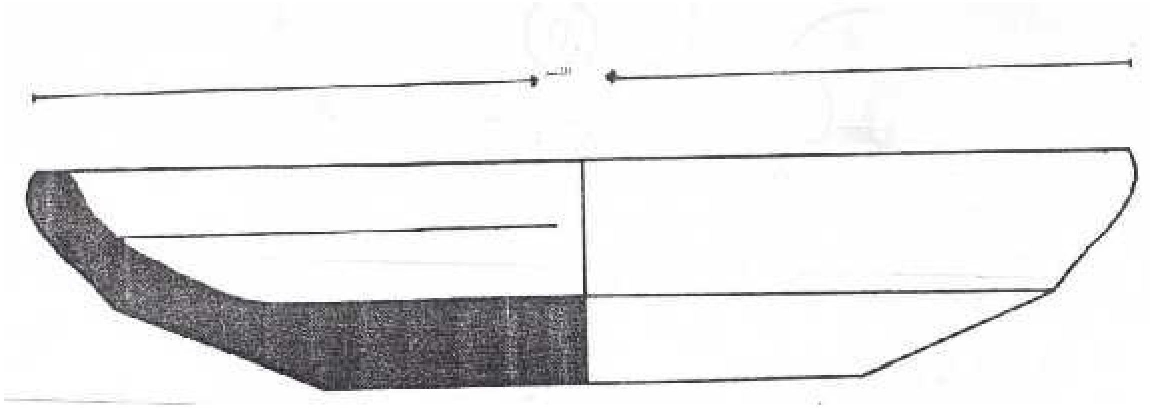


شكل رقم 09: بازينة ذات سلم . مقطع عمودي

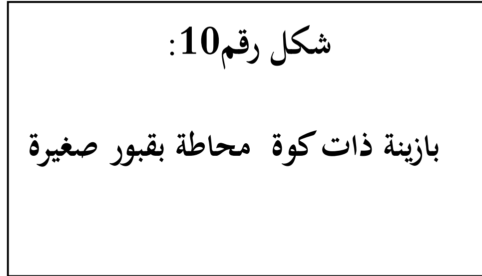
[1] نفسه ، ص30-31.

[2] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p568.

[3] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص32.

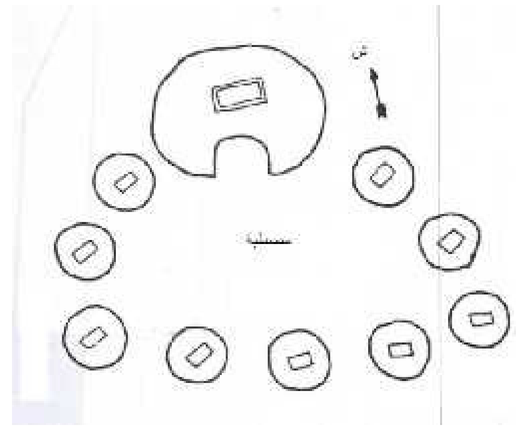


شكل رقم 13:صحن من الفخار الجنائزي



شكل رقم10:

بازينة ذات كوة محاطة بقبور صغيرة



المرجع: إفراح محمد عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص68– 69.

هـ- **البازينة ذات السلم :**

تعد البازينة ذات السلم كباقي البازينات ذات القاعدة الدائرية و المدرجات ، بيد أنها تختلف عنها في شكل الغرفة الجنائزية الواسع بالاضافة إلى السلم النازل من أعلى القبر إلى داخله. وسمح تتبع سلسلة القبور الموزعة على جبل مستيري بتحديد هذا الصنف الذي يطابق شكله الخارجي تماما الصنف الأول. فهو قبر ذو مدرجات ، لكن لم يعثر سوى على قبرين من هذه النوعية.[1]

و القبر بأكمله يقدر طوله بحوالي 8.60متر و ارتفاعه 2.20متر انطلاقا من القاعدة ، و هو كما سبق ذكره مطابق تماما للبازينة ذات المدرجات مع فارق مهم و هو شكل و طريقة تهيئة الغرفة الجنائزية.فبينما في الصنف الأول نجدها عبارة عن صندوق مستطيل مغطى من الأعلى بواسطة بلاطة أو بلاطتين . نجدها هذه المرة عبارة عن غرفة جنائزية بأتم معنى الكلمة يتم الولوج إلى داخلها بسهولة مواجهة بسبب اتساعها، و هي مغطاة

[1]إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص33.

بقطعة واحدة كبيرة جدا من الحجر الجيري. ويبلغ ارتفاع الغرفة الجنائزية 1.65متر و طولها 3.40متر و عرضها متر واحد. و هناك سلم ذو ثلاثة درجات يوصل إلى فتحة الغرفة الجنائزية، و يقدر معدل ارتفاع الدرجة الواحدة 30سم و عرضها 40سم و طولها متر واحد.[1]

توجيه الغرفة الجنائزية من الجنوب نحو الشمال و هي غير متمركزة بوسط القبر، و القطع الحجرية التي استعملت للبناء لونها فاتح جدا و هي أكثر خشونة من سابقاتها . و غير بعيد عن هذا القبر وجدت بازينة ثانية ذات سلم تحمل نفس مواصفات مثيلتها السابقة إلا أنها تعرضت لعملية تخريب مما جعل عملية تقدير عدد مدرجات السلم و قياس أبعاد الغرفة الجنائزية أمرا صعبا جدا نظرا لوجود ركام كبير يغطي المدخل جزئيا. لكن ظل ممكنا تحديد وجهة الغرفة الجنائزية التي كانت جنوبية-شمالية.[2]

إن وجود كل هذه البازينات مصطفة على خط واحد وتوزعها على القمم الصخرية و ذلك من الجانب الشرقي من القمة و هو الجانب الذي يطل على مدينة تبسة و ما يحاذيها لم يكن محض صدفة، لأن سائر المساحة المتبقية من القمة واسعة و عريضة بما فيه الكفاية .بيد أن مشيدي هذه القبور فضلوا البناء على الحافة المطلة ناحية الشرق مع أنهم كان بامكانهم تفادي عامل انزلاق التربة الذي قد يضر بمنجزاتهم الدينية هذه. و التفسير الأقرب هو أن أقوام نواحي تبسة لم تسكن بجانب قبورها بل كانت تعيش أسفل المرتفعات أي في السهول لكونهم قوما مزارعين و أوانيهم الفخارية تدل على ذلك. حيث فضلوا الأراضي المنبسطة كأفضل مكان لممارسة الزراعة حسبما دلت عليه معطيات الآثار في جبل تازبنت من بقايا نظام ري زراعي محكم وحواجز حجرية مدرجة لحماية التربة من الانجراف[3]. و من المحتمل أنهم كانوا يخافون موتاهم فأبعدوهم بإقامة قبورهم بأعلى المرتفعات. أو أن السبب يكمن في أن المادة الأولية للبناء و هي الحجر الجيري متوفرة بكثرة هناك.[4]

و يشعر الملاحظ لأول وهلة على قبور جبل مستيري و كأن تغاير أصناف البازينات عموما يعد أثرا لبصمات خلفت من طرف مجتمع بشري محدود في العدد و مدة الإقامة . زيادة على ذلك فهو مختلف في عاداته و تقاليده

---

[1] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p573.

[2] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص34.

[3] Desanges.J, Réflexions sur l'organisation de l'espace selon la latitude, p29-30. Dans Lepelley .C, Dupuis .X, Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord (Hommage a Pierre a Salama). *Actes de la table ronde réunie a Paris le 2 et 3 Mai 1997 par le Centre de recherches sur l'antiquité tardive et le moyen âge. Université de Paris- Nanterre et le réseau universitaire d'études Africaines*, Sorbonne, 1999.

[4] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص38.

أو أن الاختلاف و تنوع أصناف البازينات يعكس متطلبات وتطور الحياة الاجتماعية و الفكر البشري معا عبر فترات متباعدة. أو ببساطة جاء هذا التمايز في الأنواع مرآة عاكسة للمكانة الاجتماعية للميت في حياته ،بعبارة أخرى للتمييز بين السيد و العبد و الغني و الفقير. وهل يعني تعدد الأصناف في المقبرة الواحدة أن كل واحد منها يعد شكلا متطورا عن الصنف الآخر. من ناحية يعيق تخلل بازينة أو اثنتين ذات قاعدة دائرية لاصطفاف عدد معتبر من البازينات ذات مدرجات و هذا دون أي تنسيق نوعي مسبق الترتيب الكرونولوجي لها و افتراض أنها لأقوام مختلفة تتابعت على سكنى المنطقة.[1]

إن المقبرة الجنائزية لجبل مستيري اكتسبت خصائص بارزة لا يمكن أن يختلف فيها أحد . هذه الخصائص تتمثل في بناء القبر على قمم الجبال في شكل خطي على امتدادا شمالي جنبي مع اختيار الموقع بحكمة. هذا من جهة ، و من جهة أخرى اتخاذ جميع القبور شكلا دائريا ناهيك عن اتجاهها الجنوبي –شمالي على العموم. و بخلاف ما كان يعتقده علماء الآثار أول الأمر من أن توجبه القبر كان يخضع للعامل الديني حيث توجد الفتحة المخصصة لادخال الميت إليه في ناحية الشرق[2]، صار الآن متفقا عليه أنه لا علاقة للأمرين ببعضهما على الأقل بالنسبة لجبل مستيري حيث رأينا أن توجيه القبور لم يكن شرقي–غربي ،كما أنه لم يتوصل للآن إلى أية صلة بين شكل القبور الدائري و شكل الشمس. لذا فشكل هذه البازينات الدائري و المتكون من مدرجات ليست سوى طريقة وتقنية روعي فيها الجانب الهندسي، الأمر الذي يمنح القبر تماسكا أكثر.[3]

إن تعدد أصناف القبور البازينية بجبل مستيري اعتبره البعض دليلا على كون المنطقة ممرا لعبور هجرات الشعوب التي عاشت خلال فترات فجر التاريخ باتجاه الغرب مما جعل منطقة تبسة و بالتحديد موقع جبل مستيري محطة لعد مجموعات اثنية بمختلف عاداتها العقائدية. هذا ما يمكن استخلاصه من خلال عند تفحص القبور بالموقع و التركيز على الاختلافات في الزمر الصنفية ما عدا الصنف الغامر الذي سبق و أن قلنا أنه يمثل مخلفات الشعب الذي عمر بصفة مستمرة دائمة بالمنطقة ، أو على الأقل لفترة طويلة نسبيا . أما الأصناف التي اعتبرت و بكل تحفظ دخيلة على الموقع فنجدها لا تتعدى القبر الواحد من كل صنف، هذا بالنسبة للبازينة ذات الكوة و ذات القمة المستطيلة الشكل، و باستثناء البازينة ذات السلم النازل إلى الغرفة الجنائزية التي أعطانا منها الموقع نموذجين. و هذا النوع من التجهيزات الهندسية لوحظ في القبور التي تعود إلى العهد البوني.[4]

إن الشكل العام لهذين القبرين المميزين يوحي لنا بأنهما ليسا في الحقيقة سوى بازينة ذات مدرجات، أما التهيئة

---

[1]نفسه ، ص35.

[2] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p587.

[3]إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ، ص40.

[4] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p580 ;. إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص 44..

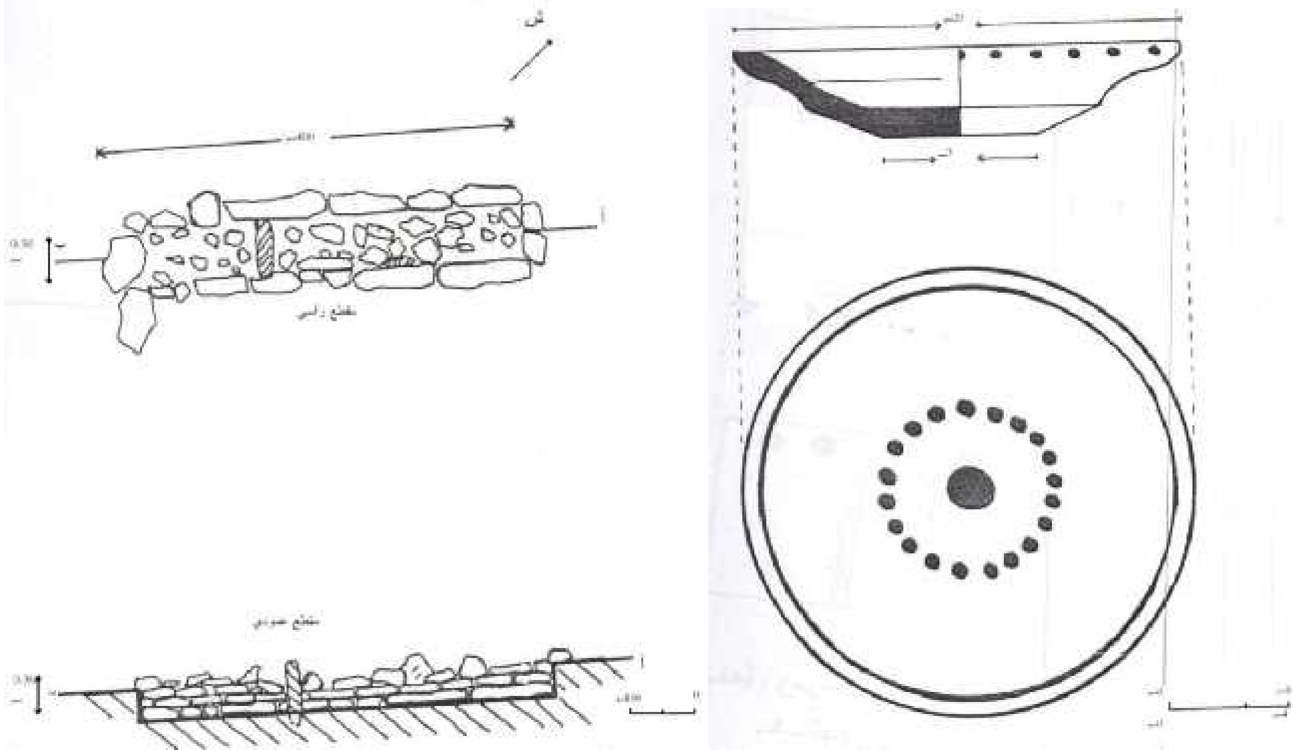
الداخلية التي كشفت عنها تنقيبات سابقة فتعد مخالفة لما عرفناه عن الغرف الجنائزية التي احتوتها البازينات ذات المدرجات. فهذه الأخيرة نجد غرفتها الجنائزية أقرب إلى الحفرة المستطيلة. غير أن ذات السلم بها غرفة بأتم معنى الكلمة، فهي واسعة و مرتفعة تكفي لاحتواء أربعة أشخاص في وضعية وقوف تام تقريبا نظرا لضعف ارتفاع السقف الذي لا يتجاوز 1.65متر. و قد يكون سبب وجود السلم استعماله لتسهيل عملية الدخول لعدة مرات لأن القبر كان يستعمل لعمليات دفن متتالية لشخصيات يبدو أنها كانت ذات مكانة اجتماعية مرموقة.[1]

2-الأثاث الجنائزي:

و فيما يخص الأثاث الجنائزي الذي وجد في هذه المقابر فهو يعكس معتقدات سكان المنطقة مثل غيرهم من شعوب شمال إفريقيا القديم التي آمنت بفكرة انتقال الميت من حياة الدنيا إلى حياة ثانية[2]، لذلك وجد في معظم المقابر الفجر- تاريخية أثاث جنائزي متنوع من فخار ذا أسلوب خاص[3]، و حلي وحتى بعض الأسلحة ، وهي أشياء تخص الميت و توضع معه خصيصا لتصحبه إلى عالمه الثاني أين يعتقد أنه بحاجة إلى استعمالها.[4]

إن أهم ما عثر عليه في هذه القبور الأواني الفخارية ، إذ خلافا للمقابر الميغاليتية مثل مقبرة قصطل و الركنية و سيقوس التي جدت بها كمية كبيرة من الأدوات الفخارية المتنوعة ، لم تعطنا مقبرة جبل مستيري رغم عدد القبور

[1] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p583.
[2] Ibid., p586.
[3] Briga.E, Fer, Ency.Berb, XVIII,1997,p2758.
[4] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص45.



شكل رقم 11:زخرفة خارجية و داخلية لصحن وجد بأحد المقابر شكل رقم 12: الملحقة الجنائزية

المرجع: إفراح محمد عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص70.

إن أهم ما عثر عليه في هذه القبور الأواني الفخارية، إذ خلافا للمقابر الميغاليتية مثل مقبرة قصطل و الركنية و سيقوس التي جدت بها كمية كبيرة من الأدوات الفخارية المنتوعة، لم تعطنا مقبرة جبل مستيري رغم عدد القبور الاجمالي المقدر ب179 قبر سوى ستة فقط من الأواني الفخارية و حتى غير الفخارية. وتتكون هذه المقتنيات من كوبين كبيرين أحدهما في حالة جيدة بحيث لم يفقد شيئا من بنيته ، و مزهرية في حالة جيدة بها مقبض على أحد جانبيها، هذه المعثورات لم تكن محل دراسة و تصنيف من مكتشفيها. و هناك ثلاثة صحون اثنان منها في حالة جيدة وواحد مكسور إلى قطع ، هذه الأخيرة كانت موضع اهتمام من قبل الباحثين لاتابي و لو دي اللذان صنفاها مع مجموعة الصحون المكتشفة بمقبرة قصطل بسبب تشابه المواصفات التقنية و أسلوب الزخرفة.[1]

أما عن الأشكال الفخارية المكتشفة فلا تسمح قلة العينات المتوفرة لحد الآن بتحديدها بشكل نهائي، لكن مجموعة الصحون المدروسة من قبل غابرييل كامبس تدلنا على شكلها من خلال الوصف و الدراسة المقطعية.[2]

---

[1] Camps.G, Corpus des poteries modelés, C.R.A.P.E, Paris, 1964,p51. ; إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص 45-46.

[2] Camps. G, Essai de cartographie culturelle ,à propos de la frontière de Numidie et de Maurétanie, p51. Dans Lepelley .C, Dupuis .X, Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord

و عموما يتسم فخار جبل مستيري بقاع مسطح و هو معمول بتقنية القولبة عن طريق وضع عدة حلقات من الصلصال الواحدة فوق الأخرى ، ثم تلصق في النهاية لتشكل الآنية. و الصحن الوحيد الذي وصلنا عنه وصف دقيق كان يتميز بشكل منساب، و في الأعلى تظهر عليه حافة داخلية. و يعرف هذا النوع من الصحون بمقطعه الجانبي المتطور. هذا الصحن كان يحمل أثرا لكسر قديم و يبلغ قطره 20سم و شكله يشبه القدح المفلطح ذو شكل انسيابي واسع الفوهة فخاره صلب نسبيا تم شويه في الفرن.[1]

إلى جانب هذا الصحن عثر ريموند لو دي Le Dû على ستة قطع من الفخار تعود إلى صحن آخر يشبه الأول لكنه غير كامل و جدت على تلك القطع آثار واضحة للحرق بالنار . إضافة إلى ذلك كانت تلك الشظايا تحمل على الوجه الخارجي طبقة من البرنيق الأحمر تلفت بمرور الزمن. هاتين الآنيتين كانتا تشكلان الأثاث الجنائزي لمكان حفظ عظام الموتى، و هي تحمل آثار التلف مما يدل على أنها استعملت لزمن طويلا مع العلم أنها قد وجدت موضوعة في مدخل الممر المغطى للبازينة الكبيرة.[2]

و فيما يخص الزخرفة التي عرفتها أواني مقبرة جبل مستيري فلا يعرف عنها الكثير و هذا للسبب السابق ذكره و هو ندرة الأواني الفخارية. فعلى الوجه الخارجي للصحن الذي وجده لودي نجد طبقة من البرنيق الأحمر الباهت الذي على امتداد حوافه يمكننا ملاحظة زخرفة جد بسيطة مشكلة من مجموعة نقاط متباعدة بدون تساوي من 1إلى 2سم[3] . و على كل نقطة نجد لقطات أو بقع من الطلاء الأسود اللامع . و داخل قاع القدح نجد شكلا يشبه الطوق قطره يبلغ 7 سم عليه عشرين نقطة . وواحدة أكبر منهم في المركز مثلها مثل زخرفة الحواف . نفس هذه الزخرفة بالنقاط المصبوغة بطلاء أسود نجدها على بعض الأواني الفخارية بمقبرة قصطل.[4]

وتعد محاولة دراسة أسلوب زخرفة الفخار الفجر تاريخي الذي يعود لمقبرة جبل مستيري عملية جد صعبة لكن رصد مبدئيا تشابه كبير مع الفخار البوني خاصة فيما يخص الأدوات المهداة للميت التي تشبه تماما الأواني المنزلية[5]. فالقليل من المحاولات يمكننا و صفها بالأعمال المبعثرة فهي غير مجمعة في وحدة متكاملة، و ذلك يعود إلى نقص المادة الأولية للدراسة. ولم يكن الأثاث الجنائزي مقتصرا فقط على الفخار بل وجدت أدوات خشبية

(Hommage a Pierre a Salama). *Actes de la table ronde réunie a Paris le 2 et 3 Mai 1997 par le Centre de recherches sur l'antiquité tardive et le moyen âge. Université de Paris- Nanterre et le réseau universitaire d'études Africaines*, Sorbonne, 1999.

[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص47.

[2] نفسه ،ص47

[3] Le Dû. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p584-585.

[4] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص47.

[5] Ghaki. M, op.cit, p39.

أخرى منها قضيب غليظ من خشب العرعار من بين عظام بشرية تم استخراجها من إحدى القبور الجنائزية[1] . ذلك القضيب كان يستخدم في تحريك باب سقف أو بلاطة الغرفة الجنائزية و لهذا أدرج ضمن الأدوات .[2]

و داخل نفس القبر دائما وجدت قطعة خشبية أخرى تحمل علامات التهيئة و بعد تنظيفها اتضح أن هذه القطعة عبارة عن أداة منزلية تمثلت في مشط من خشب السنديان أسنانه متآكلة جدا لم يبقى منها سوى بعض المليمترات و عددها 49 سنا. و الملاحظ هو أن الأدوات الخشبية تعتبر نادرة التواجد داخل القبور الجنائزية التي تعود إلى فترة فجر التاريخ ، إذ لم يعثر عليها حسب آخر الأبحاث إلا في مقبرتين إحداهما بجبل مستيري.[3]

من الناحية الكرونولوجية هناك صعوبات جمة في تحديد تاريخ دقيق لمعالم جبل مستيري الجنائزية، وذلك مرده إلى قلة المصادر التي تناولتها، زيادة على ذلك لم يتم إخضاع عينات الهياكل العظمية التي اكتشفت بها للدراسة و التحليلات العلمية المخبرية. و رغم التضارب الكبير في الآراء بين الباحثين حول هذه المسألة إلا أن هناك توافقا في الرأي على أن هذه المعالم و المجتمع المرتبط بها تعود لما بعد القرن الثالث قبل الميلاد استنادا إلى نوعية الفخار الموجود بها الذي يعد شبيها بذلك الذي عثر عليه بمقبرة قصطل و يعود لنفس الفترة.[4]

ويرى كامبص أن كل المعالم الميغاليتية بشمال افريقيا لاسيما المقابر منها تعود إلى نهاية عصر البرونز ، وتتركز في القسم الشرقي من الجزائر أين توجد بالمناطق الجبلية منه أضخم هذه المقابر و أكبرها مثل الركنية و قصطل وجبل مستيري. ليس هذا فحسب ولكن يعتقد أيضا أن هذه المعالم بما فيها الدولمينات لم تمنحنا إلى الآن أثاثا جنائزيا نيوليتيا ، وأنها لا يمكن أن تكون محلية بل شيدتها عناصر دخيلة على المنطقة تنتمي لثقافات حوض البحر الأبيض المتوسط.[5]

3- طرق الدفن:

أما عن طرق الدفن و الطقوس المصاحبة له فقد وجدت عدة هياكل عظمية مدفونة بطرق مختلفة كانت محل دراسة من قبل ريموند لو دي حيث عثر على أحدها تحت أحد القبور الصغيرة ، بالاضافة إلى جملة من العظام المبعثرة اصابها الضرر بفعل التعاملات الكيميائية و البكتيرية داخل أو تحت التربة وجدت داخل بازينة كبيرة ذات سرداب . كل هذه المعطيات و المؤشرات دفعت لودي إلى تقديم فرضية مفادها أن عظام الميت المجردة من

---

[1] Le Du. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p582.

[2] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص49.

[3] نفسه ،ص50.

[4] Le Du. R, Les tombeaux ronds, loc.cit, p586 ; إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص51.

[5] Camps. G, Les nécropoles mégalithiques de l'Afrique du Nord .Actes du 6e colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord Antique et Médiévale, Pau, Paris ,CTHS 1993, 1995,p18,25,27,30.

اللحم و التي وضعت داخل بازينات كبيرة و هي بمثابة ثاني مكان تحفظ فيه عظام الموتى قد جلبت من القبور الصغيرة و التي بدورها اتخذت كقبر مؤقت لا أكثر.[1]

و تدل بعض الفحوصات المخبرية على العظام التي وجدت بأحد القبور التي لم تتحول تماما إلى رماد على أن عملية التجريد من اللحم بواسطة الحرق بالنارCremationكانت شائعة لدى سكان هذه النواحي

حيث كانوا يتوقفون عن حرق الجثة حالا بعد زوال اللحم من دون إلحاق أي ضرر بالعظام .و بعضها لوحظ عليها الاحمرار وأخرى تشوهت بفعل الحرارة المرتفعة . و يؤكد دو بوسريدون بعد قيامه بعملية تنقيب على عمق 40سم في طبقة من التراب الغباري على عثوره على قطعة عظمية محفوظة جيدة تمثل الجمجمة و الفك العلوي لسحلية أ و لحيوان مماثل ، علاوة على بقايا فك بشري مرصع بأسنان ذات ميناء ناصع البياض. ووضعية الجثة لم تكن واضحة و ذلك كون العظام مكسورة و مختلطة ببعضها ، و مع ذلك كان بالإمكان الإشارة إلى وضعية الرأس أو الجمجمة التي كانت موضوعة في الجهة الشمالية من الغرفة الجنائزية.[2]

ويقر غزيل بأن وضعية العظام التي عثر عليها بداخل القبور التي تعود إلى فترة فجر التاريخ بشمال افريقيا عموما تدلنا على أنه مورست هناك عدة طقوس جنائزية ، تارة تجرد فيها الجثة من لحمها و ذلك بتركها عدة أيام داخل قبر مؤقت ، ثم توضع العظام سواء لشخص أو شخصين مختلطة في القبر النهائي. وتارة أخرى تجرد الجثة جزئيا من لحمها حتى لا تتفكك العظام ثم تدفن الهياكل العظمية في وضعية منطوية ، بحيث أن الركب تلامس الذقن، هذا من جهة.[3]

ومن جهة أخرى نجد قبورا تعود إلى فترة حديثة بالنسبة لغيرها من القبور المجاورة غرفها الجنائزية احتوت على هيكل عظمي واحد في وضعية ممددة على الظهر أو على الجانب ، هذه الوضعية في الدفن عرفتها مقبرة جبل مستيري و بالتالي نستطيع القول بأن المقبرة السابق ذكرها قد عرفت خاصية دفن تعد في حد ذاتها خاصية نادرة فهي أقرب إلى فترات عرفت ديانات سماوية كالنصرانية.[4]

و يرى كامبص Camps بأنه غير المعقول أن تكون تلك البازينات الصغيرة ذات المدرجات و التي لا تحتوي على غرف جنائزية و سرداب مجرد قبور أولية أو مؤقتة كما اعتقد لودي[5] . فهندسة المدرجات المعقدة وكذلك

---

[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص53.

[2] De Bosredon. L, Notice, loc.cit, p. 71.

[3] Gsell St., Les monuments antiques de l'Algérie,I, Fontemoing, Paris, 1901, p8.

[4] Camps G., Aux origines de la Berbérie. Monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1961, p 477.

[5] Le Dû. R, Les tombeaux, loc.cit, p583.

هيكلها الدقيق في البناء تعد دلائل تنافي الفكرة القائلة بأنها مجرد قبور مؤقتة رغم كل تلك البقايا العظمية المذكورة أعلاه و التي بدورها توحي بأنه دفنت على الأقل جثتان في قبر واحد . و المنطق يقول بأن أصحاب تلك القبور إذا ما أرادوا إقامة قبر خاص لمراسيم دفن مؤقتة كان أسهل عليهم أن يجعلوه بسيطا دون أن يتعبوا في جمع العدد الهائل من القطع الحجرية و تنضيدها في شكل مدرجات. بل كان من المعقول جدا أن يضعوا موتاهم في قبور جد بسيطة لتكون قبرا أوليا .[1]

زيادة على ذلك نجد أن كامبص يضيف بأن عملية التجريد من اللحم أو حرق الجثث جزئيا كالتي استطاع التعرف عليها من خلال طرق الدفن في مقبرة جبل مستيري سببها الوحيد يعود إلى ضرورة نقل جثث الموتى لمسافات معتبرة ، ومنه فضلت تلك الشعوب تجريد الجثث من اللحم حتى تصبح خفيفة الوزن و بالتالي سهلة النقل . و عليه ما لزوم بناء قبر مؤقت بعين المكان إلى جانب القبر النهائي، أي أنه ينفي فكرة و جود قبر مؤقت و آخر نهائي.[2]

إن ما يمكن استخلاصه من دراسة قبور جبل مستيري بالرغم من احتوائها على عدد متواضع من القبور هو تنوعها الملفت للنظر وهذا ما يعطيها أهمية و مكانة أثرية مرموقة. و هي تعكس تباين في عقائد الأقوام أو المجتمعات التي سكنت نواحي تبسة خلال فترة فجر التاريخ، يظهر ذلك على وجه الخصوص من خلال هندسة البناء المتباينة جدا و كذلك طرق وطقوس الدفن المصاحبة للجثة و التي لوحظ عليها بعض العناصر المستحدثة أو الدخيلة سواء من جهات محلية أو بلدان لا تتعدى القارة الإفريقية.[3]

و تعكس طرق الدفن على وجه خاص مثل عملية الحرق الجزئي و التجريد من اللحم عن طريق ترك الجثة تنحل طبيعيا طقسا معينا متبعا عند أجيال من أهل المنطقة، زد على ذلك أن هذا الموقع عرف وضعية دفن قلما نجدها في مقابر فجر التاريخ و تتمثل في التمدد الظهري أو الجانبي. و هندسة البازينة تعد تقنية متطورة ومعقدة البنية، مما جعل هذا الأسلوب المعماري يبقى معمولا به حتى في عصور لاحقة. كما يدل الفخار المعثور عليه بجبل مستيري بأن أسلوبه من حيث القولبة و الزخرفة يدل على أن أصحابه كانوا مزارعين و ليسوا قوما رحل. وكل الطقوس المتخذة اتجاه الأموات تكشف عن اعتقاد بحياة مادية ثانية، صاحبتها تهيئة مستمرة للقبور مما يوحي بتطور عبادة جنائزية نتيجة تغير عقائدي.[4]

---

[1] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ،ص57.

[2] Camps.G.,Aux origines de la Bérbérie .Massinissa ou le début de l'histoire, Libyca-Archéologie-Epigraphie, VIII,1960,p75.

[3] إفراح محمد عبر الرؤوف ، المرجع السابق ص61-62.

[4] نفسه، ص62.

إن مجموع المعطيات السابقة تسمح لنا في النهاية بالقول بأن ضواحي تبسة القريبة جدا منها كانت موطن استقرار قديم امتد خلال عصور ما قبل التاريخ دون انقطاع حتى بداية العصر التاريخي، و الأهم أنه يضعنا أمامنا صورة شعوب سكنت المناطق المحيطة بالمدينة من شمالها وجنوبها و مارست أشكالا عدة من الحياة الاقتصادية و خلفت لنا الآثار المادية و الفكرية لتفاعلها مع محيطها الطبيعي في شكل أدوات يدوية و طقسية وزينة و حلي و أسلحة و مدافن متنوعة تعود إلى القرون الثلاث الأخيرة قبل الميلاد .

ولاشك في أن هذا التطور الحضاري استمر في المراحل اللاحقة و تسارع بحكم وجود اتصال حضاري ولو غير مباشر بين هذه المناطق الليبية الداخلية و الدولة القرطاجية التي حلت بالمنطقة و ربطت صلات سياسية وتجارية حضارية بملوك البلاد منذ وقت مبكر جدا أفضى إلى امتداد السيطرة القرطاجية إليها لفترة سنحاول تحديد مداها في العنصر الموالي.

ثالثا-العهد القرطاجي :

1-السيطرة القرطاجية على المدينة:

تعتبر تبسة من بين المدن الليبية التي ظهرت مبكرا. فالأسطورة تتحدث عن تأسيسها على يد هراكليس أو ليبر. و ورد ذكرها في المصادر منذ القرن 7ق.م كملحقة لقرطاجة[1]. و المؤرخ ديودور الصقلي عند تعليقه على بعض أحداث الحرب البونية الأولى التي كان مسرحها شمال إفريقيا أشار إلى مجمع القدماء Presbyteroi أوالكبار الذي كان يحكم المدينة، ولا يستبعد أن ينطبق ذلك على مجلس الأعيان[2]. وخلال تاريخها الغامض تظهر لنا بعض المعطيات التاريخية عنها من خلال النصوص[3] . فقد أعطتها بعض المصادر في القرن الثالث قبل الميلاد و القرن الرابع الميلادي اسم هيكاتومفيلوس[4]. وهي تسمية قريبة الشبه باسم طيبة المصرية التي ذكرها هوميروس وتعني (المدينة ذات المئة باب). وأشارت إلى أن هذه المدينة الليبية الكبيرة قدمت 3000رهينة للشفط حانون في إطار حملة قادها في البلاد الليبية ضد الثوار المرتزقة الذين ثاروا ضد قرطاجة وقصدوا سيكا(الكاف)، وذلك بغية القضاء عليهم في تبسة. و رغم متاعبه العسكرية أخضع القائد القرطاجي حنون مدينة هيكاتومبفيلوس التي تحصن بها المرتزقة عام 247ق.م.[5]

و كان جيشه يعيش على موارد المناطق التي اكتسحها حفاظا على موارد الدولة القرطاجية .وقد سيطر بعد حصار على هيكاتومبفيلوس، وقبل توسلات كبار المدينة فلم يتعرض للسكان أو ممتلكاتهم واكتفى بأخذ رهائن .واعترافا بجميله قلده سكانها العديد من الأوسمة و التشاريف واستقبلوا بحفاوة جنوده في المدينة وأقاموا لهم عدة احتفالات ومآدب. وقد منحه احتلاله لتبسة شهرة كقائد عظيم، فنجده في هذه السنة حاكما للقسم الخاضع للقرطاجيين من البلاد النوميدية.[6]

---

[1]Talbi. A , Tébessa ,Encyclopédie de l'Islam, Tome 4,Nouvelle édition, Leader Brill,2000,p440.

[2] Diodore de Cicile, Fragments, XXIV,10,2 .Traduit en français par Monsieur l'Abbé Terrasson, Tome septième, Paris, 1744. ; محمد الصغير غانم،المرجع السابق،ص149.

[3]Migne, Patrologie latine ,XXVI, Venit Apud Editorem,Paris,1845,p335.:***"Thebes Liberi quas in Africa condidit quae civitas nune Thevestis dicitur".***

[4] Ammmianus Marcellinus, Histoire, XVII,IV,2.Tome2,(Livres XVII-XIX),Texte traduit et établit et annoté par Sabbah.G, Les Belles lettres, Paris,1970.

[5] De Roch, Tébessa, p10 ; De Pierre .M-C ,op.cit.,p2.

[6] Diodore de Cicile, Fragments,XXIV ,10,2 ;IV,18,1.; Ammianus Marcellinus, Histoire, XVII,IV,3. ; Gsell.St, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord(H.A.A.N),III, Hachette, Paris,1918, p92.

ويبدو أنه مارس هذه الوظيفة لسنوات عدة وكان شديد الوطأة على السكان. لذا فان معاملته الحسنة لسكان تبسة دونما داع يجبره على ذلك يمكن أن يكون يخفي وراءه حساسيات سياسية الغرض من ورائها استمالة سكان المدينة بتلك المعاملة واستدراجهم لقبول الحكم القرطاجي عليهم. وفي أحسن الأحوال منعهم من الانحياز إلى أعداء القرطاجيين أو مساندتهم.[1]

و بعد حرب المرتزقة وسع هاملكار البرقي حدود الدولة القرطاجية[2]، ثم أخضع صهره صدر بعل النوميديين وأجبرهم على دفع الجزية. ثم انتزع الملك غايا ملك الماصيل هذه الأراضي من القرطاجيين وأعادها إليهم صيفاكس ملك الماصيصيليين الذي انتزعها من هذا الأخير، وكانت مدينة تبسة من جملتها، فألحق سكانها الليبيين بالتراب القرطاجي[3]، واحتلال القرطاجيين للمدينة يحتمل أنه استمر لقرابة خمسون سنة.[4]

إن حصول القائد حنون على ثلاثة آلاف رهينة بعد الاستيلاء على تبسة وهو رقم كبير جدا يحمل على الاعتقاد بأن المدينة لم تكن ضمن أراضي الدولة القرطاجية. هذه الأخيرة التي كانت لديها القدرة على إخضاع رعاياها و إجبارهم على طاعتها. وإذا سلمنا بأن الثلاثة آلاف رهينة أخذت ليس فقط من سكان المدينة ولكن أيضا من المناطق المحيطة بها ،فانه لاشيء يحول دون هذا الرأي. ومهما كان ما اعتقده كاهرستد[5]، فان ما ذكره بولبيوس من أن القرطاجيين أخضعوا لسلطانهم منطقة تبسة بفضل حنون فان ذلك لايثبت بأنهم ألحقوها مباشرة بدولتهم.[6] وتساءل غزيل في هذا السياق حول ما إذا كانت الأراضي المحصورة بين هنشير تينة قرب صفاقس وتبسة التي غزاها حنون سنة 247ق.م قد خضعت لسيطرة القرطاجيين ، ولكم من الوقت.[7]

من جهته يرى موفير أنه بعد سيطرته على المدينة واحتلالها اكتفى حنون بالمطالبة بثلاثة آلاف رهينة من سكانها ، وعرفانا منها بتسامح القائد القرطاجي أهدت إليه المدينة ولجيشه عدة احتفالات. مما يوحي حسبه بأن مقاومة سكان المدينة للقرطاجيين كانت قصيرة جدا[8] .ولقد نبه المؤرخ ديودور الصقلي على ثراء المدينة الفاحش الفاحش وضخامة مواردها الذي جعل منها مدينة مهمة وعدد الرهائن الذين دفعتهم للقرطاجيين دليل على ذلك[9]،

[1] Gsell.St, H.A.A.N,III, p93.
[2] Cornelius Nepos ., Amilcar,II,5. La vie des hommes illustres. Texte établit et traduit par Paul Pedech, Dubochet, Paris,1850.
[3] Polybe,Histoires,I,73,1.; Cornelius Nepos., Amilcar,II,5.; Hub.W,Geschichte Der Karthager,Verlag, Munchen,1985,p71.
[4] Gsell.St, H.A.A.N,II,p96.
[5] Diesner. M-J , Kahrestat,Geschichte der Karthager von 218-146,Berlin,1913,p110.
[6] Gsell.St, H.A.A.N,II,p101.n°2et 3.
[7] Ibid, p98.
[8] Movers.F-K ,Die Phoenizers,II, Scientia Verlag Aalen ,Berlin, 1967,p519.
[9] Diodore de Cicile, Fragments,XXIV ,10,2.

وإذا افترضنا بأن كل رهينة أخذت من عائلة واحدة يكون عدد سكان المدينة خلال منتصف القرن الثالث قبل الميلاد خمسة عشر ألف نسمة على الأقل.

وإذا طابقنا هذا العدد على معطيات إحصائية اعتمدها كريستيان كورتوا لإحصاء عدد سكان بعض المدن الرومانية بافريقيا ، سيتبين لنا بأن تبسة في القرن الثالث ق.م كانت تمتد على مساحة ستون هكتارا.ويمكن مناقشة هذه الآراء بدءا بعدد الرهائن الذين أخذهم ليس فقط من المدينة ولكن أيضا من المنطقة المحيطة بها.ومع ذلك فنص ديودور الصقلي واضح في هذا الشأن إذ لم يرد فيه إلا ذكر المدينة وعرفان سكانها اتجاه حنون .ويمكن أن نفترض بأن هذا الأخير قد قام بتعبئة فعلية للسكان ،وأن الثلاثة آلاف رهينة كانت تمثل مجموع الرجال القادرين على حمل السلاح.[1]

إن ما يهمنا في نص ديودور الصقلي بالدرجة الأولى ليس عدد سكان المدينة الكبير الذي يسمح النص بافتراضه ولا امتدادها الواسع لكن وجودها نفسه وأهميتها في منطقة يسيطر عليها المزالمة و التي قال عنها المؤرخ تاكيتوس بعد ذلك أنها جرداء قاحلة وخالية من المدن .و لا ندري إن كان القرطاجيون قد سيطروا بشكل دائم على تبسة ،فديودوروس يذكر بأن حنون ترك للمدينة حريتها.وبعض الأدلة الأثرية تظهر بأن التأثير البونيقي بهذه المدينة كان كبيرا ومنذ عهود متقدمة .فالمقبرة الميغاليتية بقصطل الواقعة على بعد كيلومترات من شمال المدينة و التي كان الدفن لايزال مستمرا بها في بداية العهد الروماني ، زودتنا بنقود قرطاجية وبعض المزهريات ذات التأثير البوني .فالمزهريات القدرية لا يمكن الاقتناع أثريا بأنها ليبية صرفة .فزينة هذه المزهريات تختلف كلية عن تلك التي صنعها النوميديون بتيديس وتقترب كثيرا من النموذج البونيقي العائد إلى القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد.[2]

وهناك أدلة أخرى عن السيطرة القرطاجية نجدها في السفح الشمالي الشرقي لجبل أزمور غير بعيد عن المدينة قرب السور تتمثل في مقابر محفورة في الصخر ذات أصول بونيقية .وفي سرير أحد الوديان ببئر العاتر بجوار إحدى القرى عثر على قبور مماثلة لها جدا .فتاريخ المنطقة يلفه الغموض أثنا ء الحربين البونيقيتين الثانية والثالثة.لكن من المؤكد أنها كانت طرفا في هذه الأحداث بشكل أو بآخر ، ولاشك في أن جيوش الأطراف المتحاربة جابت هذه النواحي.و عرفت بعدها فترة حالكة خلال حكم الملوك النوميديين حيث كانت عرضة لغزوات عديدة للقبائل الجيتولية التي أعادتها إلى حالة من البدائية بفعل النهب و التخريب.[3]

و يظهر أن القرطاجيين فقدوا حتما سيطرتهم عليها في نهاية الحرب البونية الثانية لأن أهميتها الجغرافية و الطرق الطبيعية التي تلتقي عندها والتي تجعلها في اتصال مباشر مع السرت الصغير وسوسة و وسط تونس ومن

[1] Camps.G, Massinissa,loc.cit, p 42.
[2]Ibid., p 43. ; Id., Recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord, Libyca .Anthropologie-Préhistoire,-Ethnographie,Tome III, 1955,p384.
[3] De Roch. S ,Tébessa,op.cit,p11.

ورائها قرطاجة وصولا إلى مداوروش وكيرتا، كل ذلك يجعل التنافس عليها شديدا بين القوى المتصارعة على المنطقة و مواردها ، زيادة على ذلك فان تأسيسها قرب أحد العيون في سهل منبسط حولها منذ وقت مبكر إلى سوق مهمة.[1]

و نستشف من حديث ديودوروس عن احتلال المدينة من طرف حنون و ذكره بأن شيوخا أتوا حاملين أغصان الزيتون مترجين رحمة القرطاجيين [2] ، إن كان صحيحا بأنه منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كانت تبسة تتوفر على زراعة زيتون ليست من عمل القرطاجيين ولا الرومان.ولكن يمكن أن يكون هذا المؤرخ قد نقل عادة إغريقية إلى إفريقيا تتمثل في طلب الأمان مرفقة بتقديم كبش أو ثور كأضحية.[3]

وإذا كان هناك ليبيون مزارعون منتشرون في القسم الغربي من تونس وحول تبسة قبل القرن الخامس قبل الميلاد ، فيحق لنا أن نجزم بأن القرطاجيين لم يلعبوا أي دور في تكوين تلك المجتمعات الزراعية لأن الأرض القرطاجية كانت محدودة جدا خلال هذه الفترة.[4]

2-التأثير الحضاري القرطاجي:

لقد كانت هذه النواحي مأهولة بالسكان المزارعين المستقرين الذين توصلوا إلى تشييد المدن وكان لهم تنظيم اجتماعي. ومثال تبسة التي قدمت ذلك العدد من الرهائن للقرطاجيين يثبت بأن قدماء الأفارقة لم ينتظروا الرومان أو القرطاجيين لتشييد المدن. ولاشك في أن هذه المدن التي كانت على جانب من الأهمية كانت محمية جيدا طبيعيا وتنظيمها الذي يتطلب هيئة مشرفة و الحد الأدنى من التوجيه الإداري،كل ذلك يشير إلى مساهمة قرطاجية فيها. فهل كانت المنطقة قبل مجئ الفينيقيين كما يصورها عادة الباحثون بلا زراعة، ولاحد أدنى من المبادلات و لا يزال سكانها منهمكين في تشذيب الحجارة.[5]

إن خضوع مدينة تبسة لحكم الدولة القرطاجية واعتبارها جزءا من ممتلكاتها و لو لفترة وجيزة مسألة شائكة لحد كبير، فآراء المؤرخين و الباحثين تختلف حولها بشدة بين مؤيد ومعارض. ومرد ذلك سيطرة قرطاجة على هذه المنطقة ذات التضاريس الوعرة التي تتميز بتركيز كبير للسكان المحليين. و إذا كان الأمر كذلك فمنذ متى وكم دامت هذه السيطرة.[6]

[1] Gsell.St, H.A.A.N,V,Hachette,Paris,1927,p276.
[2] Diodore de Cicile, Fragment,XXXIV.
[3] Camps.G, Massinissa,loc.cit, p47.
[4] Ibid,p 48.
[5] Ibid.,p49.
[6] Ghaki .M.,op.cit.,p124.

ولقد كانت كل المدن في الممالك النوميدية و الموريطانية سواء كانت ساحلية أو داخلية تحمل اسما فينيقيا أو محليا تعد مركزا للحضارة البونية. إن الدولمينات والحوانيت المنتشرة في نواحي تبسة تذكرنا كثيرا بالقبور البونيقية الحديثة وفي الحوانيت نلاحظ التأثيرات البونيقية في الغرفة الجنائزية.[1]

و الظاهر أن قرطاجة الدولة المدينة لم تدر مباشرة كل المناطق التابعة لها.فالمدن المؤسسة من قبلها تمتعت باستقلال ذاتي .فهل كان الأمر نفسه بالنسبة للمدن المحلية التابعة لها.نحن نميل لهذا الرأي .ففي سنة 247ق.م حين هاجم حنون تبسة اكتفى بأخذ الرهائن. فالعلاقات المباشرة بين السكان المحليين وقرطاجة كانت دوما نادرة باستثناء أولئك المقيمين على التراب القرطاجي. لذا فقد كانت تتم عبر المدن الفينيقية البونية و المدن الأهلية المتأثرة بالحضارة البونية، وهذه الوضعية انعكست على انتشار هذه الحضارة الذي جاء نوعا ما متأخرا.[2]

و على سبيل المثال يمكن أن نلاحظ ذلك التنظيم السياسي المشار إليه من خلال البقايا الأثرية التي عثر عليها في كل من دوقة ومكثر وتبسة و بعض المراكز الحضارية الأخرى مثل ألتيبوروس و قالمة التي تثبت تواصل استخدام نظام الأشفاط أو القضاة البونيقي في المدن النوميدية ذات التأثير البوني[3].وقد وجدت بنوميديا وثائق نقشية تثبت وجود حكام بألقاب بونيقية على رأس هذه المدن منها دوقة ومكثر.ولكن هل خضعت تبسة لنفس الأمر، فنقيشة مكثر تشير إلى رئيس الأسباط ، ونقيشة دوقة تذكر السبط العام .[4] فهل يمكن تعميم ذلك على تبسة.على أن

بعض النصوص الغامضة تسمح بالاعتقاد بوجود حكام مسيرين للمدن منها هذه الأخيرة منذ القرن الثالث قبل الميلاد.[5]

و لا يجب أن ننسى بأن المدن الليبية كان ولابد لها نظام إداري سياسي مشابه لما كان عند القرطاجيين دون أن يكون بالضرورة مستوحى منهم. وعند تحول هذه البلدات إلى مدن لم تتخلى عن نظمها القديمة المحلية وتتبع النظم الأجنبية الوافدة.[6]

لقد قلد السكان المحليون القرطاجيين في صناعتهم الفخارية الدقيقة ذات الأغراض الجنائزية و النذرية، إذ نصادف في المدن الواقعة ضمن التراب القرطاجي لكن في البلاد النوميدية أين يتركز السكان المحليون حول قصطل وتيديس الفخار الدقيق المقلد وأيضا مزهريات مستوحاة من النماذج القرطاجية. ويتأكد التقليد في الأدوات

[1] Camps.G, Les numides et la civilisation punique , Ant.Afr,14,1979 ,pp50-51.
[2] Ghaki. M, op.cit.,p127.
[3] Decret. F, Fantar. M, L'Afrique du Nord dans l'antiquité, Payot, Paris,1998,p109.
[4] Fevrier.J-G, Sur la bilingue de Guellaa Bousba, B.A.C,1951,pp38-43. ; Picard.G-Ch, Civitas Mactaritana ,Karthago,VIII,1957,pp39-40 ;. محمد الصغير غانم،المملكة النوميدية والحضارة البونية،ص149.

[5] Diodore de Cicile, Fragment,XXIV ,10,2. ; Gsell.St, H.A.A.N,V,p132.
[6] Gsell.St., H.A.A.N,V,p133.

الطقسية. و نصادف في مواقع جبل مستيري و قصطل فخار مزين من النوع الذي انتشر لدى القرطاجيين .فهل هناك تأثير فينيقي بونيقي .إنه من الصعب إثبات الأصل الفينيقي البونيقي للرسوم الهندسية على الصناعة الفخارية المطلية المحلية.[1]

إن الأرستقراطية القرطاجية ذات المصالح التجارية التي كانت توجه السياسة الخارجية لقرطاجة دخلت في علاقات مع الملوك المحليين الذين كان لهم فعلا نواب على رأس الحواضر الكبرى مثل تبسة و التي كانت تتحكم في الطرق التجارية وتعد الوسيط بين التجار القرطاجيين و البلاد التي تنتج العاج و العبيد بصفة خاصة و التي كانوا يصدرون إليها بضائعهم . وكانت قرطاجة على ثقة دوما من الحصول على جنود مرتزقة منها كلما تطلب الأمر[2]. و كان للتجار القرطاجيين في الداخل جماعات مستقرة مشتغلة فقط بالتجارة[3].و مما يؤكد الصلات التجارية بين المدينة وهؤلاء العثور في المقابر الميغاليتية لتبسة على نقود قرطاجية سابقة لعهد ماسينيسا.[4]

ماسينيسا.[4]

[1]Ghaki.M.,op.cit.,p154,156.
[2] Mercier . E, La race berbère .Véritable population de l’Afrique du Nord ,R.S.A.C,39,1905,p30.
[3] Lorin. H, op.cit, p22.
[4] Decret. F, Fantar. M, op.cit, p102.

رابعا– العهد النوميدي:

كانت الممالك المحلية خاصة مملكة الماصيل تضم عدة مدن مهمة داخل أراضيها منها تبسة. وقد أدى ضعف قرطاجة المنشغلة بالحروب ضد روما إلى استعادة هذه الأخيرة سيطرتها عليها، فالتمدن كان ظاهرة جديدة مستجلبة عند النوميديين بفضل علاقتهم بالقرطاجيين .ويجب تمييزه عن ظاهرة الاستقرار التي تعد محلية.فتطور المدينة المعماري و الهندسي خضع لتأثيرات بونية، ولا ندري كيف تصرف الملوك إزاء المدينة. لكن بعض القرائن تشير لوجود استقلالية إدارية عند المهمة منها.فحين هاجم حنون مدينة تبسة اشترط رهائن من سكانها. ولم نسمع شيئا عن مساعدة الحكومة المركزية النوميدية بسيرتا أو غيرها لها.[1]

وتجدر الملاحظة إلى أن مدينة تبسة كانت من أكبر المدن المتوضعة باقليم الماصليين الشرقيين وهي التي عرفت بهيكاتومفيلوس التي أشار إليها ديودور الصقلي مظهرا أهمية ثروتها الاقتصادية. وذلك من خلال الحرب الأولى بين روما وقرطاجة. وقد كانت تمتد على حوالي ستون هكتارا حيث كانت تنتشر مجموعة قبلية كبيرة أخذ منها القائد القرطاجي كما رأينا سابقا ثلاثة آلاف رهينة قادرة على حمل السلاح ، وذلك حسب رأي ديودور الصقلي .وقد افتدتهم أسرهم فيما بعد .فهل كانت تبسة مقرا للملك جايا والد ماسينيسا وذلك خلال الحرب البونية الثانية.أم أنها كانت جزءا من المنطقة الخاضعة للقرطاجيين، وهذين السؤالين يبقيان دون إجابة حقيقية إلا إذا أعدنا النظر في قراءة النصوص القديمة المتعلقة بالمنطقة وقارنها بنتائج الأبحاث الأثرية التي وجدت في كل من مواقع قصطل و الداموس الأحمر، ومنطقة الرماديات في كل من الماء الأبيض وسيدي محمد الشريف.[2]

وهنا يحق لنا أن نتساءل أيضا هل يمكن حينئذ أن تكون تبسة من المدن التي طالب ماسينيسا فيما بعد بعودتها إلى سلطته وذلك أثناء صراعه مع القرطاجيين .إن الإجابة عن مثل هذا السؤال تبقى غير محققة مادمنا لا نملك وثائق تثبت ذلك أو تنفيه.[3]

إن المقابر النوميدية في هذه الأنحاء كشفت لنا عن تجمعات ريفية مرتبطة بالأرض أكثر من النوميديين بالمناطق الغربية ،فالعوامل الجغرافية و التاريخية كانت ملائمة لهم. فمنذ وقت مبكر كانوا جيرانا للقرطاجيين الذين توسعوا على حسابهم أكثر من مرة .وقد اقتبس منهم النوميديون الماسيل الكثير من العناصر الحضارية، ففي القرنين الثالث

[1] Ghaki .M,op.cit.,p138.
[2] محمد الصغير غانم،المرجع السابق،ص150.
[3] نفسه 151

و الرابع قبل الميلاد ورد اسم مدن في المناطق النوميدية المتاخمة للتراب القرطاجي خارج سيطرة القرطاجيين الذين كانت حدود دولتهم قليلة الاتساع ،إنها دوقة وتبسة وربما قسنطينة كذلك.[1]

إن المنطقة المحيطة بسيرتا وامتدادها الجنوبي بجبال الأوراس تمثل نواة المملكة الماسيلية قبل عهد الملك ماسينيسا ، فقلب هذه المملكة يقع على محور يمر عبر عنابة وتبسة بحيث أن قسنطينة ودوقة لم تكونا جزءا منها حتى نهاية عهد الملك غايا .ففي هذه المنطقة تتركز أغلب النقوش الليبية حيث رصد بتبسة لوحدها 27 نقشا ليبيا.[2]

و مباشرة قبل عهد ماسينيسا كشفت بعض النصوص وجود مدن داخلية (تبسة)التي نعتقد تماما أنها من إنشاء الأهالي .وهذه المدينة خلال العهد النوميدي وحتى القرن الأول من السيطرة الرومانية اتخذت مظهرا حضاريا بونيقيا في إدارتها وفي كل المجالات الحضارية الأخرى. إن إدارة المدن النوميدية غير معروفة لدينا بشكل واضح رغم المعطيات التي تتيحها الوثائق المتوفرة كالنقوش و المسكوكات ،فالنصوص غير دقيقة تماما في دلالتها.[3]

و ليس من المستبعد الاعتقاد بأن ثمة إدارة محلية مستوحاة من التقاليد المحلية وخاضعة للتأثير القرطاجي قد سيرت وفقها المدن النوميدية.فقد كان على رأس هذه المدن علاوة على الحكام مجلس أو جمعية شعبية لها سلطة القرار في المدينة.ويعزز ذلك أن قرطاجة كان لها مجلس مؤلف من 300عضو ، وأن القرى الحالية في منطقة القبائل لها مجلس الجماعة الذي له صلاحيات المجلس البلدي.ورغم ذلك فان الوثائق حول وضعية وتكوين ووظيفة هذه المجالس في المدن الليبية تبقى نادرة. فليس لدينا سوى نتف مبعثرة هنا وهناك في النصوص القديمة. فباجة مثلا كان لها حسب المؤرخ أبيانوس مجلس بلدي في القرن2ق.م وأمراء و مجلس للقدماء بتبسة منذ القرن الثالث ق.م.[4]

و يحتمل أن تكون تبسة بحكم أهميتها وأقدميتها أحد المدن المهمة في المملكة النوميدية على عهد ماسينيسا وخلفائه. وقد جرت العادة أن يمثل هؤلاء الملوك حكام ينوبون عنهم في تسيير المدن. وقد ورد في النصوص اضطلاع هؤلاء النواب بمهامهم المختلفة في حماية المدن وتسييرها[5]. ونحن لا نستبعد أن تكون تبسة قد خضعت لنفس الأمر وكان على رأسها نائب لملك النوميديين يرعى شؤونها.

[1] Camps.G., Massinissa,loc.cit, p176.
[2] Camps.G, Massinissa, loc.cit,p179 ; Benabou.M, La résistance africaine à la romanisation, Maspero, Paris,1976,p480-481.
[3] Camps.G., Massinissa,loc.cit, p252.
[4] Diodore de Cicile, Fragment,XXIV ,10,2 ; Decret. F, Fantar. M, op.cit, p109.
[5] Picard .G-Ch, op.cit.,p21-22.

و مع ذلك فقد يوجد من يخالف هذا الرأي تماما ويرى بأنه مهما كانت نظم هذه المدن الأهلية فيظهر أنها تمتعت باستقلال ذاتي واسع في تسيير شؤونها مثل القبائل، فلا نصادف فيها ممثلين لسلطة الملك المكلفين بالإدارة المباشرة أو المترئسين على الحكام المحليين.[1]

[1] Gsell .St, H.A.A.N,V, p135.

الفصل الثالث

تبسة في العهد الروماني

التاريخ السياسي و الاداري و النشاط الاقتصادي

أولا– التاريخ السياسي و الاداري

1–الاحتلال الروماني لتبسة

2–الانتماء الإداري للمدينة

3– النظم الإدارية

ثانيا– النشاط الاقتصادي:

1– منشآت المياه

2– الزراعة أ– **أنواع الملكيات**

ب–المسح الكنتوري للأراضي و نظام الاستغلال

ج– المحاصيل الزراعية

3–الصناعات : أ–الصناعة الاستخراجية

ب–الصناعة الحرفية

أولا.التاريخ السياسي و الإداري:

1 . الاحتلال الروماني لتبسة:

لقد دخلت مدينة تبسة منذ وقت مبكر ضمن الإستراتيجية العسكرية الرومانية بسبب موقعها المتميز، فقائد فيلق نوميديا لم يكن من مهامه فقط الدفاع عن الحدود ولكن أيضا توسعة رقعة الاحتلال الروماني، و هذه المهمة المزدوجة في إحلال الأمن ونشر الرومنة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسيطرة على أراض جديدة و وضعها موضع الاستغلال، وذلك ما يفسر ربما التحويل المستمر لمقر الفيلق الثالث الأغسطي نحو الغرب واتخاذ القرار بتوطين مقر معسكره بتبسة.[1]

ورغم الأبحاث العديدة حول هذا الفيلق فان الغموض لايزال يحيط بنشأته ولا بتاريخ قدومه إلى إفريقيا واستقراره بها بما فيها تبسة.لكن المحتمل أنه حط رحاله بمدينة حيدرة بين سنوات 6 و14 ميلادية أين كان مركز النظام الدفاعي الجديد في الجنوب الغربي للبروقنصلية الذي أرسيت قواعده في عهد أغسطس و في السنوات الأولى لحكم تيبيريوس و استمر حتى نهاية عهد الأسرة الفلافية.[2]

وبعد محاولة الانشقاق الفاشلة التي قام بها كلاوديوس ماكر C.Macer قائد الفيلق الثالث في سنة68م و التي كادت تؤدي إلى القضاء على وحدة الجيش الروماني بافريقيا، قام الفلافيون منذ عهد فسباسيانوس بوضع مشروع لتهدئة و استعمار هذا الجزء الجنوبي الشرقي من نوميديا[3]. فبين سنتي 69 و70 م أخضعت القبائل الجيتولية و الجرامنت، و حوالي سنتي 86 و 87 م استسلمت قبائل النازامون أمام قوات الليغاتوس كورنيليوس سويليوس فلاكوس Cn.Suellius Flaccus وتم دفعهم بعيدا نحو الجنوب.واستتبع ذلك عدد من الإجراءات القانونية و الإدارية و الاقتصادية مثل تحديد الأراضي و إنشاء الطرق وحصر القبائل. ثم انطلقوا بعدها في محاولة للسيطرة على جبال الأوراس و قبائل الموزولامي القوية التي تسكنها وتمتد مضاربها نحو الشمال الشرقي حتى حدود البروقنصلية، وهو ما يمثل خطرا مستمرا على الاحتلال الروماني في هذه النواحي.[4]

إن هذه الحركة التوسعية الجديدة التي أطلقها أباطرة الأسرة الفلافية كانت تتطلب نقل مقر الفيلق الثالث نحو لايزال الغرب، ففي عهد فسباسيانوس لاسيما بين سنتي 74 و75م كان الفيلق تحت قيادة كنايوس دوميتيوس تولوس Cn.Tullus.Domitiusمرابطا بحيدرة، و يحتمل أنه هو من حضر لنقل مقره إلى تبسة على بعد 35كلم إلى

[1] Le Bohec.Y, La III° légion Auguste, éd. C.N.R.S, Paris,1999,p52
[2] Ibid., p337.
[3] Baradez.J, Organisation militaire romaine de l'Algérie et l'évolution du principe défensif et ses frontières, Revue international de l'histoire militaire,13, 1953, p29.
[4] Le Glay .M, Les Flaviens et l'Afrique ,M.E.F.R,80,1968, p213. ; Cherry. D, Frontier and society in Roman North Africa, Clarendon press, Oxford,1998,p18,38.

الجنوب الغربي من حيدرة Ammaedera في قلب بلاد الجيتول .[1]

وإلى عهد الامبراطور دومتيانوس96/81م يعود عدد من النقوش التي وجدت بالمدينة والتي ورد فيها ذكر اسم إثنان من قادة الفيلق الثالث. إحداها تعود لسنة 83 م ورد فيها اسم قائدين بالتناوب للفيلق الثالث خلال هذه السنة هما تيتوس يوليانوس و خلفه جانولينوس بريسكوس[2]. و الثانية ترجع حتما لسنة 85 م لورود قنصلية دومتيانوس الحادية عشر فيها، جاء فيها أيضا اسمان لقائدين آخرين للفيلق.[3]

لقد اعتقد كل من ثيودور مومسن وستيفان غزيل بأن الفيلق الثالث حل بمدينة تبسة على الأكثر منذ بداية عهد تيبيريوس، واعتمدا في صياغة هذا الرأي على المعالم الميلية العائدة لسنتي 14 و 15 م التي أنجزتها هذه الفرقة و التي ورد فيها ذكر معسكرها الشتوي[4]. غير أن دو باكتير اعترض على هذا الرأي من منطلق أن مومسن أخطأ في قراءة فقرة وردت في كتاب المؤرخ الروماني تاكيتوس حين حديثه عن ثورة تاكفاريناس[5]. فهذا الأخير ذكر بأن البروقنصل بلايزوس قرر في سنة 22م القضاء نهائيا على تاكفاريناس لذا سد أمامه الطريق إلى الأراضي الرومانية بنشر قواته على خط يمتد من نواحي كيرتاCirta إلى إقليم لمطةLeptis Minor[6]

وكانت القوات الأساسية بقيادة البروقنصل تقع وسط هذا الخط أي أين يوجد مقر الفيلق، و بالنسبة[7]، لمومسن فان هذا المقر كان بمدينة لبدة بمقاطعة طرابلس Leptis Magna.وحسب دوباكتير De Pachtère كان بلمطة بالبروقنصلية.و في الحالتين و بالعودة إلى مجموع النصوص الواردة عند تاكيتوس التي أشارت إلى أن البروقنصل بلايزوس بعد نهاية حملته الصيفية في سنة 22م و خلافا لسابقيه الذين كانوا يعسكرون بقواتهم شتاءا داخل المقاطعة و رابط هو على حدودها[8] ، سنجد أنه من المستبعد أن تكون تبسة هي المعسكر الشتوي

---

[1]CIL,VIII,23263; De Pachtère.F, Les camps de la III° légion en Afrique , C.R.A.I, 1916, p277. ; Le Glay .M, Les Flaviens, loc.cit, p214.
[2] I.L.Alg,I, 3029,3122 ; I.R.A,3129.
[3] Clément Pallu De Lessert .A, Fastes des provinces africaines(Proconsulaire.Numidie,Maurétanies) sous la domination romaine ,Tome I(Haut-empire), Leroux, Paris,1896,p164-168.
[4]Gsell. St,A.A.A,F29.n°4;Mommsen.Th,CIL,VIII, p XXI, p860.
[5] De Pachtère.F, Les camps de la III° légion en Afrique, loc.cit,p278.
[6]Tacite,Annales,II,74;II,52;III,20-32;IV,23-25. Œuvres complètes de Tacite .Traduite en français avec introduction et des notes de Burnouf .J-L, Hachette, Paris, 1859.

[7]CIL,VIII, p1576.
[8]Tacite,Annales,III,74. ;Rachet.M, Rome et les Berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien,Latomus, Bruxelles, 1976,p111.

castra hibernaللفيلق خلال هذه الفترة لأنها كانت تقع بعيدا جدا جنوب حدود مقاطعة البر وقنصلية في بلاد الجيتول، وهي منطقة لم تكن قد دخلت بعد في دائرة السيطرة الرومانية.كما أن الأراضي الرومانية في القرن الأول الميلادي لم تكن تضم بلاد الموزولامي.[1]

إذن من الصعوبة بمكان تحديد و بدقة وضعية تبسة القانونية التي هي مرتبطة بشكل وثيق برحيل الفيلق عنها إلى تازولت . فتبسة صارت مستعمرة رومانية وأقدم دليل لدينا على ذلك نقيشة تعود لما بين سنتي 180 و182م[2] أشارت إلى بالإمبراطور المؤسس من قبيلة بابيريا ، وعليه فقد يتعلق الأمر بنيرفا أو تراجانوس[3]، أو هادريانوس أو ماركوس أوريليوس أو ابنه كومودوس فهؤلاء كلهم ينتمون إليها. و بالنظر إلى تركيبة المجتمع التفستي خلال القرن الثاني الميلادي و أصول العائلات الكبرى المتنفذة فيه مثل آل أولبيوس و آل أيليوس و المنتمية إلى ذات القبيلة، يمكن القول بأن ترفيع المدينة إلى مرتبة المستعمرة تم خلال عهد تراجانوس أو هادريانوس. ونحن نرجح الرأي الأول أي عهد تراجانوس لأن وجودها بتازولت ثابت قبل سنة 123م حسب أحد النقوش.[4]

ومهما يكن فانه يظهر من حالات مدن مشابهة أن تبسة حصلت على مرتبة المستعمرة مباشرة بعد رحيل الفيلق الثالث نحو لامبيز-تازولت[5] . هذا الفيلق الذي يبدو واضحا من شواهد قبور جنوده الكثيرة المنتشرة خاصة حول المدرج أنه أقام فترة ليست بالقصيرة بالمدينة[6] ،رغم أننا إلى الآن نجهل موضع معسكره بها بدقة رغم الحفريات و المدرج التحريات الميدانية الكثيرة التي أجريت لتحديد مكانه. لكن يظهر أنه لم يكن في نفس المكان الذي قامت عليه المدينة الرومانية فيما بعد. و يرجح أنه لا يقع بعيدا عن المدرج الروماني.[7]

و بحسب أحد النقوش التي وجدت بالمدينة والتي ورد فيها اسم الليغاتوس لافولينوس بريسكوس L. Priscus الذي كان قائدا للفيلق في سنة 83 م. فان هذا الأخير كان لا يزال معسكرا بالمدينة حتى هذا التاريخ[8].و بحسب وثائق أخرى

[1]Carton. L,Une inscription relative au territoire des Musulamii,C.R.A.I,1923,Volume 67, Numéro 1 ,p 71-73. ;Id, Les Musulamii,Guenard et Franchi imprimeurs,Tunis,p4-6.
[2]CIL.VIII,16530=I.L.Alg,I,3032.
[3] Benabou.M, La résistance africaine à la romanisation, Maspéro, Paris, 1976 ,p420.
[4] Cagnat .R, L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1896,p 429-430,p439. ; I.L.Alg,I, p286.
[5]Gascou .J, La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère , M.E.F.R, Rome, 1972, pp91-92. ; Desanges . J, Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine, Ant.Afr,15,1980, p81.
[6] Cherbonneau .A , Inscriptions de Tebessa, R.Af,1,1856-57, p504. ;I.L.Alg,I,3098-3128.
[7] Lequement.R, fouilles,loc.cit, p18.
[8]I.L.Alg,I,3122.

أخرى فقد شهد عهد هادريانوس نقل مقر الفيلق مرتين آخرهما من تبسة إلى لامبيز–تازولت بين سنوات 96و117م.[1]

لقد عدت تبسة حسب أحد النصوص مدينة أجنبية قبل قدوم الفيلق الثالث [2]، ثم صارت بلدة لاتينية أو رومانية في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي . ولاشك في أن موقع المدينة و أهميتها التاريخية و الاقتصادية القديمة كمعبر تجاري و سوق مهمة بين التل الزراعي شمالا و بلاد الرعي جنوبا، و انفتاحها على مختلف الأنماط السكانية مما سهل تغلغل العناصر الرومانية الباحثة عن الثروة و الاستقرار وبروز فئة من الأهالي الأعيان التي أثرت من العمل بالزراعة و المتاجرة بمحاصيل الأرض، كل ذلك هيأ الفرصة لعملية اندماج سريع بين العناصر المحلية و الوافدة مما سهل ترقية المدينة في السلم الإداري بوتيرة أسرع بفضل تعميم المواطنة الرومانية على الرجال الأحرار في الإمبراطورية. ومع ذلك لا نملك أية معطيات واضحة تساعدنا على تتبع نوعية النظم الإدارية للمدينة ما بين سنوات 75 و115–120م.[3]

و بتحول تبسة إلى مستعمرة صارت امتدادا لروما في هذه النواحي ولم يعد أهلها معدودين كأجانب منحت لهم المواطنة الرومانية بل كمواطنين رومان بالفطرة، ولا شك أن لهذا التشريف منافعه الاقتصادية و الاجتماعية. فهو يسمح لصاحبه بالمثول أمام الموظفين الرومان كمواطن روماني يحق له عقد الزواج بصورة شرعية و الوصاية و ممارسة البيع و الشراء تحت حماية القانون الروماني ، و شراء الأراضي و العقارات من أملاك الدولة ، و المشاركة في انتخاب القضاة و الموظفين البلديين ، كل ذلك مع المحافظة على هويته المحلية و تقاليده الموروثة.هذه التسهيلات التي سمحت بها السلطة الرومانية بموجب حق المواطنة عادت عليها وعلى المدينة بالمنفعة و كانت كفيلة بتعويض الخسائر التي نتجت عن رحيل جنود الفيلق الذين كانت نفقاتهم عاملا منشطا لاقتصاديات المدينة، لاسيما و أن عددهم الكبير وحاجاتهم اليومية من الحبوب و النبيذ و اللحم و الملابس و التجهيزات العسكرية التي كانوا يشترونها بأنفسهم كان يستدعي وجود التجار و مختلف أنواع الحرفيين و عائلاتهم، خاصة مع استقرار الجنود المتقاعدين بالمدينة و اختلاطهم بالعناصر المحلية التي بدأت تستقر تدريجيا بجوار المدينة في مرحلة أولى متحولين نحو امتهان الزراعة في ضياع الملاك الرومان .كما أن ترفيع المدينة إلى المستعمرة كان يوفر للجيش أعددا متزايدة من المواطنين الرومان ذوي الأصول المحلية المجندين في صفوفه .[4]

يرى جاك جاسكو بأن تبسة مرت بمرحلتين من عملية الرومنة ؛ الرومنة الإدارية أو السلطوية من عهد الفلافيين إلى عهد تراجانوس حيث كانت محكومة بالاعتبارات الإستراتيجية و الأمنية. و ثانيا الرومنة الحضارية و الثقافية من عهد

---

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p36.

[2]Saint Jérome, Commentaire de la lettre de Saint Paul aux Galates,2,apud Migne, patrologie latine,XXVI,p353 : « ***Thebas liberi quas in Africa condidit :quae <u>civitas Thebestis</u> dicitur».***

[3]Espanet-Carissan.C,op.cit.,pp37-38.

[4]Ibid.,p38,p51.

هادريانوس إلى عهد سبتيموس سيفيروس الذي كان من أهدافه جر الأفارقة إلى تبني القيم و العادات الرومانية ليسهل إدماجهم في الإمبراطورية.[1]

ولا اعتبار طبعا لبعض الآراء حول نشأة مدينة تبسة لاسيما فيما يتعلق بتأسيسها حيث كانت متباينة جدا. نشير منها الرأي للغير الدقيق لميترو الذي يرى أن أيا من المؤرخين لم يشر إليها قبل حكم الإمبراطور فسباسيانوس سنوات 69-79، مخالفا رأي جيرول قبله الذي أشار إلى أنها كانت موجودة قبل عهد هذا الإمبراطور بزمن طويل، وافترض دون سند علمي واضح أن الملك ماسينيسا 203-149ق.م استحدث مناطق زراعية و مراكز عسكرية لدعم تحركات الجيوش الرومانية ، ولتستخدمها كقواعد لعملياتها العسكرية لغزو البروقنصلية والسرت الصغير الواقعة إلى الجنوب منها حتى منطقة الشطوط. وتبسة بحكم موقعها الاستراتيجي كانت إحداها. وحسب "ميترو" دائما فبعد استسلام يوغرطة وتحويل نوميديا إلى مقاطعة رومانية سنة 44ق.م أصبحت تبسة أحد المعسكرات الشتوية للكتيبة الثالثة الأوغسطية . وخلال حكم تيبيريوس وأثناء ثورة تاكفاريناس صارت المدينة مسرحا للعمليات العسكرية، وبإشراف البروقنصل أسبريناس أنجزت طريق طولها 94ميل (137 كيلومتر) ربطتها بمدينة قفصة. لكن الملاحظ حسبه أن تبسة لم تذكر ولا مرة واحدة قبل القرن الثاني الميلادي، وهو القرن الذي رفعها فيه الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس إلى رتبة المستعمرة[2]، وهو تناقض واضح مع كلامه السابق الذي ذكر فيه أنها كانت معروفة منذ عهد فسباسيانوس.

و يرى مول في مذكراته التاريخية و الأثرية حول تبسة من أن اسمها ورد للمرة الأولى في جغرافية بطوليمايوس.[3] ثم بمرتبة المستعمرة في خريطة أنطونينوس. وأرجع تأسيسها كمستعمرة إلى حوالي سنة 70 ميلادية حيث كانت مقرا دائما للكتيبة الثالثة الأوغسطية قبل تحولها إلى تازولت . و أشار إلى نقيشة إهدائية وجدت في الفوروم تشير إلى حكم فسباسيانوس[4]، حيث تعود قنصلية فسباسيانوس الرابعة حسبه إلى سنة 77م ، وبما أن الفوروم والمدرج يعتبران من أوائل المعالم التي تميز المدن الرومانية الناشئة فان تاريخ هذه النقيشة ليس بعيدا جدا عن فترة تأسيس المدينة.ولكن كما هو واضح تختلف الآراء كثيرا لكنها تكاد تتفق حول سنة 70م بأنها تاريخ تأسيس تبسة، دونما الصعود في الزمن بعيدا ب180 سنة أي إلى سنة106 ق.م. مما يجعل منها مركزا نوميديا متقدما. [5]

---

[1]Gascou.J, La politique municipale, op.cit,p188.
[2]Maitrot , "Theveste. Loc.cit,p37-38.

[3] Ptolomée, Géographia,IV,3,7, éd Muller, Berlin,1888.
[4] Renier.L, Inscriptions romaines de l'Algérie = I.R.A, Imprimerie Impériale, Paris, 1855 :

"***Imperatori Caesari Vespasiano Augusto, pontifici maximo, ,tribuniciae potestatis V,imperatori XI, patri patriae,consuli V, designato VI,Tito Caesari Vespasiano Augusti filio , pontifici,tribuniciae potestatis…***"
[5]Maitrot , Theveste, *loc.cit*, p 39.

لم تكن تبسة بمنأى عن الثورات التي اندلعت في المنطقة ضد المحتل الروماني. ففي سنة 395م ثار جيلدون ضد الإمبراطور هونوريوس، ويبدو أنه حسب أحد المعاصرين وجد له عونا كبيرا من القبائل المورية و السكان المحليين في نواحي المدينة لذلك عسكر بقواته قرب المدينة في مكان يدعى أرداليو[1] ، إما لانتظار انضمام حلفائه من الموريين لجيشه و لتنظيم قواته تمهيدا للتحرك صوب قرطاجة لمواجهة أخيه ماسكزيل الذي أرسلته روما لمحاربته، أو بسبب الوصول المبكر لهذا الأخير لعين المكان[2] .

وعلى كل حال هناك من يرى بأن اختيار جيلدون لمكان المعركة عائد علاوة على الأسباب التي ذكرناها لعوامل إستراتيجية منها وجود عدد كبير من القوات الرومانية الموالية له ضمن جيشه و التي كان حشدها سهلا بحكم مرابطتها بجنوب نوميديا غير بعيد عن تبسة. و منها رغبته في نقل ميدان المعركة إلى حدود البروقنصلية لزيادة الضغط على القوات الرومانية المرسلة للقضاء عليه. كما أن موقع المدينة كملتقى طرق مهم كان يتيح له التحرك في اتجاهات عدة بما تقتضيه ظروف المعركة[3] . لكنه رغم هذه الترتيبات سرعان ما هزم على يد أخيه سنة 398م إذ تغلب ثمانية آلاف من جنود الكتيبة الأغسطية على تحالف ضم سبعين ألفا من الثوار الموريين والدوناتيين والدوارين.[4]

---

[1] Paul Orose,Historiae Adversus Paganos,VII,36,6-10. : "***Ardalio fluminis nomen est quod fluit inter Thevesten et Ammederam civitates …….***"

[2] Moderan.Y, Gildon.les Maures et l'Afrique,M.E.F.R.A,101,Tome2,1989,p855.

[3] Ibid.,p856.

[4] Maitrot , Theveste, loc.cit, p 39. ; Moderan.Y, Gildon.les Maures et l'Afrique, loc.cit,p857-858.



خريطة رقم 05: تبسة ضمن المدن المرفعة إلى مستعمرة في عهد تراجانوس

(من انجاز الطالب)

2.الانتماء الإداري للمدينة:

يطرح مدى و تاريخ انتماء تبسة إداريا إلى مقاطعة البروقنصلية أو نوميديا مشكلة عويصة للباحثين بسبب تضارب النصوص المشيرة إلى ذلك و ضبابيتها. فلقد عوض الامبراطور ديوقلديانوس القسم الجنوبي المقتطع من مقاطعة البروقنصلية لتكوين مقاطعة المزاق(بيزاكيزم) المستحدثة بأن ضم القسم الشرقي من مقاطعة نوميديا المتاخمة لها من الغرب إليها ، وهذا أصبحت تبسة التي كانت إلى ذلك الوقت تخضع لسلطة الرئيس* بتازولت ، تابعة للبروقنصل بقرطاجة.[1] و عليه فتبعية تبسة للبروقنصلية مؤكدة منذ مارس سنة295م بفضل المستندات التاريخية الراجعة إلى ذلك العصر ومنها وثائق الشهيد ماكسيمليانوس التي أشار محضر محاكمته إلى حضور ممثلين عن البروقنصل لترأس الجلسة

*"Praeses".

[1]Chastagnol .A, Les légats du proconsul d'Afrique au bas- empire, Libyca. A-E,VI,1958, p11 ;Id,L'Italie et l'Afrique a Bas-empire.Etudes administratives et prosopographiques. Scripta Varia,Publications universitaires de Lille ,1987,p79,p222,p225.

وتنفيذ الحكم.[1] إلا أن هناك من الباحثين من يخالف في هذا الرأي ويرى بأن تبسة خضعت لسلطة البروقنصل منذ مطلع القرن الثالث الميلادي.[2]

إن النقوش العديدة العائدة إلى هذه الفترة والتي تزخر بها بلاد المغرب تشير إلى وجود قائدين برتبة ليغاتوس، ومنذ التعديل الإداري الذي أجراه ديوقلديانوس خضعت تبسة لسلطة الأقدم منهما. و إنه إذا كانت نظرية شاستانيول صحيحة و و التي صار مفادها أنه لم يكن هنالك ليغاتوس ثالث أثناء القرن الثالث ، فإن ذلك سيترتب عنه أن القسم الغربي من المزاق صار تابعا من الناحية العقارية للتراكتوس التبسي**، وبذلك غدا تحت سلطة ليغاتوس نوميديا.و بالنسبة إلينا فان مجال سلطة لغاتوس عنابة هو تراكتوس تبسة قبل حكم ديوقلديانوس. وفي عهد هذا الأخير استوعبت مقاطعة البيزاكيوم التراكتوس الحضرموتي وقسم من التراكتوس التبسي اللذان ورد ذكرهما معا في الفترة مابين حكم غاليانوس وديوقلديانوس تحت اسم تراكتوس البيزاكيني.[3]

إن النظرية الشائعة حول تبسة خلال العهد الإمبراطوري الثاني أنها رغم تبعيتها دينيا للمقاطعة الكنسية لنوميديا مثل كل القطاع الغربي الإداري من مقاطعة نوميديا البروقنصلية،إلا أنها ظلت إداريا تابعة لبروقنصل إفريقية وتابعه ليغاتوس الإقليم الذي تقع به.[4]

إحدى الطروحات التي صارت الآن مهملة ترى بأن تبسة انتمت لمقاطعة نوميديا التابعة للإمبراطور حتى التعديل الإداري للإمبراطور ديوقلديانوس أين ألحقت بالبروقنصلية.[5] وحاليا فان الرأي الشائع لدى الباحثين لا يرفض فكرة أن هذا الإلحاق تم في وقت مبكر من العهد الإمبراطوري الأول؛ أي مطلع أو منتصف القرن الثالث الميلادي حينما أنشئت مقاطعة نوميديا في نهاية القرن الثاني. بل إن بعضهم يذهب في الزمن أبعد من ذلك حين يرجع انتمائها للبروقنصلية إلى عهد الامبراطور تراجانوس الذي رفعها إلى مرتبة المستعمرة بعد ترحيل معسكر الكتيبة الثالثة الأوغسطية منها إلى تازولت في إطار إعادة تنظيم شاملة للدوائر الإدارية للمقاطعات الرومانية.[6]

وتعتقد جينات دي فيتا افيرارد بناءا على المعطيات السابقة أن تبسة التي ارتبطت بهيبو ريجيوس- عنابة عقاريا و جبائيا منذ عهد هادريانوس ، صارت في عهده جزءا من الدائرة العقارية التي كانت عنابة مقرا لها، و كلاهما تابعتان إداريا للبروقنصلية[7].

---

[1] Ruinart ,Acat primorum matyrum sincera ,Ratisbonne, 1859,p340.
[2] Gsell.St. , I.L.Alg.,I, p XI.
** Tractus Thevestinus
[3] Chastagnol. A , les légats ,op.cit.,p14.et n°36.
[4] Di Vita- Everard.G. , Une inscription érrante , loc.cit, p293.
[5] Albertini .E, Inscription funéraire inédite de Tébessa, R.S.A.C,97,1926, p276-277 ; Barnes.T.D.,The new empire of Diocletian and Constantine ,Cambridge-Londres,1982,p212.
[6] Gascou. J ,La politique municipale, op.cit, p92.
[7] Di Vita –Everard. G ,La Fossa Regia et les diocèses de l' Afrique proconsulaire , Africa Romana,III, Sassari 1985,1986,p33 et n°.17.

وفي كل الأحوال مهما كان التاريخ الفعلي لبداية هذا الإلحاق الاداري لتبسة بالبروقنصلية أثناء العهد الإمبراطوري الأول، فيبدو أنه استمر خلال العهد الإمبراطوري الثاني.[1]

لقد مر خط الحدود خلال العهد الإمبراطوري الأول بين مقاطعتي نوميديا و البروقنصلية بمحاذاة غرب تبسة ، وهو ما يفسر محتوى المعالم الميلية الموجودة بهذه الناحية التي تحاذي طريق تبسة- قرطاجة ، المؤرخة بسنة 237 والعائدة إلى عهد ماكسيمينوس والتي تحمل عبارة : "الطريق من قرطاجة إلى حدود مقاطعة نوميديا".[2] وذلك يعني وفق المنظور الإداري الذي يأخذ بالاعتبار المدن كمحطات أساسية على الطريق أن تبسة تدخل ضمن مقاطعة البروقنصلية وليس نوميديا، وإلا لما كان المعلم الميلي أشار إليها كالوجهة النهائية للطريق القادم من قرطاجة والذي يتوقف عند حدود نوميديا.[3]

ويتضح لنا من مقارنة نص المعلم السابق بنصوص معالم ميلية أخرى أن حدود نوميديا كانت تبدأ عند أراضي إقليم مدينة تبسة الواقعة إلى الغرب منها وتتقاطع معها على امتداد مسافة معتبرة. وهو ما استدعى وضع معلم حدودي بينها يبين نهاية مقاطعة وبداية أخرى، معطيا تبسة وجوارها مظهر المدينة الحدودية. فقبل الإصلاح الإداري للحكومة الربعية إذن كانت تبسة مدينة حدودية تقع بالبروقنصلية ومفصولة عن مقاطعة نوميديا المجاورة بامتداد أراضيها.[4]

ومع إعادة التنظيم الإداري للمقاطعات الذي باشره ديوكلتيانوس أصبحت مدينة تبسة وجوارها القريب بسبب خط الفصل الحدودي الإداري بين البروقنصلية في الشمال ومقاطعة المزاق المستحدثة في الجنوب، محشورة مثل الركن بين مقاطعتين ؛ نوميديا العسكرية في الغرب والمزاق في الشرق، الأمر الذي طرح إشكالية استمرار انتمائها الإداري للبروقنصلية أو إلحاقها بنوميديا لأنها الأقرب جغرافيا إليها[5]،أو وضعيتها الإدارية الخاصة لاسيما وأن القوانين أشارت لعدم تبعيتها المباشرة لموظف جديد مسؤول عن كل شمال إفريقيا يدعى.praefectorum praetorio Agens vices[6]

فمنصب فيكاريوس Vicarius الذي استحدث من قبل الامبراطور ديوكلتيانوس و وضع تحت

[1] Di Vita- Everard. G , Une inscription errante ,loc.cit ,p295.

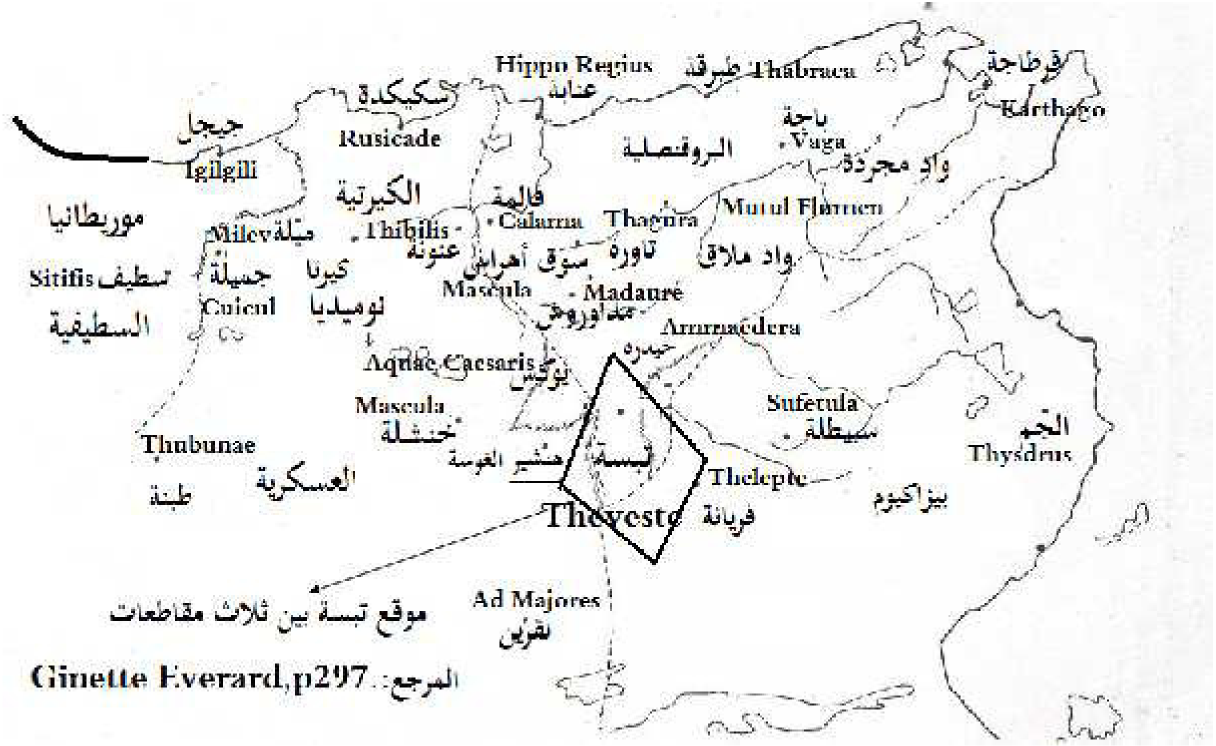
[2] C.I.L, VIII.,10047,10114=22173.;A.L.Alg.,I,3951."...*via a Karthagine usque ad fines Numidiae provinciae".*

[3] Salama. P ,Bornes milliaires de l' Afrique proconsulaire un panorama historique du Bas-Empire romain,Rome,1987, p46.

[4] Di Vita- Everard.G , Une inscription, loc.cit, p295.et n°12.

[5] Ibid.,p295-296.

[6] Cod.Théod.,de officio vicarii,I,15,3-4 , éd Kruger .P, Berlin, 1968.



خريطة رقم 06: انتماء تبسة الإداري للبروقنصلية **(بتصرف الطالب)**

إمرة متوليه كل حكام المقاطعات الإفريقية ماعدا البروقنصل التابع للإمبراطور مباشرة، و ذلك لتسهيل الإدارة المحلية وليكون صلة الوصل بينهم و بين السلطة المركزية بروما[1]. هذا الموظف الجديد العالي الرتبة كان نفس القانون يمنعه من الاستقرار بتبسة إلا لضرورة قصوى لأنها كانت تحت سلطة البروقنصل باعتبارها من مدن البروقنصلية، و بالتالي لا يحق له منازعته سلطته عليها ، لأن هذا الأخير من الناحية القانونية أعلى رتبة منه لذلك لا يخضع له. ولم تكن له من صلاحيات بها إلا جباية بعض الضرائب التي يتولاها معاونوه.[2]

[1] Pallu De Lessert. C, Vicaires et comtes d'Afrique de Dioclétien à l'invasion vandale ,éd. Adolphe Braham-Picard, Constantine-Paris,1892, p7-8.

[2] Cod.Theod.,de appellationibus, XI,30,5-6. : " ***Vicario Africae aditus provinciae proconsularis inhibendus est ; tantum ei consilii gratia in Thebestina civitate accessus pateat.*** "

يفرض علينا هذا الغموض الذي يلف الانتماء الإداري لتبسة ما بعد إصلاحات ديوقلديانوس اللجوء إلى المصادر الموثوقة لحل الإشكال. وأولها وثائق الشهداء التي تخص الشهيدين ماكسيمليانوس وكرسبينا، حيث تضمنت محاضر جلسات المحاكمة ، المساءلة والحكم النهائي. وهي تعد أرشيفا رسميا من الدرجة الأولى.[1]

وتتجلى أهمية وثائق ماكسيمليانوس في ذكرها بروقنصل إفريقية لسنة 294ـ 295لوكيوس كاسيوس ديو*

وهو يمارس وظيفته كرئيس للمحكمة يوم 12 مارس 295 وهو تاريخ سابق للإصلاح الإداري الديوقلدياني ، مما يعني أن تبسة لازالت كما في العهد الإمبراطوري الأول معدودة ضمن مدن البروقنصلية وتابعة لسلطة البروقنصل.[2]

أما وثائق الشهيدة كرسبينا التي تروي محاكمتها وإدانتها مع رفقائها بتاريخ 5 ديسمبر سنة304 من طرف المحكمة التي ترأسها البروقنصل كايوس أنيوس أنولينوس** بتبسة رغم أنها تنحدر من مدينة تاورة*** بوسط البروقنصلية[3]. وما ذلك إلا لأن أراضي هذه الأخيرة الواقعة إلى الجنوب منها تقع تحت السلطة الإدارية للأولى ،فتؤكد مرة أخرى بما لا يدع مجالا للشك على انتماء المدينة للبروقنصلية مطلع القرن الرابع الميلادي.[4]

3.النظم الإدارية :

خضعت تبسة منذ نهاية القرن الأول الميلادي لمجموعة من النظم الإدارية البلدية أو التي نصادفها في المستعمرات بغية تصريف شؤونها ورعاية مصالح المواطنين وتسيير الشأن العام فضلا عن الغرض الأساسي من وراء استحداثها و هو إعطائها صفة المدينة الرومانية التي لا يمكنها اكتسابها إلا بوجود نظم و مجالس إدارية معينة هي التي تعطيها صفة البلدة أو المستعمرة الرومانية.

هذه الهيئات الإدارية المسيرة للمدينة متفاوتة في أهميتها و شروط العضوية فيها، لكن وجب التنبيه على أن أغلبها كان حكرا على الطبقة العليا من المجتمع ذات الأصول الرومانية، وبعضها سمح لفئة الأعيان الأثرياء المرومنين بالانخراط فيها لقاء بعض الشروط المالية حتى تستفيد السلطة و المدينة من ثرواتهم.

---

[1] Di Vita Everard. G , Une inscription. Loc.cit, ,p298.
* L.Cassius Dio.
[2] Di Vita Everard. G , L.Volusius Bassus Cerealis,légat du proconsul d Afrique T.Claudius Aurelius Aristobulus et la création de la province de Tripolitaine , Africa romana,III, Sassari 1984,1985,p152.
[3] Musurillo . H ,The Acts of the Christian Martyrs, Oxford,1972, pp244-248.
[4] Mommsen.Th, CIL.VIII, pXI.
**C.AnniusAnullinus.
*** (Thagora)

و استنادا إلى مجموع المعطيات المتوفرة عن هذه المؤسسات الإدارية يمكننا القول بأنه وجد بالمدينة معظمها مثل*، مجلس الشيوخ المحلي الذي أشير إليه في النصوص بمصطلح سيناتوس، وهيئة الأغسطاليس أو كهنة أغسطس المشرف على إذاعة القوانين،القضاة البلديون الذين يتولون مهامهم لمدة سنة أو لخمس سنوات، الديكوريون أو الحكام المشرفون على ألعاب المصارعين ،والإديل المشرف على الأسواق و الحمامات و التموين،مسؤول الخزينة ،مسئولو مكاتب الجباية المحلية و أعوانهم ، و الكهان السنويون و الكاهن الأكبر أو الدائم.

و في الجدول التالي بيان لهذه المؤسسات و عدد الأشخاص الذين تولوها حسبما تضمنته النقوش :[1]

جدول رقم 04: المؤسسات الإدارية للمدينة:

الهيئة	عدد الأشخاص	المرجع
السيناتو (مجلس الشيوخ)	**04**	I.L.Alg,I,3017,3064-3072,3075
الأغسطاليس	**04**	I.L.Alg,I,3064,3027,3072,3075.
المسئول عن إذاعة القوانين	**03**	I.L.Alg,I,3007,3064bis,3065.
القاضي البلدي	**03**	I.L.Alg,I,3064bis,3065,3142.
القاضي البلدي المشرف على الألعاب	**04**	I.L.Alg,I,3067,3069,3070,3071,3141.
القاضي الخماسي	**01**	I.L.Alg,I,3032.
الايديل	**02**	I.L.Alg,I,3007,3064.
مسؤول الخزينة	**02**	I.L.Alg,I,3141,3069-3070.

لقد كانت أمانة الخزينة عادة هي أول المناصب التي يتولاها من يريد الارتقاء في السلم الإداري و تسبق عادة منصب الاديلية ، و في حالة عدم وجود هذه الأخيرة فإنها تأتي دائما الثانية بعد وظيفة ما أو قد تسبق منصب القاضي البلدي. كما يمكن في حالات قليلة أن تعقب منصب مذيع القوانين.وقد فسر عدم احترام الترتيب في تولي المسؤوليات الإدارية

« Senatus », « Augustales » « Praefectus iure dicundo », « Duumviratus » «Quinquennalis », « Decurio », « Munerarius » « Aediliis », « Quaestor », « Tabullarius », « Flamen Annus » , « Pontifex », « Flamen Perpetuus ».

[1]Gsell. St, I.L.Alg,I.,pp286-287.

إما بعدم المبالاة أثناء تعديد مسؤوليات الشخص المتوفى أو بنزوع نخبة المدينة نحو الاستقلال الذاتي و تجنب إ ملاءات الأباطرة التي كانت تطالب باحترام التراتبية الإدارية في هذا المجال.[1]

أما بالنسبة لمجلس الشيوخ فقد كان من المناصب الرفيعة جدا في المدينة وكان الذي يترشح له يجب أن يكون من الأرستقراطية الرومانية العريقة و ألا تقل ثروته عن مليون سسترس. ووجود هذه المؤسسة بتبسة من الأهمية بمكان لأن النصوص التي تتحدث عنها ببلاد المغرب القديم قليلة جدا خلال العهد الإمبراطوري، إذ لا توجد سوى في 48 مدينة. ويبدو أن دور مجلس الشيوخ في إدارة شؤون المدينة كان كبيرا بالنظر إلى أن القرارات المهمة كان يتم اتخاذها فيه. وقد وقع خلاف بين الباحثين في أصل هذه الهيئة، فهناك من يرى أنها تمت بأصولها إلى العهد البونيقي[2]، في حين هناك من يميل إلى القول بأنها نموذج مصغر لمجلس الشيوخ بروما.[3]

الهيئة الإدارية الثانية المهمة في المدينة ، و هي غير مختلف في Curia وتمثل جمعيات المواطنين أو الكوريا أصلها الايطالي حيث استنادا إلى طبيعة التعمير البشري لتبسة في مطلع العهد الروماني المؤلف من أعداد كبيرة من المهاجرين الإيطاليين الذين قدموا في عهد يوليوس قيصر واستقروا بها كمزارعين ، يكون هؤلاء قد حملوا معهم جمعياتهم التي كانوا ينتمون إليها في مدنهم الأصلية، لأن تبسة حسب أحد الآراء مدينة لم توجد بها نظم سياسة وإدارية سابقة للفترة الرومانية.[4]

وتعد هذه الجمعيات دليلا على الحيوية الإدارية للمدينة في العهد الإمبراطوري الأعلى، فقد كانت لها شخصيتها القانونية و استقلالها المالي يشرف عليه محاسب مالي[5]. وكل مواطن كان عليه الانتماء لإحداها لأنه عمليا كان يوجد حوالي عشر جمعيات في كل مدينة ، وكان الأعضاء فيها متحدين وعلى جانب من الثروة ولهم بعض الامتيازات الاجتماعية مثل صف من المقاعد مخصص لكل جمعية في المسرح و حفلات سنوية مصادفة لأعياد ميلاد المتبرعين منهم، و مراسيم جنائزية رسمية بعد وفاتهم[6].

و بحسب النقوش التي تحدثت عنها[7] ، نتبين وجود فئات مختلفة بينها؛ إذ هناك إشارة إلى المواطنين* و عامةالشعب* وأصدقاء الكوريا*** . و رغم الأخذ و الرد حول مدى شمولية هذا المصطلح الأخير لكل مواطني المدينة

---

[1]Espanet-Carissan. C, op.cit.,p122.
[2]Kotula.T, Les curies municipales en Afrique Romaine,Wroclaw,1968, p49.
[3]Gascou .J, Les curies africaines ; origine punique ou italienne ,Ant.Afr,10,1976, p 38.
[4]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p100.
[5] Kotula.T,op.cit, p73-74.
[6]C.I.L,VIII,3293;I.L.Alg., 3017 ;Kotula.T, op.cit., p126.
*« Cives», **« amiciis curiis », ***« Populi »,****«Liberti », *****«Ingenuus», ****** « Incolae»
[7]I.L.Alg.I,3064-3068,3075.

الرومان سواء المولودين أحرارا**** أو المعتقين *****من جهة و الأجانب****** من جهة أخرى،إلا أن الرأي الأقرب للصواب هو اقتصاره على مجموعة صغيرة دون باقي السكان، و إن كان الباحث كوتولا يعتقد خلاف ذلك.[1]

الهيئة الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقاتها هي القضاة البلديون[2] وهم نوعان ؛ إثنان سنويان يعينان من قبل مجلس الشيوخ و هما مسؤولان عن الإدارة المحلية و لهما صلاحيات واسعة في تسيير شؤون المدينة مثل إصلاح الأسوار وتقوية دفاعات المدينة و الفصل في القضايا بين المواطنين ومراقبة أداء الموظفين الأدنى رتبة منهما. أما النوع الثاني فهو القاضي البلدي المعين لمدة خمس سنوات. و يعد أعلى الموظفين رتبة في المدينة ، و وظيفته المراجعة الدورية لأعضاء مجلس الحكام أو الديكوريون

و ضبط و إحصاء قوائم المواطنين* و يقوم بها كل خمس سنوات .و مهمة أخرى غير واضحة لحد الآن

إلى جانب بعض المسؤوليات المالية مثل تحصيل نوع من الضرائب السنوية يدعى "فكتيغاليا"**

يفرض على أرباح شركات الأشغال العمومية المتعاقدة مع الإدارة البلدية .[3]

إلى جانب المؤسسات السابقة نذكر أيضا الأغسطاليس وهي هيئة قديمة استحدثت في عهد أول الأباطرة وتعني الكهنة أو الضباط الذين عينهم أغسطس، ثم صارت لها وظيفة إدارية إلى جانب مهامها الدينية. و الملاحظ أن النصوص المشيرة إليها قليلة ببلاد المغرب لا تتعدى سبعة وعشرين منها تسعة بتبسة وحدها[4]، وهي مذكورة دائما إلى جانب هيئة الكوريا[5].

إذ لم يرد ذكرها إلى جانب تبسة سوى في مدينتين هما حيدرة و تيمقاد مما يحملنا على الظن بأنها مرتبطة بعائلة الإمبراطور و مهمتها إدارة ضياعه. وهم في تبسة يظهرون في ترتيب الهيئات الادارية بعد الديكوريون و أعضاء الكوريا و قبل مجلس الشعب مما يعني أنهم شغلوا مكانة جيدة في الإدارة المحلية و المجتمع.[6] .

لقد كانت هذه الهيئة بتبسة مؤلفة كلها تقريبا من عتقاء الإمبراطور و ذلك أنها كانت إحدى المؤسسات القليلة جدا التي سمح لهم بالانضمام عليها لكونهم عبيدا سابقين، وكان غرض السلطة من ذلك إتاحة المجال لهم لإثبات وجودهم و كفاءتهم في المجتمع و الاستفادة من مواهبهم الإدارية و ثرواتهم للإنفاق على المرافق العمومية[1].

---

[1]Kotula.T, op.cit.,pp81-84.

[2] « Duumviri»

*Lectio ordinis , **Vectigalia .

[3]Espanet-Carissan.C, op.cit.,p121.

[4] I.L.Alg.I,3032,3064-3075.

[5] Kotula.T, Les Augustales d'Afrique ,B.C.T.H.S,17,1984, p 349.

[6] Février. P-A, Approches du Maghreb Romain, II, op.cit,p 196.

لقد كان اختيارهم يتم بقرار من حكام المدينة * ، من المعتقين أو من المواطنين الرومان المولودين أحرارا، وكانوا يشكلون نوعا من اتحاد معين و حلقة وصل بين عامة الشعب و فئة الحكام (الديكوريون). و كان أبناء هؤلاء المعتقين يطمحون عادة إلى خلافة آبائهم و الترقي في المناصب البلدية بعد أن يكون أولئك قد مهدوا لهم الطريق ، لأن الانخراط في عضوية الكهان هذه كان دليلا على القدرة المالية لصاحبه و لأسرته. وتكمن أهمية هذه الهيئة في إشرافها على العبادة الرسمية أو عبادة الإمبراطور في المدينة أي أنهم كان لهم دور سياسي ديني وهو إظهار مدى تعلق السكان بشخص الإمبراطور و ولائهم للسلطة الإمبراطورية. وتعكس نصوص النقوش المشيرة إليها أهميتها الاجتماعية والاقتصادية و الدينية، إذ رغم مهمتهم الأساسية في تنظيم عبادة الإمبراطور و تعظيم شخصه و مكانته في نفوس السكان عن طريق الطقوس و القرابين و الحفلات و المآدب العامة ، كان أعضائها يشاركون بطريقة غير مباشرة في إدارة المدينة ، و ربطتهم صلات وثيقة بفئتا الديكوريون و القضاة البلديون إلى الحد الذي نجدهم يهدون باسم هيئتهم تمثالين على شرف زوجة و ابنة كوينتوس تيتينيوس سكوروس أحد القضاة البلديين.[2]

وتتعدد الشواهد حول العلاقات الوطيدة بين هيئة الأغسطاليس و باقي المؤسسات الإدارية الأخرى بالمدينة .لاسيما جمعيات المواطنين أو الكوريا التي تذكر دوما قبلها حين توزع الهدايا و الهبات السنوية** على أعضائهما [3] .بخلاف أعضاء الهيئات الأخرى الرفيعة مثل السيناتوريين و الوكلاء من طبقة الفرسان الذين كانوا مجبرين على عدم امتهان أي عمل بموجب القانون،في حين كان للمعتقين من أعضائها الحق في ممارسة الأعمال التجارية و الإثراء.[4]

وقبل أن نختم هذا العنصر الخاص بالتاريخ الإداري للمدينة لابد من الإشارة إلى هيئة إدارية أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها و ذات طابع مالي هي مكاتب الجباية* التي كان يقوم بتسييرها عتقاء الإمبراطور تحت رئاسة أحد كبار المعتقين أو وكيل من طبقة الفرسان. وكانت مهمة هذه الهيئة حساب المداخيل السنوية من الضرائب النقدية و العينية المستحقة لخزينة الدولة**، وتقييدها في سجلات المحاسبة وتحرير العقود من طرف أعوان المكاتب***.و كان على رأس هؤلاء المرؤوسين مسؤولون من المعتقين أيضا يشرفون على حسن إدارة العمل نجد منهم مدير في مكتب المالية****،رئيس المحاسبين*****، المحاسبون******، كلهم تحت إشراف مسؤول الإدارة على مستوى المقاطعة

---

[1]Le Glay.M, La place des affranchis dans la vie municipale et la vie religieuse ,M.E.F.R, Tome 102,N°2,1990, pp634-635.

*« Decreto decurionum »

[2]CIL.VIII,16560 ;I.L.Alg.I,3069-3070. ; Espanet-Carissan. C, op.cit.,pp157-158.

**« Sportula »

[3]CIL.VIII, 1882=I.L.Alg.,3075: **«Cvriae universae et Augustales ob merita»**

[4]Espanet-Carissan.C, op.cit.,p158.

الجبائية[1].

و إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن تبسة كانت مقرا لدائرة مالية و عقارية كبيرة[2]، سيتجلى لنا حجم الموارد و المداخيل التي كان على هذه الهيئة إدارتها ومن ثم حساسية هذه المناصب و أهمية المتولين لها حتى و إن كانوا من المعتقين.

وهناك أيضا مكاتب الأرشيف العمومي التي كان يقوم بمسك دفاترها أعوان من المعتقين أو العبيد[3]. وعملهم يقتضي التسجيل اليومي لكل نشاطات المكتب و حفظ العقود و القرارات المتخذة على مستوى المقاطعة ، ويخضعون.[4] لسلطة رئيس الموثقين« Optio Tabellariorum ».

على العموم ومن خلال هذه الإطلالة على مختلف المناصب السياسية و الوظائف الإدارية الموجودة عل مستوى مدينة تبسة أثناء العهد الروماني، لا يبقى مجال للشك في أهميتها كمستعمرة رومانية في نظر السلطات التي زودتها بكل النظم الإدارية الضرورية التي تعكس أهمية الوجود الروماني بها و مراهنتها على تحويلها إلى مركز لتكريس الرومنة الحضارية الكاملة لكل المنطقة المحيطة بها.

ثانيا . النشاط الاقتصادي:

تعد تبسة مدينة ذات حيوية اقتصادية كبيرة منذ تاريخها المبكر ، ونظرا لموقعها المتوسط بين المنطقة التلية والهضاب فقد كانت تجمع بين إقتصادين متباينين ؛ اقتصاد زراعي قائم على إنتاج المحاصيل الزراعية المختلفة منذ فترة فجر التاريخ تدعم أكثر مع قبائل الموزولامي المزارعة في العصر التاريخي، واقتصاد رعوي تمتهنه قبائل الرحل الضاربة جنوبها . وهذا ما جعل منها سوقا جهويا كبيرا تلتقي فيه مختلف هذه الأنماط الاقتصادية لتبادل السلع و المنافع.

هذه المكانة الاقتصادية تعززت أكثر خلال الفترة الرومانية حيث جاء الرومان و معهم مشروع استيطاني كبير لتوطين أكبر عدد من المعمرين الرومان بها و استغلال إمكاناتها و مواردها الطبيعية المتنوعة التي كانت معروفة جيدا لهم من أجل إرساء بنية اقتصادية قوية. ولما كانت تبسة مدينة حديثة العهد بالنظام الاقتصادي الذي كان يسير الإمبراطورية الرومانية ، فقد احتاج الرومان علاوة على العمل الزراعي إلى استحداث عدد من الأنشطة الاقتصادية التحويلية لم تكن موجودة بها من قبل و التي كانت ضرورية لمعيشة السكان ولتوفير موارد مالية لخزينة المدينة.

---

* Tabularia,**Fiscus,***Adiutor, ****Vicarius arcarii, ******Arcarii, ***Praepositus a rationibus

[1]CIL.VIII,16561=I.L.Alg,I,3009.

[2]Gsell.St, I.L.Alg,I,p287.

[3] «Commentarius», Adiotur a commentariis.

[4]Espanet-Carissan. C, op.cit.,p155-156.

من هذا المنطلق سنصادف بالمدينة أوجها عدة من الحياة الاقتصادية المتكاملة، منحت لساكنيها الازدهار و الرخاء وأعطتها تلك الصورة البراقة منذ القرن الثاني الميلادي كمستعمرة ثرية و عظيمة حسب المعطيات النصية و الأثرية.[1]

ويمكن حصر هذه النشاطات الاقتصادية و منشآتها في مايلي:.

1.منشآت المياه:

كانت تبسة أثناء الفترة الرومانية تتمون بالمياه بواسطة ثلاثة قنوات رئيسية ، الأولى قادمة من خارج المدينة تحديدا من منطقة أشجار البلوط الثلاث وتصب في أحواض حمامات حي الخيالة وهي غير عملية منذ زمن طويل. و الثانية من عين شالة و الثالثة من عين البلاد.[2]

هذه القناة الثانية الواقعة في جنوب غرب المدينة كانت مؤلفة من بئر رئيسية و آبار ثانوية عديدة تعمل كخزانات للتحكم في منسوب تصريف المياه، و كانت تزود الأحياء الجنوبية و الجنوبية الشرقية و الغربية من المدينة. و يبدو أن بنائها صادفته مصاعب جمة لذلك كانت آخر ما بني من المنشآت. كان منسوبها يبلغ ما بين 50و60 لترا في الثانية. انطلقت من عين تقع على عمق مترين في باطن الأرض ، و غطي المأخذ الذي كان يحتويها بسقف شبه منحرف أبعاده تبلغ 8أمتار طولا و 7.50مترا عرضا و ارتفاع 6أمتار.[3]

و تقع العين في أحد زواياه. وقد أجريت عدة أبحاث في سنة 1850 من أجل إعادة استغلالها ، حيث أفضت إلى وجود عدد من القنوات الفرعية المنطلقة منها تقع على أبعاد مختلفة ، 12 و 18 و 45 و 66 متر من العين بلغ الماء فيها ارتفاع مستويات متباينة من 0.30إلى 0.40 متر.[4]

وقد جهزها الرومان بعدد من النفاسات لغرض الصيانة و الترميم تم اكتشاف حوالي سبعة منها في سنة 1890أثناء إجراء بعض الأشغال، أبعدها و هو الرقم سبعة يقع على بعد 48 متر من مأخذ المياه. و للتأكد من عمقها و امتدادها قرر الرائد **"مايترو"** القيام في سنة 1904ببحث ميداني داخلها مكنه من تتبع مسار الماء عند خروجه من النبع عند الزاوية الشمالية للمأخذ عن طريق قناة محفورة في الصخر عمقها 0.38م وعرضها 0.45م، وبابتعادها عن المأخذ تم توسيع عرض مجراها حتى 0.70م وتغطيته بقرميد مقوس مما جعل ارتفاعها الإجمالي عن سطح الأرض يبلغ 1.90م، لكنه يبدأ في التناقص كلما ابتعد عن النبع حتى بلغ 1.35م على بعد 12 م .[5]

---

[1] C.I.L.VIII, 16530. : « ***Colonia Splendissima Thevestina*** ».
[2] Maitrot, Theveste, loc.cit., pp101
[3] Moll, Memoires ,loc.cit,1858-59, pp76-77.
[4] Maitrot, Theveste, loc.cit., pp101-102.
[5] Maitrot, Theveste, loc.cit., p103-104.

لقد كان مسار هذه القناة يتغير باستمرار وتكثر فيه الانحناءات بسبب طوبوغرافية الأرض التي فرضت على المهندسين الرومان مسايرتها لتجاوز العقبات وهذا ما زاد في طولها. وكان ارتفاعها يتفاوت من نفاسة إلى أخرى، حيث بلغ بين النفاستين رقم 6 و7 حوالي 0.90م أين فصلت مسافة 10 سم بين مستوى الماء وسطح القناة المقوس. و بين النفاسة رقم 6 و رقم 5 الواقعة منها على بعد 60م ارتفع إلى 1.60م بينما يتقلص الحيز بين الماء وسطح القناة إلى 5سم. لقد كانت مياه هذا النبع وفيرة في الشتاء أكثر من الصيف ، ولكي يحافظ الرومان على منسوب المياه ثابتا على مدار الوقت لجأوا إلى بناء هذه الأروقة النفقية و توسيع مجراها وتجهيزها بغرف لتكون بمثابة آبار لتخزين المياه و رفع ضغطها عند الحاجة.[1]

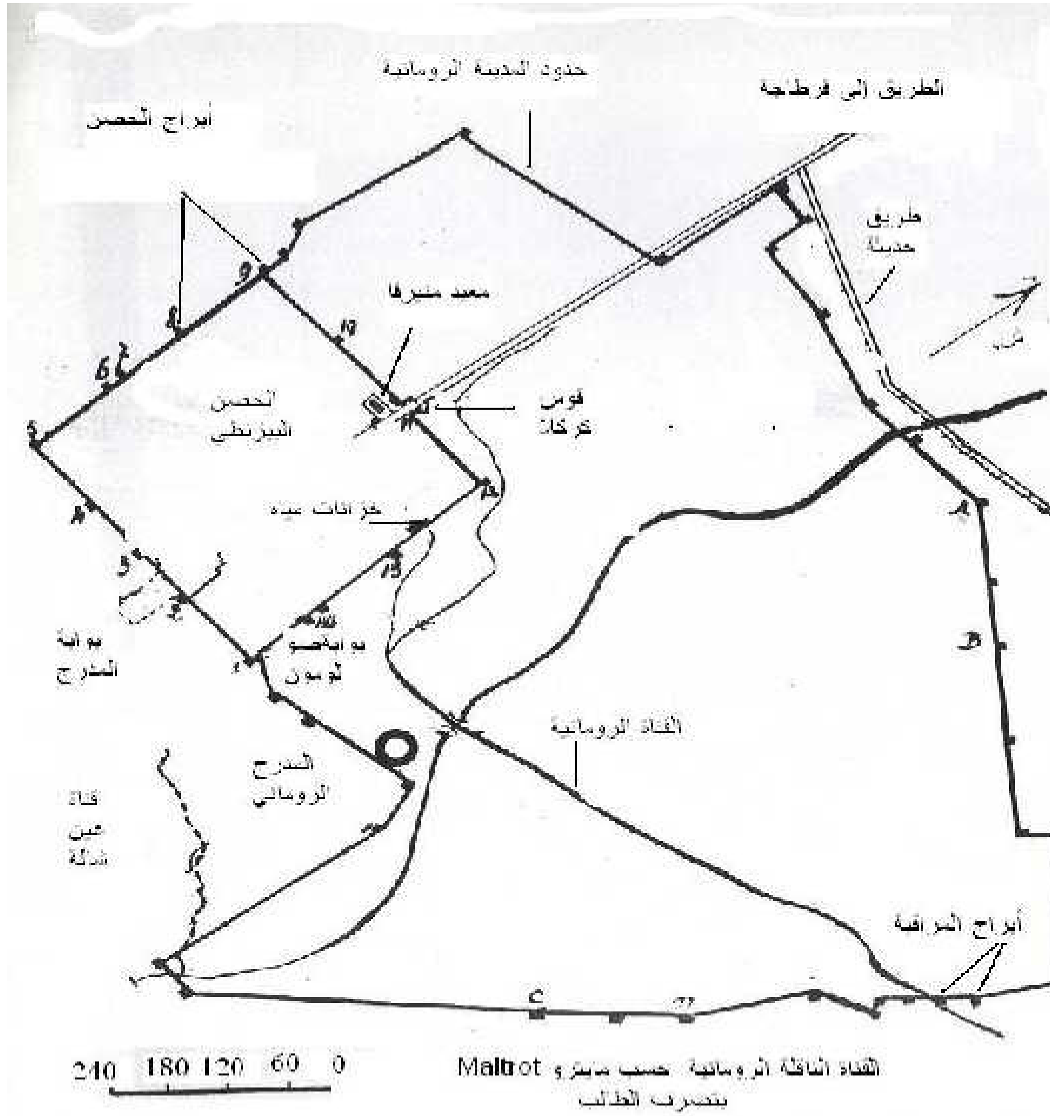
القناة الثانية المسماة عين البلاد بنيت حوالي سنة 70م و يبلغ مستوى تصريف الماء بها 330لتر في الثانية [2]، وهي مؤلفة من خمسة أقسام مختلفة؛ الأول و هي العين الواقعة على بعد 600متر من الواجهة الجنوبية الشرقية للسور البيزنطي. و يبدو أن الرومان كانوا في مرحلة أولى يعتقدون أن الجرف الموجود بهذه الناحية مصدر مهم للماء فحفروا قناة باتجاهه، لكن تبين لهم أنه جاف فغيروا مسارها نحو الجبل حيث العين. لذلك صادفت التحريات الميدانية الأولى في هذه الناحية من المدينة مجموعة من المنشآت المتنوعة المتفرعة عن هذه العين منها أربعة غرف بها أحواض دائرية أقطارها متباينة استخدمت لتجميع المياه القادمة من النبع قبل تصريفها نحو جهات مختلفة عبر شبكة من السقايات لري البساتين و تزويد الأحياء بالماء.[3]

تمثل القسم الثاني في القناة الناقلة التي زاد الطول المتبقي منها عن 48 متر وبلغ ارتفاع الجزء المعلق منها على أقواس أو حنايا 2.75م، وانحناءة القوس 2.50م وعرض الأعمدة المستندة إليها متر واحد، ووضع مجرى الماء بملاط قوي من الحصى الصغيرة « **Specus** »على ارتفاع 1م من أعلى القوس. وقد بنيت جوانب مجرى القناة والأدباش و الرمل و الجير، وغطي ببلاطات حجرية تركت بينها مسافات متساوية من أجل تهوية الماء.[4]

بعدها نجد القسم الثالث المتمثل في الجسر الناقل الذي بناه الرومان على أحد الجروف أو المنحدرات البالغ عمقه عشرة أمتار و عرضه خمسة أمتار و نصف. حيث كانت لا تزال تظهر آثار القوس البالغ انحناءته 3.50م. كان عرض هذا الجسر الناقل يصل إلى 2.80م وبه مجرى القناة التي بلغ عرضها 0.50م وعمقها 0.30م

أين كان الماء يصرف عبرها، وهذا الجزء من القناة المرفوعة الرومانية كان لا يزال موجودا أسفل الجسر الفرنسي مطلع القرن العشرين. وبعد عبور المنحدر كانت القناة تواصل طريقها مباشرة نحو المدينة ثم تنقسم المدينة ثم تنقسم

[1]Ibid., pp106-107.
[2]Gsell.St, M.A.A, I, p256.
[3]Gsell.St, A.A.A, F29.n° 100 ; Maitrot, Theveste, loc.cit., p108.
[4] Maitrot, Theveste, loc.cit., p110.



شكل رقم13: مسار القناة الناقلة الرومانية

إلى قسمين على مسافة 90 متر من بوابة صولومون، قسم نفقي منها يخترق المدينة و الآخر يماشي سطح الأرض و يلتف حول السور البيزنطي حيث يمر قرب قوس كركلا ثم يواصل مساره بمحاذاة الطريق القديمة المؤدية إلى قرطاجة.[1]

و ضم القسم الرابع قنوات كانت تحاذي جانبي القناة وتنطلق منها لتتوزع في أرجاء المدينة حيث تقوم بملىء أحواض ثانوية تقع قريبا من السور . كما رصدت آثار قناة مهمة على مسافة 250م شرق الجسر الناقل كانت تتخطى أحد المنخفضات على معبر صنع من ركام من الحجارة الكبيرة عرضه متر واحد وارتفاعه متران عن قاع

[1]Maitrot, Theveste, loc.cit, p110.

المنخفض. شقت هذه القناة في وسطه بعرض 0.21م كانت تتجه نحو المدرج لتصب في أحد الأحواض الذي بلغت أبعاده 1.50م طولا على 1.20م عرضا.[1]

وكان القسم الأخير عبارة عن قناة نفقية واسعة جدا تسير في الاتجاه المعاكس لوجهة قناة الجسر الناقل متجهة نحو منحدر سيدي محمد الشريف، هذا المنحدر حوله الرومان بواسطة سد إلى حوض هائل لتجميع مياه السيول و الأمطار و العيون المنحدرة من الجبل. تلك القناة شقها الرومان للرفع من منسوب تصريف مياه عين البلاد و جهزوها بحنفيات تحكم في قدرة التصريف، و كانت تصب في حوض قطره 11م يقع على بعد 80 م شرق المدينة، و غير بعيد عنه وجدت بقايا آلات رومانية لسقي الحدائق و البساتين.[2]

علاوة على هذه المنشآت العامة الموجهة لتخزين و توزيع المياه على المرافق العمومية للمدينة وجدت أنواع أخرى بأنحاء متفرقة منها، نذكر على سبيل المثال مسبح وجد بأحد المنازل قريبا من مكان مرور القناة الناقلة و على يمين الجسر. هذا المسبح بلغ طوله5 م و عرضه 4.30م بنيت بخليط من الجير و الملاط و لبست جدرانها بمادة عازلة للماء. بلغ طولها 5 أمتار و عرضها 4.30م و بها سلم من درجتين علو كل منها 0.20م.[3]

وقرب البرج الثالث عشر من السور البيزنطي وجد خزان روماني كبير مردوم طوله 10 أمتار و عرضه 9 أمتار و ارتفاعه 1.50متر كان يستخدم للاستعمالات المنزلية بحكم وجوده قرب حي سكني. كانت تصب فيه القناة الرومانية القادمة من عين البلاد ، وحسب طريقة بنائه يبدو أنه أجريت عليه تعديلات خلال الفترة البيزنطية بغرض إدخاله في السور لتوفير الماء للحامية المدافعة عنه زمن الحصار في حالة ما إذا قطع العدو الإمداد بالماء الذي كان يجلب إليه من قناة متفرعة عن القناة الرومانية المارة قرب السور.[4]

هذا و نشير أيضا إلى قناة ناقلة أخرى تقع على بعد 2500متر إلى الشمال الشرقي من المدينة الحالية مرفوعة على جسر يعود إلى عهد هادريانوس مشيد على أربعة أقواس كانت ما تزال منتصبة غداة الاحتلال الفرنسي للمدينة. و قد جرى وصفه بتفصيل من قبل أحد المختصين بالآثار في نهاية القرن 19م.[5]

و بتبسة الخالية الواقعة على بعد 3كلم جنوب المدينة الحالية وجدت آثار منشآت مائية عديدة منها عدد كبير من الأحواض و الخزانات و قناة ناقلة للمياه كانت تأتي من عين الصهاريج أوعين رفانة أين بنى الرومان عليها

---

[1]Gsell.St, A.A.A, F29.N° 100; Maitrot, Theveste, loc.cit., p111.
[2]Gsell.St, M.A.A, I, p256.; Id., A.A.A, F29.N° 100.
[3]Maitrot, Theveste, loc.cit., p 128.
[4]Ibid.,pp147-148.
[5] De Villefosse. H, Les monuments de Tébessa ,Le Tour du Monde, 1880,II, p15,26.; Gsell.St, A.A.A, F29.N° 102.

مأخذا لتجميع مياهها و توجيهها عبر هذه القناة الرئيسية و قنوات أخرى متفرعة عنها نحو المدينة لتموين السكان و ري البساتين المحيطة بها.[1]

هذا في المدينة ، أما في جوارها القريب فتوجد كذلك آثار أعمال ري رومانية عند سفح جبل لري عصمور. فعند آخر منحدراته المغطاة بالصنوبر و السرو و المزروعات و الحقول الممتدة شمال المدينة الصفصاف و التي تقطعها جروف عميقة استخدمت مياهها تتجمع فيها المياه ثم تنزل لتصب في السهل أسفل الجبل .و قد استخدم الرومان هذه المصبات الطبيعية لري الأراضي المزروعة حول المدينة و أنشأوا عددا من السدود الصغيرة . أحدها قرب مزار سيدي محمد الشريف محاط بصخور عليها آثار تقنية البناء الرومانية.[2]

و هناك سد روماني آخرشمال الجسر الناقل للقناة بحوالي 200متر كان يروي الناحية الجنوبية من المدينة[3]. كما رصدت بقايا حنية ناقلة للمياه على امتداد 23.30متر و بعرض 5.60متر على قاعدة صخرية بارزة على جانبي الحنية بمقدار 2 إلى 2.50متر و بمستوى مائل لامتصاص قوة المياه المتدفقة . كانت الأقواس التي تحملها يبلغ قطرها 7.60متر و فتحتها ترتفع عن سرير الوادي بحوالي 5.60متر .[4]

كانت الحدائق المحيطة بالمدينة تروى بمياه عدد من السواقي أحدها كان يمتد من أحد الجروف حيث مجرى وادي زعرور على مسافة 700متر محفورة في الصخر عرضها 20سم و يظل محاذي لضفة الوادي اليمنى . و الآخر يقع أسفل منه وهو محاذي للضفة اليسرى للوادي ، و يتميز بفتحته الواسعة عند اتصاله بهذا الأخير لكنه يضيق كلما ابتعد عنه حتى يبلغ عرضه مابين 25 و 30 سم. وهو محفور في عدة مواضع منه في الصخور حتى عمق 0.55متر. و ما يثير الانتباه في هذه القنوات هو الدقة الهندسية و الإتقان البالغ الذي أنجزت به، و الذي يعد بلا ريب من عمل الرومان الذين تتميز منشآتهم المائية بالصلابة.[5]

ومما أنشأه الرومان أيضا قنوات سقي نفقية في ضواحي تبسة تتصل ببعضها بواسطة آبار تبعد عن بعضها البعض بمسافة 8إلى 10 أمتار . وزودوها بنفاسات لتنظيف الأروقة الباطنية من الشوائب و فتح المسالك في حال انسدادها.[6]

و من جبل بو رومان المطل على المدينة كانت تسيل عيون بمياه عذبة أوصلها الرومان إلى منازل المدينة عن طريق قناة ناقلة طولها 900متر . هذه القناة كانت موجودة في نهاية القرن التاسع عشر و تقطع أحد المنحدرات

---

[1]Gsell.St, A.A.A, F29.N° 144,146.

[2] de Bosredon .L, Promenade ,loc.cit, 18, 1876-77,p 426. ;Gsell .St, A.A.A , F 29.n° 152.

[3] Castel.P, op.cit , p26

[4] de Bosredon .L, Promenade ,loc.cit, 18, 1876-77, p.412-411.

[5] de Bosredon .L, Promenade ,loc.cit, 18, 1876-77,p .412-13.

[6] Gsell.St, Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens à l'est algérien, Paris,1902,p111.

الذي بلغ عمقه 15 متر. و قد قام السكان باصلاحه لكن الجزء الروماني منه هو الذي ظل يمون المدينة بالماء.[1]

2-الزراعة:

إن المظهر العام الضخم لآثار تبسة شاهد على الازدهار الزراعي الذي شهدته هذه المنطقة و التي كانت قبل ذلك مأهولة بقطعان الماشية ، فأصبحت تغطي المرتفعات حولها حقول الزيتون.[2]

هذه المنطقة الخصبة تمثل سهولا واسعة مزروعة بالقمح في حين غرست المناطق الهضبية و المرتفعة منها بأشجار الزيتون[3]. ولا أدل على ذلك من وجود مخازن عدة للحبوب وبقايا معاصر بتبسة الخالية تشهد على أنها كانت قديما مركزا زراعيا مهما [4] .

أ- أنواع الملكيات:

استولى الرومان منذ عهد أغسطس و تيبريوس على أخصب الأراضي بالمنطقة ، وازدادت وتيرة المصادرات خلال عهد الامبراطور تراجانوس الذي استنادا إلى عدد كبير من النقوش قام خلال فترة حكمه بوضع يده على معظم ما تبقى من أراضي قبيلة الموزولامي التي كانت مضاربها تقع شمال تبسة حول مرسط[5]، كما حول جزءا و آخر منها إلى أملاك خاصة بعد أن ضمها لملكية الدولة Ager Publicus و وزعها على مواطنين رومان[6] مثلما هو الحال مع ضياع فاليريا أتيكيلا أو براري بغنسيس اللذان حصلا عليه بموجب قانون الحيازة . [7] Saltus Beguensis

وحسبما ما وقع بين أيدينا من وثائق فقد رصدنا وجود أربعة أنواع من الملكيات بتبسة خلال الفترة الرومانية و عهد تراجانوس على وجه التحديد وهي :

أ-ملكية الامبراطور :

---

[1]Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, R.Af, XVIII,1874, p439.
[2] Toutaint. J,L'économie antique, La renaissance du livre, Paris,1927, p344.
[3] Demsiri-Laadoua .L, Les domaines impériaux en Afrique du Nord romaine. Etude de la géographique historique , presses universitaires du Septentrion, Paris, 1997, p125.
[4] Boucher J-P, le temple .loc.cit, p 18. ; Demsiri-Laadoua .L,op.cit, p 118.
[5] CIL.VIII, 270=11451=23246,4676=28073,10667=16692 ; I.L.S,1673,5958 a,5958 b,5959 ;I.L.Alg, I, 2339,2828,2829,2939,, 2939 bis,2988,2989.
[6] Picard. G-Ch, op.cit, p 67.
[7] Rostovetseff .M, Histoire économique et sociale de l'empire romain , éd .Robert Lafonte, Paris, 1988, p234, p556.n°76.

وهي ملك له ولعائلته وتدخل عائداتها خزائنه الخاصة ، كما أنها معفاة من الضرائب. وحسب نقيشة جنائزية وجدت بتبسة الخالية لشخص كان عبدا إمبراطوريا يدعى

غودولوس Gudullus شغل منصب مساعد المحاسب في مكتب أملاك عمومية[1]

في القرن الأول أو الثالث الميلادي ،فان هذه الأخيرة كانت تعد مركزا للضياع الإمبراطورية المنتشرة بنواحي تبسة.هذا العدد الكبير من الوكلاء الإمبراطوريين من مختلف الأوضاع القانونية و الاجتماعية و المعتقين و العبيد الإمبراطوريين[2]، يثبت بأنه في نواحي المدينة عدت أكثر أراضيها الزراعية أملاكا تابعة للإمبراطور ، لذلك صارت المدينة مقرا لدائرة مالية و عقارية.[3]

كما كانت مركزا إداريا مهما أيضا، فقد كان هناك وكيل إمبراطوري يهتم بأملاك الإمبراطور بها و بهيبو ريجيوس ، مما يعني أنها كانت تابعة لعنابة عقاريا و ماليا ثم صارت مستقلة عنها.[4]

و لدينا عدد من الشواهد الجنائزية تسمح لنا بالإشارة إلى عدد من الضياع الإمبراطورية التي كان يديرها معتقون إمبراطوريون أو وكلاء من طبقة الفرسان بينهم :[5]

- -ربونتينوس المعتق[6] .
- -Adiutor Tabularii -لبيراليس معتق امبراطوري مساعد رئيس مكتب المحاسبة لأحد الضياع الامبراطورية.[7]
- -Adiutor Commentariis فورتوناتوس معتق و مساعد مسؤول الأرشيف[8] .
- Arcarii .Vicarius أوفروزيموس أنطيوكوس معتق و محافظ الحسابات لأحد الضياع[9]
- بريموس معتق الإمبراطور هادريانوس أو أنطونينوس التقي[10].
- ثيزيوس معتق الإمبراطور ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس محاسب في ادارة الأملاك العقارية بتبسة Theseus بين سنوات 169/161 [1].

---

[1] CIL.VIII, 2033 ; I.L.Alg, I,3549. : « ***Augusti nostri servuus adiutor tabularii***»
[2] Février. P-A, Approches du Maghreb Romain, II, op.cit,p 194.
[3] Demsiri-Laadoua .L,op.cit, p 119.
[4] Ibid,p106.
[5] Ibid, p108.
[6] CIL.VIII,18780, ; I.L.Alg, I,3137.
[7] CIL.VIII,10628 ; I.L.Alg, I ,3139.
[8] CIL.VIII,16561 ; I.L.Alg, I, 3134.
[9] I.L.S, 3580. ; Leschi.L, Inscriptions romaines de Tébessa,B.A.C, 1936-37,p184-185.
[10] CIL.VIII,1899 ;ILAlg I,3140

-معتق يدعى تيبيريوس كلاوديوس بروكولوس كورنيليانوس من طبقة الفرسان كان وكيلا لناحية تبسة[2] . -

Thyphenus -
تيفينوس معتق الامبراطور ووكيل ضياع الامبراطور كومودوس سنة 185م بناحية تبسة[3]. -

وكيل ناحية تبسة مجهول الاسم يعود لما بين سنوات 116/117م [4] -

ماركوس أولبيوس بروبوس معتق الامبراطورين ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس161/169 أو ماركوس أوريليوس و كومودوس 176/180م وكيل الضياع الإمبراطورية بناحية تبسة بافريقيا [5]. -

فهذه القائمة المؤلفة من وكلاء الضياع الامبراطورية بتبسة وضواحيها تشير إلى اتساع أملاك - الإمبراطور وكثرتها لاسيما منذ القرن الثاني الميلادي. نضيف إليها أسماء وكلاء آخرين من طبقة الفرسان حسب الجدول التالي:

جدول رقم 05:الوكلاء من طبقة الفرسان المسؤولين عن الضياع الإمبراطورية في إدارة أملاك تبسة:[6] -

-

اسم الوكيل	التاريخ	اللقب الوظيفي	المرجع	مكان الاكتشاف
تيتوس فلافيوس[7] ماكسيموس ماكر	/98 117	Proc.Aug praediorum saltum Hipponensis et *Thevestini	CIL.VIII,5351 ;IL Alg,I,3992	قالمةCala ma
ماركوس كلاوديوس[1]	138 161/	Proc.dioeceseos reg.Hadrimetine Thevestinae.	CIL.VIII,7039 ;IL Alg,II,3665.	قسنطينةCir ta

---

[1] CIL.VIII,16525; ILAlg I,314 ; Saumagne.Ch, la population rurale de la région de Musti, C.T,37-40,1962,p270. ; Id., Esquisse des circonscriptions domaniales dans l'Afrique romaine, C.T,37-40,1962,p246,p255.

[2] Pflaum H-G, loc.cit,Libyca,III,1955,p123-133 ;AEp,1956,123"***Procurator regionis Thevestinae"*** ;

[3] CIL,VI,790 : «…..***Victoriae /imperatoris caesaris Commodi Antonini Augusti pii felicis / Thyphenus liberts procurator regionis Thevestinae……….*** »

[4] Demsiri-Laadoua .L,op.cit,p116 ***: « ……[f(ilio)] A [(…..)] / qui […….. procuratori regionis Theves[tinae].»***

[5] Ibid, p116-117. : « ***D(iis) M(anibus) / Marco Ulp(io) Augg(ustorum) lib(ertus) / Probus proc(uratori) provinciae Panoniae super(ioris) et Africae / reg(ionis) Theves(tinae)…………….*** »

[6] I.L.Alg.I, p 287. ;Ibid, p117.

* وكيل البراري من طبقة الفرسان أو غالبا معتق مهمته الإشراف على ضيعة أو مجموعة ضياع تابعة للامبراطور.

[7] Albertini. E, Hippone et l'administration des domaines impériaux,B.A.H,35,1922-24,p59.

رستيتوتوس				
كلاوديانوس	184 /192	[Procur]t.August r[egionis thevestinae]*	CIL.VIII,11048.	/
ديديوس كلاوديوس غالبا	203 /204	Procura.reg.Thevestinus et Hipponiensis	Pflaum G-H,carrières,op.cit,p 655.	لبدةLeptis Magna
لوكيوس ايوليوس فيكتور موديانوس	198 /211	Proc.tractus Thevestini	Ibid,p732.	قسنطينةCirta

ب- أراضي الملاك الكبار: -

وهذه يمتلكها كبار الملاك من العائلات الأرستقراطية الرومانية ، وقد مكنتهم الدولة من حيازتها - باعتبارها من الأراضي العمومية . و تمثل هذا الصنف أراضي فاليريا أتيكيلا التي وضعت معالم حدودية بينها و بين أراضي الموزولامي في عهد تراجانوس سنة 105م باشراف قائد الفيلق الثالث لوكيوس منيكيوس ناتاليس[2] ، أو براري Saltus Beguensis بغنسيس التي سبقت الإشارة إليهما.[3]

و لدينا شواهد أخرى من النقوش عن هذه الملكيات الكبرى الخاصة أو ما تعرف عند الرومان بالاتيفونديا ونظام تسييرها . منها نقيشة هنشير المايز الواقعة على بعد 20كلم جنوب شرق تبسة ، نذرها صاحبها و هو عبد يدعى بروكولوس للاله جوبيتر لكي يبسط رعايته وحمايته على سيده ماركوس أولبيوس كوينتينيانوس[4].

وبروكولوس هذا كان بلا شك مسير Villici الضيعة أو وكيل إحدى المزارع Fundus الواقعة في أحد أرياف تبسة.[5]

---

[1] خلال توليه هذا المنصب خضعت ضياع نواحي كيرتا لاشرافه مما يدل على اتساع سلطاته و أهميتها يراجع :
David .J-M, Réformes des administrations de l'annone et des domaines en Numidie pendant la persécution de Valérien(257-260), à propos de C.I.L,VIII,2757, Ant.Afr,11,1977,p149-160.
*وكيل الناحية مهمته تنظيم المزاد لكراء الضياع الكبرى في الدائرة العقارية الداخلة في اختصاصه ينظر:
Decret .F, Fantar.M, op.cit, p227.

[2] Carton, Les Musulamii,Vie Tunisienne illustrée,1924,p7 ; Benabou.M,op.cit,p 437-38

[3] Rostovetseff .M, op.cit,p 234-235.

[4] I.L.Alg,I,3716. : « ***I(ovi) O(ptimo) M(aximo).pro salute M(arci) Ulpi Quintiniani domini n(ostri) mei Proculus servus fecit.*** »

[5] Kolendo. J, Le culte impérial et la faute du lapicide. A propos d'une inscription des environs de Theveste,(I.L.Alg.I.3715), Africa Romana,IV convengo Sassari,12-14 dicembre 1986,p333-334.

وهناك نقيشة أخرى وجدت بتبسة مهداة من نفس الشخص لأحد الملاك يدعى ماركوس أنيوس سيرانوس تفستينوس ابن ماركوس من قبيلة بابيريا[1]، توفي و دفن بضيعته حسبما يعتقد بذلك أحد الباحثين[2]. و يجب أن لا يغيب عن أذهاننا هنا بأن هذا الشخص ينتمي لآل أنيوس ، وهم من كبار العائلات الكبيرة و النافذة بمدينة تبسة ، مما يعني أنه في منتصف القرن الثاني الميلادي كانت هذه العائلة ماتزال تعد من كبار ملاك الأراضي في نواحي المدينة ، وأنها قد باعت هذه الأملاك لأولبيوس كوينتينيانوس أو العكس ، وانتقل بروكولوس بموجب عقد هذا البيع من سيده القديم إلى آخر جديد.[3]

و من بئر بوراوي بضواحي تبسة دائما تأتينا نقيشة ثالثة عبارة عن إهدائية على أحد المعالم لأحد الملاك يسمى كايوس أنيوس أنولينوس جمينوس بركونيانوس(239/231م) ، الموصوف بالطيب جدا ، قدمت من طرف فليكس الذي يحتمل أن يكون مسير الضيعة أو وكيل ضياعه نيابة عن مزارعي إحداها.[4]

نفس هذا المالك ورد اسمه بصورة غير مباشرة في نقيشة نذرية عثر عليها بهنشير بو سكيكين بنواحي المدينة، موجهة لجن أو روح أحد ضياعه من طرف أحد عبيده المشرف على تسييرها[5]. فيتضح لنا إذن مما تقدم كثرة الأراضي و الضياع الخاصة في النواحي القريبة من المدينة ، و أنها كانت مملوكة لكبار العائلات الرومانية النبيلة أو ملاك كبار من عامة الناس . و أن ادارتها و تسييرها أنيط به غالبا إلى عبيد هؤلاء أو معتقيهم، الذين حاولوا اظهار ارتباطهم و امتنانهم لسادتهم من الملاك ولو حتى بعد وفاة هؤلاء.[6]

ج–ملكية المدن :

وجدت كذلك معالم حدودية بشمال شرق الشريعة تشير إلى الحد بين أراضي التيزيبنسيس Tisibenesis و الموزولامي[7]. أحد هذه المعالم يعود إلى سنتي 105/104م. كما نصادف معلما حدوديا آخر يعود لأكثر لأكثر من قرن وتحديدا سنة 214م يشير إلى الحد الفاصل بين أراضي هذه القبيلة و مدينة تيزبننسيا[8]. مما يعني وجود نوع رابع من الملكيات تابع للمدن إلى جانب ملكية الإمبراطور و الخواص و القبائل.

[1] CIL.VIII,2081,27927 ;I.L.Alg,I,3552,3716.
[2] Kolendo. J, loc.cit,p334.
[3] Ibid,p334.
[4] CIL.VIII, 27953 ; I.L.Alg,I,3636.
[5] CIL.VIII, 27943 ; I.L.Alg,I,3625. ; Kolendo. J, loc.cit,p335.
[6] Kolendo. J, loc.cit,p336.
[7] Cagnat .R, C.R.A.I, 1906,p479-480 ; Gsell.St, A.A.A, F28.n°269 ;Id, I.L.Alg,I, 2978.
[8] Despois .J, La bordure saharienne de l'Algérie orientale , R.Af, 86,1942, p211. ;Leschi.L , Recherches épigraphiques, loc.cit,p 292.

د–ملكية القبائل:

- قامت ثورة قبائل الموزولامي في سنة 6 ميلادية خلال حكم أغسطس و ما بين 14 و29 ميلادية في عهد تيبيريوس بسبب سعي الرومان إلى الاستيلاء على أراضيها الرعوية التي كانت تمتد من نقرين حتى شمال تبسة و حول يوكس مرورا بالشريعة ، و التي كانت تمضي فصل الشتاء جنوب تبسة ثم تصعد صيفا للانتجاع قرب وادي ملاق .هذه المصادرة كانت لفائدة المعمرين الرومان. بيد أن روما لم تأخذ كل أراضيهم بل تركت لهم جزءا منها مؤقتا ووضعت معالم حدودية بينها و بين أراضي الإمبراطور أو الخواص و المدن.[1]

كانت مراعي قبيلة المزالمة تمتد جنوب تبسة حيث تجوبها شتاءا وصولا إلى نغرين و الشريعة بحثا عن الكلأ لقطعانها لذا عمدت السلطة الرومانية إلى انتزاع مساحة مهمة من أراضي هذه القبيلة لتحويلها إلى ضياع كبرى، و كانت تبسة من جملة المدن التي ألحق بها جزء من هذه الأراضي مما سمح بتوسيع مساحتها و زيادة إمكانياتها الاقتصادية و هيأتها تدريجيا لقبول النظام البلدي الروماني.[2]

ب–المسح الكنتوري للأراضي و نظام الاستغلال: -

-

- تظهر آثار عملية الكنترة الرومانية جلية بنواحي تبسة إلى الجنوب الغربي منها قرب الماء الأبيض شرق سهل قرت. و الملاحظ أنها تتركز لا على السفوح الجبلية مثل منحدرات جبل كملال ولكن في السهول المنخفضة التي تسهل زراعتها . و التي تعد بحكم موقعها ما يسميه الرومان أراضي هامشية أو بورSubsseciva

-

- أو ذات طبيعة غابية. و تتميز مساحة هذه الأراضي بالشكل المستطيل و تبلغ أبعادها 3500م طولا على 720م عرضا أو مربعة طول ضلعها 720مترا تحدها جدران صغيرة علوها ما بين 0.40متر و 0.50متر ، أو ركامات ترابية . و تاريخ عمليات الكنترة الرومانية بنواحي تبسة غير معروفة على وجه الدقة لغياب النقوش لكن يحتمل أنها بدأت منذ عهد أغسطس و توسعت في عهد تراجانوس مطلع القرن الثاني الميلادي بالنسبة للبروقنصلية[3]

---

[1]Birebent .J, op.cit ,p42 ;Leschi.L ; Recherches épigraphiques dans le pays des Nemenchas,R.Af,72,1931,p291.

[2] Leveau .Ph, Structures rurales et sociales en Afrique du nord à l'époque romaine,D.E.A, histoire du Maghreb ,université Paris III, 1990-91,p87 ; Février. P-A, Approches du Maghreb romain,II,Aix-en-Provence, Edisud,1989,p125.

للبروقنصلية[1] . غير أن ستيفان غزيل يعتقد بأنها شملت تبسة التي كانت تابعة آنذاك لنوميديا لاعتبارات اقتصادية.[2]

[1] Gsell. St, A.A.A,F28.n°253.
[2] Birebent .J, Aquae Romanae, op.cit, p 40-41.

- **وثيقة رقم 1** :

نقيشة عثر عليها بعين كملال بضواحي تبسة ، و هي تتحدث عن وضع معالم حدودية بين أراضي الامبراطور تراجانوس و قبيلة الموزولامي حوالي سنتي 105/104 .

E[x] auc[t]ori[tate] / Impe(ratoris) Nerva(e) Traiani /
Caes(aris) Aug(usti) Ger(manici) Dacici / L(ucius)
Minicius Natalis / Leg(atus) Aug(usti) pr(o)
Pr(aetore) / inter / Aug(ustum) et Musul(amios)
XXXI m(ilia) p(assum) [X] VI (et passus) DCCC

:

Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p165 ;Gsell.St,A.A.A,F29,n°107 ;
C.R.A.I, 1906, p479 ;C.I.L.VIII,10667=16692. ; I.L.Alg,I, 2988.

الترجمة:

تحت سلطة الامبراطور نيرفا تراجانوس القيصر الأغسطس الجرماني الداكي. (قام لوكيوس مينيكيوس ناتاليس) الليغاتوس و برو برايتور بوضع حد ما بين أراضي جلالته و أراضي الموزولامي على مسافة 31 ألف و 800 خطوة.

2- **وثيقة رقم** 2 :

نقيشة عثر عليها بعين كملال بضواحي تبسة ، و هي تتحدث عن وضع معالم حدودية بين أراضي الامبراطور تراجانوس و قبيلة الموزولامي حوالي سنة 116م

Ex a[uct]o[ritate] / Imp(eratoris) Ne<ne>rv[a(e) Traiani]

/ Caes(aris) Aug(usti) Ger(manici) D[acici] / co(n)s(ulis)

VI Im[p(eratoris)] XIII / L(ucius) Acilius Strabo

Clod / ius Nummus leg(atus) Aug(usti) / pr (o)

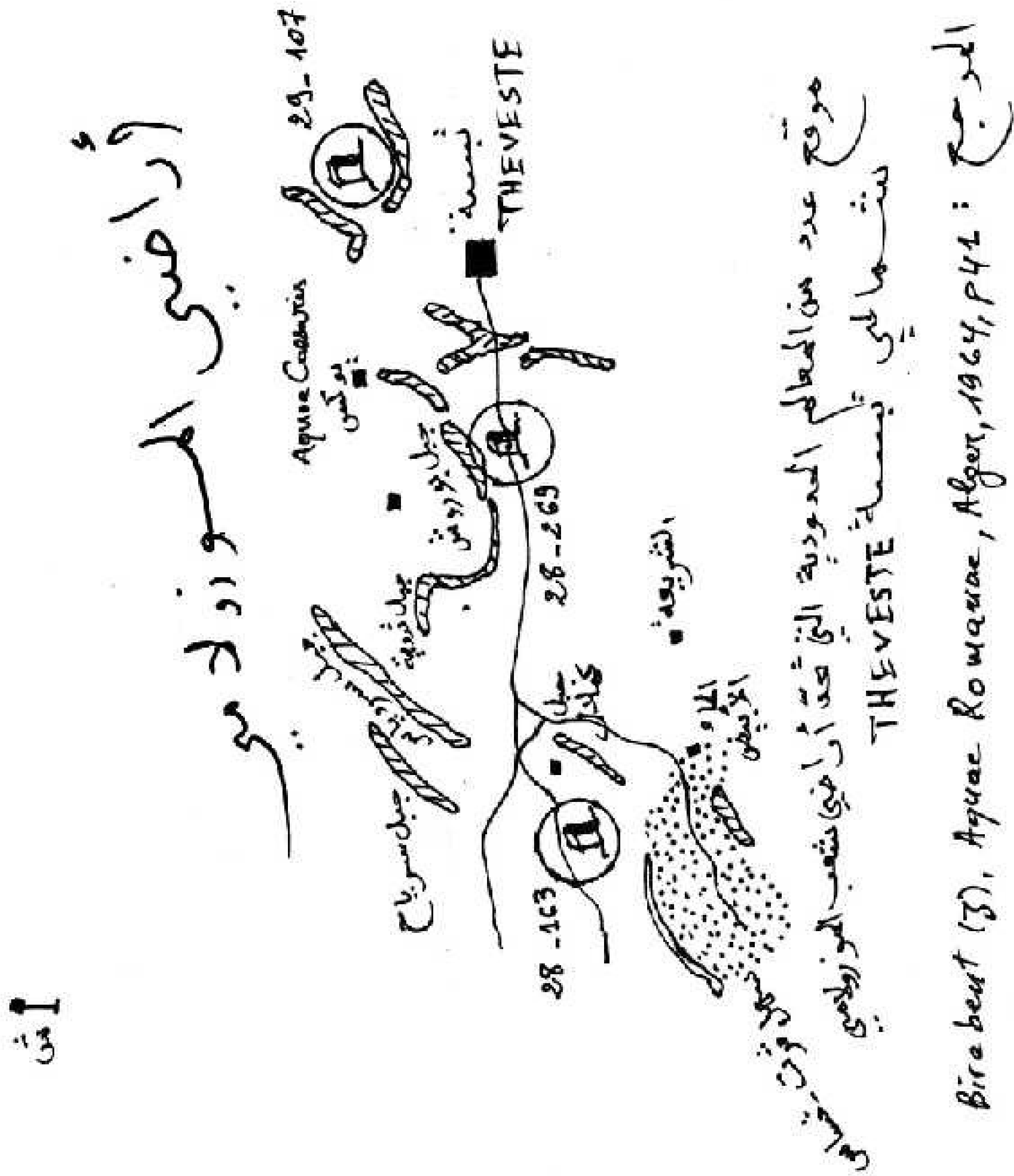
Pr(aetore) inter / Aug(ustum) et Musul(amios)

:

Guenin(L), Inventaire,loc.cit,p165 ;C.R.A.I, 1906, p479 ;Farges.A, Simples réflexions ,loc.cit,p249.;I.L.Alg,I, 2389.

:

تحت سلطة الامبراطور نيرفا تراجانوس القيصر الأغسطس الجرماني الداكي قنصل ستة مرات امبراطور 13 مرة . (قام) لوكيوس أكيليوس سترابو كلوديوس نوموس الليغاتوس أغسطي و برو برايتور بوضع حد ما بين أراضي جلالته و أراضي الموزولامي............



خريطة رقم07: أراضي قبائل الموزولامي شمالي تبسة

ذلك ما يسمح لنا بالقول بأن عملية الكنترة شملت تبسة و ناحيتها الغربية حتى سهل قرت . و - بحسب ما هو متوفر من وثائق حتى الآن فان استقرار المزارعين الرومان بنواحي تبسة خاصة الشمالية منها تم على

مراحل. ففي البداية استقرت طلائع من المهاجرين الرومان و الايطاليين و بعض النوميديين المرومنين بها منذ نهاية القرن الأول الميلادي حيث منحت لهم أراضي بعد تقسيمها خلال عهد تراجانوس على أبعد تقدير .ثم ازداد انتشارهم و تجذرهم بالمنطقة في السنوات اللاحقة من القرنين الثالث و الرابع الميلاديين حسب كثافة آثار المزارع التي لوحظت بالمنطقة التي تحرسها حصون مبنية بالحجارة المنحوتة الكبيرة Castellae

ومراكز الاستقرار الريفي مثل القرى و الكور Vici, Pagi مما يوحي بأن عملية الكنترة صاحبتها - عملية تعمير منظم و توطين للمهاجرين الرومان على نطاق واسع من أجل خلق واقع ديمغرافي يتغلب فيه العنصر الروماني الوافد على العناصر المحلية.[1]

لقد رصد ضباط الفرق الطوبوغرافية للجيش و بعض قادة المناطق العسكرية مثل الرائد غينان بقايا عشرات القرى و المستثمرات الفلاحية الرومانية بجنوب و شرق تبسة وقام برفوعات طوبوغرافية ومعمارية لها و وضع مخططات ظهرت عليها بشكل جلي أحواض و معاصر و خزانات و آبار. هذه الكثافة العالية لهذه المزارع القديمة حول تبسة تدل على أنها كانت مستغلة بكثافة شديدة لاسيما مع وجود عدة قرى حول المناطق الزراعية المستغلة و التي حسب نوعية الشقف الفخارية المنتشرة على أديم الأرض و العدد الكبير من النقوش المسيحية التي وجدت، تعود إلى القرنين الرابع و الخامس الميلاديين . و الملاحظ على هذه المزارع وجود بناءات محصنة بها محاطة بأبراج للمراقبة و الحماية وهو ما قد يوحي بحالة من اللا أمن سادت هذه الأرجاء في نهاية العهد الروماني و تراخي القبضة العسكرية الرومانية عنها.مما حدا بالمزارعين إلى تشييد حصون صغيرة لحماية مزارعهم من اللصوص و قطاع الطرق . تلك المزارع المحصنة التي لاحظ غينان وجودها بكثرة في هنشير الأبيض وهنشير العجاج جنوب تبسة تشبه مثيلاتها الموجودة بسبيطلة و مطماطة بالجنوب التونسي و التي شيدت لنفس الغرض.[2]

و مما انتبه إليه غينان كذلك وجود صلة وثيقة بين المزارع المنتشرة حول منطقة تبسة و المنشآت - المائية التي يمكن التعرف عليها بسهولة . فقد أشار إلى الحفريات التي قام بها الملازم ديران في سنة 1894 بعين حديد إذ تعرف على مزرعة مربعة طول ضلعها 60مترا وحولها قنوات توزيع مياه باطنية وخزانات رمم عدد منها . وكانت نسبة تصريف المياه فيها بعد تشغيلها 100لتر/د . وحينما واصل جولته الميدانية عثر على المزيد من قنوات الري و مآخذ المياه و كتب يقول :" إنه حين ننتهي من إعادة ترميم كل هذه الشبكة من القنوات و السواقي سيكون بالإمكان الحصول على كميات كبيرة من المياه و إعادة الازدهار لكل تلك الأراضي المجاورة التي كانت فيما مضى مناطق خصبة."[3]

---

[1] Birebent .J, Aquae Romanae, op.cit,, p 43

[2] Albertini .E, Recueil des inscriptions latines de l’Algérie, R.Af,83,1929,p31 ;. Février. P-A, Approches du Maghreb romain,II,p87.

[3] ;. Février. P-A, Approches du Maghreb romain,II,p85.

لقد انتشرت في نواحي تبسة التي هي الآن مناطق جرداء ساكنة ريفية زراعية كبيرة خلال العهد الروماني يدل على ذلك الانتشار الواسع للآثار الزراعية بها [1]. و كان معظم السكان في الضواحي مزارعين يكسبون قوتهم من ممارسة الزراعة كنشاط أساسي ، بعضهم كملتزمين يباشرون استغلال الأراضي التي التزموا بخدمتها بأنفسهم ، أو وسطاء بين مالك الأرض الفعلي و المزارعين قسموها إلى أجزاء و أجروها لهؤلاء مقابل حصولهم على نسبة سنوية من الإنتاج الزراعي. وسواء كانوا ملاكا أو مستأجرين أو ملتزمين عاش الجميع على إنتاج الأرض الذي تذهب نسبة سنوية مئوية منه إلى خزينة الدولة على شكل ضرائب عينية.[2]

ج–المحاصيل الزرعية :

تشير أطلال تبسة الخالية الباقية إلى الآن والتي تحوي عددا لايستهان به من أحواض حفظ الزيت و الرحى و المعاصر و المصطبات إلى حضور قوي لصناعة زيت الزيتون[3]، و ذ لك يعني بأن ضواحي المدينة غلبت عليها الزراعة الشجرية لا سيما الزيتون وتنتشر بجوارها معاصر الزيتون بكثافة مما يثبت الازدهار الزراعي للمدينة و ناحيتها قديما[4]. ولقد أشارت البحوث الأثرية إلى الانتشار الواسع لغابات الزيتون و معاصر الزيت بنواحي تبسة وتدل بقاياها على أنها كانت المحصول الزراعي الأساسي بالمنطقة . ويرى أحد الباحثين بأن ورود اسم محصول الزيتون لما يقارب 178 مرة في عقود الملكية العقارية العائدة للعهد الوندالي و المسماة ألواح ألبرتيني [5]، تدل على أن المزارعين الرومان بمنطقة تبسة اعتمدوا على زراعته أكثر من سواه من المحاصيل الشجرية الأخرى ، حيث لم يرد فيها ذكر أشجار التين سوى 60 مرة ، كما لم ترد الإشارة إلى أشجار الكروم سوى مرة واحدة فقط. أما الحبوب فلم تذكر بالمرة .هل يعني ذلك أن طبيعة المنطقة ومناخها كانا يشجعان على زراعة هذه الأنواع الشجرية دون غيرها أم أن الاعتبارات التجارية كانت لها الأولوية في هذا الشأن.[6]

إن ما يبعث على الدهشة حقا هو ذلك العدد الكبير من المنشآت الموجهة لصناعة الزيت سواء - معاصر صغيرة أو مصانع كبرى و هي دليل على غنى نواحي المدينة بزراعة الزيتون و الكروم[7]. وقد فضل المزارعون

[1] De Bosredon. L, Mémoire,1878 , loc.cit, p1.
[2] Rostovetseff.M, op.cit, p556.
[3] Duval. N, Encore les « monuments à auges » d'Afrique .Tébessa Khalia,Hr Faraoun, M.E.F.R.A,88,1976,Tome2,p948-954.
[4] Camps-Fabrer.H, L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Imprimerie officielle, Alger,1953, p29.
[5] Alquier.P, Chronique archéologique ., R.S.A.C, 59,1928-29,p401-413.
[6] Février. P-A, Approches du Maghreb romain,II, p94-95.
[7] De Bosredon. L, Notice , loc.cit, p53.

الرومان نظرا لطبيعة المناخ الجاف و نقص كمية الأمطار زراعة الزيتون على زراعة القمح لمقاومته للجفاف و ملائمته للمناطق المرتفعة عن سطح البحر التي تميز منطقة تبسة.[1]

لقد شكل الزيتون إذن المحصول الأهم للمنطقة وقد أخذت مساحته منذ القرن الثاني تتوسع على حساب البراري و الأراضي المعشوشبة ، وما لبثت نتائج هذا التوسع الزراعي أن برزت في أرتال عربات الزيت التي بدأت تغادر المدينة نحو سوسة شرقا و عنابة شمالا. وقد ساهمت رساميل العائلات الثرية في المدينة في تغذية هذه المشاريع الاستثمارية و استحداث حقول زيتون جديدة و على مساحات شاسعة ، لأن الأرستقراطية الرومانية راهنت بثرواتها على شجرة الزيتون لأنه بنظرها رهان مضمون ، ولما تنبهت إليه من حجم الموارد المالية العائدة من تجارة زيت الزيتون الذي زاد الطلب عليه في نهاية القرن الثاني الميلادي[2] .

و حسب بيير كاستل فعلاوة على الحبوب و الزيتون اللذان شكلا أساس الثروة الزراعية للمدينة مثلت أشجار مثمرة أخرى كاللوز البري إحدى مصادر ثروتها.[3]

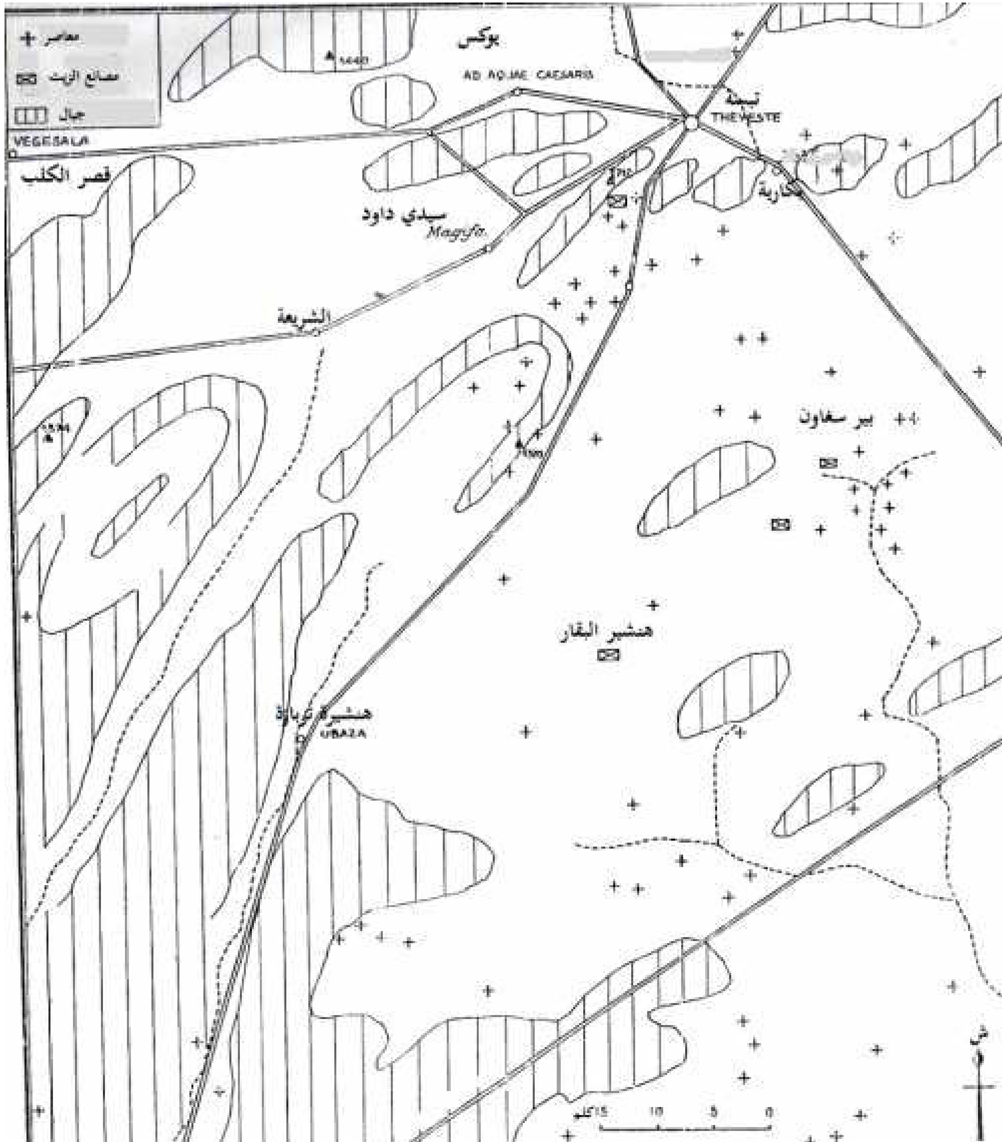
3- الصناعات:

إن الحديث عن الحرف التي عرفتها مدينة تبسة خلال العهد الروماني من الصعوبة بمكان، ذلك أن غياب معطيات النقوش أو الآثار و حتى النصوص يزيد من حدة المشكلة ، و لا يبقى أمامنا سوى بضعة معلومات لا تشفي غليل الباحث في إعادة رسم صورة عن الحرف و النشاطات الاقتصادية التي عرفتها المدينة. وإذا ما استثنينا علامات الورشات التي قد نجدها على المصنوعات الفخارية و التي تحمل هوية صانعيها، لن نجد سوى البقايا المادية التي وصلت إلينا عن هذا العهد كدليل مادي وحيد على وجود نشاط حرفي ما بالمدينة ، مع وجود صعوبة بالغة أحيانا في تحديدها زمنيا بدقة لعدم وجود قرائن تسمح بذلك.

و إذا ما عدنا إلى مجموع المعطيات و المعلومات التي استطعنا الحصول عليها، فإننا نجد أنفسنا أمام صورة ناقصة جدا عن هذا الجانب. و نظرا لهذه الاعتبارات لن نستطيع الحديث هنا سوى عن النشاطات الحرفية التي عرفتها تبسة خلال العهد الروماني و التي تتوفر حولها الأدلة المادية الواضحة ، أما تلك التي يلفها

---

[1] Picard. G-Ch, op.cit, p73.
[2] Albertini . E, Quelques remarques sur l'histoire de Theveste, R.S.A.P.T,1936-37,p3.
[3] Castel.P, op.cit , p.34



خريطة رقم08 : مناطق زراعة الزيتون و إنتاج الزيت بتبسة و نواحيها

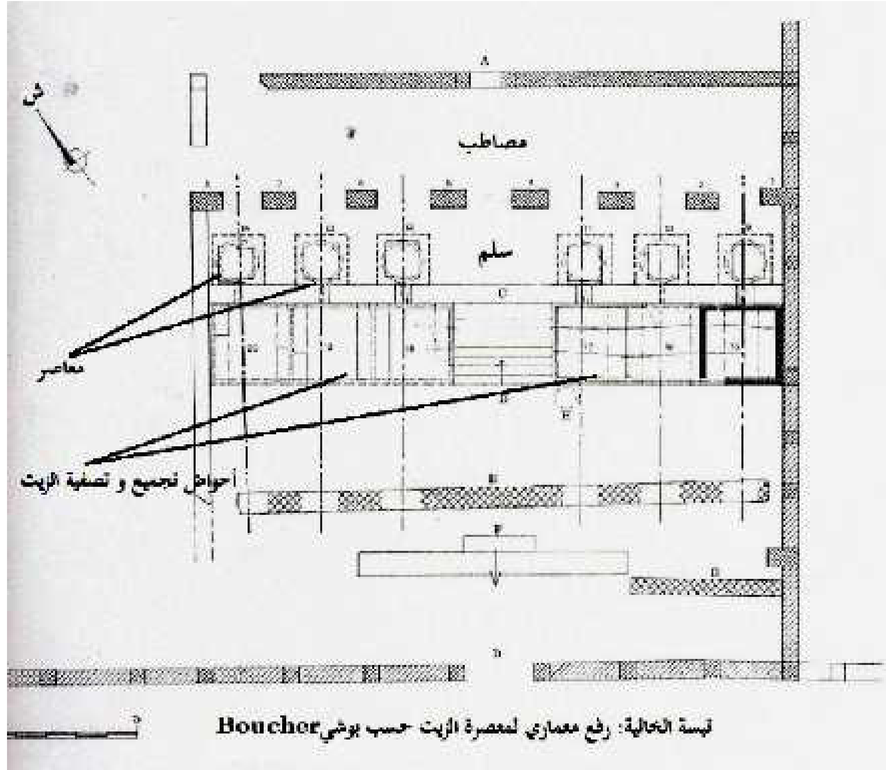
المرجع: Camps-Fabrer(H),L'olive et l'huile dans l'Arique romaine ,Pl .I

(بتصرف الطالب)

الغموض فقد ارتأينا تركها جانبا نفيا لأي التباس ، بحيث لم نتمكن سوى من معالجة جزء ضئيل منه شمل الحرف أو الصناعات التالية :

أ-الصناعة الاستخراجية:

شهدت المدينة أو نواحيها القريبة جملة من الأنشطة الاقتصادية مثل استغلال المحاجر و استخراج



شكل 14: تبسة الخالية–رفع معماري لمعصرة الزيت

المعادن. فحسب معطيات الآثار كانت المحاجر مستغلة في النواحي القريبة لتبسة.[1] إذ وجدت محاجر بذراع عين رحيلان بها كتل حجرية منحوتة على الطريقة الرومانية[2]. و على جبل عصمور شمال المدينة رصدت آثار مقالع رومانية وجدت بها حجارة منحوتة [3].كما استخرج الرصاص من منجم قرب فج تنولكة.[4]

وقرب ما كان يسميه السكان طريق الكاريتة أي العربات نجد آثارا للعربات الرومانية القديمة التي كانت تقوم بنقل الحجارة المستخرجة من بعض المحاجر القريبة . ويؤكد ذلك مقدار التباعد بين عجلات العربة و عمق الأثر الذي تركه غلافها الحديدي على الصخر، و هو عمق يتجاوز 7 سنتيمرات في صخر صلب مما يدل على ثقل الحمولة التي كانت تنقلها[5] . واستفاد الرومان جيدا من مقلع للحجر الرملي يقع عند مخرج هذا الطريق الضيق المحفور في الصخر والذي يمتد بين الجبال على مسافة 12 كلم.[6]

[1] Leschi. L, Inscriptions de la plaine de Guert, R.S.A.P.T,1936-37, p124.
[2] Gsell .St, A.A.A , F 29.n° 132.
[3] Ibid , n°.153
[4]Ibid.,n° 157.
[5] De Bosredon .L, Promenade archéologique dans les environs de Tébessa, R.S.A.C, 18, 1876-77, p389.
[6] Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit, p444.

و إلى الجنوب من هنشير قوسة رصد عدد معتبر من الصخور الضخمة مبعثرة على سطح الأرض عليها آثار قطع و ضرب و نحت وفراغات ناتجة عن انتزاع كتل منها . و كان بالإمكان آنذاك ملاحظة بوضوح أنها كانت ورشة استغلها الرومان في تقطيع الحجارة ، حيث تركوا في عين المكان عددا من الأعمدة الحجرية غير المكتملة بلغ طول أحدها 4.80متر و قطره 0.70مترا. كما تركوا عمودا آخر في سهل رفانة .[1]

وغير بعيد عن مقلع الحجارة هذا عثر على مقلع للرخام الأحمر من النوعية الجيدة ، على قاعدة من الكلس الصلب تتخلله بعض الألوان الأخرى التي زادته جمالا و رونقا مثل الأحمر البني و إن كان الرمادي أو الأصفر هو اللون الغالب عليه. و مما استغله الرومان أيضا في ضواحي تبسة مناجم الحديد في جبل بوجابر . فعند سفوح هذه الجبال تقع آثار سماها السكان خرائب الحديد و كانوا لا يزالون يستخرجون منها فلزات الحديد التي استخدموها في أحد بناءاتهم. كما لوحظ وجود بقايا أفران أو مصاهر . و زودهم جبل الونزة بدوره بكمية لا يستهان بها من هذا المعدن، حسب معطيات التنقيبات التي أجريت هناك.[2]

ب-الصناعات الحرفية :

يمكن حصرها حسب بقاياها في النشاطات الآتية :

ب1-صناعة الفخار:

حسبما يبدو احتلت صناعة الفخار مكانة ممتازة ضمن الحرف التي مارسها سكان تبسة ومثلت مصدر دخل معتبر للعائلات المتنفذة بالمدينة . فقد امتلكت عائلة بولاينوس الثرية ورشات كبيرة لصناعة الفخار و صدرت منتجاتها إلى كل الغرب الروماني.[3]

كما تم اكتشاف عدد كبير من المصابيح الزيتية الرومانية في مناسبات شتى[4]، منها أثناء عملية غرس بعض الأشجار سنة 1937 بتبسة عليها علامة الورشات التي صنعت فيها، يظهر عليها التأثير المصري و الإفريقي و الروماني.[5]

و يتوفر متحف تبسة على عدد كبير من المصنوعات الفخارية موضوعة على الرفوف أو الخزانات إلى جانب معروضات أخرى موزعة بين متحف المعبد أو ملحقه في الكنيسة الفرنسية [1] . وتتنوع المجموعة الأولى

---

[1]Feraud. Ch, Notes sur Tébessa, loc.cit,p 389
[2] Ibid,p 390,413.
[3] Picard. G-Ch, op.cit, p128. ; Carton L., Le domaine des Pulleni, R.T, X, 1903,p291.
[4] Farges.A, Notes sur divers petits objets de fabrications romaines découvertes à Tébessa,Tifech,Souk-Ahras,B.A.H, 18,1883, p84-85.
[5] Mellis. L, Quelques remarques sur les lampes romaines funéraires trouvées à Tébessa, R.S.A.P.T, 1936-37,pp197-220.

الموجودة في ما يسمى معبد مينرفا ما بين أباريق و صحون ومصابيح تعود لقرون مختلفة ، و التي لا يمكننا من خلال الجدول التالي سوى إعطاء نماذج عنها نظرا لعددها الكبير الذي يحتاج لدراسة مستقلة و متخصصة من باحث في الفخاريات القديمة :

جدول رقم 06 :عينات من الأواني الفخارية:

النوع	الأرقام	الفترة	مكان الحفظ
الأباريق	1--3818-53- 66-70-104- 70-76	القرن1/2 الميلادي	الرفوف 1-2-3+ الخزانة رقم 6.
الصحون	2-33-35-37- 41-42-45-47- 48--49-50- 60.-88-100- 114-135-138	من القرن 1 إلى القرن الخامس الميلاديين.	الرفوف 1-+5 الخزانة رقم2و3
المصابيح	من 1 إلى 480	من القرن 1 إلى القرن 5م	الخزائن من 1 إلى 17.

أما المجموعة الثانية فنجدها معروضة في الكنيسة الفرنسية التي بنيت سنة 1908 و حولت إلى متحف وطني بقرار من المجلس البلدي صدر بتاريخ 1971.10.15. و بطلب من محافظ الآثار.[2]

وقد نقلت إلى هذه الملحقة كل المعروضات التي ضاق متحف مينرفا عن استقبالها بسبب تزايد عددها نتيجة التنقيبات الأكاديمية أو الاكتشافات العفوية. وضمن هذه المعروضات نجد عددا من الأواني الفخارية المتنوعة التي ينم شكلها و تقنية صناعتها و زخرفتها عن تنوع وتطور كبيرين للصناعة الفخارية بالمدينة. إذ تتمثل أيضا في الصحون و الأباريق و القوارير و الزمزميات ذات العروة الواحدة و المشربيات و الكؤوس و الجرار الصغيرة و المتوسطة الحجم. علاوة على القدور و المزهريات و المصابيح الزيتية بمختلف الأشكال و الأحجام و الألوان.

[1] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص157-203

[2] نفسه 208

كل هذه الأواني التي تعود إلى ما بين القرنين الثاني و الخامس الميلاديين محفوظة داخل 19 خزانة متوسطة الحجم متفاوتة في عدد رفوفها .[1]

ب2- الصناعة الزجاجية و المعدنية والحلي :

يبدو من خلال الاكتشافات المتعددة و معروضات متحف تبسة أن الصناعات اليدوية الأخرى كانت حاضرة بالمدينة[2]. فالآنية و الأدوات و الحلي النحاسية و البرونزية حاضرة بقوة ضمن مقتنيات المتحف بقسميه، ففي الخزانة رقم 1 حفظت قدر نحاسية من النحاس الأصفر الجيد اكتشفت سنة 1977 ببلدية زوي.[3]

و في الخزانة رقم 6 عرضت مجموعة من الحلي تتألف من خواتم و أقراط و أمشاط من العاج وماسكات الشعر عثر عليها بتبسة الخالية سنة 1968. و كذلك الحال في الخزانتين رقم 7 و 9 اللتان احتوتا بدورهما عددا من الحلي المتنوعة من العاج و النحاس و البرونز .أما في الملحقة فقد حفظت في الخزانة رقم 9 حلي نحاسية و قطع عاجية مربعة وبعض القطع الحديدية و الزجاجية .[4]

أخيرا قبل أن نغادر هذا العنصر نود أن نشير إلى أهمية بعض المهن وحضورها القوي بالمدينة إلى درجة تكتل أصحابها في تعاونيات أو اتحادات مهنية مثل تلك الخاصة بصباغي المدينة*، أو تلك التي لم تترك أثرا يذكر سوى عبارة عابرة على شواهد قبور من مارسوها في حياتهم، مثل نقيشة الاسكافي Sutor.[5]

---

[1] نفسه ، ص212-217

[2] Rocco. N, Quelques bijoux et objets romains trouvés dans la région de Tébessa, R.S.A.P.T, 1936-37,pp299-302 ; Farges. A, Notes, loc.cit, p89-90.

[3] علي سلطاني ، المرجع السابق ،ص 164

[4] نفسه ،ص215

*Fullonicus

[5] Février. P-A, Approches du Maghreb Romain, II, op.cit,p 6.

الفصل الرابع

تبسة في العهد الروماني

شبكة الطرق

توطئـــة

أولا –المحاور الشمالية

1- محور تبسة–قرطاجة. Theveste–Karthago

2- محور تبسة –قسنطينة Theveste-Cirta

ثانيا- المحاور الجنوبية الشرقية

1-محور تبسة –سبيطلة Theveste-Sufetula

2-محور تبسة –قابس Theveste-Tacapae

3-محور تبسة –فريانة Theveste-Thelepte

ثالثا- المحاور الشرقية

1-محور تبسة –تيمقاد–تازولت Theveste-Timgad-Lambaese

2- محور تبسة–فج السيودا Theveste- Vatari

3-محور تبسة عنابة عبر تيفاش Theveste- Hippo Regius Per Tipasam

توطـئة:

عدت تبسة خلال العهد الروماني واحدة من أهم ملتقيات الطرق بشمال إفريقيا القديم و منطلقا لعدد من الطرق الرئيسية التي تنطلق منها أو تمر بها في مسارها نحو وجهات أخرى. و قد تنبه الرومان منذ الوهلة الأولى لأهمية المدينة و موقعها المتوسط بين ثلاث مقاطعات تعد من النواحي الأمنية و الاقتصادية و الإستراتيجية أهم مقاطعاتهم ببلاد المغرب بالقديم وأكثرها حيوية لاسيما في المجال الاستيطاني.

وإن الناظر إلى توزيع هذه الشبكة و المسار الذي اتخذته طرقها لا يخالجه أدنى شك في الدواعي العسكرية التي راعاها المشرفون عند انجاز هذه الطرق و أخذوها بعين الاعتبار ، لأن الأولوية عندهم كانت في توفير مسالك تشكل رأس حربة لاختراق المناطق المراد ضمها في إطار سياسة الاحتلال الموسع التي قرر أباطرة الأسرة الجوليو –كلودية بدءا بعهد أغسطس انتهاجها ببلاد المغرب، بعد أن ظلوا رابضين بتراب الولاية الإفريقية دهرا طويلا. لذلك لا غرابة في وجودها في قلب المناطق السهبية و الجبلية و رفارف الصحراء ،لأنها بنظر قادة الجيش الروماني معاقل المقاومة النوميدية و الجيتولية العنيدة لوجودهم و مشاريعهم الاستيطانية.

ولقد تعددت الدراسات و الأبحاث التي حاولت رصد أهمية شبكة الطرق هذه التي ربطت مدينة تبسة بغيرها من مدن نوميديا أو المقاطعات الأخرى مثل إفريقية البروقنصلية في الشمال الشرقي، و البيزاكيوم أو المزاق في الشرق و الجنوب الشرقي. فبعضها اكتفى بتعديدها دونما الخوض في التفاصيل المتعلقة بها، و البعض الآخر تناولها بشيء من الإسهاب محاولا التركيز على البعد الاستراتيجي و الدور العسكري الذي اضطلعت به منذ أوائل الاحتلال.

على أن أهم الدراسات التي تعرضت لها هي تلك التي حاول أصحابها ليس فقط رسم خريطة جغرافية لهذه الشبكة ومحاورها المهمة ، بل تعدتها إلى محاولة تصحيح الأخطاء وتصويب المسافات وتحديد بعض المواقع التي

وقع لبس في تقدير موضعها بشكل صحيح، وذلك بمقارنة المسافات الموجودة على الخرائط القديمة بالحسابات الحالية. و هو عمل أخذه على عاتقه عدد من أهم المختصين منهم النقيب لابي Lapie، الجغرافي شارل تيسوCh.Tissot، النقيب دوبوسريدون L.de Bosredon، ستيفان غزيلSt.Gsell و غيرهم ممن لهم باع في هذا المجال.

إن معلوماتنا عن شبكة الطرق الخاصة بتبسة مستقاة من مصادر عدة على رأسها الوثائق الرسمية و الجغرافية القديمة مثل خريطة أنطونينوس و خريطة بوتينجر ، و الأهم نصوص المعالم الميلية المكتشفة بالمدينة و نواحيها التي عثر عليها على جوانب محاور الطرق التي نصبت عليها للإشارة إلى المسافات المقطوعة و المتبقية من الطريق.

وتشير النصوص الميلية عادة حسب صيغتها إلى الجهة المسؤولة عن شق الطريق أو ترميمه أو صيانته .فاذا كانت بصيغة الإهداء للأباطرة دل ذلك على أن المدينة التي يرد اسمها أسفل النص الميلي هي المسؤولة عن عملية الانجاز[1] .أم إن كانت بصيغة أخرى فذلك يعني أنها من عمل السلطة الإمبراطورية و باشراف منها.[2]

كما تعكس نقوش المعالم الميلية في الغالب حقائق عن الوضع العسكري و السياسي و حتى الإداري لمقاطعات شمال إفريقيا الرومانية و إسهامها ليس بأقل من إسهام النصوص الأدبية نفسها، وهي تبين بوضوح كيفية تفاعل سكان هذه المقاطعات مع محاولات الاستئثار بالسلطة أو متغيرات النظام الإداري من تعديل أو إعادة تنظيم. [3]

[1] I.R.A,4380,4381,4383,4388.
[2] Ibid,4391,4396.
[3] Gascou.J, la politique municipale, loc.cit,p95.

تفيد هذه المعالم أيضا في رصد أية محاولة من جانب السلطة الإمبراطورية لإصلاح الطرق ، فمنذ منتصف القرن 3م و في الوقت الذي أصبحت فيه النقوش الإهدائية و التذكارية المصاحبة للمعالم الكبرى مثل المدرجات و الحمامات و الكابيتول و المسارح و غيرها قليلة مقارنة بالفترة السابقة لاسيما في عهود تراجانوس و هادريانوس و ماركوس أوريليوس وسبتيموس سيفيروس أين كانت تشيد بكثرة و في معظم المدن ، نلاحظ أن المعالم الميلية تكثر جدا خلال هذا القرن . فأدنى عمل مرتبط بشبكة الطرق مثل إصلاح جزء بسيط من طريق أو أعمال صيانة وترميم و لو كانت بسيطة كانت تصحبه نقيشة . وكأن السلطة حاولت أن تستعيض بنصوص المعالم الميلية عن نقوش المعالم المدنية المختلفة للتعبير عن إرادة سياسية ولإثبات و جودها و استمرارها بين السكان من خلال صيغ الإهداء للأباطرة التي كانت تفتتح بها نصوص هذه المعالم الطرقية. وكأنها بالمعنى المعاصر لوحات اشهارية لهؤلاء وللسلطة الإمبراطورية ككل.[1]

و تتأكد هذه الوظيفة السياسية الوجدانية للمعالم الميلية مع مجئ سبتيموس سيفيروس إلى الحكم، حيث تعكس هذه الأخيرة بكثرتها وصيغة نصوصها ارتباطا قويا لسكان المقاطعات الإفريقية بهذا الإمبراطور و عائلته ربما لكونها مسقط رأسه أو لما قدمه لإفريقيا من منجزات وخدمات إبان حكمه و حكم أسرته[2]. لذلك فلن نستغرب من كثرة المعالم العائدة لحكم ابنه كركلا على طرقات تبسة و في كل الاتجاهات ، و التي ترتبط خاصة بعمليات الترميم و الصيانة حسبما تدل عليه عبارة رممت Restituit .[3]

من ناحية أخرى تكتسي بعض المعالم الميلية بتبسة أهمية تاريخية وسياسية بالغة ، ذلك أنها تعد إلى الآن الوثائق الوحيدة في الإمبراطورية الرومانية قاطبة التي ذكرت حكم بعض الأباطرة الذي لم يدم سوى بضعة

[1] Salama .P, L'apport des inscriptions routières à l' histoire de l'Afrique romaine, Africa Romana,1986,pp226.

[2] Ibid,p223.
[3]C.I.L,VIII, p 865.

أشهر.نذكر منهم على سبيل المثال غاليانوس الذي عينه مجلس الشيوخ بروما قيصرا في شهر سبتمبر أو أكتوبر سنة 253 قبل أن يعلنه فاليريانوس إمبراطورا بعدها بقليل، إذ هناك أربعة معالم ميلية عثر عليها كلها بنوميديا فقط ؛ إحداها معلم على الطريق ما بين تبسة و سيقوس.[1]

وتتألف شبكة الطرق الرومانية لتبسة من المحاور الثماني التالية :[2]

أولا –المحاور الشمالية:

- 1- محور تبسة– قرطاجة :Theveste-Karthago

كانت هذه الطريق تتجه صوب الشمال الشرقي نحو قرطاجة وهي تعد من أشهر الطرق بشمال إفريقيا القديم[3] ، بلغ طولها حسب نقيشة مكتشفة قرب قوس كركلا سنة 1867 191ألف و740 خطوة[4] و عرضها سبعة أمتار. ووجب التنبيه هنا على أنه بخلاف كل الطرق الرومانية ببلاد المغرب التي كان يعتمد في حساب مسافاتها على الميل الروماني العادي و طوله 1480م، فقد جرى استثنائيا اعتماد ميل آخر على هذه الطريق بلغ طوله 1625م وذلك منذ سنة 14م إلى نهاية العهد الروماني بالمنطقة.[5]

و يحتمل أنه جرى التخطيط لشقها بين سنوات 76 و79م خلال بروقنصلية سنتيوس كايكيليانوس[6]S.Caecilianus. وقد أنجزت حوالي سنة 123م خلال حكم الإمبراطور هادريانوس من قبل الفيلق الثالث الأغسطي بإشراف قائده بوبليوس متيليوس سكوندوس P.Metilius Secundus

---

[1] CIL,VIII,10132 . ; Berbrugger. A, Epigraphie numidique, loc.cit,p283.
[2] Girol .A, Notes archéologiques sur Theveste et ses environs, R.S.A.C,10,1866,p227-238.
[3] Le Coq. A, Le commerce de l'Afrique romaine, Oran, 1912,p29-30.
[4] C.I.L, VIII,10114.
[5] I.L.Alg, I, p286.
[6] Fevrier .P-A, Approches,I,op.cit,p110.

[1]، و على امتداد مسافة معتبرة على أنقاض أجزاء شيدت خلال حكم أباطرة سابقين مثل فسباسيانوس و ابنه تيتوس[2].

كما جرى ترميمها مرات عدة إما كلية كما هو الشأن مع الامبراطور كركلا سنة 216م[3]، أو جزئيا خلال حكم عدة أباطرة منهم، ماكسيمينوس، غورديانوس الثالث، فليبوس، غالوس، فولوزيانوس، أوريليانوس، بروبوس ، قنسطنطينوس، و جوليانوس .[4]

ولم يكن الرومان وحدهم من استفادوا من ميزات هذا الطريق الإستراتيجية، بل إن من يصفونهم في أدبياتهم بأعدائهم قد استغلوها في وقت من الأوقات في حربهم ضد روما. و بالتالي تحولت رأس الحربة في الغزو الروماني للبلاد في القرن الأول الميلادي إلى خنجر في ظهر الرومان ، و صارت سلاحا ذا حدين. ذلك على الأقل ما فعله الأمير الموري جيلدون في سنة 398م حين استخدم طريق تبسة-قرطاجة لتحريك قواته صوب هذه الأخيرة لمحاصرتها لولا اعتراض أخيه لمساره كما أسلفنا سابقا.[5]

لقد وجدت عديد المعالم الميلية على هذا الطريق الاستراتيجي منها ما اكتشف منذ نهاية القرن التاسع عشر و ما بعده، و البعض الآخر يعود اكتشافه إلى عهد ليس ببعيد[6]، وهي تؤكد على أهمية هذا الطريق لدى

---

[1] Maitrot ,Theveste, loc.cit, p53.
[2] C.I.L, VIII,10165=22172 ,22060.
[3] Ibid.,10061,10066,10070,10074,10082,10093-94,10096,10098,10102-05,10107,10109-13 ; p 865, p2092.
[4] Ibid., 10046-47,10049-50,10063-64,10073, 10075,10077-79, 10083-85,10095,10103,10108,10112a.
[5] Salama.P, Bornes milliaires, op.cit,p74.
[6] Kallala.N, Nouvelles bornes milliaires de la voie Carthage-*Theveste* découvertes dans la région du Kef (*Sicca Veneria*) en Tunisie, Africa Romana, XVI,2006, p1795-1824.

لدى الرومان ومقدار مراهنتهم عليهم منذ البداية، ومدى استمرارهم في اعتنائهم بترميمه و صيانته حتى ما قبل نهاية احتلالهم للمنطقة بقليل[1].

وقد قام النقيب الفرنسي لوك دو بوسريدون في سنة 1875 بالتحقق من جودة العمل الذي أنجزت به عن طريق مقطع عرضي فيها لاحظ من خلاله توفر الطبقات الأربع المشكلة للطريق الرومانية و المبنية من طبقة من مواد حجرية وجيرية Statumen و طبقة من الحصى الصغير Rudus ، ثم طبقة من الملاط القوي، يعلوها أخيرا التبليط المؤلف من الحجر الجيري .[2]

ويمكن حصر هذه المعالم في الجدول التالي :

-جدول رقم 07: معالم طريق تبسة-قرطاجة:

المرجع	الإمبراطور	الميل
C.I.L, VIII, 10172=22156; I.L.Alg, I,3950.	فسباسيانوس 78م	(4) IV
I.L.Alg, I,3909 ;Poulle.A,Inscriptions de la Numidie, R.S.A.C,26,1890-91,p325.	دكنتيوس و قسطنطينوس الثاني 306-337م	(4) IV (5) V
Eph.Epig,VIII,567.	كركلا 216م	(45) XXXXV
C.I.L, VIII, 10048.	هادريانوس117-138	(85) LXXXV
Kallala.N, Nouvelles bornes milliaires,	كركلا213-216م	(139)CXXXIX

[1] Harmand L., L’occident romain, Gaule, Espagne, Bretagne, Afrique du Nord (31 avant J.-C.-235 après J.-C), Payot, Paris,1960,p 267.

[2] De Bosredon.L, Promenade, R.S.A.C,XVIII, 1876-77,loc.cit,p423 ;Gsell.St, M.A.A, II, op.cit,p3-4.

		loc.cit ,p1802-1803.
(140) CXL	كركلا215-216م	Ibid, p1813.
(140) CXL	تريبونيانوس وفولوزيانوس251-253م	Ibid, p1798-1800.
(140) CXL	قسنطنتيوس و غاليريوس 293-305م	Ibid, p1815-1817.
(143)CXLIII	كركلا215-216م	Ibid, p1806-1807.
(145) CXLV	ماكسيميانوس286-305م.	Ibid, p1811.
(146) CXLVI	ماكسيميانوس286-305م	Ibid, p1798.
(147) CXLVII	كركلا215-216م	Ibid, p1814-1815.
(147) CXLVII	ماغننتيوس350-352م	Ibid, p1817-1819.
(167) CLXVIIو (176) CLXXVI	كركلا 217م	De Bosredon.L, Promenade, XVIII,1876-77,loc.cit,p422 ; C.I.L, VIII, 22152 ; I.L.Alg, I,3928-30.
CLXXVIII (178)	/	C.I.L, VIII, 10106=22156; I.L.Alg, I,3931.
(180) CLXXX	كركلا 213م	C.I.L, VIII,22157 ; I.L.Alg, I,3932.
(183)CLXXXIII	ماكسيميانوس 286-305م	Truillot.A, Notice sur trois bornes milliaires, loc.cit,p247-254.
(184)CLXXXIV	كركلا 216م	C.I.L, VIII,22167 ; I.L.Alg, I,3943.

(184)CLXXXIV	قنسطانس كلور 305-306م	C.I.L, VIII,22159 ; I.L.Alg, I,3934.
(185)CLXXXV	كركلا 216م	I.R.A,4396 ; C.I.L, VIII,22160.
(186)CLXXXVI	كركلا 216م	C.I.L, VIII,22161 ; I.L.Alg, I,3936.
(186)CLXXXVI	قنسطنطينوس الشاب	C.I.L, VIII,22166 ; I.L.Alg, I,3940.
(186)CLXXXVI	يوليانوس360-363	I.R.A,4392 ; I.L.Alg, I,3941.
(187)CLXXXVII	كركلا 216م	I.R.A,4391;Gsell.St,A.A.A,F29.n°103
(187)CLXXXVII	ديوكلتيانوس و ماكسيميانوس290-292م	Vars.Ch, Inscriptions, loc.cit,p68-69 ; C.I.L, VIII,22166=10112 ; I.L.Alg, I,3940.
(187)CLXXXVII	ديوكلتيانوس و ماكسيميانوس290م	Hinglais.U ,Inscriptions,loc.cit,p387. ; I.L.Alg, I,3947.
(187)CLXXXVII	ماكسنتيوس و قسطنطينوس 307-308	Ibid,p389 ; I.L.Alg, I,3949.
(187)CLXXXVII	غاليريوس305-311م	C.I.L, VIII,22170 ; I.L.Alg, I,3948.
(191) CXCI	هادريانوس 123م	C.I.L, VIII, 22173. ;Maitrot, Theveste, loc.cit, p53. ; I.L.Alg, I,3951.
/	249-251م	Kallala.N, Nouvelles bornes milliaires, loc.cit ,p1800.

/	كاروس و كارينوس و نوميريانوس283م	Ibid,p1805-1806.
/	فاليريانوس و غاليانوس 253-260م	Ibid,p1808.

2-محور تبسة- قسنطينةTheveste-Cirta :

اتخذت وجهة شمالية غربية عبر هنشير عين جبل بلخفيف Altaba، هنشير شرقراق Iusti ، عين البيضاء Marcimeni ، هنشير المرقبMacomades، برج بن زكري Sigus[1]. مع أن هناك من الباحثين من يرى بأنها اتجهت مباشرة شمالا مرورا بهنشير شرقراق .[2]

والجدول التالي يبين المعالم الميلية الخاصة بهذا الطريق التي عثر على أميالها:

-جدول رقم 08:معالم طريق تبسة-قسنطينة:

الميل	الإمبراطور	المرجع
(4) IV	غراتيانوس وفالنتيوس و فالانتنيانوس	C.I.L, VIII,22285.
(7)VII	قنسطنطينوس الثاني(الشاب)	C.I.L, VIII,22287=10170; I.L.Alg, I,3911.
(187)CLXXXVII	ماكسنتيوس-306	Hinglais.U,Inscriptions inédites de la

[1] Itin.Anton,III A. ; Tissot.Ch, op.cit,II,p476-478.
[2] Toussaint.P, Etude du réseau routier et des principales ruines de la région de Khamissa. Mdaourouch. Tifech.Ksar-Sbehi, B.A.C,1897,p266-267 ; Gsell .St, A.A.A, F28 .n° 109 et n°240.

	312م	province de Constantine pendant l'année 1906,R.S.A.C,40,1906,p389.
/	سبتيميوس سيفيروس 197-211م	C.I.L, VIII,22251.
/	الغابالوس 218-222م	Eph.Epig,VIII,1122.
/	سيفيروس ألكسندر222-235م	C.I.L, VIII,22250.
/	ماكسيمينوس235-238م	Gsell.St,B.A.C,1897,p560. ; C.I.L, VIII,22288
/	ديوكلتيانوس و ماكسيميانوس290-292م	C.I.L, VIII,22286=10171.

ولقد تم العثور على عدد من المعالم الميلية لهذا الطريق قرب عين شبرو و يوكس على وجه الخصوص ، أحدها يشير للميل السابع[1] ، و الثاني للميل الرابع[2] ، و الثالث للميل الثامن أو التاسع[3]، كلها انطلاقا من تبسة.[4]

ثانيا- المحاور الجنوبية الشرقية:

[1] Moll, Inscriptions romaines découvertes à Tébessa et les environs pendant les années 1858 et 1859, R.S.A.C, 3-4,1858-59,p176.n°1;I.L.Alg, I,3911.
[2] de Bosredon.L,Promenade, XVIII,1876-77,loc.cit,p384.
[3] I.L.Alg, I,3916.
[4] C.I.L, VIII,10166-9=22285,10107=22287 ,10171=22286,22288, 10172=22289.

1- محور تبسة – سبيطلة :**Theveste-Sufetula**

أشارت خريطة أنطونينوس إلى طريقين كانا يربطان تبسة بمدينة سبيطلة الواقعة شرقا بجنوب مقاطعة المزاق Byzacium. الأول كان مباشرا يمر عبر قصر الكلبVegesela (30 ميل)وهنشير بوغانم Menegesem (20ميل) فتبسة (20ميل)[1] . وقد كان من الممكن تتبع مسارها في القرن الماضي بشكل واضح، حيث أنها كانت



صورة02 :معلمان ميليان أحدهما(على اليسار) للميل 191 لطريق تبسة– قرطاجة

---

[1]Itinerarium Antoninii =Itini.Anton, III B. Lapie, Recueil des itinéraires anciens. Itinéraires d'Antonin, choix des périples Grecs, Table de Peutinger, Paris, 1885.

تنفصل عن طريق سبيطلة -سبية Sufes عند قصر الحمار و تأخذ وجهة غربية-شمالية غربية وصولا إلى هنشير ركبة محاذية السفح الجنوبي للمرتفعات التي تحيط شمالا بسهل فوسانة الكبير حتى سيدي بوغانم الكبير و منه إلى تبسة بخط مستقيم.[1]

أما الطريق الآخر فكان عبر هنشير بوطابة Menegere[2] و قصرين Cillium[3]. هاتين الطريقين كانتا تحاذيان بعضهما ولم تكونا تفترقان إلا عند الحدود بين مقاطعتي نوميديا و المزاق[4] . وقد وجد عند شعبة خنقة الموحاد المعلم الميلي للميل الرابع عشر لهذا الطريق انطلاقا من تبسة .[5]

2- محور تبسة – قابس :Theveste-Tacapae

لقد أظهرت ثورة قبائل الجيتول ضد يوبا الثاني ملك موريطانيا و التي ما لبث أن اتسع نطاقها من شمالي الأوراس حتى منطقة السرت و استلزمت تعاقب عدد من قادة الجيش الروماني البارزين للقضاء عليها. ثم ثورة قبائل الموزولامي بقيادة تاكفاريناس التي أعقبتها بعد إحدى عشر سنة مدى أهمية وجود طريق عسكري مباشر بين ساحل السرت و تخوم نوميديا لتسهيل إخضاع هذه المنطقة السهبية الشاسعة المشرفة على رفارف الصحراء و التحكم في طرق مواصلات البدو في هذه الأصقاع ومراقبة تحركاتهم الموسمية. لذا قام الفيلق الثالث الأغسطي الذي ستصير تبسة مقرا له بشق طريق حوالي سنتي 14 و15م باتجاه الجنوب الشرقي

---

[1] Tissot.Ch, op.cit,II, p630.
[2] Itini.Anton, XXI.A
[3] Tissot.Ch, op.cit,II, p630-632, p635.
[4] C.I.L, VIII, p 864, p2086 ;Gsell .St, A.A.A, F29.n°101,n°133-137.
[5] C.I.L, VIII,21958.;Gsell. St, A.A.A, F29.n°138.

يربطها بميناء قابس على ساحل السرت الصغير لأغراض عسكرية و تجارية.بلغ طولها 197 ميل روماني(294 كلم) عند تيسو Ch.Tissot موزعة كالتالي(تبسة-فريانة 53ميل ،فريانة قفصة 44ميل، قفصة-قابس 100ميل)[1]. و 183 ميل روماني (297.38كلم) عند غيره [2]. أما عرضها فقد وصل إلى 3.50م و شيدت من قطع حجرية غير مشذبة متفاوتة الأحجام. و لم تزل آثارها بادية في مطلع القرن الماضي عند فج تنولكة و هنشير الغيز و بير أم علي.[3]

وقد استمر وجود هذه الطريق وازدادت أهميتها خلال عهد الامبراطور تراجانوس (117/98)[4] بسبب الحاجة إلى نقل القوات و تزويدها بالمؤن و التجهيزات الضرورية لعملياتها العسكرية في بلاد المزاملة وغيرها من المناطق على تخوم نوميديا و البروقنصلية التي أعلنت الثورة مرة أخرى على المشاريع التوسعية الاستيطانية التي استؤنفت في هذه المنطقة على حساب أراضي القبائل النوميدية الضاربة في هذه الأنحاء.[5]

غير أن هناك حسب غزيل St.Gsell احتمالا بأن لا تكون هذه الطريق هي نفسها التي شيدت عامي 14 و 15 م[6]، إذ يعتقد بوجود طريق رومانية أخرى تقع جنوب شرق تبسة كانت تمر إما حسب دو بوسريدون عبر فج تنولكة، أو عبر مجاز بكارية استنادا إلى غزيل[7].ثم تواصل سيرها حتى فج فم تامسميدا

[1] Tissot.Ch, op.cit,II, p652-653.
[2] Gsell.St,A.A.A, F29.n°101,n°157, ;F 40 .n°85 ;F 29 n°106. ; De Bosredon .L, Promenade ,XIX,1878,loc.cit, p3.
[3] Maitrot .C,Theveste, loc.cit, p58-59.
[4] C.I.L, VIII,10037 ; Gsell. St,A.A.A, F40.n°37.
[5] Tissot.Ch, op.cit,II, p652.
[6] Gsell .St, A.A.A, F29.n°101.
[7] De Bosredon .L, Promenade , loc.cit, p37 ; Gsell. St, A.A.A,F29.n°160.

أين نصادف آثارا بارزة لها، و أين تنتصب على جنباتها قلعة رومانية محكمة البناء. و ليس مستبعدا أن يكون هذا الجزء أقدم من سابقه.[1]

3 –محور تبسة – فريانة :Theveste-Thelepte

كان هناك طريقان يربطان بين تبسة و تلبتي القديمة أو فريانة، و لا تظهر أي منهما على الخرائط القديمة. إحداهما كانت تمر عبر بكارية و عين جديات و بير سالم و هنشير تواتي و آثارها كانت لاتزال ظاهرة عند سفح جبل تاقة، أين تنحرف جنوبا وتمر عبر فج فم تامسميدا بتونس ومنه مباشرة إلى فريانة عبر سهل واسع بقيت فيه أجزاء طويلة منها ممتدة على عدة كيلومترات بارزة للعيان. أما الثانية فيبدو أنها كانت أكثر أهمية وتعود لعهد تراجانوس حسب نقيشة هنشير المايز. كانت تحاذي تقريبا الطريق الحالية بين تبسة و بير أم علي التي بلغ عرضها الأقصى 3.50 م[2]، التي كانت تتجه صوب فج تنولكة[3] و تعبره بواسطة جسر شيده الرومان من الحجارة المنحوتة. [4]

على جانبي هذا الطريق تقع آثار عدد من المواقع الرومانية عثر فيها على عدة معالم ميلية لهذا الطريق في كل من القمرة ، ذراع الراحل، غار الجحوش ، الخنيق، أم علي، هنشير دريرات وغيرها. تلك المعالم الميلية التي بلغت أبعادا ضخمة وصلت إلى 2.50م طولا و55 سم قطرا، تعود إلى عهد عديد الأباطرة منهم دكنتيوس (الميل9)

[1] De Bosredon .L, Promenade ,loc.cit, loc.cit, p38 ; Cagnat .R, Rapport sur les recherches archéologiques faites par les brigades topographiques en Tunisie et en Algérie, B.A.C, 3e livraison,1901,p CXLIII.
[2]Salama .P, Les voies romaines dans l'Afrique du nord, Paris, 1967, p67.
[3] Moll, Mémoire, loc.cit,p36-37.
[4] Manguellone .A, Les principales voies romaines , loc.cit.,p2-3.

، ماكسيموس (الميل 10)، قسطنطينوس الأول(الأميال23،20،17،11 و31)، تراجانوس (الميل 13)، قنسطانتيوس و قسطنطينوس(الميل 15)، ماكسنتيوس(الميل 21)، قنسطانتيوس(الميل22)، غراتيانوس و فالنس وديوكلتيانوس(الميل 32).[1]

كما اكتشفت معالم أخرى لا تحمل تواريخ أسماء الأباطرة بسبب حالتها السيئة لكنها تشير إلى أميال أخرى من هذا الطريق. و تجدر الإشارة إلى أن التسلسل الزمني لهذه المعالم يثبت أن هذا الطريق اكتسى أهمية بالغة وظل مستعملا حتى نهاية القرن الرابع الميلادي على الأقل، لذلك اعتنت به السلطات الرومانية و حرصت على صيانته و ترميمه خلال حكم عدد من الأباطرة[2]، ذلك ما يوضحه الجدول الآتي :

[1]Manguellone .A, Les principales ,loc.cit,p3-10. ; De Bosredon. L, Promenade, XIX,1878,loc.cit,p7.
[2] Tissot.Ch., op.cit,II, p651.

خريطة رقم 09: تبسة . شبكة طرق المحاور الشرقية والجنوبية الشرقية (من انجاز الطالب)

-جدول رقم 09: معالم طريق تبسة–فريانة:

الميل	الامبراطور	المرجع
(9)VIIII	دكنتيوس	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p210-11 ; I.L.Alg,I,3953-4.
(11) XI	قنسطنتينوس و لكينيوس و ماكسيموس دازا312-313م	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p211 ; I.L.Alg,I,3956.
(13) XIII	تراجانوس 100م	CIL.VIII,10186,10210 ; I.L.Alg,I,3958.
(13) XIII	قنسطنطينوس الكبير 306-337	I.L.Alg,I,3959.
(13) XIII	فاليريانوس 253-260م	Ibid,3960.
(14) XIV	كركلا 216م	Eph.Epig,VIII,565.
(15) XV	كركلا 216م	Eph.Epig,VIII,561.
(15) XV	قنسطنطينوس و ليكينيوس312-313	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p212 ; I.L.Alg,I,3962.
(18) XVIII	قنسطنطينوس الكبير 306-337	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p213 ; I.L.Alg,I,3964.
(20) XX	سيفيروس الثاني305-306م	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p214.
(20) XX	قنسطنطينوس الكبير 306-337	I.L.Alg,I,3968.

(21) XXI	ماكسنتيوس 306-312م	CIL.VIII,10034 ;I.L.Alg,I,3971.
(22) XXII	قنسطانس كلور و غاليريوس305-306	I.L.Alg,I,3973.
(22) XXII	قنسطنطينوس الكبير 306-337	CIL.VIII,10035 ;I.L.Alg,I,3974.
(23) XXIII	تراجانوس114م	I.L.Alg,I,3978.
(27) XXVII	قنسطنطينوس الكبير 306-337	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p216. ; I.L.Alg,I,3982.
(29) XXIX	نفسه	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p216.
(30) XXX	نفسه	I.L.Alg,I,3983.
(31) XXXI	نفسه	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p217.
(32) XXXII	غالوس	I.L.Alg,I,3985-86.
(33) XXXIII	ماكسيمينوس و ماكسيموس383-388	I.L.Alg,I,3989-90.

ثالثا –المحاور الشرقية:

1-محور تبسة –تيمقاد – تازولت: Theveste-Timgad-Lambaese

وجدت حسب خريطة أنطونينوس عدة اتجاهات لهذه الطريق[1]؛ اثنان شمالي الأوراس ربطا بين تبسة و تازولت. الأول حوالي سنتي 102-103م بإشراف قائد الفيلق الثالث الأغسطي لوكيوس موناتيوس غالوس L.Munatius Gallus. كان يمر بخنشلة عبر السفوح الشمالية لجبال الأوراس[2]، حيث انطلق من تبسة نحو الجنوب الغربي مارا برفانة وطريق الكاريتة و فج عين الصابون حتى أولاد رشايش أو هنشير مدكيس Tinfadi على مسافة 22 ميل روماني (27كلم).ثم منها إلى قصر الكلب Vegesela على مسافة 20ميل روماني، (29كلم)فخنشلةMascula على بعد 18 ميل روماني(26كلم) [3]،(28 ميل(41كلم) حسب تيسو)، هنشير سدرة Claudi22ميل(32كلم) ، تيمقادThamugadi19 ميل(28كلم)، و أخيرا تازولت Lambaese 14ميل(20كلم).[4]

وإن كان ستيفان غزيل من جهته خالف هذا المسار العام لهذه الطريق و لم يتقبل فكرة أن الرومان من أجل تجنب شقها عبر فج عين العنبة الخطير تحملوا عناء تمريرها جنوبا مع ما يستدعي ذلك من نفقات و أشغال إضافية معتبرة، أين تسنى لهم ربطها غربا بطريق فرعي كانت تنفصل عن الطريق الرئيسي الرابط بين قسنطينة و تبسة في نواحي عين شبرو لتمر بيوكس و الشريعة ثم عين زوي Vazaivi و هنشير أونكيف Cedias [5] ، قبل أن تتجه مباشرة نحو خنشلة.[6]

ولقد تمكن الرائد غينان Guenin و غيره من الباحثين الذين جاءوا بعده من العثور على عدد معتبر من المعالم الميلية العائدة لمقاطع مختلفة من هذا الطريق، و هي تعود بصورة خاصة إلى عهود عدد من أباطرة العهد الإمبراطوري الثاني ، و تشير إلى عمليات ترميم أو صيانة لها. مما يؤكد على استمرار أهميتها التجارية و الاقتصادية

---

[1]Itini.Anton, IV c. « ***A Theveste per Lambesem Setifi*** »
[2] De Bosredon.L,Promenade,XVIII,1876-77, loc.cit,p387.
[3] Manguellone.A, Les principales voies romaines, loc.cit.,p10-16.
[4]Tissot.Ch, op.cit,II,p504- 507; Moll, Mémoire, loc.cit,p34-35.
[5] Marcillet-Jaubert. J, Bornes milliaires de Numidie, Ant.Afr,16,1980,p 162.
[6] Gsell .St,A.A.A,F29.n°101 ;F28.n° 100 , n°138,n°238 ; F39.n°49 et n°164.

و الإدارية ، ما دفع السلطة الرومانية إلى الاعتناء بها و إبقائها في حالة جيدة من أجل استعمال دائم، و الجدول التالي يشير إليها:

-جدول رقم 10 : معالم طريق تبسة–تيمقاد–تازولت:

الميل	الامبراطور	المرجع
(5) V	قنسطنطينوس الثاني وغالوس 351-353م	Marcillet-Jaubert.J,loc.cit,p164.n°5.
(16) XVI	سيفيروس ألكسندر222-235	C.I.L.VIII,22290-92 ;I.L.Alg,I,3917-19.
(17) XVII	فالانتنيانوس الثالث و فالنتيوس364-367م	C.I.L.VIII,22293 ; I.L.Alg,I,3920.
(21) XXI	ألكسندر دوميتيوس 290م	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p107,221 ; I.L.Alg,I,3922.
(23) XXIII	/	C.I.L.VIII,22294 ;I.L.Alg,I,3924 ; Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p107,222.
/	فالانتنيانوس الثاني و فالنتيوس364-367م	Marcillet-Jaubert.J,loc.cit,p162.n°2.
XXXVI (36)	قنسطنطيوس293-305	Guenin.L, Inventaire,loc.cit,p137,p224.
XXXVII (37)	قنسطنطيوس293-305م	Guenin.L, Inventaire,loc.cit, p224.

XXXVIII (38)	كلاوديوس القوطي268-270م	Ibid,p226.
XXXVIII (38)	بروبوس 276-282م	Ibid,p226.
XXXVIII (38)	ديوكلتيانوس284-305م	Ibid,p225.
/	ديوكلتيانوس284-305م	Marcillet-Jaubert.J,loc.cit,p163.n°4.
XXXVIII (38)	/	Leschi .L, Recherches épigraphiques dans le pays des Nemencha, R.S.AC,72,1931,p281-282.
XXXVIII 38)؟	ماكسيميانوس 285-286م	Marcillet-Jaubert.J,loc.cit,p163.n°3
XXXVIII (38)	كونستانس و غاليريوس 293-305م (قيصران)	CIL.VIII,22298 ; Leschi. L, Recherches, loc.cit,p283-284 ;Dessau.H, I.L.S,642.
XXXVIII (38)	سيفيروس و ماكسيمينوس (قيصران)305-306م	Guenin.L, Inventaire,loc.cit, p226. ; Leschi .L, Recherches, loc.cit,p284.
XXXVIII (38)	ماكسيمينوس306-308م	Leschi .L, Recherches, loc.cit,p286,n°6.
XXXVIII (38)	ماكسنتيوس306-307م (قيصر)	Guenin.L, Inventaire,loc.cit, p225. ; Leschi .L, Recherches, loc.cit,p288,n°7
XXXVIII (38)	ليكنيوس308 أو313-324م	Leschi .L, Recherches,

		loc.cit,p290,n°8.
/	قنسطنطينوس الثاني 317-337م	Marcillet-Jaubert.J,loc.cit,p165.n°7.
/	قنسطنطينوس الثاني 37-317م	Ibid,p165.n°8.

أما الثاني فيجب لفت النظر إلى أنه لا يرد في خريطة أنطونينوس لأنه شق بعد انجاز هذه الوثيقة[1]. كان يحاذي السفوح الشمالية أيضا لهذه الجبال و يتجه شرقا حتى الحدود الغربية لمقاطعة موريطانيا السطيفية محيطا بهذه الأخيرة من حدها الجنوبي. إذ نجدها على الجانب الأيمن للطريق الحالي نحو قسنطينة و تنحصر بينها و بين الجبل وهي تمر بالقرب من هنشير حماشة حيث تظهر عليها آثار العربات القديمة محفورة على الصخر، وآثارها ظاهرة جدا قرب عين شبرو أين تحاذي الطريق الحديثة حتى يوكس Aquae Caesaris 12 ميل روماني (17.7كلم)، و منها إلى هنشير يوسف Ad Mercurium 13 ميل (19.2كلم)[2] ، فهنشير الباي Ruglata (9 أميال) [3]، تليها محطة هنشير راس النيمAd Germani 12 ميل روماني(17.7كلم) ، وصولا إلى هنشير متوسة Ad Casalis06 أميال (8.8كلم) ، خنشلة 10أميالMascula (14.8كلم)، هنشير الفرطاس 14 ميلVicus Aureli (20.7كلم)[4]، هنشير خربة عين لورسةLiviana(05أميال). تليها محطة عين العباسي 11ميلPopleto (16.2كلم) ، تيمقاد 09 أميال (13.3كلم)، هنشير توشين Lambafundi05أميال رومانية (7.4كلم)، تازولت 19 ميل روماني(28كلم). وهنا لا تتوقف بل تستمر

---

[1] Maitrot ,Theveste, loc.cit, p57.
[2] CIL.VIII,22157(الميل 180 .عهد كركلا 216م); 22158(.181 الميل).
[3] Feraud .M, Truillot. A, Les bains de Seleucus, R.Af, 81,1937,p458.
[4] Tab.Peut, CCX-CCXI.; Maitrot ,Theveste, loc.cit, p57.

حتى خربة أولاد عريف Lambridi14ميل(20.7كلم)، هنشير مروانةLamasba10أميال (14.8كلم)، هنشير الحرمل Ad Centenarium 10أميال (14.8كلم)، وأخيرا زراية Zarai12ميل روماني (17.7كلم) .[1]

وفيما يخص الطريق الثالث فقد كان يمر عبر السفوح الجنوبية لجبال الأوراس، وبحسب خريطة بوتينجر التي أشارت إليه وإلى أهميته الإستراتيجية نظرا للحساسية الأمنية و العسكرية التي ميزت المناطق التي مر بها [2]، فقد بلغ طوله الإجمالي 350 ميل روماني(518كلم). و كان مساره يمتد كالآتي[3] : انطلاقا من تازولت تهبط الطريق جنوبا ملتفة على الحد الغربي لكتلة الأوراس ثم تتجه من الغرب نحو الشرق بمحاذاة السلسلة الجبلية الشبه الصحراوية وصولا إلى واحة نقرين مارة بكل من محطات Ad Maiores ، Ad Basilicam Diadumeni هنشير البيار09أميال (13.3كلم)، Ad Duo Flumina ، هنشير سكرونSymmachi 15 ميل روماني (22.2كلم)، القصر09أميال (13.3كلم)، قصر سيدي الحاج Ad Calceus Herculis09أميال (13.3كلم)، القنطرة19 ميل (28كلم)، الوطايةMesarfelta 06أميال (8.8كلم)، Ad Aquas Herculis 24Thabudeos ميل روماني(35.5كلم) ، تهوذةGemellae 33 ميل روماني (48.8كلم) ، القصبات Ad Piscinam حمام الصالحين Ad(28 ميل) ، نقرين Ad Medias25 ميل روماني (37كلم)، تادرت Ad Badias 23ميل روماني (34كلم)، بادس Maiores 42 ميل روماني (62كلم)[4] . ومن هذه المحطة الأخيرة تصعد الطريق باتجاه الشمال الشرقي نحو تبسة[1]

---

[1] Tissot.Ch., op.cit,II,p479-504. ; Manguellone. A, Les principales voies romaines , loc.cit.,p10-16.
[2] Tab.Peut, CCXII.
[3] Manguellone.A, Les principales voies romaines, loc.cit.,p22-25.
[4] Tab.Peut, CCXIV.

2- محور تبسة – فج السيودا Vatari :

ارتبطت تبسة بالطريق الجنوبي الكبير الذي كان يصل بين قرطاجة و سطيف بواسطة طريق عمودية *via vicinalis* بلغ طولها الاجمالي 47 ميل روماني (69.5كلم). كانت تمر بهنشير غونيفيدا Mova الواقعة على مسافة 15ميل روماني (22كلم)من تبسة، ثم تصعد شمالا لمسافة 12 ميل روماني(18كلم) حتى مرسط Vasampus و منها إلى هنشير كسكاس Flavia Marci على بعد 20ميل روماني(29.6كلم) ، حتى تبلغ فج السيودا Vatari على مسافة 16 ميل روماني(23.6كلم).[2]

8-محور تبسة – عنابة عبر تيفاش Hippo Regius Per Tipasa Numidarum :

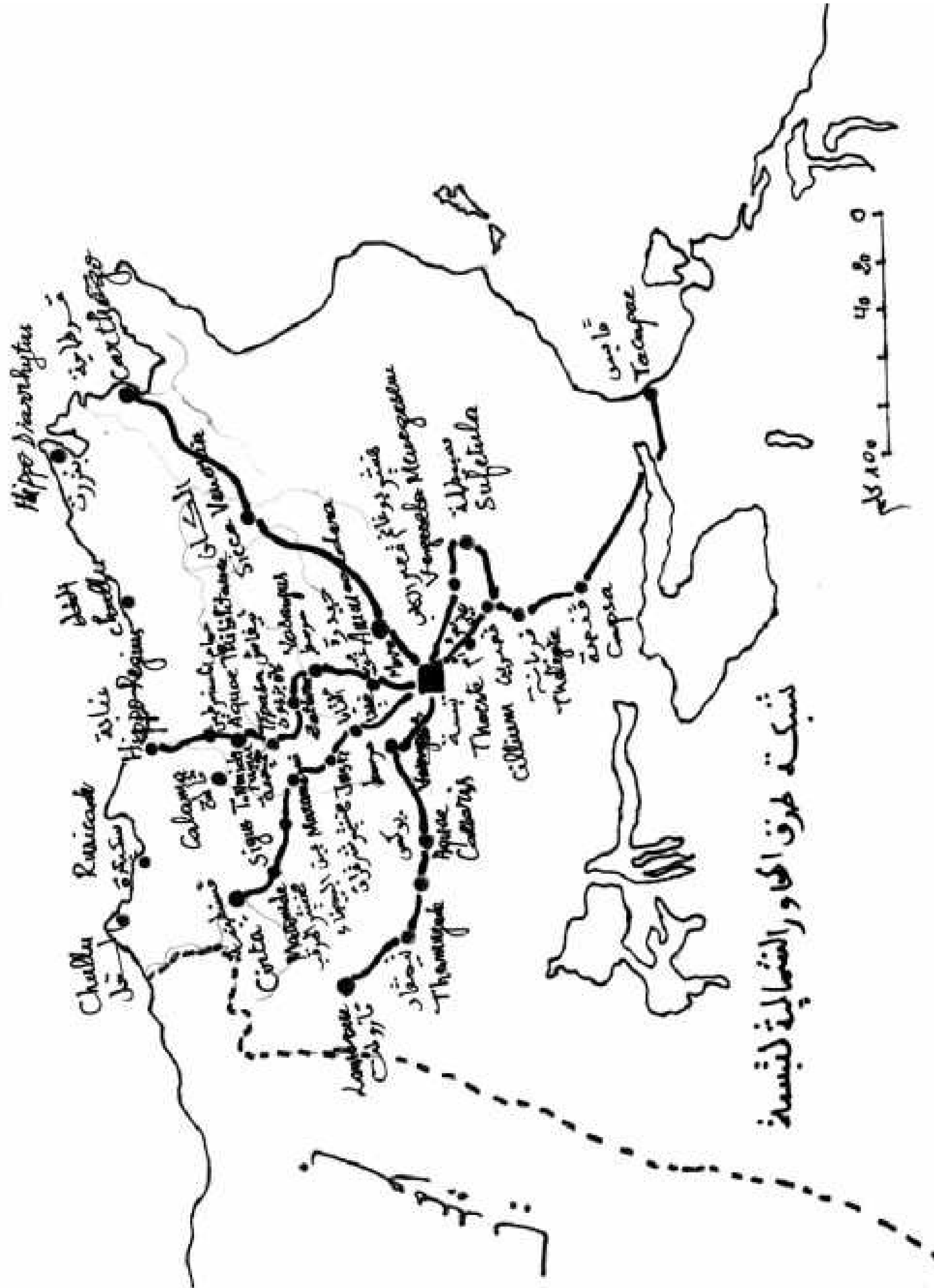
انطلقت من تبسة شمالا نحو غونيفيدا Mova، هنشير طرشة، مرسط Vasampus ، العوينات و منها إلى تيفاش[3]، ثم تواصل سيرها صعودا نحو عنابة Hippo Regius على الساحل عبر عدد من الطرق تصل بينهما مارة بهنشير تربازة59Ubaza Castellum ميل روماني (87.3كلم).[4]

مرورا بعدة مدن منها خميسة[5]Thubursicum Numidarum، كاف بزيون، Zattara، حمام المسخوطين[6]Aquae Thibilitanae. وهذه الطريق تعد الأهم بالنسبة للمدينة لأنها أوجدت لها منفذا على ساحل البحر المتوسط عبر ميناء عنابة[7]، و هي التي كانت تنتقل عبرها المحاصيل و المواد الزراعية التي كانت تنتجها

---

[1] Morizot .P, Le réseau de communications de la IIIe légion de Lambèse au Sahara à travers l' Aurès, IV colloque international d'histoire et d'archéologie de l'Afrique du nord, Strasbourg,1988, Tome II, p413.
[2] Tissot.Ch, op.cit,II,p474-475 ; Gsell .St, A.A.A, F29.n°101 et n°78.
[3] Toussaint.P, Etude, loc.cit, p266,269 ; Gsell. St, A.A.A, F18 .n°516-517 ,F29.n°66 et n°78.
[4] Tissot.Ch, op.cit,II,p512-538. ; C.I.L.VIII, 22294 a ; Gsell. St, A.A.A, F29.n°145 et 146, F39.n°258.
[5] Itini.Anton, III A ,X E; Tab.Peut, CCIX.
[6] Maitrot .C,Theveste, loc.cit, p55.
[7] Baradez .J, Organisation militaire, loc.cit,p29.

تبسة و نواحيها مثل الحبوب و الزيتون و غيرها[1] . وقد عثر على معلم ميلي لأحد الأميال الأولى لهذه الطريق قرب هنشير طرشة.[2]



خريطة رقم 10: شبكة طرق المحاور الشمالية لتبسة (من انجاز الطالب)

---

[1] Worth.Ch, op.cit,p 142.

[2] Gsell .St,A.A.A,F29.n°71 ; C.I.L.VIII, 22620 ; Gsell .St, Inscriptions inédites de l'Algérie, B.A.C,1896,p168.

أما الأميال الأخرى فيوضحها الجدول الآتي:

-جدول رقم 11: معالم طريق تبسة-عنابة عبر تيفاش:

الميل	الإمبراطور	المرجع
/	الغابالوس 218-222م	I.L.Alg,I,3892.
(06) VI	غورديانوس الثالث 240م	Ibid,3881.
(10) X	/	Ibid,3882.
(65) LXV	/	Ibid,3886.
(62) LXII	/	Ibid,3890.
(31) XXXI	دومتيانوس 81-96 م	Ibid,3885.
(60) LX	ديوكلتيانوس 284-305م	Ibid,I,3891.
(60) LX	ماكسيميانوس 290م	Ibid,3897.
/	ليكينيوس 308-324م	Ibid,3898.

الفصل الخامس

تبسة في العهد الروماني

الجانب الاجتماعي

أولا –الدراسة الديمغرافية 1–التركيبة الجنسية

2–التركيبة العمرية

3 –متوسط العمر

4– الوفيات لدى الأطفال

5–الروابط الأسرية

ثانيا – الدراسة الأنوماستيكية: (الأسماء و الألقاب)

1- الأسماءGentilicum أ- أسماء العائلات

ب–أسماء عائلات حكام المقاطعة

ج–أسماء العائلات السيناتورية و طبقة الفرسان

2–الألقابCognomina أ–أنـــــــــواعها

ب–الدراسة التحليلية

ثالثا – التركيبة الاجتماعية: 1–فئة الأعيان

2–فئة المعتقين و العبيد

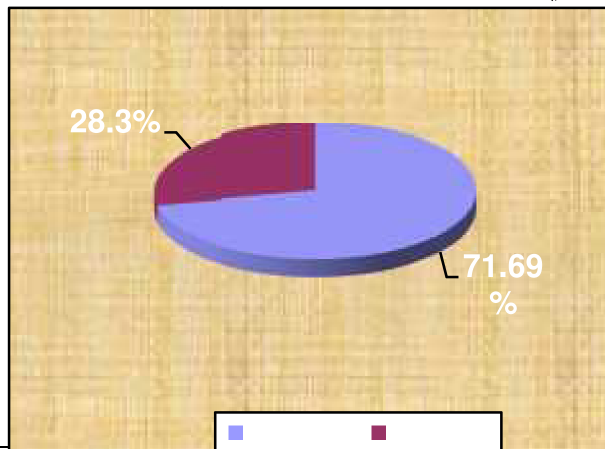
3–فئة العوام

أولا –الدراسة الديمغرافية:

تتوفر تبسة على عدد معتبر من النقوش الجنائزية تمكننا من معالجة بعض الجوانب الديمغرافية و الاجتماعية المختلفة من مجتمعها. وسنسعى من خلال هذا العنصر إلى دراسة مختلف هذه الجوانب بما تسمح به لنا المعطيات المستخلصة من نقوشها التي قارب عددها حوالي ألف نقيشة[1]. و إذا ما وضعنا جانبا تلك التي لا تمت بصلة للجانب الاجتماعي كالنذرية و الإهدائية و التذكارية والمعالم الملية لعدم توفرها على المعلومات اللازمة بسبب طبيعتها. و إذا ما استبعدنا كذلك تلك التي لا تسمح لنا حالتها المادية السيئة باستثمار نصوصها بسبب غموضها ومشكوكية قراءتها ، نحصل في النهاية على أزيد من ثمانمائة نقيشة كعينة للدراسة. و هي وإن لم تكن كافية جدا لتحصيل نتائج يمكن الاطمئنان إليها كلية و اعتبارها مرآة عاكسة للوضعية الفعلية الديمغرافية للمدينة في المقام الأول ولكل العهد الروماني لاسيما مع صعوبة التحديد الكرونولوجي لمعظم النقوش بقرن معين من هذا العهد، بيد أننا نعتبر النتائج المحصل عليها نظرة تقريبية لما كان عليه المجتمع التفستي خلال مرحلة ما من الاحتلال الروماني .و إذا ما اعتبرنا إفرازات الناحية الديمغرافية الصرفة مدعاة للحذر و الحيطة و التريث قبل تعميم النتائج أو اعتبارها نهائية، فإننا مطمئنون جدا لنتائج التحليل الخاص بالجوانب الأخرى كالروابط الأسرية أو غيرها لأن العينات المطلوبة متوفرة كثيرا، إلى جانب أن معظمها يحتوي معالم زمنية تتيح لنا وضعها في إطار زمني معين.

1–التركيبة الجنسية:

بينت دراسة نصوص الشواهد القبرية بأن عدد الذكور كان أعلى من عدد الإناث، حيث بلغت نسبتهم 71,69 % من مجموع الأشخاص الذين تم إحصاءهم و البالغ عددهم 855 شخصا.في حين وصلت نسبة الإناث إلى28,30% . وذلك قد يفسر بطريقتين ؛ أولاهما أن نسبة الوفيات بين سكان المدينة كانت أعلى عند الذكور منها لدى الإناث.وثانيهما أن جنس الذكور فاق جنس الإناث في مجتمع المدينة. ولا يمكننا هنا ترجيح أحد التفسيرين على الآخر ، طالما أننا لا نحوز معطيات نقشية أكثر، والأهم طبيعة الظروف الأمنية و الاقتصادية و الاجتماعية للمدينة في الفترة التي تعود إليها النقوش و المؤثرة في تركيبة الجنسين.



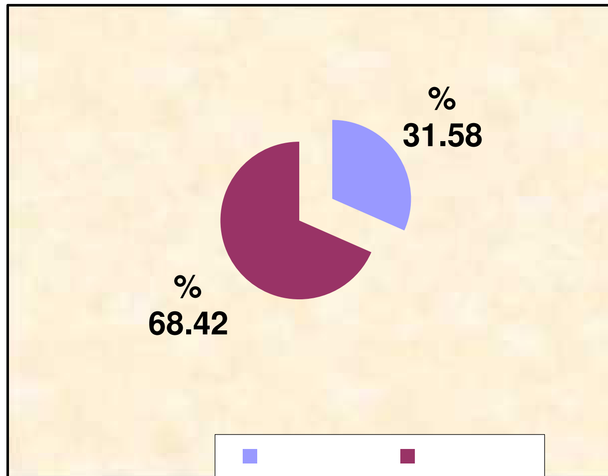
التركيبة الجنسية (نسبة الذكور والإناث)

[1] I.L.Alg, I, 2993-3990.

2-.التركيبة العمرية:

أفرزت النتائج المتحصل عليها من تحليل بيانات الفئات العمرية للنقوش محل الدراسة[1]، أن الفئة الفتية التي تصل أعمار أفرادها حتى 39 سنة تمثل نسبة 65% من مجموع السكان ، وهي نسبة معقولة جدا إحصائيا إذا أخذنا بعين الاعتبار أصول السكان الذين شكل قدماء الجنود و أبنائهم و المهاجرين من الرومان و الايطاليين و أحفادهم وأوائل الأفارقة المرومنين، كما سنرى لاحقا، نواة ساكنتها الأولى في العهد الروماني، مانحين المدينة دفعا ديمغرافيا قويا من خلال محاولة تغليب عدد الساكنة الرومانية والأجنبية على العناصر المحلية لفرض واقع ديمغرافي لصالحها. زد على ذلك أن ضرورات العمل الزراعي و التجنيد العسكري و الحاجة للشبان للانتظام في صفوف الفيالق الرومانية ، كل ذلك شجع العائلات الرومانية وغيرها على إنجاب عدد أكبر من الأولاد.

و بالنسبة لتوزيع هذه النسبة بين فئة الذكور و الإناث يتبين من خلال مقارنة عدد النقوش بين الجنسين أن الإناث يظهرن تفوقا واضحا على الذكور حيث سجلنا نسبة 68.42% لديهن مقابل 31.58% لدى الذكور. أما فيما يخص توزيع الفئات العمرية بينهما فنجد تفاوتا نسبيا في كل فئة عمرية مع تفوق ساحق للذكور في الفئة الأخيرة:

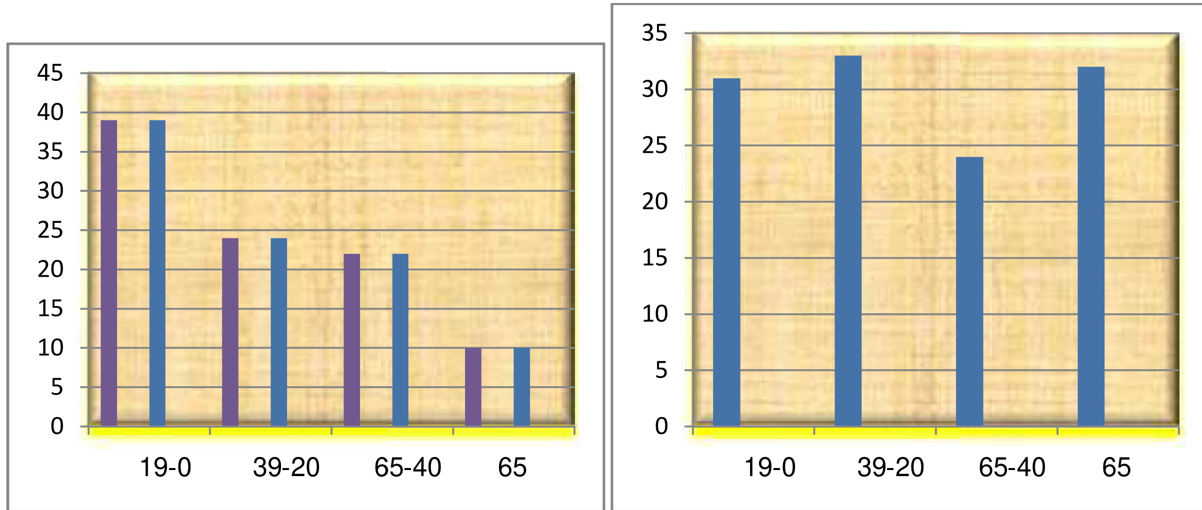


التركيبة العمرية للذكور و الإناث الأقل من39سنة

-جدول رقم12 : الفئات العمرية:

الفئة / الجنس	1-19 سنة	20-39سنة	40-65سنة	فوق65سنة
الذكور	31%	26%	31%	12%
الاناث	30%	29%	27%	14%

[1] I.L.Alg., I, 2993-3848.



التركيبة العمرية للذكور التركيبة العمرية للإناث

3 -متوسط العمر:

سجل مجتمع تبسة متوسط عمر مرتفع نوعا بالنسبة لمدينة قديمة، لكن هذا التعجب يزول إذا ما راعينا نقاطا عدة ، منها أن المدينة كانت مركزا زراعيا و تجاريا و حرفيا مهما منذ مطلع القرن الثاني الميلادي. وأدت وفرة المواد الزراعية و الغذائية إلى تحسن المستوى المعيشي لسكانها. كما أن الفترة التي تعود إليها النقوش تمثل عصر ازدهار الإمبراطورية في جميع النواحي، و لاشك في أن ذلك انعكس إيجابيا على صحة السكان و رفع من متوسط عمر الأفراد. ولما كانت تبسة مستعمرة رومانية تتوفر فيها كل شروط الاستقرار و الحياة الرغيدة التي جهدت السلطات في توفيرها لسكانها، فهي تعد من المدن الرومانية القليلة التي عاش أفرادها أعمارا مديدة حسبما أفرزته دراسة عينات من نقوشها.

فقد أفضت الدراسة الإحصائية لهذه الأخيرة إلى أن نسبة الأفراد الذين تتراوح أعمارهم ما بين 35 و55 سنة تبلغ نسبتهم أكثر من 52% من مجموع العينات المدروسة[1]. فهل ذلك يعني أن أفراد المجتمع كان أغلبهم يعيشون حتى هذه السن. هذا ممكن جدا، لكن لا يمكننا الجزم بذلك في ظل قلة المعطيات المرتبطة بهذا الجانب.

أما بالنسبة لكل جنس على انفراد فقد لاحظنا أن متوسط العمر لدى الذكور بلغ 62% من متوسط العمر العام، أي أنه أعلى منه لدى الإناث ربما بسبب الأعباء الاجتماعية و الأسرية التي كانت النسوة يتولونها كالحمل و الإنجاب ومشاركة الرجال في الأعمال الأخرى لاسيما الزراعية منها التي قد تكون السبب وراء وفاتهن المبكرة. بالرغم من ذلك نلمس مستويات قياس تعميرية لديهن لا تقل عن الذكور.[2]

[1] I.l.Alg,I,3102-3680.
[2] I.L.Alg.,I,3106(90) ,3105(80), 3119(80), 3132(90), 3186(80), 3250(65), 3262(92), 3494(120), 3495(75),3509(77),3514 (91),3521(80),3521(97),3530(101),3539(95),

4 – الوفيات لدى الأطفال:

لم تتوفر لدينا معطيات وافية عن نسبة وفيات الأطفال بمدينة تبسة خلال العهد الروماني، إذ لم تسعفنا مدونة النقوش اللاتينية ولا غيرها من سجلات النقوش بعدد كاف منها يمكننا من إجراء دراسة لها. حيث لم نحصل بعد بحث و جمع طويلين إلا على عدد قليل لا يتجاوز 30نقيشة لا تصلح لاستخلاص النتائج، ولا يمكن عدها بأي حال عاكسة لواقع وفيات الأطفال بالمدينة.وتظهر العينات المجموعة تفاوتا في سن الأطفال المتوفين ما بين اقل من سنة إلى إحدى عشر سنة.[1]

5–الروابط الأسرية:

تتضمن نقوش تبسة جانبا آخر مهم من المعطيات و الناحية الاجتماعية وتحديدا ما يرتبط بالأسرة نفسها، حيث تعكس شواهد القبور حقيقة العلاقة بين أفراد الأسرة و متوفاهم من خلال العبارات التي تضمنتها و التي تبين درجة قرابة مهدي المعلم الجنزي من الميت. ولسنا هنا كما تبين إحدى الدراسات أمام مجرد عبارات جوفاء يقصد بها حب الظهور و إبراز الثناء على المتوفى و التذكير بخصاله و مكانته بين ذويه في حياته وفي وجدانهم بعد موته ، وإنما تعبير حقيقي نابع من القلب يترجم شوق المهدي إلى فقيده خاصة إن كان صغيرا وتخليدا لذكراه .[2]

في هذا الإطار تشير النقوش إلى رابطة الدم كأقوى صلة ربطت بين المهدين و المتوفين ، حيث نجد المهدي عادة من الأسرة أو العائلة الكبيرة كالآباء والأمهات ، الإخوة والأخوات ، الأبناء و البنات ،الأزواج والزوجات، أبناء العمومة. بل وجدنا آخرين لا يمتون بصلات القرابة للمتوفين لكن تربطهم علاقات الموالاة مثل تلك التي تصل العبيد والمعتقين بسادتهم، أو علاقة العمل كبعض النقوش التي وضعها أشخاص لأجل أرباب أو رفقاء لهم في العمل.

ويوضح الجدول التالي طبيعة هذه العلاقات على اختلافها:

-جدول رقم13: الروابط الأسرية بين المتوفين و المرتبطين بهم:

3541(90),3567(80),3566(85),3575(100),3576(80),3578(80),3580(100),3592(85),3605(130), 3607(80), 3612(95)……….

[1] I.L.Alg.,I,3139(05) ,3155(02), 3162(أشهر03), 3165( ), 3166(06), 3187(03), 3190(05), 3193(02), 3204(06),3210(02),3 205(شهور7),3268(05),33275(08),3291(06),3299(02), 3300(02) 3306(11),3307 (12),3328 (06),3335 (07),3342 (03), 3347(05), 3361(07),3372 (02), 3423(شهور3), 3554(03),3572 (08),3617 (03),3390 (11), 3391(11).

[2] Lassère. J-M, Sentiments et culture d’après les épitaphes latines d’Afrique. In: Bulletin de l’Association Guillaume Budé, n°2, juin 1965, p 209-210.

الإســـم	المهدي	المرجع
L.Aemilius لوكيوس أيميليوس	الأولاد و الحفدة[1]	I.L.Alg,I,3103.
كوينتوس بابليوس فليكسQ.Babulius Felix	زوجته سويتونيا و وابنه بابليوس التفستي إلى والده التقي [2]	Ibid.,3105.
غانيوس بروتيوس اكزوراتوس G.Brutus Exoratus	زوجته هلفيا[3]	Ibid.,3106.
L.Caius لوكيوس كايوس لجيتيموس Legitimus	زوجته إيوليا روستيكا[4]	Ibid.,3107.
بوبليوس دورميوس فيرموسP.Durmius Firmus	والده[5]	C.I.L.VIII,16548=I.L.Alg,I,3111
؟	زوجته كالبورنيا غالا[6]	I.L.Alg,I,3108.
كوينتوس ايوليوس ديوراتوس Quintus Iulius Dioratus	ورثته و رفيقه في السلاح تيتوس فلافيوس مارتياليس [7]	I.R.A,3129 ; I.L.Alg,I,3115.
ماركوس ايوليوس ماترنوس كريسبينوس M.Iulius Maternus Crispinus	رفيقه في السلاح سكستوس فاليريوس أتيكينوس[8]	I.L.Alg,I,3117
لوكيوس سرجيوس ساتورنينوس L.Sergius Saturninus	رفيقه في السلاح لوكيوس فلافيوس فيروكس وفولفيا	I.L.Alg,I,3121

---

[1] «*Diis manibus sacrum .Lucius Aemilius miles legionis tertia Augustae. Centurio IV…vixit plus minus XX…..* ***Geminus, filius et heres*** ».

[2] « *Diis manibus sacrum. Quintus Babulius Felix Veteranus,vixit annis LXXXX .Hic situs est.****Suetonia Procula coniux et Babullius Thevestinus filius, patri pio*** *fecerunt* ».

[3]" *Diis manibus sacrum.Ganius Bruttius Exoratus veteranus legionis tertiae Augustae , vixit annis LXXXX,fecit* ***Helvia uxor.****Hic situs est* " .

[4] «*Diis manibus sacrum. Lucius Caecilius Lucii filii Quirina(tribu) Legitimus, miles legionis tertiae Augustae , Centuria Fundani severi .Vixit annis XL, militauit annis XVII.Hic situs est.* ***Iulia Rustica uxor*** *posuit* ».

[5] « *Diis manibus sacrum. Publius Durmius Firmus, miles legionis tertiae Augustae,vixit annis XXII, militauit annis IIII .Instituit monmentum (ou memoriam)…………****pater filio*** ».

[6] « *……………….vixit annis XXVII ,militauit annis VIII,posito* ***Calpvrnia Galla uxor****. Eius . Hic situs est.* »

[7] « *Quintus Iulius Quinti filii quirina (tribu) Dioratus Autrico, miles legionis tertiae Augustae ,centuria L.Ivli.Vixit annis XXX, militauit annis V.Hic situs est.Titus Flavius Martialis centuria Nasidi, heres , merenti (ou monumentum) posuit.* »

[8] « *Marcus Iulius Marci filii Quirina (tribu) Maternus Augustonemento, milex legionis tertiae Augustae , Centuria Crispini .Vixit annis XXVII, militauit annis V. Hic situs est.* ***Sextus Valerius Atticinus vexillarius equitum*** *legionis III Augusta.* »

	ساتورنينا[1]	
كوينتوس لوتاتيوس فياتور أوتريكو Q.L.Viator Autrico	وريثاه تيتوس فلافيوس مارتياليس و كايوس إيوليوس	C.I.L.VIII,27852=I.L.Alg,I,3118
بوبليوس ميسوس مليسوس أوغوستودونو P.M.Melissus Augustudunu	رفيقه في السلاح ديديوس كلوديوس	I.L.Alg.,I,3120.
سكستوس سولبيكيوس سنيليس S.Sulpicius Senilis	رفيقه في السلاح ماركوس أوريليوس كانديدوس	I.L.Alg.,I,312 2.
تيتوس أيليوس المعتق T.Aelius Libertus	إبنه	I.L.Alg.,I,3122.
فليكيتا Felicita	أبوها هيلاروس معتق الامبراطور Vernaculae	I.L.Alg.,I,3133.
فورتوناتوس عبد الامبراطور Fortunatus Servui Augusti	زوجته فيتوستولا و والده وتم محو عبارة أقاموا بسبب خلاف بين الأب و أرملة ابنه فيما بعد[2]	I.L.Alg.,I,3134
ايانياريا عبدة الامبراطور Ianuaria Servua Augusti	زوجها أبولونيوس لزوجته الغالية عليه.	I.L.Alg.,I,3135.
Maxima Servua العبدة ماكسيما	أبوها فيكتور لابنته التقية جدا	I.L.Alg,I,3136.
Repentinus ربونتينوس عبد الامبراطور	هيئة رؤساء وموظفي Collegium Tabellariorum مكاتب الجباية[3]	I.L.Alg.,I,3137.
Sallustia Liberta	أمها إيانياريا لابنتها العزيزة	I.L.Alg.,I, 3138.

[1] « *L.Sergius Saturninus miles legionis tertiae Augustae , Centuria valeri Marcelli , militauit annis XIX ,vixit annis XXXX. Hic situs est. Lucius Flavius Ferox milex legionis III Augustae Augustalis exs testamento arbitratu Fulviae Saturninae factum est.* »

[2] « *Diis manibus sacrum. Fortunatus augusti nostri servus adiutor a commentariis , vixit annis XXXII,mensibus I, diebus XXVII.Hic situs est,…………….**pater et Venustula coniux karissimo** fecerunt, Vegethius* ».

[3] « *Diis manibus sacrum.Repentinus augusti servus Tabellarius , vixit annis XXV,**Collegium Tabellariorum** fecerunt.* »

المعتقة صالوستيا	عليها جدا	
ستركولا Stercvla	أبوها ليبيراليس وأمها فليكيا لابنتهما العزيزة جدا[1]	I.L.Alg.,I,3139.
فيكتوريا عتيقة الامبراطور Victoria liberta Augusti	زوجها فلافيوس بريموس لزوجته الغالية جدا	I.R.A,3122 ;C.I.L.,VIII,1899 ; I.L.Alg.,I,3140
كايوس أودازيوس سوكدنس C.Audasius Succedens	أودازيوس بومبتينوس و ايانياريا معتقاه لسيدهما التقي جدا.	I.L.Alg.,I,3141.
داريس من Daris Gvbul قبيلة الموزولامي	زوجـــــــــــها	I.L.Alg.,I,3144.
كورنيليوس فكنتيوس CorneliusVicentius	ابنه بابريوس لوالده العزيز جدا	C.I.L.,VIII,16565 ;I.L.Alg.,I,3145
بوبليوس أيليوس ماركيانوس ايونيور P.A. Marcianus Iunior	أبوه فكتورينوس	I.L.Alg.,I,3155.
كوينتوس ايليوس صالفيانوس Q.Aelius Salvianus	أبناءه أيليوس ساتورنينوس ومسيانوس و أكتافيانوس	C.I.L.,VIII,16569 ;I.L.Alg.,I,3156
أيليا فورتوناتا Aelia Fortunata	اغناتيوس روغاتيانوس لزوجته العزيزة	I.R.A,3115;C.I.L.,VIII,1903 ; I.L.Alg.,I,3161.
أيمليوس بروكسيانوس Aemilius Processianus	أبوه و جده لابنهما و حفيدهما الغالي	C.I.L.,VIII,16571 ; I.L.Alg.,I,3163.
أنطونيا ساتورنينا Antonia Saturnina	زوجها فولوزيانوس	C.I.L.,VIII,16577 ; I.L.Alg.,I,3174.
لوكيوس أبيوس ماكسيموس L.Appius Maximus	أخوه الغالي كايوس لوكيوس أبيوس ساتورنينوس	C.I.L.,VIII,27862; I.L.Alg.,I,3175.
أودازيا فورتوناتا Audasia Fortunata	أبوها و أمها معتقا القاضي البلدي	I.R.A,3108 ;C.I.L.,VIII,1910.
كـايـــــكيليا كينـيثــيا Caecilia Cinitia	كايكيليوس فورتوناتوس لزوجها المعتقة العزيزة [2]	C.I.L.,VIII,27869; I.L.Alg.,I,3199.
كايليا بريمولا Caelia Primula	أبواها كايوس بريمولوس وايوليا داتيفا لابنتهما العزيزة .	C.I.L.,VIII,16584; I.L.Alg.,I,3205.

[1] « *Diis manibus sacrum.Stercula Augusti nostri , vixit annis V menses II dies VII,* ***Liberalis*** *Augusti nostri adiutor taublarii et* ***Felicia, filiae karissimae*** *fecerunt .Hic sita est ».*

[2] « *Diis manibus sacrum.Caecilia Cinitia , vixit annis LI .****Caecilius Fortunatus libertae et uxor carissimae*** *monimentum fecit .Hic sita est. »*

كايوس ايوليوس روفينوس Caius Iulius Rufinus	والـــــــــد ته	I.R.A,3281; I.L.Alg.,I,3131.
لوكيوس ايوليوس اكتافوس Lucius Iulius Octavus	زوجتـــه تفستيــــنا	C.I.L.,VIII,278; I.L.Alg.,I,3280.
فيتيا ايانياريا Vitia Ianuaria	أقربائها الأعزاء	I.R.A,3155; I.L.Alg.,I,3390.
فلافيا انجنوالادها Flavia Ingenua	ابنها أو ابنتهـا[1]	I.L.Alg.,I,3246.
دوميتيوس ساتورنينوس Domitius Saturninus	أخته دوميتيا كرسكنتيا لأخيها الغالي جدا.[2]	I.R.A,3188;C.I.L.,VIII,2105 ; I.L.Alg.,I,3537.
كايوس أنيوس هونوراتيانوس C.Annius Honoratianus	ابنه ماركوس أنيوس أكتافيانوس	I.L.Alg.,I,3551.

يتضح من معطيات الجدول السابق أن الروابط الأسرية بين أفراد العائلة الواحدة كانت وثيقة جدا، إذ رصدنا أن معظم من أهدى شاهدا قبريا يمت للمتوفى بصلة القرابة. فنجده إما أبا أو أما، أو أخا أو أختا ، أو وهو الأكثر شيوعا زوجا أو زوجة.و في ذلك برأينا مؤشر على استمرارية دور الأسرة في الربط بين أفرادها ووجود علاقة عاطفية و اجتماعية متينة بينهم دامت حتى الانفصال بالموت. و تعكس عبارات النصوص الجنائزية تلك الأحزان و الأشجان التي ظلت متقدة في قلوب و وجدان المهدين أسفا على رحيل فقيدهم، إذ تتردد دوما كلمات مثل " الزوجة الوفية ، الابنة العزيزة ، الابن الغالي جدا، الأب الحنون ، الزوج الذي لا مثيل له، الأم التقية، السيد العظيم الأخ النادر، يرقد في سلام، لتكن الأرض خفيفة عليك...........الخ.

لم تكن نصوص شواهد القبور دائما دليلا على حسن العلاقة بين المتوفي وذويه أو فيما بينهم، فقد تندلع خلافات عائلية بينهم بعد موت هذا الأخير بفترة لأسباب عدة لا تذكرها النقوش، و لكن قد تكون كما هو واقع اليوم بسبب الميراث. في هذه الحالة يمحى اسم أحد المهدين من شاهد القبر أو تحذف عبارة أقاموا أو أهدوا التي اشتركوا فيها. و لدينا عن هذه الحالة الأخيرة مثال و هي تخص فورتوناتوس عبد الإمبراطور الذي يبدو أن خلافا نشب بين زوجته التي توفي عنها و والده لسبب يبقى مجهولا.[3]

[1] « *Diis manibus sacrum.Flavia Ingenua ,vixit annis XXX.Hic sita est, filius (ou filia) matri posuit.* »
[2] « *Diis manibus sacrum.Domitius Saturninus , vixit annis XXV,dies XIII.Domitia Crescentina carissimo ,faciendum curauit.* »
[3] I.L.Alg.,I,3134.

ثانيا – الدراسة الأنوماستيكية: (الأسماء و الألقاب)

إن دراسة مجتمع المدينة في العهد الروماني يجب أن يراعي عددا من الجوانب المهمة التي لا يمكن إغفالها و التي تعد مؤشرات أساسية على نوعية العناصر المشكلة لنسيجه ومدى الاندماج الاجتماعي و العرقي بين السكان المحليين و العناصر الوافدة بمختلف أصولها العرقية. منها على سبيل المثال درجة الانصهار في بوتقة الرومنة و إمكانية استمرار الهويات الثقافية و القبلية المحلية وطبيعة الأسماء و الألقاب و الكنى التي تسمى بها السكان و مصدرها، هل كلها صيغت على النموذج الروماني أم توجد مثلا ألقاب أو أسماء عشيرة خاصة بالمدينة، أو لها أصول في مدن أخرى داخل بلاد المغرب أو خارجها.

1- أسماء العائلات: Gentilicum

فعلى مستوى أسماء العائلات سنجد أن معظم المواطنين الرومان اتخذوا أسماءهم من ثلاثة مصادر ؛ اسم عائلة الإمبراطور، و اسم عائلات البروقناصلة و قادة الفيلق مساعدي البريتور، ثم أخيرا أسماء العائلات الخاصة بالمدينة.

أ-أسماء عائلات الأباطرة:

فالبنسبة للنوع الأول سنجد أن اسم العائلة الأكثر تداولا في تبسة كان إيوليوس Iuliiإذ عندنا مئة و اثنا عشر شخصا يحملون هذا الاسم منهم خمسة وثلاثون امرأة. و من بين أربعة و ثلاثون شخصا يحملون الاسم الثلاثي وجدنا ثلاثة وعشرون رجلا يحملون اسم كايوس، من بين هؤلاء الرجال الحاملين له عندنا أربعة من جنود الفيلق وواحد من قدماء الجنود كلهم يعودون للفترة المحصورة ما بين حكم فسباسيانوس و تراجانوس.[1]

إن هذا العدد الهائل من اليوليين يظهر بأننا أمام أشخاص تلقى آبائهم المواطنة الرومانية من أحد أباطرة الأسرة الجوليو- كلاودية مابين القرن الأول قبل الميلاد و القرن الأول الميلادي. ومن بين هؤلاء أفراد قدموا من ايطاليا أو من مدن بلاد المغرب المرومنة خلال عهدي يوليوس قيصر و أغسطس اللذان فتحا باب الهجرة و الاستيطان لآلاف قدماء الجنود الذين استقروا أول الأمر في الولاية الإفريقية موريطانيا ثم تسربوا لاحقا إلى المدن الأخرى الداخلية، وذلك ما يفسر ارتفاع نسبة الأسماء الرومانية و الايطالية بالمدينة. ويمكن الاعتقاد بان أحفاد هؤلاء انتشروا تقريبا في كل مكان بدواعي اقتصادية في الغالب.[2]

وتعد حالة أحد الأعيان خير دليل لنا على هذه الأصول الأجنبية حيث كان والد هذا الشخص من قدماء الجنود الذين كانوا أحفاد مواطنين نصف رومان من جهة آبائهم و الذين خدموا في ولاية إفريقيا القديمة Afriva Vetus

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p53.
[2]Ibid.,p 55.

ثم الاتحاد الكيرتي و جاء ليستقر في نواحي تبسة في نهاية القرن الأول الميلادي، و حصل على المواطنة الرومانية. كما كان لقب جده روموليانوس رومانيا محضا.[1]

يأتي بعد اليوليين الكلاودويين Claudiiوهؤلاء عددهم أقل إذ لدينا ثمانية رجال أحدهم يحمل الاسم الثلاثي الروماني وامرأة ذات لقب إغريقي يمكن أن تكون معتقة. وحسب ألبرتيني E.Albertini يكون الكلاوديين ببلاد المغرب من سلالة عبيد معتقين شرقيين من عهد كلاوديوس أو نيرون.[2]

ثم هناك اسم فلافيوس Flavii الذي نصادفه خمسة وثلاثون مرة منها ثلاثة عشر لامرأة، و من بين هؤلاء الحاملين لاسم فلافيوس رصدنا اثنا عشر منهم لهم الاسم الثلاثي و تسعة متلقبون بلقب تيتوس، لذلك نعتقد بأن مواطنتهم تعود إلى مابين سنوات 69 و96م[3].أما اسم كوكيوس فليس لدينا عنه سوى نقيشة واحدة يحمل صاحبها لقبا شبيها بلقب الإمبراطور نرفاNerva.[4]

إن الملفت للانتباه هو انه رغم أن معظم الشواهد التاريخية و الأثرية تشير إلى أن" تراجانوس" هو من منح تبسة رتبة المستعمرة إلا أنه من الغريب أن نجد اسم عائلة هذا الإمبراطور و هو "أولبيوس" Vlpiusغير شائع بين سكان المدينة. حيث نصادف فقط ثلاثة عشر رجلا و ثلاث نساء يحملن هذا الاسم. ومن مجموع أولئك الرجال أحصي سبعة لديهم الاسم الثلاثي، منهم ستة متلقبون بلقب الإمبراطور "تراجانوس" وهو "ماركوس".[5]

ومن أسماء العائلات الإمبراطورية التي لها حضور قوي بتبسة أيليوس، حيث وجدنا بين شواهد النقوش ما يفوق عشرون رجلا وثمانية نساء يحملونه. بين الرجال ستة عشر لديهم الاسم الثلاثي، منهم اثنان لهما لقب الإمبراطور هادريانوس وهو بوبليوس واثنان آخران لهما لقب الإمبراطور أنطونينوس التقي وهو تيتوس[6].

كما عندنا أيضا اسم أنيوس Annius بسبعة عشر رجلا وخمسة نساء، من بينهم ثمانية باسم ثلاثي، و خمسة بلقب الإمبراطور ماركوس أورليوس وهو ماركوس. وهناك أيضا اسم أوريليوس بمجموع عشرة أشخاص زائد خمس نساء.و خمسة من الرجال باسم ثلاثي منهم أربعة متلقبون بلقب الإمبراطور كومودوس وهو ماركوس، في حين لم يرصد أي لقب لفيروس و هو لوكيوس. أما سبتيميوس فليس هناك سوى شخص واحد مع اسم ثلاثي و بدون لقب لوكيوس المميز للإمبراطور سبتيميوس سيفيروس. إن هذه الأرقام تبين بان تبسة كانت قبل تحولها إلى مستعمرة مأهولة

---

[1]I.L.Alg,I,. 3067.;Espanet-Carissan.C,op.cit.,p126.
[2]Albertini.E, La clientèle des Claudii , M.E.F.R, XXIV,1904, p247.
[3]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p54.
[4]I.L.Alg,I,3212. «Marcus Cocceius Successus…. »
[5]Ibid,. 3321,3398-99,3400,3401.3542,3585-87,3643,3668,3692,3713,3715,3796.;Espanet-Carissan.C,op.cit.,p54.
[6]I.L.Alg,I,3003,3069,3131,3154-62, 3575,3600,3626,3637,3689,3726.

بالعناصر الرومانية ، وان تغير وضعيتها الإدارية لم يكن له علاقة بنسبة المواطنين الرومان فيها. كما أن أسماء العائلات المستقاة من الأباطرة تبين كذلك أنه فيما عدا عدد محدود من أهالي المنطقة، تشكلت ساكنة تبسة من العسكريين و المهاجرين المدنيين القادمين من غاليا و ايطاليا، علاوة على مهاجرين من المناطق الداخلية لبلاد المغرب من الأفارقة المرومنين الذين تحصلوا على المواطنة الرومانية خلال عهد الأسرة الجوليو-كلودية. ذلك ما تؤكده نسبة اسم إيوليوس 16.03% ، و أيليوس الذي يمثل نسبة 28 %من أسماء العائلات المشتقة من أسماء الأباطرة ، و فلافيوس بنسبة 40.47 % و اوريليوس بنسبة 7.07 %وأنيوس بنسبة8.96%.

ولعل ذلك يعني أن هذه المدينة على غرار أمايديرا (حيدرة) استفادت من رتبة المستعمرة الشرفية دون أن يزرع فيها المستوطنون، وحتى نسبة الجنود المتقاعدين لم تكن كبيرة بالنظر لعدد النقوش القليلة المرتبطة بهم. مما يقودنا إلى القول بالأصول المدنية لا العسكرية لأغلب سكان المدينة.[1]

ب-أسماء عائلات حكام المقاطعة:

هذا فيما يخص النوع الأول ، أما النوع الثاني من أسماء العائلات المشتق من أسماء عائلات حكام إفريقية من البروقناصلة فسنلاحظ أنه بالعودة إلى الجداول التي قامت بانجازها إحدى الباحثات انطلاقا من معطيات النقوش

أن معظم أسماء عائلات كبار الموظفين في الإدارة الرومانية ببلاد المغرب حاضرة في أسماء سكان المدينة لاسيما المعتقين منهم ، وتتفاوت هذه الأسماء في أهميتها فنجدها كلآتي: كورنيليوس (16)، فابيوس(9) ، كايليوس (9)، فيبيوس (8) بترونيوس(7)، ليكنيوس(5)، روبيليوس (5)، سكستيوس (4)، كالبورنيوس(4)، ايونيوس(4)، كلوديوس(4)، سرفيليوس(3) ، دوميتيوس (3)، موناتيوس(3) ، مينوكيوس(3)، كاسيوس (2)، سولبيكيوس(2)، اغناتيوس (2)، كورنيفيكيوس(1)، موديوس (1)، صمبرونيوس(1)، سنتيوس(1)، فوريوس (1)، ابرونيوس(1)، توليوس(1) اوكتافيوس(1)، سويليوس(1)، سبتيميوس(1).[2]

إن حملة هذه الأسماء بتبسة لم يكونوا فقط أشخاصا عاديين بل أشخاص تولوا مهام و تقلدوا مناصب مدنية و عسكرية رفيعة. كما أنهم ينحدرون من ايطاليين أو أفارقة مرومنين لحد بعيد. فاسم كورنيليوس كان شائعا جدا منذ نهاية العهد الجمهوري و انتشر بسرعة ببلاد المغرب. واسم كايليوس واسع الانتشار في الاتحاد السرتي منذ عهد يوليوس قيصر. ونفس الملاحظة تنطبق على الأسماء الأخرى مثل فيبيوس المشهور بقرطاجة منذ عهد أغسطس، و البقية فهي معروفة بايطاليا خاصة بالاتيوم و كامبانيا . و يلفت اسم دوميتيوس النظر لأنه شاع استخدامه في مدن الاتحاد السرتي

[1] Espanet-Carissan.C,op.cit.,p55.
[2] Ibid., pp56-58.

بعد تولي لوكيوس دومتيوس أينوباربوس حكم البروقنصلية ، وكذلك بتبسة أين يبدو أن حملته ينحدرون من العبيد الذين حررهم المعمرون قي القرن الأول قبل الميلاد.[1]

إن هذه المعطيات تؤكد فرضية أن المدينة سكنتها عناصر بشرية من خارج المنطقة ، وهي الجنود ثم الايطاليون و الأفارقة المرومنين الذين اندمجوا في الحضارة الرومانية منذ ما لا يقل عن ثمانية أجيال. و نعتقد أن عملية رومنة تبسة تمت بهدوء طالما أن العناصر الرومانية كانت الغالبة على مجتمع المدينة. و خلافا لما هو شائع في أي مدينة تتحصل على رتبة المستعمرة الشرفية كتتويج لرومنة العناصر المحلية تكون غالبية ساكنتها من الأهالي، نلاحظ أن تبسة تعرضت لازدواجية فيما يتعلق بزيادة عدد سكانها . فمن جهة استحداث المستعمرة كان الهدف من ورائه استيعاب السكان المحليين ، ومن ناحية أخرى استقبال تلك الأعداد المهمة من الايطاليين من ذوي الجنسية الرومانية. و على غرار مدن أخرى مثل لبدة نستطيع الافتراض بأن القسم الأعظم من أهل المدينة كانوا أحفادا للتجار و المغامرين الايطاليين الذين قدموا مع موجات الهجرة الأولى.[2]

و من الغرابة بمكان أن نصادف في مدينة متوسطة الأهمية مثل تبسة كل هذا العدد المتنوع من أسماء العائلات. صحيح أنه لدينا غالبية من اليوليين و الأنيين و الأوريليين و الفاليريين و الأيميليين و البومبيين مما يدل على إرادة سياسية من السلطة الإمبراطورية لرومنة المدينة، لكن عضدتها أيضا هجرة طوعية فردية أو جماعية نحو المدينة لأفراد يحملون هذه الأسماء، حتى وان حملها في كثير من الأحيان فرد واحد لا عائلات بأكملها . وحتى على مستوى العلاقات بين هاته العائلات، سنصادف عدة عائلات تبسية ربطتها علاقات تجارية أو مصاهرة بعائلات نافذة من مدن أخرى بحكم وجود المدينة في قلب شبكة طرق رئيسية. نذكر كمثال واحد آل تيتينيوس Titinii الذين ربطتهم علاقات مصاهرة متينة بآل بولاينيوس* بمدينة اوكي مايوس بالبروقنصلية. فتبسة إذن كانت مابين القرنين الثاني و الثالث الميلاديين مدينة مزدهرة بفضل ساكنة كانت في خدمة الإدارة الرومانية أو اشتغلت بزراعة الزيتون. هذا الانفتاح على المدن الأخرى ووقوعها على مفترق محاور الطرق الكبرى يفسر ذلك التنوع الكبير في أسماء العائلات الذي لا نصادف بعضها مثل أنيستيوس، كوميديوس، كريبيوس، لاريوس ليتوسيوس، بيناريوس، تورانيوس وغيرها في مناطق أخرى.[3]

---

[1] Espanet-Carissan. C, op.cit, p59.
[2] Ibid., p60.
* Pullaienii.
[3]Espanet-Carissan. C,op.cit., p61.

ج-أسماء العائلات السيناتورية و طبقة الفرسان:

و فيما يخص النوع الثالث فهو مشتق من أسماء عائلات السيناتوريين و طبقة الفرسان بالمدينة. لكن المشكلة التي تصادفنا هنا هي العدد القليل من النقوش المرتبط بأعضاء مجلس الشيوخ المنحدرين من المدينة إذ ليس لدينا عنهم سوى ستة نقوش ، ذلك أن انتشار هذه العائلات خارج روما قليل فلم يتعدى عددها الإجمالي في عموم الإمبراطورية ستمائة عائلة. و من الطبيعي أن لا نصادف بتبسة عددا كبيرا من السيناتوريين ، ومجرد وجود عائلة واحدة في المدينة دليل مهم على أهمية المدينة الاقتصادية و الإدارية.[1]

هذه النصوص القليلة من العهد السيفيري تشير إلى آل تيتينيوس المشار إليهم سابقا و آل كايكيليوس Caecilii[2] أما الفرسان فليس لدينا أيضا إلا ثلاثة شواهد كذلك تضمنت أسماء عائلات فلوروس Florii و Iulii[3] وايوليوس. ومن هذا المنطلق لا يسعنا تحديد تأثير هذا النوع من الأسماء في مجتمع المدينة قبل العهد السيفيري.فليس لدينا تقريبا سوى ثلاثة نماذج عن تأثير عائلة كايكيليوس في أسماء بعض سكان المدينة.[4]

و الراجح أن السبب الكامن وراء هذه الظاهرة هو أن معظم السيناتوريين الأفارقة المعروفين ينحدرون من مدن أخرى أكثر رومنة من تبسة مثل بولا ريجيا وسوسة و أشولا، لذلك كان تأثير طبقتها السيناتورية في أوساط السكان أبلغ و أشد. وان كان هذا لم يمنع من أن يكون أحد أعيان تبسة الأغنياء الجد الأعلى لأسرة استطاعت أن تتدرج في المناصب حتى وصلت إلى عضوية مجلس الشيوخ بروما نفسها، وان لم يسبق لجدها هذا المدعو كوينتوس تيتينيوس صابينيانوس أن تقلد أية مناصب بلدية.[5]

وقبل إنهاء هذه الدراسة حول أسماء العائلات التبسية سنحاول توزيع الساكنة حسب وضعيتها الاجتماعية استنادا إلى عدد العينات المدروسة. فمن مجموع 980 شخص المأخوذين كعينة رصد حوالي 458 مواطن روماني أي ما نسبته 46.73 % من عدد السكان في مطلع القرن الثالث ، و أعضاء مجلس الشيوخ مثلوا نسبة0.30%،

وهو رقم ضئيل لكن يمكن تفهمه إذا ما وضعنا في الاعتبار ندرة هذه الفئة بسبب حجم الثروة الهائل الذي كان لزاما عليهم امتلاكها للانخراط في عضوية المجلس.[6]

[1]Pelletier. A, Les Sénateurs d'Afrique proconsulaire d'Auguste à Gallien, Latomus,XXII,3,1964, p 514.
[2]CIL.VIII, 26415; I.L.Alg,I, 3062,3063 ;Pelletier. A, loc.cit.,p513.
[3]I.L.Alg,I,3067,3068,3070.
[4]Ibid.,3192,3196-97.
[5]Pelletier. A, loc.cit.,pp528-531.
[6]Mac Mullen.R, Les rapports entre les classes sociales dans l'empire romain.50 av J-C-284 ap J-C, Seuil. Paris,1986,p85.

أما العبيد فقد كانت نسبتهم مرتفعة جدا بين سكان المدينة وأغلبهم كانوا تابعين للإمبراطور. ونميز ضمن هذه الفئة أفرادا كانت وضعيتهم الاجتماعية أفضل مقارنة بغيرهم، إذ كانوا يمتلكون عبيدا آخرين تابعين لهم و يستطيعون جمع ثروة حين يتم تحريرهم . وقد شغلوا بالمدينة وظائف إدارية مهمة. و الملاحظ أن هذا النوع من العبيد هم الذين كان بامكانهم ترك شواهد قبور يخلدون فيها ذكراهم، أما البقية من عبيد الخواص أو العبيد العموميين فلم يكن بمقدورهم ذلك، لذا فلا نستغرب حين نجد أن نسبة النقوش المرتبطة بهم ضئيلة لا تتجاوز 3 بالمئة من مجموع عينات الدراسة.[1]

و فيما يخص فئة العبيد المعتقين أو المحررين فنسبتهم معتبرة أيضا إذ تم إحصاء سبعة وعشرون شخصا من المجموع العام للعينات المدروسة، ما يعادل أكثر من 3 بالمئة من عدد السكان. وقد أظهرت المعطيات المرتبطة بهم عددا منهم يحوزون ثروة معتبرة. هؤلاء الأثرياء الجدد كان عليهم دفع مبالغ منتظمة لساداتهم علاوة على الأعمال التي عليهم القيام بها . وقد حاول هؤلاء إثبات حضورهم في مجتمع المدينة كشخصيات مهمة عن طريق منح تبرعات سخية لفائدة المدينة و سكانها.[2]

عن العسكريين الذين كان حضورهم قويا خلال القرنين الأول و الثاني الميلاديين نستطيع القول بأنهم شكلوا نسبة نوعا ما مقبولة ضمن النسيج الاجتماعي للمدينة بالنظر إلى أنهم لا يقيمون في مدينة شكلت على أساس مجتمع من قدماء الجنود، حيث أفرزت النقوش أسماء ثلاثين من الفيلقيين و عشرة من قدماء الجنود[3]، ما يمثل نسبة 5 بالمئة من مجموع العينة المدروسة. و عموما يمكننا سجل نقوش المدينة من تحديد الهوية الاجتماعية لما يزيد عن 50.6بالمئة من الساكنة. أما البقية البالغة نسبتها 49.4 بالمئة الذين لا تحمل شواهد قبورهم أية تفاصيل عن وظائفهم أو مسؤولياتهم الإدارية سوى الاسم فقط ، فنعتقد أنهم من الأجانب*، بمعنى أشخاص أحرار لا يمتلكون المواطنة الرومانية.

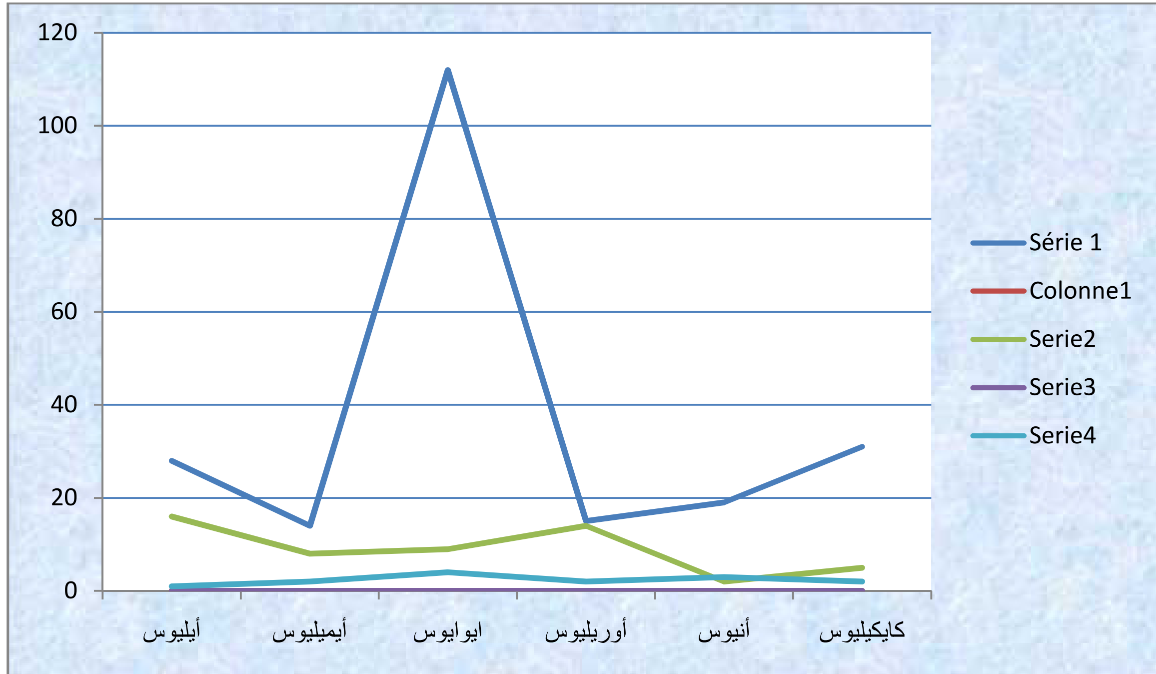
وقبل أن نمر إلى النقطة التالية لابأس أن نذكر هنا بواسطة هذا الجدول التالي[4] بعدد من أسماء العائلات الشائعة والأقل شيوعا بالمدينة حتى نهاية القرن الثالث و مطلع القرن الرابع الميلاديين :-

-جدول رقم13: أسماء العائلات الشائعة بتبسة :

اسم العائلةGentilicum	عدد الأفراد الحاملين له داخل العينة	عدد أفراد العينة المدروسة
أيليوس	28	200

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit., p64.
[2]Ibid.,p64.
[3] I.L.Alg,I,3098,3101-3126.
* Peregrinii.
[4]Espanet-Carissan.C,op.cit,p68.

كالبورنيوس	14	200
ايوليوس	112	200
أوريليوس	15	200
انيوس	19	181
كايكيليوس	31	200
كورنيليوس	16	200
فابيوس	8	198
كايليوس	9	169
كالبورنيوس	4	93
كوكيوس	2	35
غابينويس	1	55
دوميتيوس	5	189
اغناتيوس	2	50
اوفيديوس	2	89
بروتيوس	4	20
هومووليوس	2	10
لونجيوس	3	20
ميميوس	1	87
نونيوس	2	82
فوريوس	1	42



شكل رقم 15:منحنى بياني للأسماء الرومانية الشائعة بتبسة

2-الألقاب : Cognomina

إن دراسة أسماء العائلات سمح لنا برصد حضور قوي للأفراد الحاملين لأسماء ذات أصول ايطالية لا سيما من منطقتي اللاتيوم و كامبانيا، و لا غرو في أن هؤلاء يمثلون الجيل السابع أو الثامن من المهاجرين الأوائل الذي اندمجوا مع السكان المحليين، ما يسمح بتشكيل انطباع أولي عن الأصول العرقية المؤلفة لمجتمع تبسة. كما يحتمل أن المواطنين الحاملين للاسم الثلاثي جلهم من السكان المحليين المرومنين.[1]

أ-أنواعـــها:

إنه للتأكد من صحة أو خطأ هذه الاحتمالية علينا دراسة جانب آخر لا يقل أهمية وهو نوعية الألقاب التي كانت شائعة داخل مجتمع المدينة، فهي تتيح لنا تحديد هوية الشخص العرقية و وظيفته ومدى قبوله أو رفضه التسمي على الطريقة الرومانية.و الجداول التالية توضح ذلك:

-جدول رقم 15: الألقاب الرومانية

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit,p64-65.

اللقب	المصدر
Arabiusارابيوس	I.L.Alg,I,3077 ;3078
Brittusبريتوس	Ibid.,3283
Lampadariaلامباداريا	Ibid.,3291
Atelliusاتيليوس	Ibid.,3018
Agiliusاجيليوس	Ibid.,3239
Ama,ntiusامانتيوس	Ibid.,3292
Amobiusأموبيوس	Ibid.,3284
Cotroniusكوترونيوس	Ibid.,3614
Avasiusافازيوس	Ibid.,3015
Eubraxiusاوبراكسيوس	Ibid.,3282
Mamariusماماريوس	Ibid.,3509
Mattiusماتيوس	Ibid.,3553
Banasiusبانازيوس	3282 Ibid.,
Postumiusبوستوميوس	3393Ibid.,
Rufriusروفريوس	3269 Ibid.,
Terminaliusتارميناليوس	3181 Ibid.,

- **جدول رقم 16: الألقاب الإغريقية**

اللقب	المصدر
Abascantiusأباسكانتيوس	I.L.Alg,I,3332

Achilesاخيليس	Ibid.,3391
Aphrodisiaأفروديزيا	Ibid.,3211 ;3219
Apolloniusأبولونيوس	Ibid.,3135
Chresimusكريزيموس	Ibid.,3373
Ellphidephorusالفيديفوروس	Ibid.,2996
Hilarusهيلاروس(صار لاتينيا بعد شيوعه)	Ibid.,3133 ;3176
Melissusمليسوس	Ibid.,3120
Musicusموزيكوس	Ibid.,3316
Phosphorusفوسفوروس	Ibid.,3528
Seleucusسلوكوس	Ibid.,3365
Asteriaاستيريا[1]	AE,1968,554
Theseusثيزيوس	A.L.Alg,I,3009

-جدول رقم17: الألقاب المهنية[2]

اللقب المهني	المصدر
Adiutorالمساعد	I.L.Alg,I,3344
Veteranusجندي قديم	Ibid.,3188 ;3294
Messorالمزارع	Ibid.,3564
Nundinariusالحفار	Ibid.,3192 ;3207

[1] Février.P -A, Deux inscriptions chrétiennes de Tébessa et Henchir Touta, Rivista di archeologia cristiana, anno XLII,nn1-4,p179.
[2]Espanet-Carissan .C, op.cit., p72.

Pistorالخباز	Ibid., 3195
Pistusالخباز	Ibid.,3278

-جدول رقم **18**: **الألقاب ذات الدلالة العرقية**

اللقب العرقي	المصدر
Aficanusالافريقي	3168I.L.Alg,I,
Atticinusالأثيني	Ibid.,3117
Gaetulaالجيتولية	Ibid.,3250
Gaetulicusالجيتولي	Ibid.,3195
Gallaالغالية	Ibid.,3108 ;3215 ;3528
Autricum(شارتر الحالية بفرنسا)-غاليا	Ibid.,3115
Autrico(غاليا)	Ibid.,3118
Augustudunum(أوتان الحالية)-غاليا	Ibid.,3118=C.I.L,VIII,16550
Lugudunolusاللوغودونولي(ليون الحالية)	Ibid.,3116
Musulamusالموزولامي	Ibid.,3144
(مدينة بدالماسيا)Liburnicusالليبيري	Ibid.,3312
Hiberianusالاييري	Ibid.,3018
Rhodinusالروديسي	Ibid.,3061
Noricusالنوريكي(الشمالي)	Ibid.,3185
Sabinianusالصابيني	Ibid.,3071

Tyrrhenusالصوري	Ibid.,3003
Thevestinusالتفستي	Ibid.,3198 ;3546

-جدول رقم **19**: **الألقاب البونية و الليبية:**

اللقب	المصدر
Birzilبيرزيل	I.L.Alg,I,3189
caccabanكاكابان	Ibid.,3018
Fasirفازير	Ibid.,3603
Gududioغودوديو	Ibid.,2375
Ciripattatesكيريباتات	Ibid.,3018
Gudullusغودولوس	Ibid.,3178 ;3549
Mustulaموستولا	Ibid.,3328
Naborنابور	Ibid.,3475
Fazirفازير	Ibid.,3603
Firmus فيرموس	Ibid.,3603
Zabullusزابولوس	Ibid.,3351

-جدول رقم **20**: **الألقاب الرومانية المحورة عن البونية و الليبية:**

اللقب	المصدر
Concordiaكونكورديا	3317 I.L.Alg,I,
Cupitusكوبيتوس	Ibid.,3593

Faustusفاوستوس	Ibid.,3419
Expeditusاكسبديتوس	Ibid.,3492
Dativa-usداتيفا/داتيفوس	Ibid., 3205 ;3011 ;3214
Datusداتوس	Ibid.,3496 ;3542
Donatusدوناتوس	Ibid.,3018; 3021; 3172; 3290; 3368; 3491; 3499
Cupitusكوبيتوس	Ibid.,3593
Tertullusترتولوس	Ibid.,3008
Speratusسبيراتوس	Ibid.,3225 ;3226 ;3307 ;3371
Optatusاوبتاتوس	Ibid., 3240 ;3263
Respectaرسبيكتا	Ibid.,3387
Saturnina-usساتورنينا/ساتورنينيوس	Ibid.,3121 ;3174 ;3194 ;3275 ;3508 ;3729 ;3004 3006 ;3018 ;3020 ;3068 ;3113 ;3116 ;3156 ;3175
Venustaفينوستا	Ibid.,3283 ;3298 ;3388 ;3509
Felicia فليكيا	Ibid.,3139
Ianariaايناريا	Ibid.,3135

ب-الدراسة التحليلية للألقاب:

إن الملاحظات التي نخرج بها من خلال استقراء معطيات هذه الجداول الخاصة بمختلف أنواع الألقاب الموجودة في سجل نقوش المدينة مهمة و متنوعة ومعبرة عن التفاعل و التمازج العرقي الذي عرفه مجتمعها. أولاها أن هذا السجل النقشي تضمن فقط ثلاثة وعشرين شخصا يحملون ألقابا إغريقية. هذه الألقاب حملها سبعة مواطنين رومان منهم

كاهن للإلهة بلونا وشاب طالب علم مات بقرطاجة، و ستة أجانب وثلاثة عبيد وستة معتقين عمل اثنان منهم في الإدارة المالية و العقارية، إلى جانب جندي من أصول غالية. و يعتقد بأن السادة الرومان استخدموا اللقب الإغريقي خصيصا للعبيد دون أي اعتبار لأصولهم الحقيقية، كما أن هذا النوع من الكنية بتبسة يزودنا بمعلومات أهم عن الوضعية القانونية لحامله أكثر من أصوله. وهذا ما يدل على قلة تداول هذا النوع منها ليس فقط في تبسة وحدها بل في عموم بلاد المغرب، بحيث لم تتجاوز استخدامها بين السكان نسبة 8 بالمئة حسب جيلبير شارل بيكار[1].

و فيما يخص الألقاب ذات الدلالة الاثنية فقد تم إحصاء ما يزيد عن 33 ؛ منها 11 لأفارقة ، 3 غاليين، اغريقي، صابيني و كامباني. و الأمر الذي يجب التنبيه عليه هنا هو أن معظم هذه الألقاب تعبر بصدق عن المناطق أو الشعوب التي ينتمي إليها حاملها. و مما يلفت نظر الباحث أيضا أن الألقاب الإفريقية حاضرة بقوة، فلقبا غايتولوس و غايتوليكوس كثيرا التواجد و العديد من حامليهما من عبيد الإمبراطور الذي جرى تحريرهم لاحقا و حصلوا على المواطنة الرومانية، رغم أنهم لا يحملون الاسم الثلاثي الذي لم يعد صفة مميزة للمواطن الروماني بعد تغير طريقة إطلاق الأسماء على المواطنين عن طريق إسقاط اللقب من الاسم و الذي صار قاعدة عامة منذ القرن الثالث الميلادي.[2]

لقد فضلت بعض العائلات التبسية المرومنة التخلي عن لقبها الإفريقي رغبة في تأكيد تمسكها بالتقاليد الرومانية مثل آل ماريوس Marii. غير أن البعض الآخر قررت الاحتفاظ به لاسيما و أنها لديها حسب القانون الروماني الخيار في تلقيب أبنائها بخلاف اسم العائلة الذي كان مفروضا عليها قانونا وتختاره من بين أسماء العائلات الرومانية المتداولة. لذا صار اللقب مهما في إبراز تفرد وتميز الفرد عن غيره خاصة بعد أن طرأ تحول على الاسم الشخصي الذي اندثر استعماله و الذي كان يقوم بهذه الوظيفة. زيادة على ذلك اتخذت هذه العائلات من اللقب الإفريقي وسيلة لإظهار تمسكها واعتزازها بأصولها وتقاليدها المحلية سواء كانت جيتولية أو نوميدية أو موزولامية أو غيرها، و نبذها للاندماج و الذوبان في الحضارة الرومانية[3]. و لعل ذلك عين ما كان يفعله الأديب الإفريقي الشهير أبوليوس المادوري الذي كان لا يتوانى في إظهار اعتزازه بأصوله الإفريقية دونما حرج حيث كان يصرح بأنه نصف نوميدي ونصف جيتولي.[4]

لذلك يمكننا القول دون مواربة بأن التوسع في استخدام الأسماء المحلية بدل الرومانية يعد نوعا من مقاومة الرومنة على الأقل على صعيد الأسماء وان كان ذلك لا يعني بالضرورة رفضا للحكم الروماني ونزوعا نحو الاستقلالية. و بالنسبة

---

[1]Picard .G-Ch, La civilisation de l'Afrique romaine, Plon, Paris,1959, p148.
[2]C.I.L,VIII, 13053,27350 ; Gascou .J, Le Cognomen Gaetulus , Gaetulicus en Afrique romaine, M.E.F.R,LXXX,II,1970,p724.
[3]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p74.

[4]Apulée, Apologeticum.,VI,3 ;IX,12-14" **Seminumidam et semigaetulum** .Traduction Betolaud.V.Œuvres complètes d'Apulée. Tome second ,Paris,Panckoucke ,1836. ; Méthy. N, Apulée (II^e siècle ap. J.-C.), rhéteur africain de la province romaine d'Afrique , dans *Les Africains*, V, Paris, 1977, p. 45- 73.*Speculator.

للألقاب الإفريقية الأخرى فهي خاصة بالمدينة ، فعن حملة لقب التفستي عندنا ستة شواهد نقشية لأربعة مواطنين رومان أحدهم ابن لجندي متقاعد وهم بابوليوس تفستينوس ، كايوس كايكيليوس تفستينوس، ماريوس تفستينوس، كما رصد آخرون بنفس اللقب في مدن أخرى منهم كالبورنيوس تيتوس تفستينوس، لوكيوس غورديوس تفستينوس[1]. تفستينوس ابن الجندي المتقاعد لوكيوس كارينيوس فورتوناتوس ، الذي كان جنديا يعمل مستطلعا* في الفيلق الثالث بلامبيز[2]. و قد لاحظت إحدى الباحثات بأن التفستيين هؤلاء لهم أسماء شخصية مستعملة بكثرة في مدينة كيرتا–قسنطينة ، واعتبرت ذلك دليلا محتملا على انحدارهم منها. و على غرار الجايتولي ترتفع نسبة العسكريين بينهم.[3]

وفيما يتعلق بالألقاب الغالية الأصل فقد كان أصحابها جنودا في الفيلق الثالث وكان عددهم معتبرا في القرن الأول الميلادي، لكن للأسف لم تصلنا عنهم سوى تسعة نقوش[4]. وكانت أغلب الألقاب التي حملوها تتمثل في أتيكينوس أو أتيكيانوسAtticinus/ianusلوغودونولوس،Lugudunolus، ماندوكوس Manducus

ديوراتو Dioratus ،Viator فياتور[5]،Tarvillus تارفيلوس،Melissus مليسوس ،Maetrnus ماترنوس بواسطة Iuvenis ايوفنيس. فكل هؤلاء الجنود كانوا ينتمون لقبيلة كيرينا و لاشك في أنهم ساعدوا على دمج الأهالي بواسطة الزواج المختلط.[6]

تبقى الألقاب البونية و الليبية الأصيلة قليلة جدا مقارنة بسابقاتها، ويمكن أن تفسر هذه القلة بطريقتين ؛ الأولى أن مرد ذلك إلى وجود تأثير روماني قوي و اعتناق كثيف للأهالي للأسماء الرومانية على حسابها.و الثانية تبدو أقرب لمنطق الأشياء هنا و هي اعتناق عدد ضئيل من هؤلاء الأهالي للنموذج الحضاري الروماني، وهو افتراض مقبول عند أنصاره، يدعمه وجود ذلك العدد الهائل من أسماء العائلات الايطالية و الرومانية الذي سبقت الإشارة إليه. ولذا تكتسي تبسة كل مظاهر المدينة المأهولة بالمعمرين الذين لم يكونوا بحاجة لوجود عدد كبير من الأهالي بينهم إلا من أجل ضرورات التجنيد العسكري.[7]

لكن هل هذا الرأي صحيح تماما ، نحن نعلم بأن الأسماء البونية –الليبية تكثر في شمال نوميديا حول هيبو ريجيوس–عنابة و بالبروقنصلية و الاتحاد الكيرتي و جميلة ، وتقل جنوبها . ولعل هذا الضعف العددي للسكان المعتنقين لها منعهم من إثبات وجودهم وسط الغالبية الرومانية و التغلغل و الاندماج في النظم و الحياة الرومانية.هذا الاندماج

---

[1]I.L.Alg,I,3105;3198;3316;3471;3546.
[2]CIL.VIII,28033.
[3]Espanet-Carissan.C, op.cit.,p75.
[4] I.L.Alg,I, 3110,3115-18, 3152,3125,3535, AE,1969-70,n°662.;Le Bohec .Y, op.cit., pp230-234.
[5]Gascou.J, Inscriptions de Tébessa ,M.E.F.R,81-2, 1969,p539.
[6]C.I.L,VIII, 18084 ; I.L.Alg,I,3115,3535,3116,3110,3117,3120,3118 ; Lassère .J-M, Recherches sur la chronologie des épitaphes païennes de l'Africa, Ant.Afr, VII,1973,pp133-135 ; Le Bohec.Y, op.cit., pp157,269.
[7]Espanet-Carissan. C, op.cit.,p77.

الذي تم بواسطة المصاهرة أو التبعية أو غيرها من الطرق لا يعني بالضرورة التقبل التام لكل القيم الحضارية الرومانية والتخلي عن العادات و التقاليد الموروثة عن الأسلاف خاصة إذا كان عامل الزمن لا يساعد على ذلك.[1]

هذا عن الألقاب البونية الليبية الأصيلة، أما عن تلك المشتقة منها و التي تحولت تدريجيا بفعل التداول المستمر إلى ألقاب لاتينية، فقد رأينا من خلال الجدول السابق(رقم19) أن عددها معتبر و إن لم نسق إلا بضع أمثلة عنها.و إذا ما سلمنا بأن كل تلك الألقاب محلية ملطنة فذلك يعني بأن ما نسبته 30 بالمئة من عدد السكان هم من أصول محلية، و يعني كذلك بأننا أمام ساكنة مرومنة بنسبة عالية جدا. و هذا في الحقيقة يضعنا أمام تناقض واضح إذا ما وضعنا بعين الاعتبار النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراسة الألقاب الاثنية الأخرى لاسيما الرومانية و التي تخالف تماما هذا الاستنتاج، وتقودنا إلى الجزم بأن هذه القائمة الطويلة من الألقاب المرومنة لا تعد دليلا على انخراط العناصر المحلية في المجتمع الروماني للمدينة. وما يعضد هذه الفرضية أنه لاحظنا سابقا حضورا قويا للألقاب ذات الدلالة العرقية الإفريقية يمكن ترجمته مع بعض التحفظ إلى نوع من الممانعة الثقافية لأحد أشكال الاحتلال الروماني القائم على استلاب الهوية وطمس الأسماء القديمة وإحلال الرومانية مكانها تمهيدا لقطع صلة السكان بماضيهم ، خاصة بعد فشل الثورات العسكرية الكبرى في استئصال هذا الاحتلال وانخراط رجال القبائل المحلية كالجيتول و المزاملة في الفرق العسكرية الرومانية المساعدة، وتحييد الفئة الوحيدة الصغيرة من البدو الرحل المعادين للرومان بواسطة سلب أراضيهم وتقييد تحركاتهم ومراقبتهم بشكل مستمر.

فهذه المقاومة إذن إثبات وجود و محاولة للتميز عن الطرف الروماني حتى وان كان هناك إقبال على النظام الاقتصادي و الاجتماعي الذي أرساه هذا الأخير ، ولا اعتبار لآراء بعض الباحثين الذين حاولوا التهوين من شأن التلقب بهذا النوع من الألقاب المحلية و عدوه موضة العصر. في حين أنه كانت هناك ألقاب أكثر شهرة وشيوعا مثل سكستوس لمن يحب الظهور، غير أن اختيار المحلي منها مثل موزولاموس كان مقصودا لذاته لأنه يعكس الهوية العرقية لحامله.

إن الخلاصة العامة التي نخرج بها من وراء هذا التحليل تحملنا على الاعتقاد بأننا أمام نسبة مرتفعة من الألقاب الرومانية لأشخاص ينحدرون قطعا من المعمرين المهاجرين الأوائل في القرن الأول من ذوي الأصول الكامبانية في غالبيتهم، ثم من الفيلقيين القادمين من أمايديرا و مناطق مختلفة لاسيما من غاليا اختلطوا بالسكان المحليين لينتجوا لنا ساكنة مؤلفة من الأفارقة الرومان. ثم هنالك الفئة التي برزت بعد رحيل الفيلق الثالث نحو لامبيز أي في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي و هي المسؤولة عن انتشار واسع لأسماء العائلات الإمبراطورية مثل اليوليين و الفلافيين و الأيليين أين نلاحظ اختفاء ذكر القبيلة من صيغة الاسم .أما المجموعة الثالثة فقد تبنت أسماء تمثل أغلبها في يوليوس و كلاوديوس و فلافيوس و أولبيوس علاوة على أسماء العائلات الايطالية. كما يمكن إدراج ضمن هذه المجموعة العبيد و

[1]Espanet-Carissan. C, op.cit, p78.

المعتقين التابعين للأباطرة و الممسكين بزمام الإدارة المحلية. تليها مجموعة أخيرة تشكلت أسمائها و ألقابها محليا بعد الاختلاط بين الأهالي الذين استقروا بها بعد ازدهار المدينة والعناصر الرومانية المقيمة بها من جهة والبدو الذين نزعوا نحو الاستقرار بحكم التبادل التجاري بين الطرفين، والذين أظهروا تمسكا بأسمائهم الموروثة عن أسلافهم.[1]

إن هذه الصورة العامة التي تشكلت لدينا من خلال محاولة حصر نوعية وأصول السكان الذين شكلوا مجتمع المدينة سنستطيع من خلالها رصد التركيبة الاجتماعية-الاقتصادية لها والتعرف على الطبقات أو الفئات الاجتماعية المشكلة لمجتمع المدينة ودورها الاقتصادي، ذلك أن وضعية الأفراد الاجتماعية هي من ستتيح لنا تحديد طبيعة النشاط الاقتصادي و الثقافي الذي عرفته تبسة خلال الفترة الرومانية، و النفوذ الاجتماعي الذي مارسته الطبقة العليا من المجتمع على الطبقات الأخرى الأدنى مستوى.

ثالثا – التركيبة الاجتماعية:

بالعودة إلى مجموع النصوص الأدبية و معطيات النقوش المرتبطة بتاريخ المدينة يمكن القول أن مجتمعها تألف من ثلاثة فئات متباينة جدا فيما بينها من حيث الوضعية الاجتماعية و المستوى الاقتصادي، وهي فئة الأعيان و فئة العبيد و المحررين والعوام. غير أنه في الوقت الذي تتوافر فيه المعطيات عن الفئتين الأوليين بحكم وجاهتهما الاجتماعية وتمكنهما بواسطة الثروة التي حازتاها من تخليد ذكراها على النقوش الجنائزية و التذكارية و الكتابات المعاصرة، سنجد بأن الفئة الثالثة التي تمثل غالبية المجتمع لا تتوفر المعلومات كثيرا بشأنها، فليس لدينا ذكرا للعبيد المسحوقين الموجودون أسفل السلم الاجتماعي ولا عامة الناس من الأحرار باستثناء عدد من الحرفيين و أرباب الصنائع الذين خلد ذووهم ذكراهم على النقوش.

1 – فئة الأعيان:

يطلق على هذه الفئة عادة اسم البورجوازية المحلية وهو مصطلح غير مطابق تماما لروح ذلك العصر بحيث لا يعبر فعلا عن الهوية الاجتماعية لهذه الفئة و أصل ثرواتها القائم على استغلال الأرض و الأعمال التجارية. تضم هذه الفئة الفرسان و الديكوريون أو الحكام و السيناتوريين وأعضاء الجمعيات الشعبية وغيرهم من النخبة البلدية.و لدينا في سجل نقوش المدينة الكثير من النماذج عن عدد من هؤلاء الأعيان الذين خلفوا مسيرة مهنية واجتماعية حافلة جدا وتولوا تسيير المدينة خلال القرون الأربع الأولى الميلادية. من بينها خمسة عشر نقشا تضمنت المسيرة المهنية لعدد من الأعيان بالوظائف و المسؤوليات التي تقلدوها.[2]، وان كانت في كثير من الأحيان لا تزودنا بالتفاصيل المرتبطة بالشروط

[1] Lassère .J-M, Recherches sur la chronologie des épitaphes païennes de l'Africa, loc.cit, p136-137; Espanet-Carissan.C, op.cit.,pp 80-81.
[2] I.L.Alg,I,3007,3020,3032 ,3036,3064-75,3141,3142.

القانونية الواجب توفرها لتولي مناصب عليا معينة، باستثناء الشرط المالي الذي لم تهمل تلك الشخصيات ذكره لإبراز مدى ثرائها.[1]

الحالة الأولى هي لكوينتوس لونجيوس فاوستينوس وهو برايفكتوس مكلف بقراءة القوانين الذي بمناسبة توليه الاديلية (الحسبة أو مراقبة السوق)تبرع بمبلغ 5000سسترس لإقامة تمثال لإله التجارة ماركوريوس، و دفع مبلغ 4000سسترس لخزينة البلدية علاوة على مبلغ 2000سسترس أضافه للمبلغ الأول المخصص للتمثال.[2]

يعد هذا المهدي مواطنا رومانيا باسم ثلاثي لكن بلقب إفريقي وهو مسجل في قبيلة بابيريا ، وبحسب صيغة النقيشة التي تذكر النسبة إلى الأب و القبيلة و الاسم الثلاثي الكامل فلابد وانه عاش خلال مطلع القرن الثاني الميلادي، لأن هذه الصيغة لم تعد متداولة منذ نهاية هذا القرن. فقد بدأ مسيرته المهنية بتقلد وظيفة المراقب ودفع لقاء توليها مبالغ معتبرة. و لاشك في أن تولي وظيفة بلدية شرف كبير لكن يجب تحمل الأعباء المالية الناتجة عنه و هي مبلغان محددان رسميا يدعيان summa legitima.يدفع أولهما كضريبة نقدا و الثاني وعد بالدفع لصالح الخزينة. و يظهر أن قيمة هذه المبالغ تعد مؤشرا على مدى غنى المدينة وحيويتها الاقتصادية، ففي Pollicitatio حين كان المبلغ الشرفي في تبسة 4000سسترس من أجل تولي منصب الاديلية، كان نفس المنصب يتطلب من المترشح له دفع مبلغ 10000سسترس بهيبو ريجيوس و 20000 بكيرتا و38000 سسترس بقرطاجة. و قد يزداد التفاوت قيمة إذا تعلق بمناصب بلدية أخرى أهم أو بعضوية مجلس الشيوخ المحلي. و لا عجب في هذا التفاوت إذا ما وضعنا نصب أعيننا أن تبسة كانت في القرن الثاني الميلادي مدينة متوسطة الأهمية .[3]

و كان البوليتيكيتاتيو واجب الدفع على الشخص الذي تسلم منصبا ما لا يمكنه التملص منه، وكان حاكم المقاطعة يشرف شخصيا على متابعة وفاء صاحبه به ، وحتى بعد وفاته كان يبقى على ذمته و يقتطع من الميراث مباشرة أو يصادر كلية حتى يفي بالتزاماته. و مال هذا المبلغ الملتزم يوجه عادة للمنفعة العامة مثل إقامة تمثال أو تشييد معبد أو قوس نصر أو حمامات أو ترميمها.و في حالة فاوستينوس نلاحظ أن هذا المبلغ أكبر من الأول و هو ما لا يكون عادة إذ لا يتجاوز في الغالب 1000 أو 2000سسترس.لكن نعتقد أنه تأخر في الوفاء به لمدة ستة أو ثمانية أشهر ، ما جعله يتضاعف . كما يلاحظ من خلال النص أنه لم يتولى منصب القاضي البلدي رغم مرور ستة

---

[1]Espanet-Carissan.C, op.cit.,pp86.

[2]I.L.Alg,I,3007 : **«Mercurio/ Augusto /sacr(um) /Q(uintus) Longeius Q(uinti) f(ilius) Pap(iria tribu) / Faustinus Aedil(is) Praef(ectus) / i(ure) dicundo ob honorem aed(ilitatis) Statuam/ Mercuri cum suis ornamentis/quam ex (sesterium) (quinque milibus nummum) promiserat** [. ?.] **/ Dedicauit in rei p(ublicae) (sestertium) (quator milibus nummum) legitimis / at am-p-lius in pretium statuae im** [p] endit (seterium) (duo milia nummum) / l(ocus) d(atus) **d(ecreto)** [d(ecurionum).] **»** [I] **atis**

[3]Hamman .A-G, La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de Saint Augustin, Edition Hachette, Paris,1979,p138. ;Espanet-Carissan.C,op.cit.,pp88-90.

سنوات على توليه منصب المراقب، و لم يدفع ضريبة على منصب البرايفكتوس مذيع القوانين ربما لأن هذا المنصب كان آنذاك تشريفيا و مجرد خطوة لنيل منصب القضاء البلدي، خاصة إذا علمنا أنها لم تكن تدوم إلا سنة واحدة ولا تمنح صاحبها حق المواطنة الرومانية.[1]

الحالة الثانية يمثلها كايوس أودازيوس سوكدنس ابن غايوس من قبيلة بابيريا الذي عاش سبعون سنة وتقلد عدة مناصب منها القاضي البلدي و البرايفكتوس المكلف باذاعة القانون وأمين الخزانة.و قد أهداه شاهد القبر عبداه المعتقان ووريثاه في نفس الوقت أودازيوس بومبتينوس بريميتيوس وايانياريا.[2]

و بخلاف سابقه لم يتولى سوكدنس منصب الاديلية لكنه تقلد منصب القاضي البلدي ، و الملاحظ أن هذه الألقاب لم يرتبها واضعا النقيشة كما جرت عليه العادة بحسب أقدمية الوظيفة حيث جعلا منصبا برايفكتوس و الخازن بعد القاضي مع أنهما يسبقانه زمنيا و يتحصل عليهما المترشح لهما قبله. و ليس هناك من تفسير مقبول لهذا العمل إلا في أن هذين الشخصين أرادا تكريم ذكرى سيدهما بذكر اللقب الأهم قبل الألقاب الوظيفية الأخرى الأقل أهمية.[3]

أما الحالة الثالثة فتكتسي أهمية اجتماعية كبيرة لأنها تتعلق بالمدعو "كوينتوس كربريوس روفينوس ابن جرمانوس المسجل في قبيلة بابيريا ، قارئ الطالع ، ايديل ، برايفكتوس مكلف باذاعة القوانين ، قاض بلدي .الذي من أجل حياته التي أمضاها في سكون و انضباط وألعاب المصارعين و مباهج الحياة التي أهداها لمواطنيه، فان مجالس الكوريا و هيئة الأوغسطاليس قرروا بإجماع إهدائه تمثالا كشكر على الهدايا التي منحها للحكام و معتقي الإمبراطور والمحامين وأصدقاء أعضاء الهيئتين السابقتين، وهي قطعتان نقديتان ذهبيتان لكل واحد و النبيذ للشعب بغية تنظيم ألعاب عمومية".[4]

إن هذه الإهدائية تخص كما هو ظاهر عضوا في مجلس شيوخ المدينة ، وحسب صيغة الاسم و نوعية اللقب تعود تقديرا إلى نهاية القرن الثاني الميلادي[5]. و يرجح أن تكون أصول روفينوس و عائلته آل كربريوس* من شمال نوميديا حيث يكثر استخدام اسم العائلة ذاك ، لكن أصولها البعيدة قد تكون جرمانية من جهة الأب بحسب الاسم.[1]

---

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p91-92.

[2]CIL.VIII.,1886=I.L.Alg.I,3141: **«D(is M(anibus) S(acrum) /C(aius) Audasi/ us C(ai) f(ilius) Pap(iria tribu) Suc/ cedens (Duum)vir / Pr(aefectus) I(ure D (icundo) Q(uaestor)………/ Audasi(us) Pomp / tinus Primitius / Ianuaria Patr[ono]** / optimo Piissimo/ Lib(erti) et Her(edes) Fec(erunt **). »**

[3]Espanet-Carissan.C,op.ct.,p94.

[4]I.L.Alg.I,3064.

[5]Lassère.J-M, Recherches, loc.cit, p138. ;Id., Chronologie des épitaphes des régions militaires, B.A.A,V,1971-74,p158.

فيما يخص مهام هذا الوجيه، نلاحظ توليه لوظائف متنوعة مدنية و دينية ،كالكهانة أو مطالعة الغيب و الاديلية و هي وظيفة سمحت له بمراقبة التموين و المباني المقدسة و الأسواق و الحمامات و غيرها ومساعدة القاضي البلدي في مهامه. ثم تولى منصب القاضي و مذيع القوانين في مرحلة لاحقة. وأتاح له منصب القاضي الذي يعد من المناصب الرفيعة في المدن الرومانية ترأس مجلس الحكام أو الديكوريونات و الكوريا أو الجمعيات الشعبية و صلاحيات واسعة في الشؤون العامة كالتدخل في قضايا العبيد و المعتقين و الوصايا و المواريث وتطبيق العدالة لاسيما في القضايا الصغيرة التي لا يتدخل فيها والي المقاطعة. كما نعرف أيضا من خلال وثائق أخرى أنه كان عضوا في جمعية المحامين forenses [2].

إذ كان لكل مدينة محكمتها التي يرتدي المحامون فيها لباسا موحدا، و محامو تبسة كغيرهم في المدن الأخرى لم يتلقوا تكوينا في المحاماة بها بل كانوا يذهبون إلى قرطاجة لأخذ دروس على يد أساتذتها. و المتفوقين منهم كانوا يواصلون دراساتهم بالشرق أو بروما. من بين هؤلاء الشباب المحظوظين الذين أكملوا دراسة المحاماة بقرطاجة نذكر كايوس فيبيوس أخيليس الذي توفي بها عن عمر يناهز 18 سنة ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه.[3]

و الأمثلة عن هؤلاء الأعيان ودورهم الكبير في إدارة المدينة و تحمل أعباء نفقاتها العمومية أكثر من أن تحصر لذلك ارتأينا الإشارة إلى أهمهم في الجدول التالي:

جدول رقم21 : أعيان المدينة

الشخص	المنصب/ الوظيفة	المصدر
كوينتوس تتينيوس ساتورنينيوس	أمين الخزانة/ مذيع للقوانين/ قاض بلدي	I.L.Alg.I,3065.
ماركوس فاليريوس فلافيانوس صابيبيانوس	قاضي بلدي	Ibid.,3071 ;CIL. VIII16560.
فلوروس ايوليانوس	قاضي بلدي /مشرف على تنظيم مباريات المصارعين/فارس روماني/	Ibid.,3067 ; CIL.VIII16558.

* Creperii
[1]Lassère.J-M, Ubique Populus, op.cit., p91.
[2]I.L.Alg.I,3071.
[3]Ibid,3391.**"Caius Vibius Achiles"**

	كاهن	
.صابينوس صالفيانوس..	قاضي خماسي	Ibid.,3032 ; CIL.VIII16530
ساتورنينوس ساتورنيانوس	كاهن بلدي دائم	Ibid., 3067
كايوس ايوليوس روموليانوس	فارس روماني/ كاهن أكبر	Ibid.,3067
تيتوس فلافيوس كايلستينوس	قاض بلدي؟/ كاهن؟/	Ibid.,3066 ;CIL.VIII,1887.

تطرح دراسة مجموع المناصب و الوظائف الرسمية بتبسة مشكلة تتبع المسيرة المهنية البلدية الكاملة لأعيان المدينة، حيث لاحظنا أنه و لا واحد منهم مارس جميع الوظائف أو نال كل التشريفات. فهناك دائما منصب ناقص عند كل واحد منهم. فهذا ك.كربريوس روفينوس كان إيديلا و قاضيا بلديا و برايفكتوس مشرف على إذاعة القوانين. في حين تولى ك.تتينيوس سكوروس وظيفة إذاعة القوانين و أمين المال و قاض مشرف على الألعاب. و لسنا ندري على وجه اليقين ما إذاكان غياب الاديلية أو الإشراف على الخزينة البلدية إسقاط متعمد من النص أو أن هاته الشخصيات لم تتولى فعلا هذه المناصب.[1]

لقد كانت المصاهرة في فئة الأعيان بين عائلاتها الكبرى و النافذة أمراكثير الحدوث وكانت تخضع في الغالب لاعتبارات مصلحية ، بل سنجد أن هذا الزواج المصلحي أو المرتب تم أحيانا بين عائلات تبسية و عائلات من مدن أخرى. فعندنا مثلا زواج النبيل كوينتوس تيتينيوس سكوروس من آل تيتينيوس صاحب المناصب المهمة و الرتب الرفيعة من أيليا بينيا أوكسيديا ، وهي سليلة عائلة آل أيليوس المتنفذة بالمدينة .[2]

هذا الزواج أثمر ابنة تدعى تيتينيا إيوليا أيليا التي تزوجت لاحقا من الفارس المكلف بالشؤون العامة كايوس رويوس بترونيانوس[3] و أنجبا ابنة تحمل اسميهما تدعى رويا تيتينيا ، تزوجت بدورها من فارس روماني من آل فلورنتيوس اسمه بولاينوس فلورنتيوس كلسينوس بوبيانوس.[4]

---

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p121.

[2]CIL.VIII,16555= I.L.Alg.I,3069.: **”Aeliae Bene /aucxidi uxori/ Q(uinti) Titini Securi / Pontif(icis) Q(uaestoris) Praef(ecti) / I(ure) D(icundo) (dium)vir(i) munerari / Curiae et Augustales / qui intr ceter(as) / liberitat(es) suas / spportul(as) decur(ionibus) /…..”**

[3]CIL.VIII,16559= I.L.Alg.I,3070. : **” ………Uxori C(ai) Roi Petro / niani e(quo) p(ublico) exor(nati) …….”**

[4]CIL.VIII,26415: Carton.L, Le domaine des Pulleni , R.T,10,1903,181.

هذه الزيجات كان لها امتدادات اجتماعية في المدن الأخرى ، ففي دوقة عثر على تمثال تشريفي Thugga لسكستوس بولاينوس فلوروس كايكيليانوس مسجل في قبيلة ارنانسيس[1].ويعتقد أن هذا الشخص هو الجد الأعلى لشابين من قرطاجة كانت لهما مكانة مرموقة بين سكان المدينة هما بولاينوس فلورنتوس تيتينيوس بوبيانوس و بولايينوس فلورنتوس بترونيانوس دكيموس.[2]

كما كان لعائلة بولايينوس بها أيضا صلات قرابة مع باكيوس لوكيوس بولايينوس غارغيليوس وهو شخصية رفيعة المستوى حيث كان قائد فيالق مقاطعة تراقيا في سنة 161م. وبقرطاجة أيضا وجد فرع لهذه العائلة مثله بولانوس ، بولايينوس كلينيا شغل وظيفة كاهن الالهة كيريريس. وكذلك بمدن أخرى عديدة منها لامبيز و تيمقاد و حمام. دراجيBulla Regia، Thibilisعنونة ،Madaure مادور،و Masculaخنشلة.[3]

إن تتبع المعطيات المرتبطة بهذه الأسرة تؤكد أنها لم تكن فقط من كبار ملاك الأراضي بالبروقنصلية بل أيضا أصحاب ورشات صناعة المصابيح التي انتشرت مصابيحها في مقاطعات الحوض الغربي للبحر المتوسط وببلاد المغرب على وجه خاص. و لذلك يمكن القول بأن آل بولايينوس وحتى آل تيتينيوس جمعوا ثرواتهم التي مكنتهم من تبوء تلك المكانة الاجتماعية البارزة في مجتمع المدينة ما يقرب من قرنين من الزمن، من استغلال أراضيهم المنتشرة بنواحي أوكي مايوس و من عائدات صناعة المصابيح.[4]

ولعل المعاملات التجارية كما سبق و أسلفنا كانت العامل الأهم في تقريب هذه الأسر الغنية و النافذة من بعضها البعض. فالمبادلات بين دوقة و تبسة ساعدت على التقارب بين آل تيتينيوس من جهة وآل بولايينوس و آل رويوس* من جهة أخرى، وتبادل المصالح التجارية أفضى في النهاية إلى إبرام الزواج بين رويا تيتينيا و بولايينوس فلورنتيوس بوبيانوس. هذه المصاهرة أثبتت أنه حتى القرن الثاني الميلادي كانت عائلة تيتينيوس لا تزال ثرية جدا، و كان أفرادها يعدون من أعيان المدينة المعدودين كمواطنين و لكن ليسوا أعضاء في هيئة الفرسان أو مجلس الشيوخ المحلي. غير أن أحفادهم تمكنوا بواسطة المصاهرة مع العائلات الرومانية العريقة و الخدمات المقدمة للمدينة من الانضمام إلى العائلات السيناتورية، وذلك يعني أن أحفاد أحفاد كوينتوس تيتينيوس ساتورنينوس كانوا يحوزون ثروة مالية لا تقل عن مليون سسترس لكل واحد منهم. و يؤكد ذلك العثور على نقش على أحد الدرابزينات في الناحية الشمالية من المدرج قرب مقاعد المنصة عليه اسم العائلة، و هو مكان مخصص في العادة لأعضاء مجلس الشيوخ، مما يدل على

[1]CIL.VIII,26615.
[2]Poinssot .L, Les Inscriptions de Thugga, N.A.M,XIII, 1906,n°140.
[3]CIL.VIII,2237,4009,5456,18207,17903,14520 ; Espanet-Carissan.C,op.cit.,p113.
[4]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p115.
* Roii

أن هذه العائلة ظلت ثرية و مؤثرة في مجتمع المدينة حتى نهاية القرن الرابع الميلادي بدليل إسهامها في توسعة و ترميم المدرج إلى جانب عائلات أخرى أبرزها آل أمبيبولانوسAmbibulanii.[1]

إن هذه المعطيات السابقة تثبت لنا أن الحياة البلدية بتبسة حتى نهاية القرن الرابع الميلادي ظلت مزدهرة بفضل فئة الأعيان هذه التي برهنت عائلاتها الكبرى بمشاركتها في صيانة مدرج يستوعب ما يقارب عشرة آلاف متفرج، على قدرة واستمرارية في تحمل النفقات المالية الضخمة عن المدينة وسكانها.[2]

لقد تجلت أهمية فئة الأعيان أكثر في تلك الأعمال الخيرية و التبرعات المالية Evergétisme التي كانت تقدمها لصالح مدينة تبسة وسكانها لقاء حصولها على المناصب التشريفية و ألقاب الوجاهة الاجتماعية. كما أنها تسجل خصوصية فريدة وهي قيامها في بعض الحالات بتقديم أموال و خدمات دون تلقي مقابل اجتماعي عليها، ذلك أن نخبة هذه المدينة المرومنة إلى حد بعيد لم تكن ترى أنها ستحقق المجد الاجتماعي بين مواطنيها فقط بتلك الثروات الهائلة التي كدستها لتستفيد منها لوحدها، و إنما بواسطة التبرع بأموال أو انجاز منشآت ذات منفعة عامة ، وهو ما يضمن للمتبرع الاحترام و الاعتراف بالفضل من أهل مدينته إن كان حيا أو تخليد ذكراه إن كان ميتا.[3]

تتوفر النصوص كثيرا حول هذا النوع من الأعمال الخيرية بتبسة، بعضها يشير إلى كرم بعض الوجهاء دون تحديد طبيعة العمل المنجز و بعضها الآخر يعدد الهدايا المقدمة[4]. أحدها للمدعو لوكيوس أيميليوس فليكس الذي منح مبلغ 600 ديناريوس مع نسبة فائدة شهرية عليها قدرها 1 بالمئة (72 ديناريوس)تصرف لإقامة حفلة لزملائه هيئته في الجمعية بمناسبة عيد ميلاده الموافق للثالث عشر من شهر ماي.[5]

الحالة الثانية تعد الأهم لأنها مرتبطة بشخصية مرموقة هي كايوس كورنيليوس اغريليانوس برايفكتوس الفيلق الثالث عشر جمينا المرابط بجرمانيا ، الذي تبرع في سنة 211 أو 212م بموجب وصيته بمبالغ مالية معتبرة لفائدة المدينة وسكانها، تمثلت في 250000 سسترس لتشييد قوس نصر مع تماثيل و قبتان مشيدتان على أربعة أعمدة Tetrastylaلكل منهما، مع تمثال في كل عمود لمينرفا وإلهة أخرى ينقص اسمها في النقيشة أوصى ببنائهما في الفوروم[6].

علاوة على مبلغ مماثل للمنفعة العامة يخصص لإقامة ألعاب رياضية في أيام محددة في الحمامات العامة. زيادة على أربعة أطباق و..... للكابيتول و 14 رطلا من الذهب أي ثلاثة فيلالاس هبة قدرها 170000 رطل من الفضة

[1] Lequément.R, op.cit., pp142-143.; Espanet-Carissan.C,op.cit.,pp117.
[2] Espanet-Carissan.C,op.cit.,p119.
[3] Ibid.,p132.
[4] I.L.Alg.I,3069.: **" / qui inter ceter(as) / liberitat(es)………" ;** 3017,3032,3040,3041,3051,3066.
[5] CIL.VIII,1845=16501; I.L.Alg.I,3017.
[6] Merlin. A, Séance de la commission de l'Afrique du nord, B.A.C,1946-49,p249-265.

، وكأسان ......وقد قام وريثاه و هما أخوه كورنيليوس فورتوناتوس و أخته كوينتا بتنفيذ الوصية حيث سلما المال و الأواني والأغراض الذهبية و الفضية وأكملا الأشغال التي وعد بها.[1]

إن هذه التبرعات لوحدها تمثل مبلغا ضخما جدا يتجاوز 700000 سسترس لصالح الخزينة و السكان و الكابيتول، ذلك في تبسة فقط إذ لاشك في أنه كانت له أعمال خيرية في مدن أخرى[2]. هذه المنح تعني أن عائلة كورنيليوس كانت تحوز ثروات هائلة، كما تعني كذلك مقدار الأعباء المالية و النفقات العمومية التي كانت تثقل كاهلها و كاهل معظم نخبة المدينة ، إلى درجة أن بعض أفراد هذه النخبة كانوا يضطرون لرهن ممتلكاتهم من أجل جمع المبالغ الموعودة للمدينة. وهو أمر أدى بالكثير منهم إلى الإفلاس.[3]

نشير أيضا لمتبرع آخر يدعى تيتوس فلافيوس كايلستينوس أعلن رسميا إقامة ألعاب لمدة خمسة أيام تتضمن قتال وإبادة الحيوانات المفترسة ، و منح مواطنيه المميزين و مدينته التي يحبها تماثيل للإلهة الأوغسطة كايلستيس و المصارعين بمبلغ 50000 سسترس ، و إعطاء هيئة الكوريا مبلغا مماثلا تذهب فوائده لإقامة حفل سنوي للإلهة فيرتوس بمناسبة عيد ميلاده. وزيادة على ذلك منح مبلغا آخر إضافيا لإقامة تمثال فضي وزنه 50 رطلا (15 كلغ)مهدى للإله المقدس اسكولابيوس.[4]

و يمكن أن نورد أيضا أمثلة أخرى لا تقل عنها إسهاما، منها عن واحد آخر من الأعيان قام ما بين سنوات 293 و305 م بتحمل تكاليف إعادة تزيين و تجميل المسرح الذي يبدو أنه أصابه بعض التدهور. وللأسف لا تسمح حالة النص بالتعرف على اسم هذا الشخص[5]. و إن كان هناك من الباحثين من ينسب هذا العمل إلى خزينة المدينة استنادا إلى قراءة مشكوكة للنص[6]. و كذلك قيام كوينتوس تيتينيوس سكوروس بإنفاذ وصية أبيه كوينتوس القاضية بالتبرع بمبلغ 50000سسترس لخزينة المدينة و13000سسترس من أجل تزيين أحد المباني وتلبيس سقفه

[1]CIL.VIII,1858=16501, 1859=3041; I.L.Alg.I,3040.
[2]Bacchielli. L,Il testament di C.Cornelio Egriliano ed il conamaento dell'arco di Caracalla a Tebessa, Africa Romana,IV,1987, p 300.
[3]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p138.
[4]CIL.VIII,1887; I.L.Alg.I,3066
[5]CIL.VIII,1862; I.L.Alg.I,3051.
[6]Mansouri . Kh, Les monuments publics de Theveste à travers les inscriptions. Colloque international sur l'archéologie, Tébessa- Algérie (25-29 Avril 2009),(non publié), p 7.

* بخلاف رأي االباحثة خديجة منصوري التي ترى من خلال النقيشة أن الأمر يتعلق ببناء معبد لهذا الإله. لم نجد حتى بعد. العودة إلى القراءة الجديدة و تصحيح النقيشة أدنى إشارة لمعبد أو حتى سقيفة .(AE.1933, 233

بواجهة مذهبة ووضع تمثال للإله ساتورنوس فيه*. كما أوصى بإقامة مأدبة لأعضاء الكوريا و الأغسطاليس (أو الديكوريون) و عروض مسرحية.[1]

و من الملفت في هذه الوصية أن ثمن المأدبة و العرض المسرحي الذي أقيم احتمالا بين سنتي 164 و165 [2] غير مذكور في الوصية مما يحمل على الظن بأنه وعد بها و لم يدفعها نقدا، و هذا يعني أن ابنه سكوروس اضطر لدفع مبلغ آخر قدره 28000 سسترس عن التأخر في الالتزام بما وعد به أبوه لمدة تزيد على ست سنوات وثمانية أشهر. أو أنه أراد تعزيز مكانته الاجتماعية و الاحتفال بمناسبة توليه منصب الكهانة ، لذلك جعل هذه المأدبة و تدشين المبنى فاتحة مباشرته لوظيفته ككاهن.[3]

ولدينا عشرات الأمثلة الأخرى عن هذه الأعمال الخيرية المتنوعة على مدار تاريخ المدينة خلال العهد الروماني و حتى الفترة المتأخرة منه قامت بها فئة الأعيان، شملت بناء أو ترميم أو تزيين مختلف المعالم المدنية و الدينية و حتى تلك التي لا يمكن تحديد هويتها بسبب الحالة السيئة للنقوش المتعلقة بها. نذكر منها تشييد جمنازيوم (قاعة للألعاب الرياضية) بناء حمامين، ترميم رواق معمد من قبل المدعو صالفيانوس فاليريوس[5] Salvianus.V حوالي سنوات 180-182[4] إهداء أربعة مذابح لأربعة من الآلهة[6]، بناء معابد لكل من الآلهة كريريس و بلوتو و وكايلستس، ترميم المدرج بتعاون تم بين عدد من العائلات الثرية بالمدينة ما بين نهاية القرن الثالث و مطلع القرن الرابع الميلاديين.[7]

إن محاولة الإحاطة بكل المنشآت و تقدير حجم الأنشطة الاجتماعية التي مردها الأعمال الخيرية التبرعية* أو المفروضة التي قامت بها هذه الفئة من الصعوبة بمكان، وذلك لكون الوثائق الأثرية الممثلة في النقوش خاصة لم تصلنا كلها، كما أن تلك التي بحوزتنا لا تزودنا بالمعطيات الكاملة عن أصحابها و مكانتهم الاجتماعية. علاوة على أن هنالك منشآت أخرى كثيرة بالمدينة تدلنا عليها معطيات الآثار لا نجد لها ذكرا في النقوش. ونضيف إلى ذلك مشكل التوزيع الزمني لها ، بمعنى أنه توجد فترات مزدهرة في تاريخ المدينة من المفروض أنها شهدت حركة تشييد واسعة لا نعثر فيها على نقوش تعكس ذلك.[8]

---

[1] I.L.Alg.I,3017. ; Leschi.L, Une famille thevestine au IIe siècle de notre ère, R.Af,73,1932,p301.
[2] AE 1933, 233.
[3] Gascou . J, La politique municipale,op.cit, p63 ; Espanet-Carissan .C, op.cit.,p104-105.
[4] I.L.Alg.I,3032.
[5] Ibid.,3083.
[6] Ibid.,3001,3008,3009,3017.
[7] Lequément .R, op.cit., pp142-148.
* Ob honorem
[8] لمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع يرجى مراجعة البحث المهم الذي أنجزته الباحثة خديجة منصوري و الذي حاولت فيه حصر جميع النقوش المتعلقة بالأبنية المنجزة بطريق التبرعات لاسيما ملحق الجداول : Mansouri. Kh, loc.cit.,pp10-14,pp15-19.

إن النماذج التي سقناها حتى الآن تظهر لنا إلى أي مدى أسهمت فئة الأعيان بكل سخاء و حماسة في التبرعات سواء كانت مما تطلبه الارتقاء في المناصب و نيل التشريفات أو حبا في المدينة و ساكنيها. ولم تظهر مزاياهم الاجتماعية إلا من خلال تزيين المدينة بمختلف المنشآت و منح مواطنيهم فرصة للهو و المرح بواسطة الألعاب و العروض الترفيهية[1]. و كان التبرع يضمن لصاحبه ترسيخ وجاهته الشخصية ورفع صيت مدينته بين المدن الأخرى حتى خارج المقاطعة . ويعد عهدا الفلافيين و السيفيريين أكثر الفترات التي شهدت كثافة في هذه الأعمال الخيرية بنوعيها [2]، كما تظهر أيضا قيمة المبالغ المصروفة على بعض الأبنية و التي تجاوزت بكثير نظيراتها في المدن الأخرى بأزيد من 20000سسترس[3].

هذه الأموال الضخمة المصروفة تثبت غنى المدينة و ثراء أعيانها و أنه لا توجد طبقات فقيرة و أخرى غنية فقط بل هناك تفاوت في الثروة و المكانة الاجتماعية حتى داخل هذه الأخيرة يسمح بوجود نوعا من طبقة ثالثة وسطى بينهما. و مما لا مراء فيه أن الهبات بالوصية التي كانت أكبر من الهبات المفروضة بموجب المناصب تجلت أكثر في المجال المعماري، و هي انعكاس لرغبة العائلات المحظوظة و الثرية في مقاسمة جزء من ثرواتها مع أفراد المجتمع الآخرين لاسيما المحرومين منهم بمنحهم بعضا من متع الحياة الرغيدة التي كانت تحياها يوميا.[4]

---

[1] Le Glay .M, Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine,In: L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.) Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987), Rome École Française de Rome, 1990, pp.83-85.

[2] هذا طبعا إذا ما ربطناها بمعطيات النقوش المتوفرة ، وإلا فان عهد الأنطونيين لا يقل أهمية في هذا المجال وان لم تعكس النقوش ذلك. الحال خلال العهد الإمبراطوري الثاني الذي شهد بعضا من هذه الأعمال الخيرية : Mansouri. Kh, loc.cit., p13.

[3] Duncan Jones.R, Economy of the roman Empire, Cambridge,1974,p 75.

[4] Espanet-Carissan.C, op.cit.,pp143-144

*Libertus

* Jus honorum

2-فئة المعتقين و العبيد:

إن دراسة هاتين الفئتين من الأهمية بمكان، فرغم وضعيتهما الاجتماعية المتدنية إلا أنهما كان لهما تأثير كبير في مجتمع المدينة بفضل الوظائف التي كانوا يشغلونها و الثروات الكبيرة نسبيا التي حصلوها بواسطة الأنشطة التجارية التي مارسوها أو المصالح التي استغلوا نفوذهم لتحقيقها لأصحابها مقابل عوض مادي. و النقوش المرتبطة بهؤلاء متوفرة وتسمح بتمييز أنواع عدة داخلها. فعندنا معتقي الخواص و أولئك التابعين للإمبراطور و هم صنفان؛ أحدهما ملحق بمنزل الامبرطوار و الآخر يعمل في الإدارة الإمبراطورية أو عضو في المجالس البلدية المختلفة. وهناك العبيد التابعين للمواطنين العاديين الذين يعملون في المنازل و الضياع و يؤدون مختلف المهام ،و هناك الذين يتبعون الإمبراطور أو الإدارة العمومية ومسخرين لمختلف الأعمال ذات المنفعة العامة و نجدهم يطلق عليهم عادة في النقوش تسمية العبيد العموميين Serui publici.

رغم تحررهم و حصولهم على المواطنة الرومانية تبقى وضعية المحررين* مختلفة عن وضعية المواطنين الأحرار، فالمعتق يبقى ماضيه كعبد يلقي بظلاله على حياته كانسان حر، فلا يمكنه مثلا حمل اسم قبيلة ما و عليه دائما ذكر اسم سيده أو الإمبراطور متبوعا بعبارة معتق لتمييز أصوله الاجتماعية.ويكون اللقب الذي يحمله عاكسا لوضعيته القانونية أو أصوله العرقية أو وظيفة خاصة بالعبيد السابقين.هذه الخصائص تحرمه من منافع كثيرة يمنحها القانون الروماني للأشخاص المولودين أحرارا مثل حق الانتخاب*، و حق الترشح للوظائف الإدارية الكثيرة كالقضاء والكهانة و الوكيلية من طبقة الفرسان وعضوية مجلس الشيوخ البلدي أو الكوريا أو هيئة الحكام (ديكوريون) ،حتى و إن كان معتق الإمبراطور. لكنهم بالمقابل يستطيعون الانخراط في المؤسسات المستحدثة مثل الإشراف على عبادة الإمبراطور وعضوية هيئة الأغسطاليس أو العبادات ذات الأصل الأجنبي. و على العموم مهما كانت الحقوق الممنوحة لهم حتى للتابعين للإمبراطور منهم فقد ظلوا في وضعية أدنى من باقي المواطنين الآخرين بحكم مولدهم غير أحرار. وتتيح لنا معطيات النقوش تتبع عدد منهم و تحديد مكانتهم و دورهم في مجتمع المدينة و إدارتها.[1]

فبالنسبة لمعتقي الخواص عندنا ما لا يقل عن ثمانية نقوش كلها شواهد قبور تشير إليهم ما بين رجال و نساء بعضهم عائلة بأكملها. وقد ذكر على بعضها أسماء سادتهم الذين أعتقوهم ، و يظهر من عبارات النقوش مدى التعلق الموجود بين الطرفين حيث ظل بعض المعتقين أوفياء لسادتهم حتى بعد وفاتهم. كما أهدى السادة بدورهم شواهد قبور لمعتقاتهم اللواتي كن فيما يبدو محظيات لديهم [2]. و يشير أحد تلك النصوص إلى ملاحظة مهمة و هي أن المعتق لم يكن دوما يذكر اسم سيده متبوعا بصفته خلافا للقاعدة العامة الخاصة بأسماء العبيد والمعتقين التي تلزمهم بذلك.[3]

وأما الذين أعتقهم الإمبراطور فعددهم أيضا معتبر، منهم سبعة لا نعرف وظيفتهم أعتقهم عدد من الأباطرة منهم

[1]Espanet-Carissan.C,op.cit.,pp145-146.
[2]CIL,VIII,1910,1911,1925,16586, 27869 ;I.L.Alg.I,3183,3184, 3199,3209,3228.
[3]CIL,VIII, 26867= I.L.Alg.I,3195.

على سبيل المثال تيتوس أيليوس أعتقه أنطونينوس التقي[1]، و ماركوس أوريليوس اورسيونيوس أعتقه كاركلا[2]، و هيلاروس حرر في عهد سبتيميوس سيفيروس و أبنائه [3]، صالوستيا و أمها إيانياريا حررتا ربما في عهد الكسندر سيفيروس[4]. علاوة على آخرين لم يذكر معتقوهم.[5]

والملاحظ على هذه الفئة من المعتقين أنه كانت بينهم تفاوتات اجتماعية نسبية، إذ كان لبعضهم الحق في الحصول على الهدايا العينية و المالية التي تمنح عادة لطبقة الديكوريون و نقابة المحامين، في حين حرم آخرون منها. كما شجعهم الأباطرة على الزواج من بعضهم البعض ممن تتشابه وضعيتهم بغية الحصول من أبنائهم على خدم أوفياء و متمرسين في الأعمال المنزلية أو الإدارية، لاسيما و أن بعض المهام لا يمكن للعبيد توليها لأنها لا تصلح إلا للرجال الأحرار.[6]

و فيما يخص الصنف الثاني من معتقي الإمبراطور الذين ذكروا بوظائفهم فالملفت فيهم أنهم يمارسون مهاما حساسة ويشغلون مناصب مهمة في الإدارة الإمبراطورية من أمثال كوروناتوس[7] ، ثيزيوس [8] ،فروكتوس [9]، فورتوناتوس [10] ربونتينوس [11] ، ليبيراليس [12] ، غودولوس [13] ، والذي كانوا كلهم أعوان أو محاسبين في مكاتب Tabularium الجباية أو مساعدين لمكاتب الأرشيف العمومي Commentarius.كما أن منهم من بلغ ثرائه حدا مكنه من تحمل نفقات بناء معبد للإلهة كايلستس ما بين سنوات 235/193 .[14]

الصنف الآخر الذي يجب الإشارة إليه أيضا هو فئة العبيد سواء التابعين للإمبراطور أو للخواص. فالنوع الأول يعد الأكثر حضورا نظرا لعدد النقوش المرتبطة به، حيث نميز عبيدا لم تذكر أو سقطت الإشارة إلى المهام المناطة بهم ربما كانوا بسبب الحالة السيئة للنقوش وهم يشكلون الأغلبية، وآخرين احتفظت شواهد قبورهم بأعمالهم منهم امرأتان

[1]CIL,VIII, 1897= I.L.Alg.I,3131.
[2]CIL,VIII,10630= I.L.Alg.I, 3132.
[3]CIL,VIII,1897= I.L.Alg.I, 3133.
[4]CIL,VIII,16564= I.L.Alg.I, 3138, p 307. .
[5]CIL,VIII,1899,16556,= I.L.Alg.I, 3064,3140..
[6]Espanet-Carissan.C, op.cit.,p150.
[7]CIL,VIII,2021= I.L.Alg.I,3562.
[8]CIL,VIII,16525= I.L.Alg.I, 3009
[9]CIL,VIII,1879= I.L.Alg.I, 3024.
[10]CIL,VIII,16561= I.L.Alg.I, 3134.
[11]CIL,VIII,1878= I.L.Alg.I, 3137.
[12]CIL,VIII,10628= I.L.Alg.I, 3139.
[13]CIL,VIII, 2033= I.L.Alg.I, 3549.
[14]I.L.Alg.I,2779 ; Mansouri.Kh, loc.cit., p18.Tab III,3.

عبيد منازل*، و اثنان أحدهما مسؤول الخزينة أو المحاسب ** والآخر مكلف بالمناداة على أسماء المواطنين*** وجردها أثناء فترات الإحصاء أو الانتخابات.[1]

لقد كان للعبيد و المعتقين الإمبراطوريين دور كبير في الإدارة المالية و العقارية للمدينة باعتبارها مقرا لدائرة مالية و عقارية[2]. و بسبب الأعمال المكتبية و المحاسبية الكثيرة التي تتطلبها إدارة الأملاك العمومية و تحصيل عائداتها و مختلف مختلف أنواع الضرائب و تسيير النفقات المطلوبة لشق أو إصلاح الطرق و صرف رواتب الجند و تجهيز الجيش و دفع مستحقات الموظفين وغيرها من وجوه الإنفاق العام، مع مراعاة توفير المبالغ السنوية المستحقة للخزينة الإمبراطورية، كل ذلك جعل الاعتماد على هذه الفئة كبيرا و متزايدا من جانب الأباطرة . و هناك من الأدلة ما يحمل على الاعتقاد بأن أوائل المعتقين الإمبراطوريين الذين عملوا في مكاتب الجباية بتبسة قدموا من روما و من إدارات المدن العريقة مثل قرطاجة و عنابة.[3]

و بخلاف أعضاء مجلس الشيوخ المحلي أو الفرسان الذين لم يكونوا يتولون مسؤولياتهم إلا لمدة وجيزة من أجل الترقية السريعة في المناصب البلدية، كان العبيد و المعتقين التابعين للإمبراطور يعملون لفترة طويلة جدا في الإدارة البلدية بمختلف مصالحها، وهذا ما جعل منهم مختصين حقيقيين ذوي خبرة عالية في تسيير شؤونها وكانوا يتلقون رواتب قارة على عملهم مع إمكانية الترقية في المنصب. وبلغت ثقة الأباطرة بهم درجة جعلتهم يوكلون إليهم مهمة إدارة مالية مقاطعة برمتها و التي عادة لا يقوم بها إلا وكيل من طبقة الفرسان[4].

لذلك لا نستغرب وجود المعتقين على رأس النواحي العقارية إما لوحدهم أو بالتعاون مع الوكلاء من طبقة الفرسان ، خلال عهدي كل ماركوس أوريليوس(180/161) و ابنه كومودوس(192/180)[5]. حيث تطالعنا النقوش بوجود وكيلين من المعتقين توليا تسيير القطاعات الزراعية في نواحي تبسة . و مما يؤسف له أن النقوش المرتبطة بهم لا تزودنا بمعلومات أكثر عن سيرتهم المهنية و المناصب التي تقلبوا فيها سوى الوظائف التي كانوا يتولونها حين وفاتهم. هذه المناصب العديدة التي من المحتمل جدا أنه كانت توجد قوانين أو مراسيم ترتبها وتنظمها من أهمها إلى الأقل أهمية.

---

*Verna/**Arcarii /*** Numenclator.

[1]CIL,VIII, 1898,16563 ;I.L.Alg.I,3135,3136, ; Boucher .J-P, Le temple, loc.cit, p29. Moll, loc.cit., R.S.A.C,1858-59,p206. ;Truillot .A, loc.cit., R.S.A.C,1982-29,p281.

[2]I.L.Alg.I, p287.

[3]Espanet-Carissan.C,op.cit.,p153.

[4]Pflaum.H-G,Les procurateurs équestres sous le Haut-Empire romain, Paris,1950,pp56-58.

[5]C.I.L,XIV, ,176.Dessau. H, Inscriptiones latii veteris,Berlin,1887. :**"M.Ulpius Aug(ustorum) Lib(ertus) Probus proc(urator)… A(fricae) Reg(ionis) Thevest(inae)"** ;C.I.L,VI,790.:**"Tyrrhenus lib(ertus) proc(urator) reg(ionis) Thevestinae".**

يبقى النوع الثاني من العبيد المملوكين للخواص الذي تقل المعلومات بشأنهم ربما لأنهم عاديون ولا يشغلون وظائف و مناصب تستحق التنويه و الذكر بعد مماتهم، باستثناء اثنان أحدهما كان مقتصدا سابقا في الفيلق الثالث الأغسطي[1] قبل أن يصير عبد منزل. و الآخر خادما مرافقا لأبناء سيده إلى المدرسة .[2]

[1] AE,1969-70,664 : « …………… ex Dispensator …… »

[2] AE,1966,665 : « ***Caius Asiaticus Felix pedagogus*** » ;Espanet-Carissan. C, op.cit.,p152.

3–فئة العوام :

تعد فئة العوام و البسطاء القاعدة العريضة لسكان تبسة خلال الفترة الرومانية ، فإذا ما حسبنا ووضعنا جانبا النقوش المتعلقة بمختلف الفئات التي تمت دراستها سابقا من أعيان و عبيد و معتقين نجد أن الجزء المتبقي و هو يمثل النسبة الأكبر بينها خاص بها ، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن الكثير من السكان كانوا بسبب فقرهم ووضعيتهم المادية المزرية غير قادرين على وضع شواهد على قبور موتاهم فذلك يعني أنها كانت تشكل أغلبية المجتمع.

لقد كانت هذه الفئة مؤلفة من أفراد تتفاوت وضعياتهم الاقتصادية و الاجتماعية و المهنية، ونظرا لكون المدينة مركزا للأعمال الحرفية و التجارية فقد وجد فيها تقريبا الريفيون و أشباه الريفيين والحضريين[1]. و بالعودة إلى سجل نقوش المدينة يتراءى أمامنا مجتمع من عامة الناس عاش أفراده أعمارا متوسطة و بعضهم عمر طويلا جدا ومنهم من توفي صغيرا.[2]

كما ربطت بينهم أواصر القربى المختلفة حيث تكثر على شوا هد القبور بعد اسم المتوفى وسنوات حياته عبارات الترحم و التنويه بأخلاقه ذكرا كان أم أنثى وتعديد خصاله من طرف أقربائه كالوالدين أو أحدهما و الإخوة و الأخوات و الأبناء و الأحفاد و الأصدقاء و حتى العبيد و المعتقين نحو سادتهم أو بعضهم البعض.[3]

و مما نستخلصه أيضا من المعطيات النقشية تعدد الوظائف و المهن التي مارسها سكان هذه الطبقة، إذ احتفظت لنا بعض النقوش بعدد منها حيث نجد العامل في المدرج العامل في شق الطرق، الاسكافي،، الجندي المتقاعد، التاجر الخباز، الحصاد، الحفار[4]. كما نجد حتى شخصا يدعى كايوس ايوليوس كاماروس توفي نتيجة سقطة مميتة لأنه كان يشتغل قائد عربة السباق في المدرج.[5]

لقد جرت محاولات لتقدير عدد سكان المدينة خلال العهد الروماني استنادا إلى بعض المعايير التي مازالت محل نقاش بين الباحثين. فحسب إحدى الباحثات لم تكن ساكنة تبسة خلال هذه الفترة متمركزة بالمدينة فقط على غرار

---

[1]Duncan Jones .R, City population in roman Africa , J.R.S,LIII, part I and II,1963,p88.

[2]I.L.Alg.I,3165(1an),3170(20 ans),3174(55),3175(30),3178(65),3181(80),3183(16)……..ect.

[3] نظرا لعدد النقوش الكبير المرتبط بهذه الفئة فانه من الصعوبة بمكان إجراء دراسة شاملة عنها في هذا البحث . لذا نحيل على أرقامها في سجل النقوش اللاتينية للجزائر ومدونة النقوش اللاتينية لمن يريد الاطلاع عليها: I.L.Alg.I,3019-3827. ,16567-16757= CIL,VIII

[4] I.L.Alg.I , 3101-12,3145, 3158,3188,3192,3195,3207,3278,3294,3344,3564.:Harena,Viator,Svtor,Veteranus,Negotiator

[5]Ibid.,3146 ;Kolendo.J, L'iscrizione di auriga a Theveste (IL.Alg ,I.3146)», Africana romana ,Atti del II convegno di studio, Sassari 14-16 dicembre1984, Edizione Gallizzi, Sassari, 1985,p195-196.

المدن بالمقاطعات الأخرى ، إذ لم تستقر بها إلا قلة من العناصر السكانية المحظوظة وظلت الأغلبية تعيش في المراكز السكانية المحيطة بها. حيث دل الاستطلاع الأثري على أن المنطقة المجاورة للمدينة كانت تعج بتجمعات عرفت كثافة سكانية عالية بالنظر لبقايا شواهد القبور التي عثر عليها بهنشير غونيفيدة غرب المدينة ، وهنشير كيسة على بعد 9كلم و هنشير كوشادة على مسافة 5كلم شمال المدينة ، تبسة الخالية على بعد 3كلم جنوب غرب المدينة الحالية، هنشير غوسات (7كلم جنوب غرب). بئر سالم(5كلم)، وهنشير القصور (3كلم) ، وعين شبرو (11كلم) إلى الغرب من المدينة.[1]

ويبدو أن في هذا الرأي بعض الصحة لأنه إذا ما عدنا إلى معطيات الآثار وجدنا أن النسبة الأكبر من النقوش و الأدلة المادية الأخرى مثل آثار التجمعات السكانية المهمة وما يرتبط بها كالمقابر تتركز في النواحي المحيطة بالمدينة و القريبة منها. حيث تفوق نسبة شواهد القبور المكتشفة بها تلك التي وجدت بمقابر المدينة وبجوارها القريب.[2]

ولجأ بعضهم إلى تقدير عدد السكان بالأخذ بالحسبان الطاقة الاستيعابية لبعض معالم المدينة. فمول Moll مثلا يرى بأن المدرج في أي مدينة كان بإمكانه استيعاب جميع سكانها، و مدرج تبسة يمكن أن يعطينا تقديرا أوليا عن عددهم. فهذا المعلم جرى إصلاحه وتوسيعه بين نهاية القرن الثالث و مطلع القرن الرابع الميلاديين ، لذا كان من المفروض أن يكون عدد المتفرجين خلال هذه الفترة كبيرا. وقدر بأن كل شخص كان يحتل فيه مساحة قدرها 0.60م ما يعني حوالي سبعة آلاف فرد.[3]

لكن حسب باحث آخر تعد هذه التقديرات ممكنة لكن يجب توخي الحذر معها خاصة إذا ما راعينا عوامل أخرى منها أن حجم المدرج كان يتوقف على الأموال المخصصة لبنائه أكثر من عدد المقاعد المطلوبة. هذا من ناحية، و من ناحية أخرى كان على المدرج استقبال علاوة على عموم سكان المدينة المقيمين فيها بصفة مؤقتة فقدرته الاستيعابية إذن أكبر من عدد سكان المدينة برمتها. و تقدر الدراسات عموما بأن مقاعد المدرجات الرومانية كانت تمثل ضعف عدد السكان الحقيقيين للمدن. وفي هذه الحالة كان متوسط عدد سكان المدينة على الأقل خلال القرنين الثاني و الثالث الميلاديين حوالي 5000 ساكن.[4]

غير أن هناك من الباحثين الجزائريين من يرفض هذا الطرح و هذا المنهج الذي يراه تعسفيا في تقدير عدد سكان مدن شمال افريقيا القديم الذي اعتمده الباحثون الفرنسيون لأنهم حسبه استنبطوا علاقة نسبية عددية بين سعة هذه الهياكل و عدد سكان المدن الموجودة بها . و وجه العيب في ذلك المنهج هو أن عدد سكان تلك المدن عرف تذبذبا تبعا للظروف الأمنية و الاقتصادية التي قلما عرفت استقرارا ،إضافة إلى أن المعنيين بمنشآت التسلية

[1] Espanet-Carissan.C, op.cit.,pp8-9.
[2] Gsell.St, I.L.Alg.I,pp335-380.
[3] Moll, loc.cit., R.S.A.C,1858-59,p208.
[4] Duncan Jones.R., City population,loc.cit., pp86-87.

في مجتمع المدن كانت الطبقة النخبوية (الأثرياء و المتناوبين على السلطة). و هذه الطبقة اختلف عددها و مستواها من الثراء بين حاضرة و أخرى تبعا للفترات التاريخية. كما أن الكثير من المدن الشهيرة لم يعثر في خرائبها على بقايا منشآت التسلية[1].

كوينتوس تتينيوس صابينيانوس (توفي ما بين سنتي 169/166)



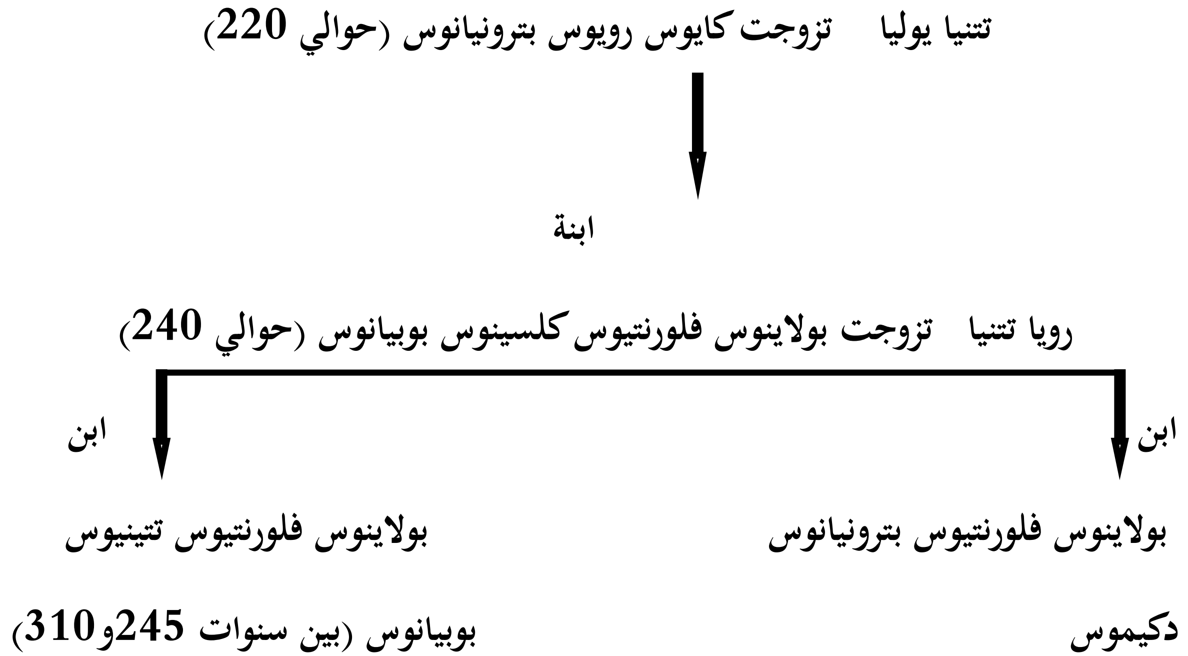
الابن

كوينتوس تتينيوس سكوروس تزوج أيليا بنيوكسيس(حوالي سنة180)

ابنة



[1] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، الطبعة1، دار الحكمة ، الجزائر،2003، ص 24.



شجرة عائلتي تتينيوس و بولاينوس

المرجع: Espanet-Carissan.C, op.cit.,p111

الفصل السادس

تبسة في العهد الروماني

الأديان و المعتقدات

أولا- الديانة الوثنية

1- عبادة الإمبراطور

2 - عبادة الآلهة

أ.الآلهة الرومانية: أ1- تبسة

أ2-نواحيها

ب. الآلهة المحلية

ثانيا- الديانة المسيحية:

1-دخولها و بداية الاضطهاد

2- الشهداء

أ-لوكيوس**Lucius**

ب-ماكسميليانوس Maximilianus

ج-كريسبينا :Crispina

د- شهداء آخرون :

3-تشييد الكنـــائس

4-الأســـاقفـــة

شهدت تبسة خلال العهد الروماني تعاقب و تفاعل ديانتين أساسيتين هما الوثنية و المسيحية كان لهما حضور و انتشار واسعين بين سكانها حسبما ما تدل عليه معطيات النصوص الأدبية و الآثار اللتان تسمحان لنا باعادة تشكيل المشهد الديني للمدينة خلال هذا العهد. و سيلاحظ الدارس لهذا الجانب من تبسة القديمة عاطفة دينية قوية لدى سكانها عبروا عنها من خلال تشييد ذلك العدد المعتبر من المعالم الدينية الوثنية أو المسيحية المختلفة من معابد ونصب نذرية و جنائزية و منحوتات مهداة للآلهة المحلية و الرومانية أو الأباطرة، و كنائس و أسقفيات ونقوش و أضرحة بنيت تخليدا لذكرى الشهداء أو لإقامة شعائر الديانة الجديدة.

ويظهر منذ الوهلة الأولى للباحث في العصر الوثني نوعا من التمازج و الانصهار العقائدي بين مختلف العناصر التي سكنت المدينة من رومان وايطاليين ومحليين مرومنين وغيرهم تجلى في الإقبال على عبادة غير آلهتها الأصلية و إظهار التقديس لها. فإلى أي حد بلغ هذا التثاقف الديني بينها، وماهي المظاهر التي اتخذتها العبادة الوثنية بالمدينة.

أولا–الديانة الوثنية :

1 – عبادة الامبراطور:

تعكس معطيات الآثار حضورا محتشما للديانة الرسمية بمدينة تبسة خلال القرنين الثاني و الثالث الميلاديين حسب تاريخ النقوش المرتبطة بها. فمن مجموع نقوش المدينة المكتشفة و المنشورة حتى سنة 1922[1] ، تبين أن 31 منها التي تشكل ما نسبته6.5% من هذا المجموع مرتبطة بعبادة الإمبراطور[2]. لكننا يجب أن نضع في الحسبان أن هذه النسبة ضعيفة جدا لا تغطي كل العهد الروماني الذي دام ما يقارب أربعة قرون و أغلبها يعود للقرن الثالث الميلادي ، لذا لا يمكننا القول بأن العبادة الرسمية لم يكن لها حضور قوي بين السكان في الفترات الأخرى، بل إن معالم المدينة توحي بخلاف ذلك.[3]

ويظهر ذلك من خلال المعالم المشيدة عن طريق التبرعات المهداة من قبل النخب البلدية الثرية إلى الأباطرة وأسرهم مثل التماثيل أو النحت الغائر أوقوس كركلا المهدى للعائلة السيفيرية . وغالبا ما نصادف اسم الإمبراطور

[1] I.L.Alg,I,2993-3471.
[2] Ibid,2996-3009,3025-3059.
[3] Kolendo.J,loc.cit,p333.

بجانب المعالم المهداة إلى الآلهة الرسمية كنوع من التذكير غير المباشر بصفته القدسية وأنه ممثل لهذه الأخيرة و نائب عنها في حكم الإمبراطورية. وتعكس عبارات نقوش هذا النوع من المعالم نفس المعاني التي تخاطب بها الآلهة عادة. وتعد تماثيلهم المنتشرة في أنحاء المدينة و المصطفة عادة في الفوروم أو داخل أو عند مداخل المباني نوعا من الدعاية الدينية –السياسية لهم و تذكيرا مستمرا بحضورهم الدائم لدى السكان. ويدل عدد النقوش القليلة المدروسة الموجهة للأباطرة أن عبادة الإمبراطور في عهد الجوليو–كلوديين و الفلافيين لم تكن واضحة جدا، بخلاف أباطرة القرن الثاني لاسيما ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس و كومودوس و السيفيريين خلال القرن الثالث، الذين تظهر النقوش و المعالم المهداة إليهم عودة قوية للديانة الرسمية وإقبال السكان عليها ربما بسبب ارتباطهم الشديد بهذه الأسرة ذات الأصول الإفريقية.[1]

لقد تركت السلطة الرومانية للنخب المحلية أمر إدارة شؤون المدينة الدينية وشددت على دور هيئة الكهان بمختلف درجاتهم لاسيما هيئة الأغسطاليس في الإشراف حصريا و رسميا على تنظيم عبادة الإمبراطور و الحرص على حمل المواطنين على التشبث بها ونشرها بينهم وتطبيق القوانين المنظمة لها[2]. ولم يكن للإمبراطور رغم حمله لقب الكاهن الأعظم أو لحاكم المقاطعة تدخل مباشر في صلاحياتهم التي يبدو وأنها كانت واسعة جدا، وذلك رغم أن التشريعات الرومانية منذ عهد يوليوس قيصر حددت تواريخ وعدد أيام الاحتفالات الدينية الرسمية أو تلك الخاصة بآلهة الثالوث الروماني.[3]

كما تجدر الملاحظة إلى أن أهمية مكانة هيئة الكهان لاسيما الدائمين والسنويين منهم بين الهيئات الإدارية البلدية الأخرى و الصلاحيات الممنوحة لهم في تسيير الشأن الديني يعد حتما مرآة لأهمية الديانة الرسمية والآمال المعقودة عليها في ربط السكان بالسلطة المركزية.[4]

و برأي الباحث البريطاني جايمس رايفس وغيره فان روما فشلت في ربط سكان المدينة عن طريق نخبها البلدية بالسلطة عن طريق العبادة الرسمية، ربما بسبب أن هذه الأخيرة لاسيما المرومنة منها أظهرت عزوفا عن الآلهة المحلية

---

[1] Le Glay. M, Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine. In: L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.) Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990, p 87.
[2] Kotula.T, op.cit,p87.
[3] Rives.J,Religion and authority in Roman Carthage from Augustus to Constantine, Clarendon Press, Oxford,1995,p96.
[4] Le Glay. M, Évergétisme, loc.cit,p88.

وأقبلت على عبادة الآلهة الرومانية مثلما تدل عليه عدد المعالم المنذرة أو المهداة لهاته الآلهة أو تلك[1]. كما أن الغطاء الرسمي الذي أضفي عليها نفر منها السكان لاسيما ذوي الأصول المحلية ودفعهم إلى التمسك بعبادة الأجداد لاسيما مع عدم تدخل السلطات في التدقيق في الهوية الدينية للأفراد طالما أن المراسيم الاحتفالية للعبادة الرسميةSacra تتم وفق ما يراد لها.[2]

رغم ذلك يبدو أن شعائرها حظيت بالتقديس في المدينة و جرى التعبير عن الولاء لروما عمليا عن طريق ممارسة الشعائر الدينية التي كانت جزءا مكملا للحضارة الرومانية[3]. وتطلع أعضاء مجلس الأعيان الذين بلغوا قمة المناصب البلدية إلى تقلد منصب الكهانة لمدى الحياة، وإلى أن يصبح كل منهم عضوا في الجماعة التي كانت تتمتع وحدها بحق إقامة الصلوات و تقديم النذور باسم المواطنين للزوجين الإمبراطوريين المؤلهين[4].

وزيادة على ذلك فان مجلس الولاية البروقنصلية التي كانت تبسة تتبعها، و الذي كان يتكون من وفود من كل المجالس المحلية، كان يجتمع مرة في السنة بقرطاجة لاختيار كاهن الولاية(الكاهن الأكبر) الذي كان من واجبات منصبه تعظيم الدين الرسمي باسم الولاية.[5]

لقد تجلت عبادة الإمبراطور أكثر من خلال من خلال التبرعات الطوعية لصالح المدينة التي كانت تقدمها نخبتها الأرستقراطية لقاء تولي منصب الكهانة. وكانت أغلب تلك المبالغ المالية تصرف لإقامة تماثيل الأباطرة وتغطية الاحتفالات الدينية الرسمية و إقامة المآدب المصاحبة لها. هذه النخبة التي تولت تحمل نفقات العبادة الرسمية من ثرواتها احتفظت لنا النقوش بأسماء عدد منهم يعودون في أغلبهم إلى القرن الثالث الميلاد[6]. و الجدول الجدول التالي يوضح ذلك :

---

[1] Rives.J,op.cit,p113 ;Lassère.J-M, La vie religieuse dans les cités de l'Afrique, Journal of Roman archéology,9,1996,p491.

[2] Rives.J,op.cit,p114. ; Smadja. E, Divination et idéologie impériale en Afrique romaine. In: Pouvoir, divination et prédestination dans le monde antique. Besançon : Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 1999,p302.

[3] Jaubert. H, Notes d'histoire et d'archéologie concernant le diocèse de Constantine et d'Hippone ,Bone,1911,p135.

[4] عمار محجوبي، العصر الروماني و ما بعده بشمال إفريقيا. . . في تاريخ إفريقيا العام . الثاني ،حضارات إفريقيا القديمة، إشراف د/ جمال مختار،اليونسكو، 1985 .509

[5] Le Roux.P, le culte impérial dans les provinces occidentales : évolution d'Auguste à Domitien, In Pallas,40, 1994, p404.

[6] Lassère.J-M, La vie religieuse,loc.cit,p492.

- جدول رقم 22: الكهان المعروفين المشرفين على عبادة الإمبراطور بتبسة خلال القرنين الثالث و الرابع الميلاديين :

اسم الكاهن	الرتبة/الوظيفة	المرجع
كوينتوس تيتوس سيكوروس	Pontifex كاهن أعظم Maximus	C.I.L,VIII,16555 ; I.L.Alg,I,3069
ساتورنينوس ساتورنينيانوس	Flamen كاهن دائم Perpetuus	I.R.A,3096; I.L.Alg,I,3068 et p299.
كايوس إيوليوس روموليانوس	Flamen Annuus كاهن سنوي مختص بتقديم القرابين	I.L.Alg,I,3068 .
فلوروس ؟ إيوليانوس	Pontifex كاهن أعظم	C.I.L,VIII,16558 ; I.L.Alg,I,3067.
؟	Sacerdos كاهن بلدي	C.I.L,VIII,27848; I.L.Alg,I,3081.
كايوس إيوليوس فليكس بولكس (توفي بهنشير كيسة)	Flamen كاهن دائم Perpetuus	C.I.L,VIII,28003;Gsell.St,B.A.C, 1917,p331 ; I.L.Alg,I,3493.
كوينتوس كربريوس روفينوس	Auguri قارئ الطالع أو المتنبئ بالغيب	I.L.Alg,I,3064.
؟	Auguri قارئ الطالع أو المتنبئ بالغيب	C.I.L,VIII,16533 ; I.L.Alg,I,3012 bis.

.... فيكتور (توفي بالشريعة)	Flamenكاهن دائم Perpetuus	C.I.L,VIII,2226=17611.
سالونيوس فليكس (رفانة)	Sacerdos superior loci primi كاهن محلي أعلى	C.I.L,VIII,10608=10643; I.L.Alg,I,3561. Gsell.St,A.A.A,29,n°145; I.L.Alg,I,3061.
؟	Sacerdosكاهن	I.L.Alg,I,3491.
فلافيوس دوناتوس	Sacerdosكاهن	I.L.Alg,I,3081.





شكل رقم16 : نصب نذري للكاهن كلوديوس فورتوناتوس

Vars.Ch, Inscriptions inédites de la province de Constantine,loc.cit, p404.

2 – عبادة الآلهة :

أ.الآلهة الرومانية:

عرفت عبادة الآلهة انتشار واسعا بين سكان تبسة سواء تعلق الأمر بالآلهة الأجنبية من رومانية-اغريقية[1] ، أو محلية ليبية مع تسجيل حضور أقوى للأولى داخل المدينة و للثانية خارجها وفي نواحيها. ورغم اعتبار بعض الباحثين أن هذا الإقبال الشديد على هذه الآلهة لم يكن أكثر من مجرد مظهر اجتماعي لا عبادة فعلية [2]، إلا أن وجود المعابد خاصة تلك المشيدة لآلهة الثالوث الروماني (يوفيوس-جونون-مينرفا) يعد عند البعض الآخر دليلا قاطعا على وجود عبادة حقيقية بمراسيمها و طقوسها و احتفالاتها السنوية و الموسمية.[3]

لقد كانت الاهداءات إلى الآلهة الرومانية تعبيرا خاصا من سكان تبسة الرومان أو المرومنين لإظهار تعلقهم بالنموذج الروماني على المستوى الديني كما في جوانب الحياة الأخرى ، و لم تكن عبادة مفروضة عليهم من قبل روما[4]. و حسب المعطيات المتوفرة لدينا فقد عبدت جل الآلهة الرومانية إلى جانب آلهة شرقية أخرى في المدينة ، ، يدل على ذلك مجموعة معتبرة من النقوش المنذرة لها ، و مابقي من آثار المعابد أو المذابح المشيدة لها. و في هذا السياق نشير إلى أنه جرى منذ القرن الأول الميلادي وحتى نصف القرن الذي سبق موجة الاضطهاد الأخيرة التي وقعت في عهد ديوكلتيانوس تشييد أو ترميم العديد من المعابد تكريما لمجمع الآلهة الإغريقية –الرومانية .[5]

وفيما يلي جدول بالآلهة التي أثبتت النقوش وجودها بالمدينة :

- جدول رقم 23: الآلهة و المعبودات الرومانية بتبسة ونواحيها:

أ1- تبسة :

اسم المعبود	نوع النقيشة/مكانها	المهدي	المرجع

[1] Bensedik.N, Esculape, Ency.Ber,XVIII,1997,p2693.
[2] Rives.J,op.cit,p.98.
[3] Lassère.J-M, La vie religieuse.op.cit,p490.
[4] Rives.J,op.cit,p98.
[5] Jaubert. H, loc.cit ,p135.

الإله	نوع الكتابة	المهدي	المصدر
Apolloأبولو	نذرية	؟	I.L.Alg,I,3061.
Diana Thevestina ديانا التفستية	نذرية	؟	Ibid.,2994.
Bellona Augusta بلونا المقدسة	نذرية	كايوس إيوليوس C.Iuliusكاتيانوسِ Cattianus	Ibid.,2995.
Bellona Augusta Conservatoris بلونا المقدسة الحافظة	اهدائية ملحقة بمعبد	ماركوس فاليريوس نوفيوس ألفيديفوروس حامل سلة القرابينCistifer	I.L.Alg,I,2996.
كايلستيس المقدسة Caelestis Augusta	إهدائية (معبد هنشير الرهبان)	العبد الامبراطوري كوروناتوسCoronatus	C.I.L,VIII,12606.;Ibid.,2997.
كايلستيس المقدسة Caelestis Augusta	نذرية	لوكيوس فورفانيوس ماكسيموسL.Furfanius Maximus	I.R.A,3098 ;C.I.L,VIII,1837 ; I.L.Alg,I,2998.
كايلستيس المقدسة	نذرية	إيوليوس دوناتيانوس كاهن كايلستس	Lassère.J-M, Manuel,II

Caelestis Augusta		وآخرون	op.cit,p548.
كريريس و بلوتو Cereres Pluto	إهدائية (لمعبد)	سوتريوس بريموس Sutorالاسكافي	C.I.L,VIII,1838=16498; Gsell.St, Musée,op.cit,p34-35,72-73,84 ; I.L.Alg,I,2099. ;AE,1888,118.
فورتونا Fortuna	نذرية	C.Iulis Sexa كايوس إيوليوس سكسا	C.I.L,VIII,16522; I.L.Alg,I,3001.
Fortunaفورتونا	نذرية	؟	C.I.L,VIII,16522; I.L.Alg,I,3001.
إيوفيوس Jovius (جوبيتر)	إهدائية	كوينتوس مانتيوس قائد المئة Centurio	C.I.L,VIII,16594; I.L.Alg,I,3085.
Jovio Optimo (جوبيتر) إيوفيوس المقدس	نذرية	تيتوس أيليوس تيرينوس Libertusالمعتق	C.I.L,VIII,1840; I.L.Alg,I,3003.
(جوبيتر) إيوفيوس المقدس	نذرية	لوكيوس فينديكيوس ساتورنينوس	C.I.L,VIII,16524; Eph.Epig[1] ; I.L.Alg,I,3004.
إيوفيوس- ساتورنوس	نذرية	الكاهنان كوينتوس فابيوس بولاس و ابنه بولاينوس	C.I.L,VIII,10624; I.L.Alg,I,3005.

[1] Ephemeris Epigraphica.Corporis Inscriptionum latinarvm Supplementvm, Volumnis V,Institvti archeologici Romani, Apud Georgium Reimervm, Berolini,1884.

إيوفيوس- ساتورنوس	نذرية	سنتيوس،دوناتوس وآخرون	C.I.L,VIII,27846; I.L.Alg,I,3021.
Iovio optimo Maximo Saturno -إيوفيوس ساتورنوس	نذرية	بوبليوس فتيوس ساتورنينوس /جندي متقاعد	Farges.A,Réflexions,loc.cit, R.S.A.C,20,1879-80,p228 ; C.I.L,VIII,16523; Eph.Epig, 651 ;Gsell.St, Musée de Tébessa , pl11.fig 3 ; I.L.Alg,I,3065.
Mercuriusماركوريوس	إهدائية (تمثال)	كوينتوس لونجيوس فاوستينوس الايديل و المشرف على القوانين	I.R.A,4259 ;C.I.L,VIII,1842; I.L.Alg,I,3007.
Mercuriusماركوريوس	نذرية؟	لوكيوس أورونكوليوس ترتولوس	C.I.L,VIII,1841; I.L.Alg,I,3008.
مينرفا	إهدائية	ثيزيوس المعتق و المحاسب	C.I.L,VIII,16525; Letaille.J,Audolllent.A, Mission épigraphique en Algérie,M.E.F.R,10,1890,p537. ; I.L.Alg,I,3009.
NeptunusAugusto نبتونوس المقدس	إهدائية (معبد)	/	C.I.L,VIII,16526; Eph.Epig, 653 ; I.L.Alg,I,3010.
Opsأوبس[1]	نذرية	أمبرونيوس بومبيوس داتيفوس	C.I.L,VIII,16527;Eph.Epig,654 ; Gsell.St,H.A.A.N,IV,p259-260 ; I.L.Alg,I,3011.

[1] اسم لاتيني أطلق على إلهة شرقية قرنت بالإله ساتورنوس

ساتورنوس		كوينتوس فوريوس ماكسيموس	C.I.L,VIII,27844; I.L.Alg,I,3012.
ساتورنوس	إهدائية	كوينتوس تيتينيوس سكوروس	AE,1931,233.
Serapisسيرابيس	نذرية	العبدان أو المعتقان أورسا و ماكسيما	I.R.A,3095 ;C.I.L,VIII,1844; I.L.Alg,I,3013.
Victoria Augusta فيكتوريا المقدسة	؟	؟	C.I.L,VIII1890; I.L.Alg,I,3014.
Virtutisفيرتوتيس	نذرية	Evasiusإفازيوس	C.I.L,VIII116528; Eph.Epig, 655 ; I.L.Alg,I,3015.
فيرتوتيس نوميني Virtutisانفيكتو Numini Invicto[1]	نذر ية	Guraiقوراي (اسم محلي)	I.R.A,3091 ;Guichard, R.Af,1864,p250 ;C.I.L,VIII,1843=16500; I.L.Alg,I,3016.
Saturnusساتورنوس	إهدائية وجدت بمعبده هنشير	تضم قائمة بأكثر من 64 مهديا من كهانه و المشرفين على تنظيم عبادته.[2]	Gsell.St, Inscriptions latines découvertes en Algérie, B.A.C,1917,2 livraisons,p329;I.L.Alg,I,3018 .et p291-292. ;AE,1917-

---

[1] و تعني إلى فيرتوس الروح التي لا تقهر أولا تغلب

[2] **يشير نص النقيشة إلى الاحتفال بعيد سنوي للاله ساتورنوس بمعبده بهنشير الرهبان نهاية فصل الربيع و في الأيام الأولى لشهر جوان. ولايعلم شيء عن الطقوس الاحتفالية المصاحبة و لا عن كيفية تعيين الكهنة الذي يشرفون على عبادته ، و يظهر من الأسماء الواردة أن الكهنة اختيروا من السكان البسطاء ،كما نجد فقط اسمان مزدوجان مؤلفان على الصيغة الرومانية و البقية أسماء افريقية أو بونية على غرار كاكبان، كريبيتاتيم. وهناك أبناء ورثوا الكهانة عن آبائهم مثل بوركيوس ، فليكس، هيباريانوس ، داتولوس، أوغورينوس، بريفاتوس، فليكيسيموس،**

			18,38.
الرهبان			

أ2–نواحيها :

المعبود	نوع النقيشة/مكانها	المهدي	المرجع
ساتورنوسSaturno Augusto umbubalio	نذرية (هنشير الحويجبات)	؟	C.I.L,VIII,27936; Gsell.St, Inscriptions inédites, loc.cit,p156. I.L.Alg,I,3804.
ساتورنوس–كوري–بلوتوSaturnus-Coré-Pluto	نذرية (هنشير غونيفيدة)	**كايوس بومبونيوس فليكوس الكاهن**	C.I.L,VIII116697;Besnier.M, Inscriptions et monuments figurés de Lambèse et de Tébessa,loc.cit,p460. Gsell.St, Musée, pl I.fig n°4 ;I.L.Alg,I, 3472.
إيوفيوس الكبير المفضلIovio Optimo Maximo	هنشير المايز	**بروكولوس العبد**	C.I.L,VIII, 2054 ; I.L.Alg,I, 3715 ;Kolendo.J,loc.cit,p332.
إيوفيوس–ساتورنوسIovio-Saturno	نذرية(هنشير غونيفيدة)	**بومبونيوس ماكسيموس**	C.I.L,VIII116696;Besnier.M, loc.cit.,p458 ; Gsell.St, Musée de Tébessa, pl I.fig n°2

اكسستوس،فرتولوس،أتليوس،مارتياليس،سيلفانوس، فيكتورينوس،بولاينانوس، روفينيانوس، دوناتوس،يوكوندوس، تيفازيانوس وابناه بريسكوس و فورتوتانوس.

		الكاهن	I.L.Alg,I, 3473.
إيوفيوس-ساتورنوس Iovio-Saturno	/	/	C.I.L,VIII16694; I.L.Alg,I,3518.
كريريس و بلوتو Pluto-Cereres	ندرية(هنشير كيسة)	سكان Turrata Turratenses	C.I.L,VIII16693; I.L.Alg,I,3517.
مركوريوس Mercurius	ندرية(تنولكة)	لوكيوس غورديوس تفستينوس	C.I.L,VIII10644; Gsell.St,A.A.A,F29.n°157 ;I.L.Alg, I,3546.
مركوريوس المقدس Mercurio Augusto	ندرية تنولكة	لوكيوس كورديوس تفستينوس	De Bosredon.L,Promenade,loc.cit,p3.
Genius campi مركوريوس حارس المعسكرات	?هنشير القصور	؟	C.I.L,VIII16728; I.L.Alg,I,3596.
بلوتو المقدس Pluto Augusto sacrum	ندرية عين شبرو	فليكيسيموس	C.I.L,VIII,16744; Gsell.St,A.A.A,F29.n°98; I.L.Alg,I,3624.

Pluto-بلوتو Prosperبروسبرينا ina	تبسة		Gsell.St,Musée, op.cit, p 15-17 ;Picard.Ch, Les religions de l'Afrique antique,Plon,Paris,1954,p122.
بلوتو المقدس Plutoni Augusto	؟ هنشير كيسة	؟	Girol.A,Notes sur Theveste et ses environs,loc.cit,p217.
Satutno	جنائزية (الماء الأبيض)		De Bosredon.L,Notice, loc.cit,p66-67.
Genioالروح ثزكثي Thesecthi	هنشير بوسكيكين		Gsell.St, Inscription latines,loc.cit,p27. ;Kolendo.J, loc.cit,p335.

– جدول رقم 23 كهان الآلهة الرومانية :

اسم الكاهن	الاله/ الوظيفة	المرجع
لوكيوس كايكيليوس ساتورنينوس بولكس	كاهن Sacerdotesساتورنوسِ Saturni	C.I.L,VIII,16529; Eph.Epig,656 ; I.L.Alg,I,3020.
؟	كاهن كايلستس Sacerdos Caelestis	I.L.Alg,I,,3000.
؟	**كاهن** SacerdosJovi**يوفيوس**	Ibid.,3005.
؟	**كاهن مركوريوس** Sacerdos	Ibid.,3519.

	Maercurii	
؟	Sacerdos Saturni **كاهن ساتورنوس**	Ibid.,3472,3492.
كوينتوس فابيوس بولاس و ابنه بولاينوس	كاهنا Sacerdotalesساتورنوس Saturni	Ibid.,.3005
كايوس إيوليوس اكسبديتوس ماراكس	**كاهن ساتورنوس** Sacerdos Saturni	Ibid.,3492.
إيوليوس دوناتيانوس	**كاهن** ......؟	Ibid.,3000
كايوس لوريوس فوسفوريوس	**كاهن**........؟	Ibid.,3519.
كايوس بومبونيوس فليكوس	كاهن ساتورنوس Sacerdos Saturni	Ibid.,3472.
سوتريوس بريموس	خادم معبدساتورنوس Stator Templi Saturni	Ibid.,2999.
Pastor باستور تاسيل Tassil(هنشير ماجل)	كاهن ساتورنوس Sacerdos Saturni	Truillot.A, B.A.C,1932-33,p402-404 ;Id,R.S.A.C,61,1933,p122-124.
كايوس إيوليوس سكوندوس (مزردش)	**نفسه**	C.I.L,VIII,16746; I.L.Alg,I,2927 ;.Leglay.M,Saturne Africain,I,p356.

لوكيوس لايليوس سيلفانوس (هنشير حماشة)	**نفسه**	I.R.A,3236;C.I.L,VIII,2182; I.L.Alg,I,2941.
تيتوس كلوديوس فورتوناتوس T. Clodius Fortunatus(**مرسط**)	**نفسه**	C.I.L,VIII,28021; I.L.Alg,I,2873.
لوكيوس أفيانيوس L.Avianiusفليكس Felix(**هنشير طرشة**)	**نفسه**	C.I.L,VIII,16699; I.L.Alg,I,2913.
C.Iulius Donatus كايوس إيوليوس دوناتوس (هنشير بوسبوعة)[1]	**نفسه**	De Bosredon.L,Promenade.loc.cit,p6.n15 ; Id. Notice,loc.cit,p 67;C.I.L,VIII,2066=27985; I.L.Alg,I,3766.
كايوس ايوليوس C.Iuliusسكوندوس هنشير) Secundus(حلوفة	**نفسه**	Eph.Epig,661.

يظهر إذن من الجدولين السابقين حضور كبير لآلهة المعتقد الروماني بما فيها الآلهة الكبرى ، غير أن الملفت للانتباه أن النصوص المرتبطة بعبادة ساتورنوس و هو بعل القرطاجي في حلته الجديدة تطغى في عددها على النصوص المرتبطة بالآلهة الأخرى جميعها ، وذلك يعني شيئا واحد و هو طغيان عبادة ساتورنس كلية بالمدينة و ناحيتها واعتباره الإله الأكبر من قبل العناصر النخبوية الرومانية في المقام الأول. ويمكن أن نسوق هنا بعض الأمثلة على المكتشفات الأثرية التي تشير إلى ذلك. منها تمثال مهدى إليه من قبل كوينتوس تيتينيوس صابنيانوس في

[1] Vars.Ch, Inscriptions inédites de la province de Constantine pour l'année 1899,,R.S.A.C,XXXIII,1899,p405-406.n°271.: « ***Diis Manibus Sacrum.Caii Iulii Donatii Sacerdos Saturni.Vixit annis LIII .Fecerunt Iulii Donati et Constans. Merenti Bene.*** »

وصية لابنه سكوروس بمبلغ 63ألف سسترس في عهد الامبراطورين ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس(165-169م).[1]

علاوة على اكتشاف عدد من النصب النذرية و التماثيل الكاملة والنصفية أو أجزاء منها كالرؤوس و الصدور و الجذوع و السيقان و الأذرع بأماكن متعددة من المدينة وضواحيها[2] ، يظهر ساتورنوس عليها كاله للخصوبة منها نصب يمثل زوجين متعانقين تحت حمايته و رعايته[3]. كما وجدت بتبسة قطع مزينة بمنحوتات لثيران و أسود صاحبة عادة لساتورنوس ونصب نذري له.[4]

أما بواد زعررو قرب المدرج الروماني فقد عثر على قاعدة تمثال له[5] ، و بهنشير غونيفيدة شمال غرب المدينة وجد نصب آخر منذر له عند قدميه نحت بارز للأسد و بجواره إلهة ربما كانت كايلستس[6]. و غير بعيد بهنشير ألتابيا قدم شخص يدعى أفيانيوس نارنيتاس نذرية لساتورنوس[7].و بهنشير حماشة تولى سورديوس سولوتور تجديد معبده على نفقته الخاصة[8]. وأخيرا عثر في هنشير فيلالي على بقايا نصب إهدائي لساتورنوس يظهر عليه شخصان يقدمان قرابين على مذبح، وفي أعلى الجزء المكسور زخارف مرتبطة بهذا الاله.[9]

و مما تجدر الملاحظة إليه فيما يتعلق باقران عبادة جوبيتر بساتورنوس التي نجدها فيى غالب النصوص النذرية أن ذلك كان إحدى أبرز أوجه التأثير المحلي في الديانة الرومانية من خلال الدمج بين كبير آلهة الرومان و المعبود الإفريقي الواسع الانتشار[10]. هذا التأثير كما يظهر من النقوش له سمتان؛ الأولى يبرز فيها جوبيتر مقرونا بساتورنوس إما مساويا أو تابعا له. أما في السمة الثانية فنجدهما مدمجين إدماجا تاما بحيث تذوب خصائص

---

[1] Vars.Ch, Inscriptions inéditesloc.cit.,p334.
[2] C.I.L.VIII,10624,16533 ;Sabatier, Musée de Tébessa,R.S.A.C,XL,1906,p46.n°6. ;I.L.Alg,I,3006 ;Gsell.St, Musée de Tébessa, p20-21,p35,p40, p81-82.pl XI.fig3. ;Farges.A, Simples réfléxions,loc.cit,p235-236.
[3] Farges.A, Appendice au Sacrum de Theveste,R.S.A.C,XXIII,1883-84,p147.pl II,fig7.
[4] C.I.L,VIII,16596 ;I.L.Alg,I,3359 ;Sabatier, Musée de Tébessa, loc.cit,p30.n°1; p31.n°8,p32.n°18.
[5] Truillot.A, R.S.A.C,LV,1923-24,loc.cit,p215-216.
[6] C.I.L,VIII,16697 ; Sabatier, Musée de Tébessa, loc.cit,p14.pl I.fig 4.
[7] I.R.A,3238 ; C.I.L,VIII,2190=28050 ; Sabatier, Musée de Tébessa, loc.cit,p36.n°45. ; Besnier.M, Inscriptions et monuments figurés de Lambèse et de Tébessa,M.E.F.R,17,1897,p457-458 ; I.L.Alg,I,2926.
[8] Gsell.St, Inscriptions inédites de l'Algérie ,B.A.C,1896, p156.
[9] Leglay.M,op.cit,p360.
[10] Picard.G-Ch,op.cit,p124.

جوبيتر في الديانة البعلية و خصائصها، و يتجلى ذلك في وحدة الاسم و اندماج رموزهما الايكونوغرافية مثل النسر و الصاعقة و الحمل على النصب النذرية و الجنائزية .[1]

و واضح أن دمج هذين المعبودين كان من عمل الأشخاص ذوي الأصول الرومانية بالمدينة ،أما المرومنين منهم فكانوا يضعون جوبيتر دوما في المرتبة الثانية بعد ساتورنوس ، يظهر ذلك من خلال عدد القرابين المخصصة لكليهما ، حيث حظي ساتورنوس على النصب بأضحيتين و هما خروف و ثور، في حين لم يخصص لجوبيتر في الغالب سوى حمل.[2]

فالدمج الكامل إذن بين المعبودين هو الغالب على عبادتهما بمدينة تبسة و نواحيها بحسب ما دلت عليه النقوش المرتبطة بهما، فلا يتعلق الأمر هنا كما كان سابقا بالهين شريكين بل باله واحد يحمل اسمين في نفس الوقت وهما ساتورنوس و جوبيتر. و بما أن خصائص ساتورنوس و صفاته أكثر من جوبيتر ، إذ هو علاوة على المظاهر السماوية و الزراعية التي يتشاركها مع جوبيتر ، فهو ينفرد دونه بخاصية حماية الأرواح، فساتورنوس هو من استوعب جوبيتر و ليس العكس. و تتجلى هذه الهيمنة أكثر على المنحوتات، حيث يظهر ساتورنوس على نصب له عثر عليه بالمدينة و هو يحمل في يديه رموز جوبيتر المتمثلة في النسر و الصولجان.[3]

لقد كانت لعبادة ساتورنوس طقوس خاصة تشرف عليها هيئة الكهان، وتبرز لنا مشاهد النصب النذرية وضعية المهدي وهو جالس أمام الاله يقدم قرابينه وفاءا بنذره ، وكان الكهنة المعينون من قبله بداية شهر جوان من كل سنة في ذكرى صعوده إلى عرش الألوهية يتولون قبولها عنه باسم الاله.[4]

كان المعبد الرئيسي لساتورنوس يقع على بعد خمسمئة متر غرب تبسة على الطريق المؤدية إلى قسنطينة، وقد جرى اكتشافه في العام 1871 من قبل الأب دولاتر حيث عثر فيه على عدد من النقوش و البقايا الأثرية الأخرى (نصب، تماثيل كبيرة و صغيرة ونصفية، قطع هندسية)داخل قبو تشير إلى عبادة هذا الإله . وحسب غزيل ربما تعلق الأمر بمخبأ أخفى فيه الوثنيون كل ما يتعلق بأدوات و طقوس العبادة بعد انتصار المسيحية

[1] Leglay .M , Saturne ,I, Histoire , p233-234 ;Benabou. M, op.cit,p338.
[2] Benabou. M, op.cit,p339.
[3] C.I.L,VIII,16523; Truillot.A, Stèle trouvée à Tébessa, R.S.A.C, LV,1923-24 ,p215-216; I.L.Alg,I,3006. ; Leglay .M , Saturne ,I, Histoire , p 234.n°4;Benabou. M, op.cit,p339 .
[4] Picard.G-Ch, op.cit,p136.

وتحولها لعقيدة رسمية. أو قد يكون حفرة ألقى فيها المسيحيون التماثيل وكل ما له علاقة بالوثنية[1]. و رجح غزيل الفرضية الثانية بالنظر لحالة الموجودات حين اكتشافها حيث كانت مرمية بشكل فوضوي وأغلبها طمست معالمها. و من خلال المعاينة تبين أن هذا المخبأ أغلق بجدار من قبل المسيحيين في نهاية القرن الرابع أو مطلع القرن الخامس الميلادي لمنع الوثنيين من ممارسة عبادتهم من جديد.[2]

أما الآخر فيسمى المعبد الدائري و يوجد بتبسة الخالية على بعد ثلاثة كيلومترات من مركز المدينة الحالية . يبلغ قطر باحته 117م×99.50م بملحقاته. كان مخصصا لإقامة الطقوس التعبدية و احتضان الاحتفالات و الأعياد الدينية .ورغم تضارب وجهات النظر حول ما إذا كان خصص لعبادة آلهة بعينها أو كان موجها للعبادة الرسمية. فهنالك من ينسبه إلى اله الشفاء أسكلبيوس بسبب وجود حوض السباحة قرب المعبد الذي يعتبره بعض المختصين مكانا يطلب فيه زوار هذا الاله الاستشفاء و الاستجمام من أمراضهم وعللهم لوجود أطلال حيز بجانب الحوض يشبه الحديقة أو المتنزه.[3]

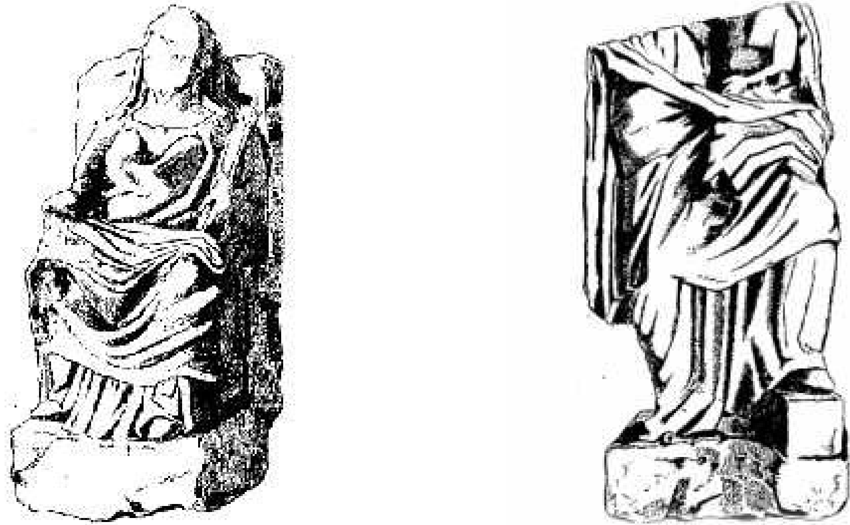
إلا أن الرأي الأقرب نظرا لهندسة المعبد و موقعه المرتفع في جنوب المدينة على غرار مدن أخرى مثل خميسة ، مداوروش ، عنونة و عين تونقا هو أنه بني لعبادة ساتورنوس، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لم يعثر على أي نصب لهذا الاله بتبسة الخالية أو ضواحيها، ربما بسبب حرص العناصر المسيحية على تطهير المدينة من كل أدران الوثنية و رموزها.[4] رغم ذلك فقد عثر إبان التنقيبات المتعددة التي أجريت فيه على عدد من قطع المنحوتات الوثنية في الردوم، مما يعني أنهم لم يكونوا حريصين جدا في عملهم.[5]

ب. الآلهة المحلية :

وجدت معابد للآلهة الليبية خلال العهد الروماني بنواحي تبسة حيث شيد معبد لآلهة Dii Magifae ماجيفا الخمسة قرب المدينة من قبل كوينتوس تيتوس بوليتيكوس الذي أنفق 8000سسترس من أجل بنائه. و لا شك في أن ماجيفا يعد الاسم القديم للمكان الذي شيد به هذا المعبد . كما أن الأمر يتعلق بمعبد صغير

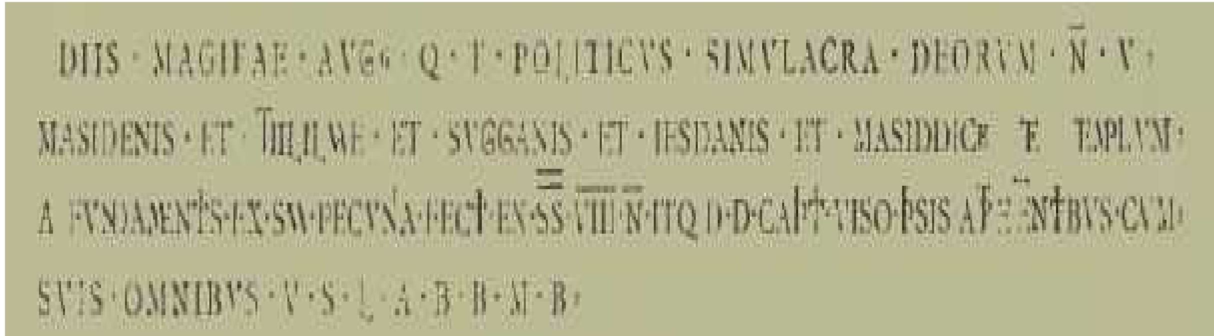
[1] Berbrugger. A, Epigraphie numidique, loc.cit,p272.
[2] Leglay.M, Saturne Africain,I, Histoire, p332.
[3] Boucher.J-P, loc.cit, p19-22.
[4] Toutain. J, Les temples ronds consacrés à Saturne dans l'Afrique romaine et leur origine probable,B.A.C,1919,p221-224.
[5] Poulle. A, Notes archéologiques, R.S.A.C,19,1878,p456.;Boucher.J-P, loc.cit, p17.

لأن المعابد الكبيرة يتطلب تشييدها أموالا ضخمة تتراوح ما بين 50إلى 60 ألف سسترس.[1]



شكل رقم 17 : تمثالين للإلهة كايلستس واحدة في وضعية وقوف و الأخرى في وضعية جلوس

المرجع: Farges.A, Simples réflexions, loc.cit, PL XXX.Fig33.



DIIS · MAGIFAE · AVG · Q · T · POLITICVS · SIMVLACRA · DEORVM · N · V ·
MASIDENIS · ET · THILILVAE · ET · SVGGANIS · ET · IESDANIS · ET · MASIDDICE · ET · TEMPLVM ·
A FVNDAMENTIS · EX · SVA · PECVNIA · FECIT · EX · SS · VIII · N · ITQ · D · D · CAPITVISO · IPSIS A · ... NTIBVS · CVM
SVIS · OMNIBVS · V · S · L · A · B · B · M · B ·

تلك الآلهة المذكورة على نص النقيشة وهي ماسيدان، ثيليلفا، سوقان، اييسدان و ماسيديكا[2]، لا نزاع في أصلها المحلي ، فأسمائها الليبية الأصيلة لا تدع مجالا للشك في ذلك[3]. ويحتمل أننا بورود هذه الآلهة الخمسة

---

[1]Chaligne,Occupation romaine de l'Afrique, R.S.A.C,53,1921-22, p42.; Decret .F, Fantar .M, op.cit,p269.

[2] Guenin, Inventaire, N.A.M, XVII, fasc 4, 1909,loc.cit,p117 ;
.I.L,VIII,16749 ;I.L.Alg,I,2977.; AE,1888,119.

[3] Benabou.M, L'Afrique et la culture romaine, C.T,XXIX, 1981,3e et 4e trimestre,p14.

مجتمعة على نقيشة نذرية واحدة أمام مجمع آلهة محلي ليبي خصوصا وأن النص يتحدث عن بناء معبد من أساسه و تماثيل لها[1]. كما يظهر في نقيشة قصر البوم اسم سوقان مرة أخرى، و يبدو أنه أعطى Suggan اسمه لجبل سقان الذي يقع جنوب غرب المدينة.[2]

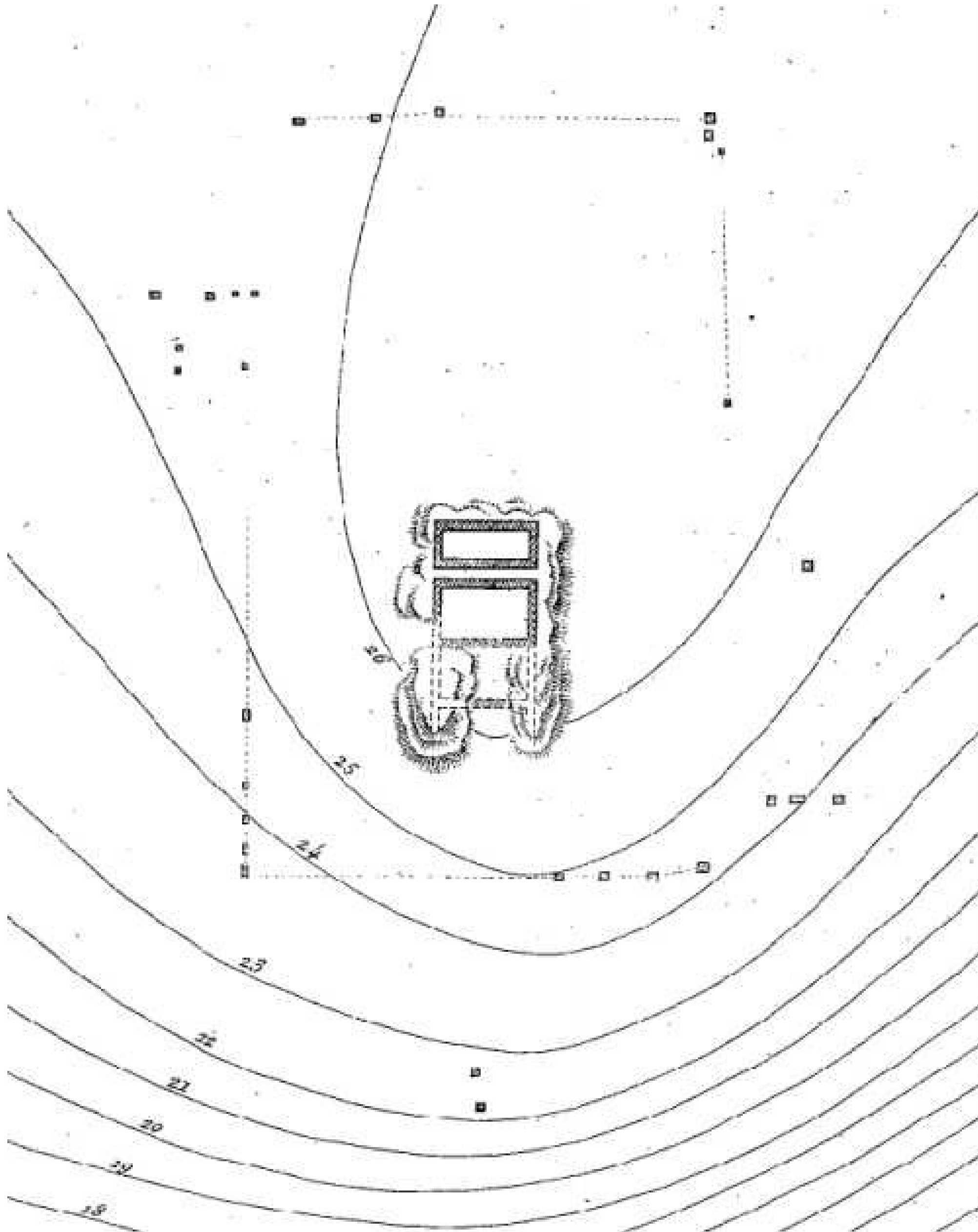
أما الآلهة المورية فقد ورد ذكرها هي الأخرى على نقيشة نذرية عثر عليها بهنشير الرهبان تقدم بها المدعو ايوليوس دوناتيانوس ذو الأصول الافريقية و الذي كان في الوقت نفسه كاهنا للإلهة كايلستس[3]. و ببكارية عثر على نقيشة نذرية تشير إلى الإله الأعظم[4]، الذي قد يكون ساتورنوس نفسه أو اله محلي آخر لانعرف عنه شيئا. وتظهر المعطيات الأثرية المتمثلة في النصب النذرية و الجنائزية أن عدد الاهداءات الموجهة للآلهة الرومانية كانت أكثر من تلك الموجهة لنظيرتها الليبية، كما يتضح بأن النخب البلدية من خلال النصوص النذرية لم تكن تفرق كثيرا بين الآلهة المورية و آلهة البانثيون الروماني-الاغريقي.[5]



[1] I.L.Alg,I, p283.
[2] Decret .F, Fantar .M, op.cit,p.256.
[3] C.I.L,VIII,2640 ;I.L.Alg,I,3000 ; Benabou. M, op.cit,p319. ;Camps.G, Qui sont les Dii Mauri,Ant.Afr,26,1990,p149. ;Camps.G, Dieux africains, Ency.Ber, XV,1995,p2336.
[4] AE,1933,63. : «***Deo Magno .Votum Solvit Victor .L(ibens) A(nimo)***»
[5] Camps.G, L' inscription de Béja et le problème des Dii Mauri, R.Af,98 ,1954,p237,240,243-244 ; Rives. J,op.cit,p113 ; Lassère.J-M, La vie religieuse,op.cit,p491.

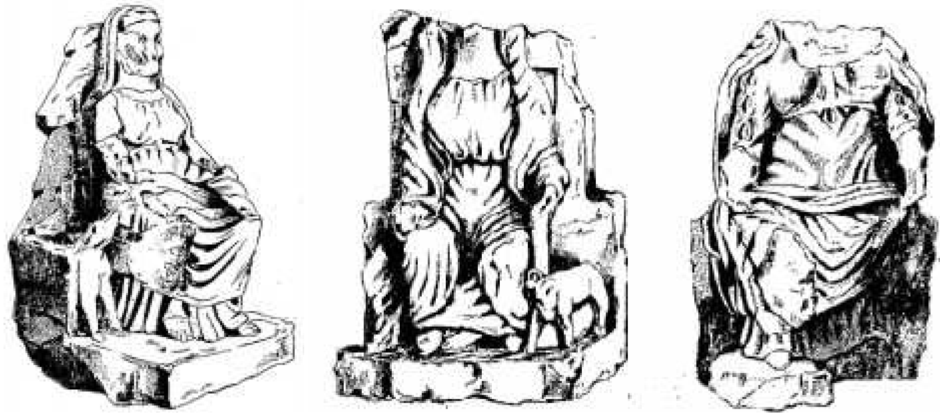
شكل رقم 19 : تمثال بدون رأس و قطع منحوتات خاصة بالاله ساتورنوس

المرجع: Farges.A, Simples réflexions, loc.cit, PL XXIV. Fig4 ;PL XXXI. Fig 37,41,42.



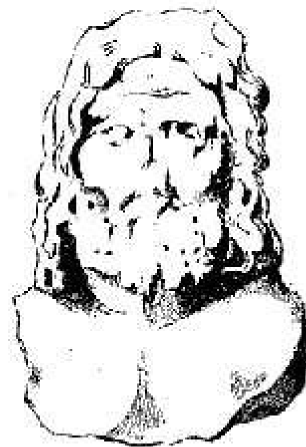
شكل رقم 19 : مخطط معبد ساتورنوس بهنشير الرهبان

المرجع : Farges.A, Simples réflexions, loc.cit, PL XXXII



شكل رقم25 : تماثيل للربة كايلستس في وضعية الجلوس

المرجع: Farges.A, Simples réflexions, loc.cit, PL XXIX. Fig 29,31 ; PL XXX. Fig 34.



شكل رقم 21: رأس تمثال لساتورنوس



شكل رقم22: تمثال لامرأة تحمل قرابين من الفواكه

المرجع: Farges.A, Simples réflexions, loc.cit, PL XXX. Fig 35-36.

صورة 03: تبسة الخالية

المعبد الدائري.

(تصوير الطالب)





صورة 03 :الحديقة الأثرية:

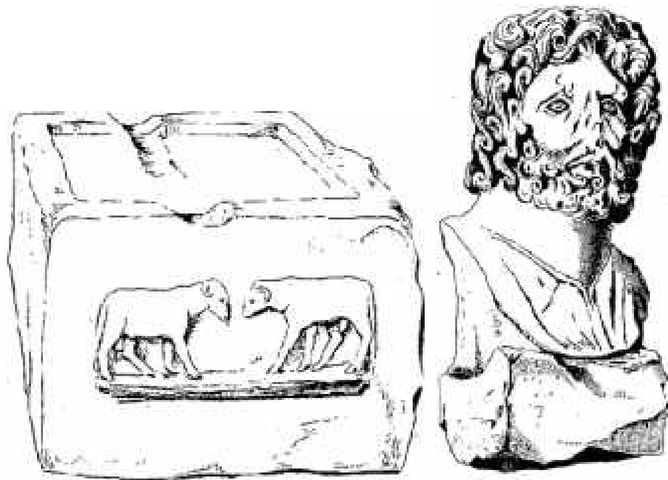
توابيت وصندوقيات (تصوير الطالب)



صورة رقم04 الحديقة الأثرية .نصب نذية

(تصوير الطالب)

هذا عن الناحية العقائدية للسكان، أما على مستوى الطقوس الجنائزية فنلاحظ تغير صيغ النصوص الجنائزية تبعا لتطور عقيدة السكان. حيث كانت تنقش على النصب المسطح من الأعلى خلال القرن الأول الميلادي معلومات المتوفى مثل اسمه و سنه وتاريخ و فاته ، دون أن تسبقها العبارة المشهورة "إلى آلهة الأرواح". ثم أعقبتها مرحلة ثانية صارت فيها هذه العبارة تتصدر النص الجنائزي مع محافظتها على خصائصها السابقة وظهور الصندوقيات إلى جانب النصب. وتشير بعض الأدلة الأثرية منها ما وجد بقصر تبينات على بعد عشرة كيلومتر جنوب غرب تبسة إلى ظهور نوع آخر من المعالم الجنائزية وهي المذبح .[1]



شكلان رقم 23-24

رأس تمثال لساتورنوس على اليمين و على اليسار قاعدة تمثال عليها نحت الحمل رمز ساتورنوس

المرجع: Farges.A,simples réflexions,loc.cit,PL XXVII,Fig22 ;PLXXIX. Fig30

[1] Lassère.J-M, Sur la chronologie, loc.cit,p155 ;Leglay. M, Junon et les Cereres d'après la stèle d'Aelia Leporina trouvée à Tébessa,Libyca,A-E,IV,1956,pp33-53.

أما المرحلة الثالثة فتجسدت في تطور هذا النوع الأخير و اتخاذه أشكالا متعددة مع استمرار وجود الصندوقيات جنبا إلى جنب معها دون أن يحدث أي تغيير على النص الجنائزي المنقوش عليها. و منذ منتصف القرن الثاني الميلادي و حتى نهاية عهد السيفيريين استقرت النصوص الجنائزية شكلا ومعنى[1]، غير أنها صارت حاضرة أكثر فأكثر على اللوحات الفسيفسائية خاصة خلال العهدين الوثني و المسيحي.[2]

و قبل أن نختم هذا العنصر الخاص بالديانة وجبت الإشارة إلى جانب آخر منها و هو وجود طقوس السحر الأسود و ممارسة الشعوذة بغرض الإضرار بالآخرين بين فئة من سكان المدينة ، مع أن هذه الظاهرة كانت محل تحريم وتعرض صاحبها إن ثبتت عليه لأقسى العقوبات في القانون الروماني تصل حد الإعدام حرقا[3]. ومهما كانت الأسباب التي دفعت بعض سكان المدينة إلى اللجوء إلى استعمال هذا النوع من السحر المؤذي لالحاق الضرر بغيرهم ، فقد كان المجتمع الروماني بالمدينة يستهجن علنا هذه الممارسات السحرية الشيطانية المنافية في نظره للدين و التي لا ترضى عنها الآلهة، باستثناء تلك غير الضارة التي يستعان بها في شفاء المرض أو استرضاء الآلهة لكي تحمي المحاصيل الزراعية أو تسقط المطر في وقت الجفاف.[4]

لقد عثر بتبسة في خمسينيات القرن العشرين على قطعة رصاصية عليها كتابة إغريقية تبين بعد ترجمتها أنها لعنة أو عبارة سحرية أرسلت على امرأة تدعى ساتورنينا. و يبدو أن صاحبة أو صاحب هذه اللعنة التي أطلقت على ساتورنينا و ذريتها كان يكن لها حقدا و عداوة شديدين لأسباب غير معروفة. و ما تضمنه النص وبعبارات عنيفة هو تمني بأن تصيبها كل الشرور و الآفات كالجنون و المس بروح شريرة و أن تقطع إلى عدة قطع حتى الموت.[5]

---

[1] Lassère.J-M, Sur la chronologie, loc.cit,p157.
[2] Kadria. F-K, Mosaïque funéraire inédite de Tébessa,Ant.Afr,17,1981,p244. ;Jaubert.J- M, Mosaïques tombales de Tébessa,R.Af, 71,1930, p414-419.
[3] Cod.Theod,XVI,10,1-2.
[4] Ibid,IX,16,3.
[5] Roesch.P, Une tablette de malédiction de Tébessa ,B.A.A,II,1966-67,p231-237. ;Février.P-A,Approches,II,op.cit,p17.

ثانيا–الديانة المسيحية:

1–دخولها و بداية الاضطهاد :

لا نعلم على وجه اليقين متى تسربت الديانة المسيحية إلى المدينة و لا كيف، لذا يعتقد البعض بأن هناك طريقين محتملين ، أحدهما رسولي من الناحية الجنوبية الشرقية بسبب وصول العناصر اليهودية التي تعرضت للاضطهاد بفلسطين و كان بين صفوفها عدد من المبشرين المسيحيين. أما الثاني فعن طريق الشمال قادما من روما[1].

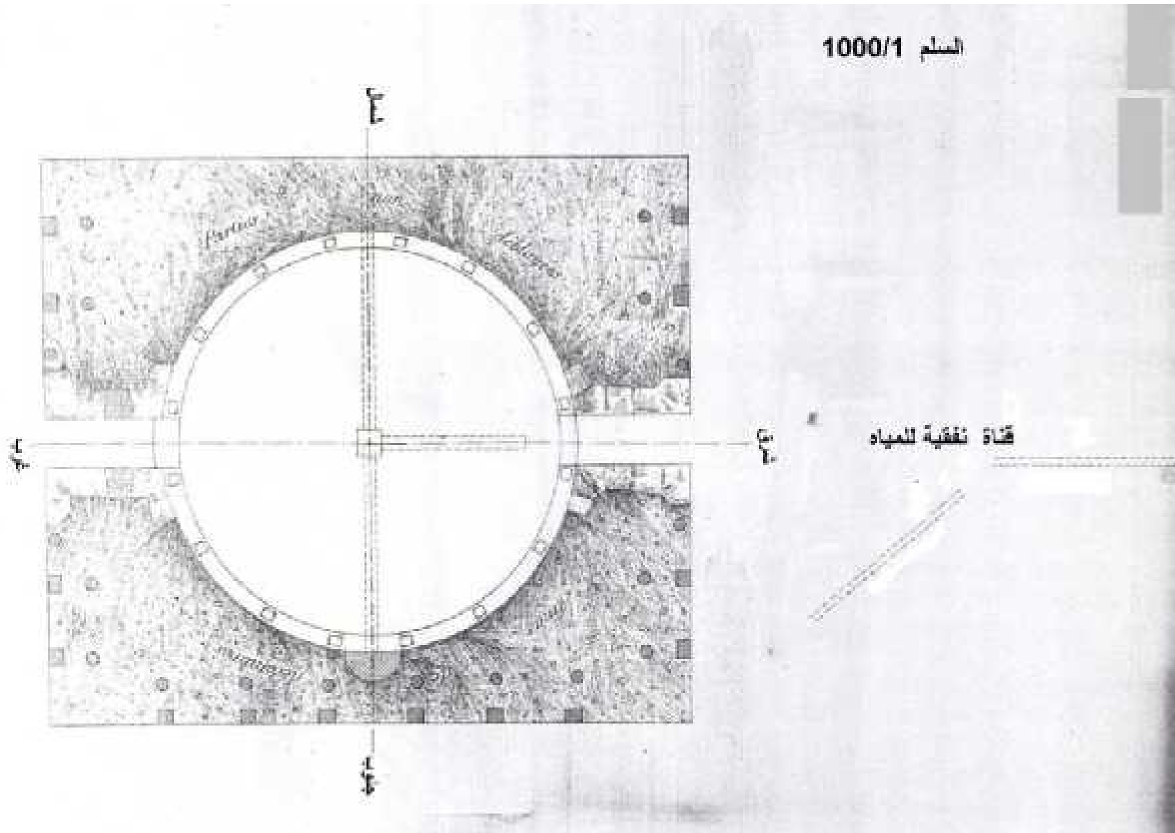
ونفس الكلام يمكن قوله عن الاضطهاد إذ لا ندري الضبط متى بدأ ضد العناصر المسيحية بالمدينة من قبل السلطة الرومانية والدوافع الكامنة وراء ذلك، غير أن المصادر المسيحية المختلفة سواء كتابات الأساقفة أو وثائق الشهداء أو قرارات المجامع الدينية لا تشير إلى أي حادثة قبل منتصف القرن الثالث الميلادي ، و هذا إن دلَ على شيء فإنما يدل على حضور قوي لهذه الديانة بالمدينة قبل هذه الفترة و انتشار عناصرها بأعداد كافية وقيامهم بنشاطات لفتت إليهم انتباه سلطات المدينة، لكنها لم تتخذ حتى ذلك الحين أي إجراء ضدهم لعدم الضرورة إلى ذلك. و رغم أن حملات الاضطهاد بدأت في مقاطعات و مدن أخرى قريبة من تبسة حوالي قرن قبل ذلك منذ عهد كومودوس ولاسيما في عامي 180م و188م ،إلا أن المدينة لم تسجل فيها حتى هذا التاريخ و لا بعده حوادث اضطهاد ولم يجري ذكر لأي شهداء بها.[2]

---

[1] Truillot.A, Autour de la basilique de Tébessa,loc.cit,p121-122.

[2] Toullotte .Mgr ,Géographie de l'Afrique chrétienne, I, Proconsulaire, Topographie Oberthun, Rennes-Paris, 1891,p235-236.

لذا وجب الانتظار حتى عهد الامبراطور فاليريانوس (أوت-سبتمبر253/جوان260م) حتى تطالعنا الوثائق المسيحية بأول إشارة عن بدء ملاحقة المسيحيين بمدينة تبسة على يد السلطة الرومانية[1]. و في حقيقة الأمر فان خلفيات هذا الاضطهاد و أسبابه المباشرة ليست واضحة تماما ، لكنها تدخل في الأسباب العامة التي اتخذها فاليريانوس ذريعة لشن حملة شعواء ضد الديانة الجديدة و أتباعها. فهذا الأخير حمَل المسيحيين مسؤولية الأزمات



شكل رقم25 : رفع معماري للمعبد الدائري بتبسة الخالية

المرجع:

Chedé , Fouilles à Tébessa Khalia,R.S.A.C,22, 1882,PL XVIII.

[1] Les Benédictains, Les actes des martyrs, Tome 3 Julien Lanier Editeur,Paris ,1859,p285.



شكل رقم26 : تمثال للإله بعل-ساتورنوس مع نقيشة نذرية

المرجع: Farges. A, simples réflexions, loc.cit,PL XXVIII, Fig 28.

الداخلية و الخارجية التي أصابت الدولة بسبب كفرهم بآلهتها مما جر غضب هذه الأخيرة عليها و تخليها عنها. فأصدر عددا من المراسيم الإمبراطورية في شهر أوت من عام 257 م و في جانفي من عام 258 م تحرم على المسيحيين عقد الاجتماعات الدينية و تلزمهم بالتضحية للإمبراطور و الآلهة .[1]

لقد قاوم المسيحيون هذه القرارات وحاولوا التصدي لها عن الطريق التمسك بعقيدتهم و رفض العودة إلى الوثنية أو ممارسة طقوسها رغم التهديد بالقتل و السجن و التعذيب[2]، و ترتب عن ذلك سقوط عدد كبير من الشهداء من بينهم أساقفة ورجال دين كبار في أهم مدن بلاد المغرب القديم مثل قرطاجة و هيبوريجيوس و كيرتا و توبوناي وغيرها[3].

ولقد كانت تبسة بدورها مسرحا لهذه الحملة الاضطهادية العنيفة التي هزت المجتمع المسيحي بها و دفعت عددا من ضعاف النفوس إلى الرضوخ لإجراءات سلطات المدينة أو ملاحقة الجماهير الوثنية الناقمة و الارتداد و لو ظاهريا عن دينهم و العودة إلى الوثنية. لكن في المقابل كانت هناك عناصر قوية الإيمان شديدة الاعتزاز

[1] Monceaux.P, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Tome II. Saint Cyprien et son temps ,Leroux, Paris, 1902,p18-22 ;Desjardins.V, Les saints et les Martyrs en Oranie sous la domination Romaine et Vandale, B.S.G.A.O, 68-69, 1947,p80-81.

[2] Jaubert. H, Notes, loc.cit,p114.

[3] Bertrand. L , Les martyrs africains ,Edition Publiroc, Marseille,1930,p97-123 ; Desjardins.V, loc.cit,p 134-137.

بعقيدتها راغبة في الارتقاء شهيدة ، لم تستلم للخوف و التهديد و أبت التخلي عن دينها وأعلنت أنها لن ترتد و لو تحت طائلة القتل.[1]

2- الشهداء:

أ-لوكيوس :Lucius

من هؤلاء الذين طالعتنا المصادر بأسمائهم و يعدون من الأوائل الذين سقطوا في سبيل عقيدتهم و أشارت إليهم وثائق الشهداءActa Martyrum نشير إلى رجل الدين الشهيد لوكيوس Lucius الذي

نفي من المدينة على يد السلطات بعد محاكمة صورية أجريت له رفض بعدها التخلي عن دينه، ضاربا المثل في الشجاعة و التضحية و تفضيل الموت في سبيل العقيدة. ولدينا بعض التفاصيل عن ظروف و تاريخ استشهاد لوكيوس من خلال ما طالعتنا به بعض المصادر المسيحية التي تكاد تتفق على أنه مات في نهاية سنة 258 أو مطلع سنة 259م[2]، و مثل تبسة في مجمع سنة 256 م حيث أمضى تحت الرقم 31 في سجلاته و أعلن حرمان البدعيين من الكنيسة و بطلان التعميد الذي يقومون به.[3]

فاستنادا إلى مضمون عدد من رسائل أسقف قرطاجة الشهير كبريانوس التي تبادلها مع مجموعة من الأساقفة و النوميديين وهم أسقفنا لوكيوس و فليكس و ليتيوس وفليكس آخر و بوليانوس و فيكتور و ايادير و داتيفوس و رفقائهم من الشمامسة و القسيسين وجواب هؤلاء عليه الذين نفتهم السلطات الرومانية إلى مناجم سيقوس لأجل القيام بأعمال السخرة إمعانا في تعذيبهم، نلاحظ إصرار لوكيوس على الدفاع عن عقيدته و استعداده لتحمل كل أنواع الإساءة و الحرمان و الآلام كثمن زهيد يدفعه مسرورا للترقي شهيدا ، سائلا من أسقف قرطاجة

---

[1] Saxer. V, Saints anciens d'Afrique du Nord, Tipografia Poliglotta Vaticana , Rome, 1979, p 104.

[2]Migne, Patrologie Latine,3, 1104 ; Saxer.V, op.cit, p104-105. ; Id., Morts Martyrs .Reliques en Afrique chrétienne au premiers siècles ,les témoignages de Tertullien, Cyprien et Augustin à la lumière de l'archéologie africaine, Edition Bauchesne, Paris,1980,p39,95.

[3] Jaubert.H, op.cit, p55.

الجليل أن يصلي لأجله ولأجل رفقائه من أجل الثبات على دينهم حتى الموت و شاكرا له المساعدات المادية التي بعث بها إليهم للتخفيف من معاناتهم.[1]

ب-ماكسميليانوس:Maximilianus

في نهاية القرن الثالث الميلادي اشتدت وطأة الاضطهاد الديني في عهد ديوكلتيانوس الذي دفعت سياسته السلطة الرومانية إلى ملاحقة المسيحيين بالمدينة ما خلف الكثير من الضحايا في صفوف المسيحيين بها. لكن حدته أخذت في الفتور بعد موته و مجئ أباطرة حاولوا تهدئة الأمور وتسكين النفوس، فسمحوا للمسيحيين ببعض الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية.[2]

ومن بين الذين سقطوا دفاعا عن دينهم وعقيدتهم و وثقتهم النصوص المسيحية فتى شاب من الطبقة المتوسطة يدعى ماكسميليانوس ابن الجندي المتقاعد فابيوس Fabius Victor الذي صار جابي ضرائب أحضره والده إلى مكتب التجنيد بتبسة. وكان البروقنصل ديونDion حضر للإشراف على

العملية ، وكان فابيوس و ابنه مسيحيان وهو ما لم يكن يتعارض مع حياتهما كمواطنين رومان يشاركان في كل مناحي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و العسكرية في الدولة الرومانية كما دافع عن ذلك الأسقف ترتوليانوس.[3]

ولذلك يظهر أن ماكسيميليانوس لم يبدي امتناعه الشديد عن الالتحاق بالخدمة العسكرية إلا بسبب ظروف قاهرة ، أو كان لاعتقاده بوجوب المشاركة في احتفال وثني كشرط لالتحاقه بالجيش و هو ما يتعارض تماما مع عقيدته كمسيحي[4]. و رغم أن الانخراط في الجيش الروماني كان تطوعيا، إلا أنه كان ابنا لجندي متقاعد و في هذه الحالة يفرض عليه القانون الروماني الانخراط فيه لهذا الاعتبار ولقاء الامتيازات التي حصل عليها والده عندما

---

[1] Cyprien, Lettres,76,1-7 ;78,1-3 ;79. Duchenne.L,Chronologie des lettres de S.Cyprien, collection Subsidia hagiographica,54,Bruxelles, 1972.

[2] Chaligne, Occupation romaine de l'Afrique, R.S.A.C,53, 1921-22,p42-43.

[3] Tertullianus, Apologétique,XLII,traduction de Genoude.E-A, Dubouchet, Paris,1852.

[4] Le Bohec. Y, Histoire romaine .Textes et documents. Les chrétiens et le service militaire, P.U.F,Paris,1997,p493-495.

تقاعد من الجندية. و عليه كان لزاما على ماكسيميليانوس المثول أمام البروقنصل، و ربما سعى لذلك بنفسه لأن تحمسه لدينه جعله يرى في هذا الاستدعاء فرصة لإظهار تمسكه بعقيدته بصورة علنية أمام الملأ.[1]

و يزودنا محضر المساءلة أو الاستجواب الذي خضع له ماكسيمليانوس باشراف البروقنصل ديون

بمعلومات قيمة عن نظرة السلطة الرومانية الوثنية للمسيحيين و موقفهم منها كمواطنين رومان لا يجب أن تمنعهم عقيدتهم من تأدية واجباتهم العسكرية نحو الدولة . هذا من جهة ، و من جهة أخرى تبرز لنا المحاكمة و الحوار الذي تخللها بين الشهيد ماكسيميليانوس و البروقنصل ديون والحكم بالإعدام الذي أعقبها ، إلى أي حد كان تمسك الأقلية المسيحية بتبسة بدينها و الاستعداد للتضحية بنفسها في سبيلها رغم تشدد المراسيم الإمبراطورية في التعامل مع حالات العصيان التي يبديها المسيحيون في المناسبات المختلفة.[2]

و لابأس في أن نورد هنا مقتطفا من مجريات المحاكمة التي خضع لها ماكسيمليانوس لاماطة اللثام عن كيفية دفاع العناصر المسيحية بالمدينة عن وجهة نظرها اتجاه السلطة الرومانية ، و الحجج التي دافعت بها عن مواقفها:

افتتح بومبيانوس المحامي الضريبي الجلسة بقوله أن فابيوس فيكتور حاضر برفقة فاليريانوس كوينتنيانوس المبعوث الإمبراطوري، و أطالب بأن يفحص ماكسمليانوس ويقاس طوله لصلاحيته المحتملة للخدمة العسكرية.[3]

-قال البروقنصل للمجند :ما اسمك. فرد : لماذا تريد معرفة اسمي ؟ لا يسمح لي بأن أصير جنديا لأنني مسيحي.

-ديون : مرروه على آلة قياس الطول. وفي أثناء ذلك احتج ماكسيمليانوس قائلا : لا يمكنني ذلك ، لا أستطيع فعل الشر، أنا مسيحي. وبعد إصرار من البروقنصل جرى قياسه و أعلن المكلف بذلك أن طوله يبلغ خمسة أقدام وعشرة ابهامات[4]. فأمر ديون بتسجيل اسمه ، لكن ماكسيمليانوس رفض . فخيره بين الخدمة أو الموت، فتمسك بموقفه قائلا: لن أخدم أبدا ، اقطع رأسي إن شئت فأنا لست جنديا لأحد بل جندي الرب وحده.[5]

---

[1] Monceax. P , *La vraie légende dorée.* Relations de martyre traduites avec introduction et notices, un volume.in 8°,Payot, Paris,1928,p259. ; Bertrand. L, op.cit, p209-210.
[2] Dupuch.V, Fastes sacrées de l’Afrique chrétienne, Tome I, Paris, 1849,p486-488.
[3] Bertrand. L, op.cit,, p211.
[4] ما يعادل 1.66متر ، و الحد الأدنى المطلوب لطول الجندي في الجيش الروماني هو 1.65متر
[5] Truillot. A, Autour,loc.cit,p128-133.

-رد ديون : من زرع هذه الأفكار في رأسك. فقال ماكسميليانوس: ضميري هو من ناداني، حينها توجه ديون نحو والده فيكتور قائلا: انصح ابنك ، فرد هذا الأخير :إنه يعلم تماما ما يفعله ، و لن يغير رأيه.

-ديون: كن جنديا و تقبل الرقعة المعدنية التي بها العلامة الممنوحة لك من الامبراطور.

-ماكسيمليانوس : لن أقبلها، أنا أحمل سلفا علامة ربي المسيح.

-ديون و قد نفذ صبره: سأرسلك الساعة إلى ربك المسيح. فقال ماكسيمليانوس : افعل ذلك بسرعة فذاك ما أبتغيه.[1]

-ديون موجها كلامه إلى المكلف بالتجنيد :سجلوه. فرد ماكسيمليانوس بإصرار: لن أقبل علامة الجيش ، وإذا علقت على رقبتي فسأنزعها فهي لا تعني لي شيئا ،و باعتباري مسيحي لا يسمح لي بوضع قطعة رصاص حول عنقي ، فقد تلقيت مسبقا علامة المسيح المقدسة . هذا المسيح الذي تنكره و الذي تألم من أجل خلاصنا ، وأرسله الرب إلى الموت تكفيرا عن خطايانا ، هو من نخدمه نحن المسيحيون و نتبعه لأنه أمير الحياة و رمز السلام.[2]

-قال ديون : التحق بالجيش و تلقى رقم تعريفك أو ستلقى ميتة بائسة. فأجابه : كلا ، لن أموت فاسمي مذكور بجانب الهي ، لا يمكنني أن أصير جنديا. فرد ديون: فكر في شبابك وكن جنديا، شاب مثلك خلق ليكون كذلك. فقال ماكسيمليانوس : أنا أخدم الرب ، و لايسعني القتال في الدنيا، لقد قلتها مرارا أنا مسيحي.[3]

حينئذ أعلن ديون أنه في ظل حكم الامبراطورين ديوكلتيانوس و ماكسيميانوس و القيصران كونستانسيوس و ماكسيموس غاليريوس يوجد جنود مسيحيون يخدمون في الجيش، و هناك فيلق كامل من ستة آلاف رجل يدعى الفيلق الطيبي مؤلف كله من المسيحيين جيء به من الشرق لدعم قوات ماكسيميانوس. وهؤلاء الجنود كانوا

[1] Saxer.V, Les saints d'Afrique dans le martyrologe romain,Paris,1979, p57-60.
[2] Bertrand. L,op.cit, p212-213.
[3] Ibid., p213.

يتميزون بالشجاعة و الإقدام في المعارك ولم يكونوا يرون تعارضا بين خدمة المسيح و خدمة القيصر. و يبدو أن ماكسيمليانوس كان على دراية بتعاليم الانجيل ، و يعلم إذن أنه بوسع المسيحي الانخراط في الجيوش الرومانية.[1]

غير أنه من ناحية أخرى كان على إطلاع واسع بمدى خطورة حياة الجنود و المعسكرات على عقيدته وإيمانه، فواجه ديون بحقيقة أنه سيكون مجبرا دوما على القيام بأفعال ليس أقلها المشاركة في الطقوس الوثنية إذا أمر بها قادة الفرق إذا كانوا وثنيين مثل إراقة الخمر أمام تماثيل الآلهة[2]. أو وهو الأخطر الانصياع للأوامر في أيام الاضطهاد و المشاركة القسرية في اعتقال وتعذيب وقتل المسيحيين الآخرين دون إمكانية رفض الأوامر العسكرية لأن ذلك قد يعني الموت. وما حدث للفيلق الطيبي الذي أبيد بكامله على يد ماكسميانوس بعد رفض جنوده قتل إخوانهم في الدين خير دليل على ذلك. وأن أولئك الجنود أحرار في فعل ما يشاءون، أما هو فمسيحي فعلي و لا يمكنه الخدمة.[3]

فقال ديون: أولئك الذين يخدمون، ما الضرر الذي يرتكبونه. فرد ماكسيمليانوس : أنت أدرى بذلك مني.

فأنذره ديون للمرة الأخيرة بقوله : التحق بالجيش ، و إذا احتقرت الخدمة العسكرية سأعاقبك بالموت.

فأجابه: لن أموت و ستعيش روحي مع سيدي المسيح. حينها أمر ديون بمحو اسمه و خاطبه قائلا :

بسبب انعدام روح الانضباط و جرأتك و رفضك الخدمة العسكرية ، سيحكم عليك بالإعدام بقطع رأسك لتكون عبرة لغيرك. فصرخ ماكسمليانوس : لله الحمد.[4]

لقد كان عمره واحد وعشرون عاما و ثلاثة أشهر و ثمانية عشر يوما. و عندما اقتيد إلى ساحة تنفيذ الحكم وجه دعوة للجماهير المسيحية الواقفة قائلا: إخواني الأعزاء سارعوا بكل قوة عزائمكم من أجل بلوغ الغاية الأسمى و هي رؤية المسيح ونيل تاج الشهادة مثلي. ثم التفت ووجهه يتلألأ نحو أبيه وقال : أعطي للجلاد

---

[1] Ibid., p214. ; Jaubert. H, op.cit,p139-147.
[2] Aube.A, Histoire des persécutions de l’église,Paris,1878,p276 ; Id., les chrétiens dans l’empire romain des Antonins au milieu du II siècle(180-249), Paris,1881,p245.
[3] Bertrand. L,op.cit, p214-216.
[4] Lancel.S, Mattel. P, Chrétiens des premiers siècles en Algérie, Paris,1979, p24.

ملابسي الجديدة التي اقتنيتها لي لأجل الخدمة العسكرية. و أرجو أن تنال أنت أيضا ثواب الشهادة حتى استقبلك في ملكوت السماء و نبجل الرب معا. و مباشرة بعدها قطعت رأسه في 12 مارس 295م.[1]

ولقد استطاعت سيدة من الطبقة العليا بالمدينة تدعى بومبيا الحصول على جثمانه وقامت بنقله إلى قرطاجة أين دفنته بجوار قبر الأسقف كبريانوس، وبعد موتها دفنت بدورها بجواره. ويعد المسيحيون ماكسيمليانوس شهيد تبسة واحدا من أبرز الشهداء الذين قدمتهم كنيسة بلاد المغرب في نهاية القرن الثالث الميلادي في سبيل تثبيت دعائمها، ومثالا عن بذل النفس رخيصة في سبيل رفع مثلها و تعاليمها. و يتجلى ذلك واضحا في أن سبب إعدام هذا الشهيد لم يكن بسبب رفضه للخدمة العسكرية، لأن القانون لم يعد يعاقب على ذلك بالإعدام ، كما وأن باب التطوع كان يسد حاجة الجيش من الجنود. بل لأنه أعلن مسيحيته بكل قوة واعتزاز أمام السلطات وهو ما لم يغفره له البروقنصل الذي رأى فيه تحديا للدولة ولسلطته بشكل خاص.[2]

ج- كريسبينا :Crispina

من ضحايا الاضطهاد الديني بتبسة أيضا خلال حكم ديوكلتيانوس نذكر الشهيدة كريسبينا أصيلة تاور ة Tahgura التي حكم عليها البروقنصل أنولينوس بالاعدام في 05ديسمبر عام 304م بسبب رفضها الانصياع للمرسوم الامبراطوري الرابع الصادر بتاريخ 06جوان 304م و القاضي بوجوب التضحية للامبراطور وللآلهة الوثنية.[3]

هذا القرار الأخير في عهد ديوكلتيانوس كان يستهدف جميع المسيحيين بدون استثناء وتشدد معهم في مسألة تقديم القرابين، وأدى ذلك إلى سقوط العديد من الشهداء منهم خيرة رجال الدين الذين قضوا تحت التعذيب . لكن بالمقابل كان هناك المئات من ضعاف النفوس الذين لم يقاوموا الاضطهاد و استسلموا منذ الوهلة

---

[1] Monceaux. P, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, III. Saint Optat et la polémique donatiste, Leroux, Paris,1915,p114-118.

[2] Ibid., p219.

[3] Decret .F, Fantar .M, op.cit,p.286 ; p293-394.

الأولى و رضوا بأن يشاركوا الطقوس الوثنية و هنالك من ذهب حتى إلى تسليم الكتب المقدسة، مما جعل البقية الصامدة تنعتهم بالمرتدينLapsi.[1]

بيد أن كريسبينا لم تكن من النوع الذي يتهرب من المواجهة، فأجوبتها لأسئلة القضاة كانت تنبئ عن كرم محتدها الروماني و اعتزازها الشديد بدينها الذي جعلها تبذل مكانتها و ثروتها الكبيرة في سبيل مساعدة المستضعفين و الفقراء من المسيحيين الآخرين الذين جعلتهم مكانتهم الاجتماعية البسيطة عرضة لانتقام السلطة و متابعاتها، بخلاف أولئك الذين ينتمون للطبقة الأرستقراطية الرومانية التي كانت توفر لهم بعض الحصانة من بطش السلطات.[2]

لقد كان آل أنيكيوس عائلة كريسبينا من كبار الملاك في عموم بلاد المغرب و المقاطعات الأخرى، و كانوا يحوزون ضياعا واسعة بتاورة و تبسة يشتغل فيها عدد كبير من العمال و العبيد المسيحيون على غرار سادتهم. وكان استهداف هؤلاء السادة يعني في نفس الوقت ضرب أولئك الأتباع في معيشتهم وعقيدتهم، و من هنا نفهم أن سبب توقيف كرسبينا المسيحية الثرية و المتنفذة و جرها للمحاكمة أمام البروقنصل لم يكن لشخصها فقط، و إنما كذلك لتجريد المسيحيين من السند المادي و المعنوي الكبير الذي كانت تقدمه العائلات المسيحية الكبيرة للديانة الجديدة.[3]

لقد مثلت كرسبينا لوحدها أمام البروقنصل أنولينوس في فوروم تبسة في نفس اليوم الذي كان يحاكم فيه رفقائها الاثنا عشر في مدينة تاورة. و لاشك في أن مكانتها الاجتماعية المرموقة هي التي دفعت السلطات إلى إفرادها بمحاكمة خاصة بها[4]. وقد كشفت مجريات المحاكمة عن قوة و ثبات هذه المرأة وأسباب رفضها التضحية للأباطرة ، حيث لم تتوانى عن إظهار احتقارها لهم ولمحاولتهم فرض عبادتهم على الناس و الارتفاع إلى مقام الرب بقولها للقنصل بعبارة مهينة: ما هي هذه الأوامر الصادرة عن الأغسطان. فرد : إنها تفرض عليكم تقديم الأضحية لآلهة الدولة. فقالت : أنا لم أقدم القربان إلا للإله الحقيقي و لسيدي المسيح ابنه الذي ولد وتحمل

---

[1] Courlot .Mgr, Saints d'Afrique , S.A.P.I, Tunis,1930,p 161-162.
[2] Ibid., p183. ; Jaubert. H,op.cit,p153-157.
[3] Ruinart, Acta martyrum sincera, Paris, 1689,p 494. ;Courlot .Mgr, op.cit, p184.
[4] Truillot. A, Autour,loc.cit,p135-142.

الآلام من أجلنا. فذكرها البروقنصل بالعادات القديمة التي طالما احترمها الأسلاف، وهل تريد نكران ماضي روما، وشدد على صرامة القوانين وأن الموت ينتظر من يخالفها.[1]

لكن المرأة المؤمنة لم تخضع لتلك التهديدات و لا لذلك الخطاب و ردت بأنها تعبد الرب و لا تعرف غيره و مهما يحدث لها فايمانها به لا يتزعزع و مستعدة للتألم لأجله[2]. فأجل أنولينوس حينذاك قراره طيلة سنتين طمعا في أن تضعف و ترجع عن دينها ليجعلها مثلا و يحبط من مقاومة الآخرين. فحلق رأسها و شهر بها أمام الناس لينال من عزيمتها ، و ليضغط أكثر خوفّها بما فعله بمسيحيي مدينة تبوربة منذ ستة أشهر خلت. وهوّن عليها الارتداد عن دينها بأن الجميع بافريقيا فعل ذلك.[3]

غير أن كل ذلك لم يفت في عضدها و اقتنع البروقنصل بأنها لن تغير موقفها و أن هذا الجدال معها بلا طائل ، فأصدر أمره لكاتب الجلسة بأن يدون قرار الحكم بالإعدام، فصرخت المرأة شاكرة المسيح الذي منحها مثل ذلك الشرف و خلصها من أيدي الوثنيين.[4]

و يظهر أن المسيحيين بعد أن تمكنت ديانتهم في المدينة خلدوا ذكرى هذه الشهيدة بأن بنوا كنيسة كبرى خارج المدينة تعد من بين أجمل الكنائس ببلاد المغرب. وداخل سورها اكتشفت العديد من القبور حول قاعة مثلثة احتوت تابوتا استرعت نقوشه نظر الباحثين الذين خلصوا بعد دراسة إلى أنه يمثل مشهد استشهادها ، و ذلك المعبد شيد فوق قبرها. و مما يدعم هذا الرأي و جود قبر لامرأة تدعى بترونيا وهي قريبة كريسبينا سعت لتدفن بجوارها. ويحتمل أنها كانت هي و امرأة أخرى من نفس العائلة تدعى بروبا فاحشة ا الثراء عرفت حسب الأسقف أغسطينوس بتبرعاتها المهمة للكنائس، وراء بناء هذه الكنيسة فوق قبر قريبتهم الشهيدة الذائعة الصيت.[5]

د- شهداء آخرون :

---

[1]Ruinart, op.cit, p185.

[2] Augustin, Sermon,IV,CCCLIV,III-IV. Perone et autres, œuvres complètes de Saint Augustin évêque d'Hippone, traduit en français et annotés par Perone et autres ,tome19, librairie de Louis de Vive,Paris, 1873.

[3] Ruinart, op.cit, p185-186.

[4] Monceaux. P, H.L.Af. Chr, IV. Le Donatisme, Leroux, Paris,1912,p50-52.

[5] Ruinart, op.cit, p187.

تتميز تبسة و نواحيها بوفرة منقطعة النظير في الآثار و البقايا المرتبطة بالشهداء المسيحيين، وقد ساعدت استطلاعات الرائد غينان و من جاء بعده من الأثريين نهاية القرن 19م في الكشف عن العديد من قبور و أضرحة الشهداء وأطلال الكنائس التي بنيت تخليدا لذكراهم و التي يعود معظمها إلى القرنين الثالث و الرابع الميلاديين ، و هي الفترة التي شهدت انتشارا واسعا لظاهرة تقديس الشهداء.[1]

أول هؤلاء نصادفهم بمدينة تبسة بحد ذاتها، إذ عثر على فسيفساء وسط عدد من غطاءات القبور تزين أرضية الحنية الشرقية للكنيسة الصغرى المثلثة تحتوي أسماء لقديسين شهداء دفنوا بها بتاريخ 22 ديسمبر وهم هيراكليوس دوناتوس، زيبوك، سكونديانوس، فيكوريانوس ، بوبليكيا و ميجان[2]، الذين استشهدوا حسب دراسة تاريخ اللوحة الفسيفسائية في مطع القرن الرابع الميلادي[3].وحولهم عدد من الأشخاص الذين حرصوا على أن يدفنوا بجوارهم تبركا بهم ، نذكر منهم القارئ دوناتوس و الشماس فيكتور وامرأتين سبتيميانا و فلورنتينا.[4]

و إلى نفس الفترة (القرن 4م) يعود كل من الشهداء مجينوس، جرمانيلا، إنوكنتيا بهنشير الغيس، إيوليانوس. بهنشير الأغوات[5]. وبغرب تبسة عند هنشير حماشة نجد الشهداء الذين وصفتهم النقيشة بالغرباء أو الأجانب وهم على التوالي ميتون ابن سكونديوس و باريك و ميغين و دوناتوس و فليكس ابن كرسكنتيانوس وايادير ابن مينوكيوس و ستيدينوس ومجينوس ابن ستيدان[6]. أما بالجنوب الغربي من المدينة فنجد بهنشير البقار أو هنشير فرعون[7]، أضرحة عدد من أهم الشهداء منهم مونتانوس، بريموس و كوينتازيوس[8]، و بهنشير مقرون

[1] Monceaux .P, Inscriptions chrétiennes du cercle de Tébessa, R.S.A.C,42,1908, p209-233 ;Jaubert. H, op.cit,p216.

[2] Février.P-A, Nouvelles recherches dans la salle tréflée de la basilique de Tébessa,B.A.A,III,1968,p176-177. ; Duval.Y, Loca Sanctorum Africae.Le culte des martyrs en Afrique du VIe au VIIe siècle,Tome I, Collection de l'école française de Rome 58, Paris, 1982,p123-126. : « ***IX Kalendas ianuarius memoria sanctorum Heracli, Donati, Zebbocis, Secundiani,Victoriani,, Publiciae, Meggenis*** ».

[3] Leschi . L,Notes , op.cit,p126-128. ;Duval.N, Les mosaïques funéraires d'Algérie comparée à celle de Tunisie, Corsi di cultura dell'arte ravennate e byzantina,1970,p156-157.

[4] Février.P -A, Deux inscriptions, loc.cit,180-181.

[5] C.I.L.VIII,2119 ;Gsell.St, Musée de Tébessa,p10 ;Tissot.Ch,op.cit,p208-210.

[6] Gsell.St, A.A.A, F28.n°255. ; Duval.Y,op.cit,p135-138. : « ***Mettvn Secundi Donatvs Miggin Baric Felix Crescentiani[I]ader Minvci Stiddin Miggin Stiddin[is] Nomina m[a]rtiru pere[gr(inorum)]*** »

[7] Gsell.st,A.A.A,F40.n°123.

[8] Duval.Y,op.cit.,p130-131, : « ***Memoria Sancti Montani*** » ; p132 : « ***Hic memoria sanctorum Primi et Qvintasi*** »

الشهيدان باولوس و بتروس[1]، و بعين غراب نجد ضريح الشهيد أمريتوس[2]. وغير بعيد عن هذا الأخير نصادف بعين سقار ضريحا آخر مهم شيد تخليدا لذكرى شهيد لا يظهر اسمه بسبب ضياع جزء من نص النقيشة[3]. أما بيوكس الحمامات فقد عثر على قبر لشهيد يدعى كالونديو لا نعلم تاريخ استشهاده[4].و هناك أيضا الشهيد فاراجيوس و رفقائه بهنشير جنان خروف[5].

هذا بالنسبة للقرن الرابع، أما القرن الخامس الميلادي فقد انتشرت فيه أضرحة وقبور الشهداء و القديسين بصورة أكبر مما كان سائدا في الفترة السابقة بسبب رسوخ المسيحية كديانة معترف بها رسميا، وسعي المسيحيين إلى الاحتفاء بشهدائهم الذين كان موتهم سببا في انتصارها و بقائها. وتشير الرموز المسيحية المميزة لهذا القرن و المكتشفة في منطقة تبسة إلى انتشار جغرافي واسع لقبور الشهداء و اهتمام بالغ بتزيينها وزخرفتها . ففي تبسة نفسها يوجد ضريح للشهيدان بكنتيوس و كرسبينا[6].

وبقصر أولاد زيد نصادف دوناتيانوس ورفقائه ، وبرويس على بعد 28 كلم جنوب غرب تبسة نصادف ضريحا للشهيدات دوناتيلا، سكوندا و ماكسيما أشرف على بنائه فاوستينوس أسقف مدينة تبسة[7]. كما اكتشف بنفس المكان قبر لشهيد آخر يدعى ايانياريوس بني من طرف امرأة تدعى مونيكا ومقاول يسمى

---

[1] De Rossi J.-B., *Inscriptiones Christianae Vrbis Romae*,4241. Nova series, vol II, Pontifici Institutum Archeologiae Christianae, Romae, 1935.

[2] C.I.L.VIII,2220,16660,10665,10686,16741 ,10693,17607-8 ;Monceaux.P, Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Imprimerie nationale, Paris, 1907,p47.n°251 ;p48.n°252 ; p49.n°253 ; pp50-52.n°254 ;p66.n°264 ;p67.n°265 ;p68.n°268 ;p69-70.n°269 ;

[3] C.I.L.VIII,10701 ,17617.

[4] C.I.L.VIII,16743 ; Tissot.Ch,op.cit,p212. ; Gsell.St,A.A.A,F28.n°253 ; Jaubert. H, op.cit,p.164. ; Duval.Y,op.cit.,p134-135: «† ***Nome(n) martv/ris Calendioni/s.Aiutesqui bot/um compleberu/t*** †».

[5] Gsell.St,A.A.A,F51.n°44. ; Guenin, Inventaire.loc.cit,p101. : « ***III idus iunias natale sancti Varagi et comit um eius***»

[6] AE,1906,139.

[7] CIL.VIII,27958 ; I.L.Alg,I, 3670 ; AE,1967,553.Monceaux.P, op.cit, p175-176.n°336.: «**M† *Posita a d(o)m(in)o patre Faustino episcopo, urbis Tebestinae sub die V idus apr(iles)......*» .**; Duval.Y, Evêques et évêchés d'Afrique .Ce qu'on en ignore, Etudes Augustiniennes, XXVI,1980,p229-230 ; Duval.N, Sur la date de déposition des reliques africaines,B.A.A,I,1962-65,p184-185.

أدريانوس[1] . وعلى مقربة بعين كملال عثر على ضريح لعدد من الجنود الشهداء قتلوا في نهاية القرن الثالث الميلادي كانوا ينتمون لكتيبة ارميجريوس للفرسان الشبان. وبهنشير عجاج تمت إعادة دفن رفات الشهيد الشماس كلسوس.[2]

و بتبسة الخالية كشفت الحفريات عن منشأة دينية بها ثلاث حنيات متفاوتة الأبعاد تشبه في مخططها العام وعناصرها الهندسية و الزخرفية كتيجان الأعمدة مثلا عددا من أضرحة الشهداء التي نصادفها في نواحي مفترقة من المدينة مثل هنشير فرعون.[3]

3 –تشييد الكنائس: –

لقد سعت العناصر المسيحية منذ البداية إلى بسط سيطرتها على المعالم الدينية الوثنية بتبسة الخالية بسبب أهميتها الكبيرة وتحويلها إلى أماكن عبادة لهم لاسيما المعبد الدائري. لذلك يظهر التنقيب الأثري آثار تعديلات جوهرية في المنشآت الرومانية العائدة للقرن الرابع الميلادي خاصة على مستوى الجدران و الأسس. لذا فالكنائس التي تم الكشف عنها لم تكن في الأصل سوى منشآت مدنية أو دينية وثنية عدلت لتناسب متطلبات الديانة المسيحية، ومحيت منها كل النقوش التي تشير إلى ماضيها الوثني، لكن ظلت موضع اهتمام و عناية طيلة الفترة المسيحية وصولا إلى العهد البيزنطي أين مسها الهدم و حولت إلى منشآت دفاعية.[4]

ونسجل منذ القرن الثالث انتشارا للمعالم المسيحية كالكنائس والأسقفيات بكثافة واسعة في النواحي القريبة كنتيجة لحركة تشييد واسعة قام بها المسيحيون بتبسة وما حولها بعد أن باتت الظروف السياسية و الدينية تسمح لهم بممارسة شعائرهم . ولدينا في تبسة الخالية آثار أربعة كنائس ذات أحواض و معمدانيات تقع الأولى في الشمال الغربي(40م×8.50م) شيدت في منتصف القرن الرابع، أي أنها معاصرة لكنيسة تبسة الكبرى[5] .

---

[1]Monceaux.P, Enquête, op.cit, p228.n°38 ;Jaubert. H, op.cit,p178. : ***«†Laboravit c(alendas) ivlia(s) d(e)i ma(r)tvr Ianua(rivs).Monnica f(ecit) ex of(f)icina Adriani*** »

[2] Jaubert. H, op.cit,p177. : « ***Me(mo)ria Armigerorum (v)otum comple(v)it De(o) g(ratia)s***».

[3] Duval.N,Cintas.J, Etudes d'archéologie chrétienne Nord-Africaine III. Le martyrium de Cincari et les martyria triconiques et tétraconiques en Afrique, M.E.F.R,88,1976-2,p710-717.

[4] Boucher.J-P, Loc.cit,p 17, p22.

[5] Chaligne, occupation, loc.cit,p43.

و الثانية في الشمال الشرقي(18×25م)و تعود لمطلع القرن الخامس الميلادي وتم تجديدها وبناء سور كبير حولها. و الثالثة غرب الكنيسة الثانية(8.80×8م). أما الرابعة فنجدها في الناحية الشمالية (14.40م×9م) وقد بنيت في نهاية القرن الرابع الميلادي في نفس الوقت الذي هدمت فيه الكنيسة الأولى ربما بسبب اضطرابات دينية. هذه الآثار علاوة على كنيسة هنشير فرعون الهامة تشهدان على تعمق هذه العقيدة لدى سكان المدينة وسعيهم لخدمتها بإنشاء مختلف دور العبادة الخاصة بها.[1]

زيادة على ذلك شيد عدد من الكنائس الأخرى بنواحي تبسة منها واحدة بالجنوب عند هنشير الذهب يظهر من خلال التنقيب الذي أجري سنة 1936 على يد لوي ليشي و لاووت في الحنية و حوض التعميد أنها تعرضت لحرائق أدت لتدمير جزء منها. كما رصدت بقايا عظام داخل صندوق خشبي وضع بدوره داخل علبة من النحاس الفضي ، الكل داخل صندوق حجري وضع في قبو أسفل المذبح على عمق متر و نصف ومغلق ببلاطتين حجريتين إحداهما مختومة بالرصاص. ويبدو إذن من هذا الحرص على إخفاء تلك العظام أنها مقدسة لأحد الشهداء. وبعد تخريبها قام المسيحيون عوض إعادة بنائها بتهيئة مكان آخر للعبادة في قاعة المعمدانية التي اتخذوها غرفة لحفظ الأدوات الطقسية و المقدسة.[2]

و بهنشير البقار أو هنشير فرعون تشير نقيشتان إلى أن الكنيسة بنيت على شرف أحد الشهداء يدعى فليكس[3]. كما بنيت عدة كنائس أخرى تتضمن أحواض لا نجدها عادة في البازيليكات المسيحية، و يبدو أن





[1] Boucher.J-P, Loc.cit,p7-17 ; Duval.N, Encore les « Monuments A Auges » d'Afrique .Tébessa Khalia,Henchir Faraoun,M.E.F.R.A,88,1976-2,p933-948,p957-959.
[2] Duval.N,Cintas.J, Etudes, loc.cit,p24.
[3] Monceaux. P, Les inscriptions chrétiennes du cercle de Tébessa, R.S.A.C, XLII,1908, p232.n°46-47

06 07: توابيت حجرية وثنية ومسيحية محفوظة في ساحة المتحف 2
(الكنيسة الفرنسية سابقا) والحديقة الأثرية

وجود هذه الأحواض فسر حسب عدة باحثين مثل بالو و صالاداان و دييل بأنها تابعة لاصطبلات بنيت لاستقبال حيوانات المسافرين الذي كانوا يؤمون هذه الكنائس للزيارة و التبرك لقدسيتها باعتبارها مراقد الشهداء المسيحيين الأوائل.[1]

وتشير الوثائق الكنسية مثل قرارات المجامع الدينية إلى أن تبسة كانت مقر أسقفية في القرن الثالث الميلادي بدليل مشاركتها في السجالات الدينية و الصراعات المسلحة التي اندلعت بين أنصار المذهبين الكاثوليكي و الدوناتي. ويمكن قول الشيء نفسه عن مرسط (فازامبوس القديمة) التي وجدت آثار كنيستها المتوسطة الأبعاد.[2]

4 –الأساقفة:

عرفت مدينة تبسة عددا من الأساقفة الذين شاركوا في الأحداث الدينية الرئيسية التي عرفتها بلاد المغرب القديم، لاسيما مجمع قرطاجة الذي انعقد عدة مرات لمدارسة المشاكل التي طرأت التي الكنيسة الكاثوليكية وحل الخلافات المذهبية التي تكاد في كل مرة تعصف بوحدتها الدينية. وبفضل قرارات و محاضر هذه المجامع استطعنا التعرف على عدد من أساقفة تبسة في فترات معينة من تاريخها مثلوها في هذا المجمع وغيره من المجامع .و هناك أساقفة وردت أسمائهم على النقوش فقط، ورغم ذلك تظل المعطيات عن دور هؤلاء في الحياة الدينية للمدينة شبه معدومة بسبب سكوت المصادر عنها. ويبرز الجدول التالي أسمائهم و الفترة التي عاشوا فيها:

- جدول رقم 26:أساقفة تبسة المعروفون :

[1] Duval.N, Duval.Y, Fausses basiliques (et faux martyrs) :Quelques «Bâtiments à Auges » d’Afrique, M.E.F.R.A,84,,1972-1, p 677-690,p707-710.

[2] Toullotte (Mgr) ,Géographie de l’Afrique chrétienne, III, Numidie, Topographie Oberthun, Rennes-Paris, 1894,CLIV,CLXXXV. ;Morcelli.A, Africa Cristiana,VI,ex officina Bettoniana, 1816,p308.

الأسقف	الفترة/ المجمع	المرجع
Luciusلوكيوس	255م	Morcelli.A, op.cit,p309;Jaubert.H,op.cit,p101
Ianuariusايانياريوس	256م	Ibid., p309.
RomulusTebestianusرومولوس[1]	348م	Mesnage.J,L'Afrique Chrétienne. Evêchés et ruines antiques,Leroux,Paris,1912,p379.
Urbicus episcopus Plebis Tebestinaeأوربيكوس	411م	Ibid.,p379.
Perseverantius Thevestinusبرسيفيرانتيوس(دوناتي)	393م/411م	Augustin,In naratione in Psalmis,36,2,20.[2]
Palladiusبالاديوس	ق4م	C.I.L,VIII,2009.
Felix Tebestinusفليكس	484م	Morcelli.A,op.cit,p309.
Faustinus فاوستينوس	؟	C.I.L,VIII,2079=16684.

---

[1] لقد اكتشف تابوت هذا الأسقف عام 1868 م داخل الكنيسة الكبرى و استخدم كمذبح للكنيسة الفرنسية يراجع:
Truillot.A, Une nouvelle hypothèse sur le sarcophage chrétien de Tébessa, R.Af,76,1935,p15-16. ; Jaubert.Ch, Anciens évêchés, loc.cit,p86-87.

[2] Oeuvres complètes de Saint Augustin, traduites pour la première fois en français, sous la direction de Raulx. M, Bar-Le-Duc,. Guérin et Cie Editeurs, Paris, 1868. ;Jaubert.Ch, Anciens évêchés ,loc.cit,p90.

رغم ذلك ليس لدينا المعلومات الوافية عن تاريخ المدينة الديني بكل تفاصيله لأن المصادر المسيحية أو غيرها لم تقف إلا عند الأحداث المهمة التي كانت مسرحا لها. لذا فمما يمكننا الإشارة إليه بهذا الشأن

أن تبسة صارت ميدانا للصراع بين أساقفة المذهب الكاثوليكي و خصومهم الدوناتيين الذين لا نعلم تحديدا متى ظهروا بالمدينة. و لا ريب في أن مكانة المدينة الدينية و كنيستها المشهورة كقبر لأعظم الشهداء اجتذبت الدوناتيين منذ ظهور مذهبهم إليها وسعوا لأن يسيطروا عليها. وقد جرت العادة منذ اندلاع الخلاف بين الطرفين أن يكون في كل مدينة– أسقفية أسقفان كاثوليكي و منافسه الدوناتي، و تظهر محاضر المجامع الدينية العامة و الإقليمية حضور الجانبين وتمثيلهما للمدينة ودفاعهما عن صحة عقيدتهما و مذهبهما. و لدينا على الأقل مثال واحد وهو مجمع قرطاجة عام 484م الذي مثلت فيه تبسة المنتمية من الناحية الكنسية إلى مقاطعة نوميديا بأسقفين الكاثوليكي أوربيكوس المسجل تحت رقم 28 ضمن أساقفة كنيسته و الدوناتي برسيفيرانتوس المسجل تحت الرقم 19.[1]

ويبدو أن الحضور الدوناتي لم يقتصر على المدينة فحسب بل تعداه إلى ضواحيها، إذ عثر بهنشير الغوسة القريب من المدينة على نقيشة تضمنت العبارة الدوناتية الشهيرة "لله الحمد"[2] التي اعتاد أنصار المذهب الدوناتي من الثوار الريفيون الجهر بها حين شنهم الهجمات ضد خصومهم الكاثوليك. وذلك يعني أن طبيعة الصراع الديني الذي احتدم بين الحزبين منذ القرن الرابع الميلادي امتد إلى استخدام القوة المسلحة من قبل كل من الطرفين في المدينة ونواحيها لحسم الصراع لصالحه.[3]

ومما يدعم رأينا هذا ما ذكره أسقف ميلة الكاثوليكي العدو الدود للدوناتيين ، أبتاتوس الميلي في كتابه من أن مجمعا دوناتيا انعقد سنة 362م بمدينة تبسة ، حضره الأسقف الكاثوليكي بريموزوس و اشتكى فيه من تصرفات الدوناتيين العدوانية ضد الكاثوليك و هجماتهم على كنائسهم في المدن و النواحي القريبة من المدينة . و رغم تذكيره إياهم ببعض الحوادث التي وقعت في مدن زابي (بشيلقة)و واد القصب (فلومين بيسكنسي) و برج الغدير(لوميليف) بقيادة زعماء بارزين من أمثال فليكس و ايانياريوس اللذان جمعا كوكبة من الأنصار و ذهبا بهم

[1] Dupuch. A-A,Essai sur l'Algérie chrétienne , française et romaine,Imprimerie royale, Tunis,1847,p85. ; Lancel.S, Actes de la conférence de Karthage en 411, Tome IV, Edition du Cerf ,Paris,1991,p1486.

[2] I.L.Alg,I,3580 :« ***Deo Laudes*** ».

[3] De Bosredon. L, Promenade,loc.cit,p 390 , Duprat.Ch,Monographie,loc.cit,p9.

إلى هذه المدينة الأخيرة أين هاجموا سكانها من الكاثوليك و تسور بعضهم سقف كنيستها و حاولوا إحراقها، إلا أنهم لم يكترثوا لشكواه.[1]

هذا النص يشير من دون أدنى شك من خلال انعقاد هذا المجمع بالمدينة إلى أن الدوناتيين في النهاية صارت لهم اليد العليا بها إلى الحد الذي تمكنوا فيه من التفرد بشؤونها الدينية و عقد مجمع خاص بهم لم يتسنى للأساقفة الكاثوليك الذين حضروه أن يطرحوا وجهة نظرهم بكل حرية و يحتجوا على سوء المعاملة التي كانوا يلقونها من خصومهم. و لا ندري إلى متى استمرت هذه السيطرة الدوناتية على المدينة، بيد أنه يبدو و كأن السلطة الرومانية لم تكن قادرة على الوقوف في وجهها مدة من الزمن لأسباب تبقى مجهولة. ونعتقد أن الخراب و التدمير و الحرائق التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في الكنيسة الكبرى قد تكون نتيجة لهذا الصراع المذهبي بين الطرفين وسعي كل واحد منهما إلى بسط سيطرته على الكنيسة لما لها من قدسية و رمزية دينيتين لدى مسيحيي بلاد المغرب.

[1] Optatus Milivensis, De Schismate Donatistarum,II,18,1-2.Tome I,(livre 1 et 2),introduction .texte critique .traduction et notes par Mireille Labrousse , les éditions du Cerf, Paris,1995. ;Brisson. J-P, Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale, de Boccard, Paris,1958, p199.

الفصل السابع

تبسة في العصور القديمة المتأخرة

أولا–العهد الوندالي

ثانيا –العهد البيزنطي

1–احتلال المدينة وتحصينها

2––وضعية المدينة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي

ثالثا– تبسة في نهاية العصور القديمة المتأخرة

أولا–العهد الوندالي :

مما لاشك فيه أن مدينة تبسة خضعت كغيرها من مدن البروقنصلية للسيطرة الوندالية منذ وقت مبكر جدا ، ورغم قلة النصوص واقتضابها الشديد التي تؤكد احتلالهم وضمهم لها، حتى أن هناك من المؤرخين من لم يأخذها بعين الاعتبار و حاول أن يطعن في صحة هذه النصوص سندا ودلالة، معتبرا أن المدينة لم تنتمي يوما إلى المملكة الوندالية ، وأن هذا الانتماء إن حدث فقد كان لوقت قصير جدا لا يمكن تحديد بدايته و لا نهايته على وجه الدقة.

ونحن نخالف هذا الرأي و لايسعنا استبعاد مجموع معطيات تاريخية و أثرية تشير لحضور السلطة الوندالية بالمدينة إلى ماقبل الغزو البيزنطي بقليل لأن ذلك يعد مجانبة للحقيقة التاريخية و تجنيا على تاريخ المدينة الذي يجب أن يظهر في صورته الكاملة بغض النظر عن حجم المعطيات المتعلقة بهذه الفترة أو تلك. لأنه من المستحيل مقارنة فترة زمنية دامت بالمدينة أكثر من أربعة قرون بأخرى استمرت قرنا أو أقل بقليل.

يجب أن نوضح أولا أن الوثائق المرتبطة بالفترة الوندالية قليلة نسبيا لكنها صريحة في الاستدلال بها على كون المدينة كانت تابعة للملوك الوندال بشكل مباشر و إن كانت لا تزودنا بنظرة مفصلة عن نظامها الإداري

وطبيعة الشخصية التي كانت تتولى تسيير شؤونها و صلاحياتها و شكل التبعية للسلطة المركزية الوندالية بقرطاجة، وهل كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها كما اعتادته في العهدين السابقين.

كل هذه الجوانب كانت و لاتزال للأسف غامضة ، وفي ضوء ما عندنا من معلومات لا يمكن المخاطرة بتأكيد أو نفي أي فرضية منها ، مع أن المؤرخ الفرنسي كريستيان كورتوا في كتابه عن تاريخ الاحتلال الوندالي بافريقيا يرجح بعضا منها دونما مبرر علمي واضح ، اللهم إلا استنادا إلى استقراء غير حذر لنصوص دينية و إدارية رسمية. وبعيدا عن هذا الميدان الزلق نود الإشارة إلى أن هذه الأدلة متنوعة ما بين نصوص كلاسيكية و نقوش جنائزية و كتابات مسيحية ووثائق إدارية رسمية يسمح الجمع بينها حسب ترتيبها الكرونولوجي بوضع إطار زمني عام للعهد الوندالي بالمدينة بدون أية تفاصيل عن الحياة بالمدينة أو الجوانب الإدارية والاقتصادية الاجتماعية بها خلاله.

حين استولى الوندال على هيبوريجيوس عام 429م عقدوا اتفاقا مع الرومان احتفظ جيزريك بموجبه بالموريطانيات الثلاث و نوميديا وترك للرومان البروقنصلية و المزاق و الطرابلسية و جزء هام من شرق نوميديا.[1] ثم هاجم قرطاجة و احتلها وعقد اتفاقا ثانيا معهم عام 442م بحيث إحتفظ فيه بهذه المقاطعات الأربع

[1] Courtois. Ch, Les Vandales et l'Afrique ,Arts et métiers graphiques, Paris, 1955, p217.

الأخيرة ، وأعاد إلى فالانتنيانوس الثالث[1] نوميديا الغربية و الموريطانيتين السطيفية و القيصرية و صقلية. وتوج هذا الاتفاق بزواج سياسي بين أودوكيا ابنة الإمبراطور و ابنه هنريك.[2]



خريطة رقم11: تمثل موقع تبسة ضمن المملكة الوندالية (بتصرف الطالب)

غير أن اغتيال فالانتنيانوس الثالث أثار غضب جيزريك و دفعه لغزو روما و احتلال معظم جزر القسم الغربي من البحر المتوسط .كما أدخل تعديلا على اتفاقه مع الرومان حيث احتل كل ناحية كيرتا ومواضع على ساحل

[1] AE,1909,223.
[2] Courtois. Ch, op.cit, p217.

الموريطانيتين، كما ضمت المملكة الوندالية نوميديا الغربية حسب النصوص المسيحية التي بين أيدينا المشيرة إلى نفي الأساقفة الكاثوليك إلى أماكن تقع على حدود المملكة الغربية المتاخمة لبلاد الموريين المستقلة عنها. أما باقي الموريطانيتين وسائر نوميديا فقد صارت مستقلة تحت زعامة رؤساء القبائل المورية، حتى و إن كان كما سنرى النظام الدفاعي الوندالي أوسع امتدادا مما كان يعتقد وتطلب بقائه إبرام تحالفات مع هؤلاء الزعماء المحليين.[1]

ونحن نعتقد أن تبسة دخلت ضمن ممتلكات الوندال بموجب الاتفاق الأول ثم ترسخت تبعيتها لهم في الاتفاق الثاني لأنها كانت من أهم مدن غرب البروقنصلية. و إذا ما صحت رواية المؤرخ بروكوبيوس القيصري[2] وبعض الكتابات المسيحية ، فان الوندال يكونوا قد وجهوا في الأشهر الأولى من عام 430م بعد السيطرة على عنابة حملة نحو تبسة لاحتلالها لا نعلم يقينا ماذا كانت نتائجها.[3]

وبخلاف ما يروج لم تتعرض تبسة للتخريب على يد الجيش الوندالي كما توهمنا بذلك المصادر ، والدليل بقاء معالمها كما هي مثل المعبد وقوس كركلا [4]، بل تم احتلالها و بموجب الاتفاق بين الطرفين دخلت المدينة تحت

[1] Hugoniot.Ch, Rome en Afrique de la chute de Carthage aux débuts de la conquête Arabe, Flammarion, Tours,2000,p211 ; Cuoq .J, L'église d'Afrique du nord du II^{eme} au XII^{eme} Siècle, Le Centurion, Paris, 1984, p87.

[2], Procopius, Bellum .Vandalorum,II,13,2 .Traduit et commenté par Denis Roques, les Belles lettres, Paris,1990. ; Courtois .Ch, op.cit.,p163.n°1.

[3] Mesnage .J, L'Afrique chrétienne , évêchés et ruines antiques, Paris, 1912, p 412.
[4]Girol.A, Notes archéologiques, loc.cit, p 182. ; Courtois .Ch, op.cit,p315.

سلطتهم نهائيا وألحقت بمقاطعة أباريتانا في الشمال[1]. وانتزعت أخصب الأراضي الزراعية الواقعة شمالها و منحت للعائلة الملكية مع ترك جزء منها بيد الملاك الأصليين[2]. وخشية ثورة سكان المدن من الرومان ضد السلطة الوندالية أطاح جيزريك حسب المؤرخ بروكوبيوس القيصري بأسوار المدن حتى لا يتحصن بها الثائرون ، وكانت تبسة من جملتها[3].

لقد استخدم جيزريك موارد المنطقة لاسيما أخشاب الغابات المحيطة بها في صنع و تجهيز سفن الأسطول الذي قام ببنائه من أجل غزواته البحرية[4]. هذه الغابات التي أشار إليها الشاعر الإفريقي كوريبوس في القرن السادس الميلادي وقعت بجوارها معارك طاحنة بين القبائل المورية و الجيش البيزنطي.[5]

ويبدو أن العائلات الرومانية النافذة و الثرية اضطرت لمغادرة المدينة بعد أن فقدت أملاكها و مكانتها الاجتماعية ودورها المسير في ظل المحتلين الجدد، وهاجرت إلى ايطاليا كما فعلت معظم العائلات في المدن الرومانية الأخرى. هذا الإفراغ الطوعي للمدن من نخبها الحاكمة المسيرة التي كانت تتحمل نفقاتها العمومية الثقيلة وتبقيها في حالة ازدهار عجل بخرابها.[1]

---

[1] Maitrot, Theveste, loc.cit,p 43.
[2] Castel.P, op.cit,p46.
[3] Procopius, Bell.Vand I,10,3.

[4] Martroye .F, Génseric .La conquête vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'occident, Hachette, Paris,1907,p288-289.
[5] Corrippus,Johannidos,VIII,II,52-53,57,63,424.

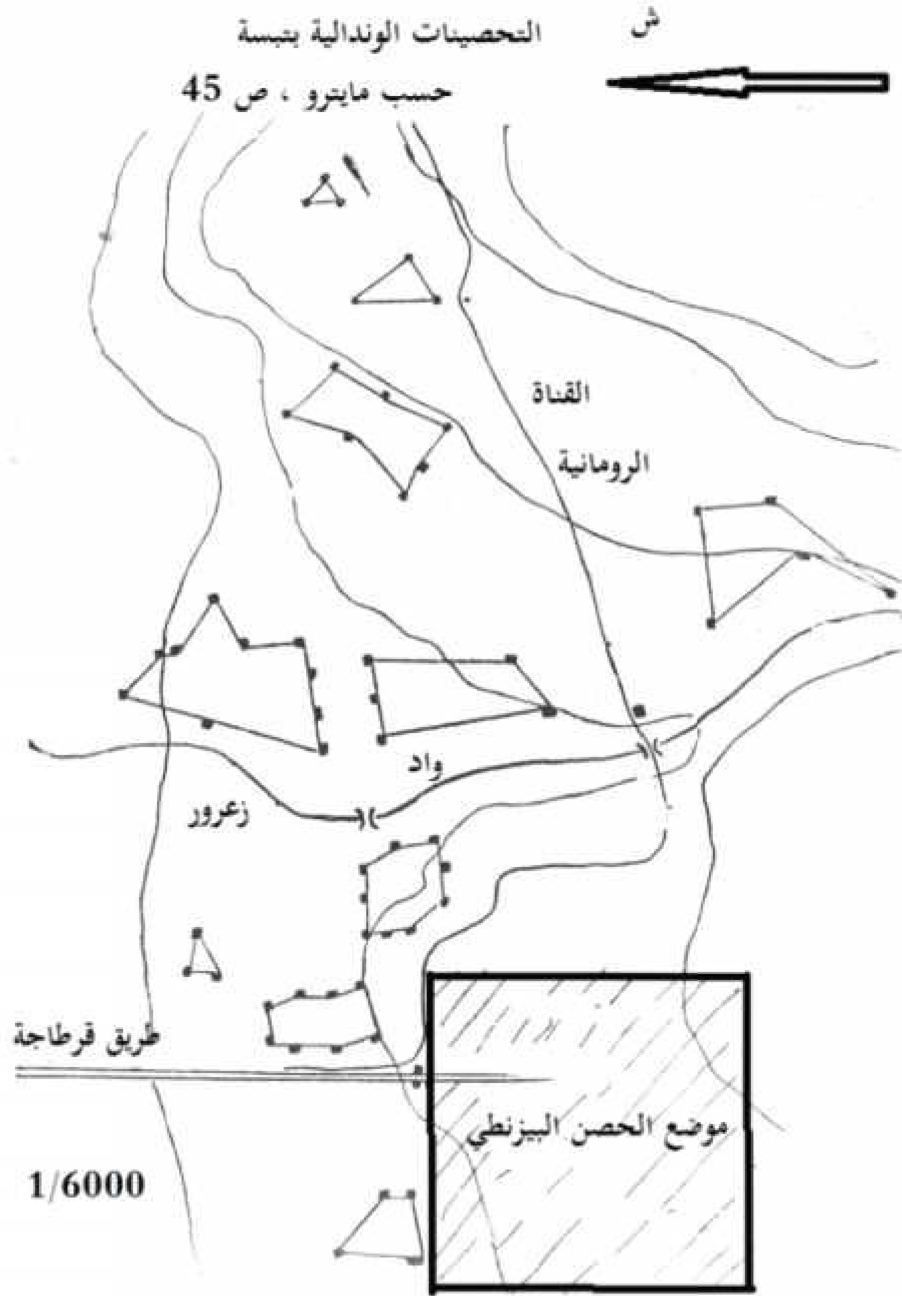
لكن الأمر لم يبلغ مداه إلا بعد موت جيزريك و انتهاء سياسة التحالف التي حافظ عليها طيلة حياته مع القبائل المورية بمجيء ابنه هنريك إلى الحكم وتصرفات هذا الأخير ،إذ سرعان ما ثارت قبائل الأوراس على الوندال واستقلت عنهم رغم محاولة هؤلاء استرجاع سيادتهم عليها[2]. ثم قامت بمهاجمة المدن المجاورة لها منها تبسة التي حرمت من تحصيناتها و خربتها[3]. و لا شك في أن تبسة كانت واحدة منها لوقوعها على مشارف هذه الجبال و امتداداتها و هي جبال النمامشة، لكننا هنا أمام مجرد افتراض يحتاج لمعطيات تاريخية أو أثرية تسنده.

ويعزو كل من ميترو و النقيب مول إلى هذه الفترة عددا من التحصينات و المساكن المحصنة التي حسب رأيهما أقامها سكان المدينة دفاعا عن أنفسهم بعد أن عجزت السلطة الوندالية عن حمايتهم و تركتهم لأنفسهم في مواجهة الموريين ومنعتهم من تحصين مدينتهم. إذ رصدا مجموعة من الأبراج المتناثرة دون انتظام شمال المنطقة التي سيقام فيها لاحقا السور البيزنطي[4] .

---

[1] Girol.A, Notes archéologiques, loc.cit, p 183.
[2] Procopius, Bell.Vand ,I,5,22 ; I,8,1-5.
[3] Chastagnol.A, La fin du monde antique V^{e} et le début du VI^{e} ,

siècle, Nouvelles éditions latines, Paris,1976, p48 ;Janon.M, L'Aurès au VI^{ème} siècle .Note sur le récit de Procope, Ant.Afr,15,1980,p348-349.
[4] Moll, Mémoire, loc.cit,1859-60, p 74 ;Maitrot, Theveste, loc.cit,p.43



شكل رقم27 : مخطط التحصينات الوندالية

وتعليل ذلك هو أن هؤلاء السكان قاموا بتجميع أحيائهم السكنية في مجموعات ثم أحاطوها بأسوار صغيرة مجهزة بأبراج في وسطها أو زواياها. وقد تم إحصاء ما لا يقل عن 59 منها تؤلف عشرة نظم دفاعية مستقلة عن بعضها

البعض . ولا ريب في أنه كانت توجد تحصينات أخرى اختفت بفعل عامل الزمن نظرا لامتداد المدينة الكبير و عدد سكانها في القديم[1]، غير أن غزيل يخالفهما الرأي و يعتقد أنها تعود لفترة أحدث.[2]

واستمرت السيطرة الوندالية على تبسة لسببين ؛ أولهما أن المدينة عدت من جملة أسقفيات نوميديا في مجمع سنة 482 الذي دعا إليه الملك الوندالي هنريك[3]. و الثاني استمرار تحكمهم حتى عام 483 في الطريق الرابط بينها و بين تازولت. كما أن إشارات بروكوبيوس حول ثورة قبائل الأوراس ضد الاحتلال الوندالي في عهد هنريك (484/477) تستلزم إحكام قبضتهم على المناطق الواقعة إلى الشرق منها و هي جبال النمامشة، ما يعني أن المدن الواقعة إلى الشمال من هذه الأخيرة و منها تبسة ظلت تحت سيادتهم.[4]

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار وثائق بيع و شراء أراضي وعقارات وما يتصل بها المشهورة بألواح ألبرتيني التي اكتشفت بنواحي تبسة ، و المؤرخة بعهد الملك غونتاموند 496/484 م تكون سلطة الوندال ماتزال حاضرة بالمدينة وضواحيها بدليل تأريخ تلك العقود بسني حكم ذلك الملك الذي يعد اعترافا بسلطته الملكية و خضوع المنطقة لحكمه.[5]

1 Maitrot, Theveste, loc.cit,p44.
2 Gsell. St, A.A.A, F29.n°101(14).
3 Tissot. Ch, op.cit, II, p46.
4 Courtois.Ch, op.cit., p179,341.
5 Albertini. E, Actes de ventes du Ve siècle trouvés dans la région de Tébessa(Algérie), J.S,1930,p24-26. ; Courtois .Ch, op.cit,p179. ;Fevrier. P-A, Approches,op.cit, I, p95.

ونضيف دليلا آخر أثري وهو اكتشاف قبر إحدى العائلات الوندالية بتبسة . هذا الاكتشاف له أهميته البالغة، فهو دليل قوي يضاف إلى جملة الأدلة النصية و الأثرية المكتشفة التي تدعم رأي المؤرخ كريستيان كورتوا في كتابه القيم الذي أشار فيه إلى أن حد التوسع والاستيطان الذي وضعه الملك جيزريك للجنود الوندال منذ البداية و هو زوجيتانا، وأن مصادرات الأراضي و الضياع يجب أن يتم فقط في المقاطعات المجاورة التابعة للتاج الوندالي، لم يحترم وتم تجاوزه.[1]

ولذلك انتشر عدد كبير من الجنود وعائلاتهم في شمال غرب المزاق (بيزاكيوم) من أجل تثبيت التواجد الوندالي الضعيف في هذه المنطقة التي كانت تبسة داخلة فيها و تمثل زاوية يجب تأمينها لدرأ أي خطر قد يأتي منها. و هذا ما يفسر ذلك العدد المعتبر من الأشخاص الوندال المهمين الذين استقروا بالمدينة فعلا[2]، وحتى بضواحيها مثل ذلك الموثق الملكي بيوكس (أكواي كايسريس)و عاشوا و دفنوا بها.[3]

و يشكل العثور على فسيفساء جنائزية على غطاء قبر بتبسة تظهر طفلا ونداليا صغيرا يرتدي ملابس رومانية ولد خلال السنة السابعة من حكم الملك الوندالي تراساموند[4] ، و توفي بتاريخ 26 جويلية سنة508 م، و دفن

[1] Courtois.Ch, op.cit,p218 et note 8.
[2] Lancel.S, Une nécropole chrétienne à Tébessa, Libyca A-E,IV,2 e semestre1956,p327-328.
[3] AE,1974,705.
[4] CIL,VIII,2013=16516 ;ILAlg,I,3424 ; Fevrier. P-A, Mosaïques funéraires chrétiennes datés d'Afriques du Nord,VI congresso internazionale di archéologia cristiana,1962,p439

في أرضية القاعة المثلثة بكنيسة تبسة الكبرى آخر دليل يضاف لجملة الأدلة حول الهيمنة الوندالية على المدينة[1]،

لأنه بعدها بسنوات قليلة حل البيزنطيون بها.

[1]CIL.VIII,2013=16516 ;I.L.Alg,I, 3424 ;Courtois .Ch, op.cit,p378.Appendice II. n°96 ;.Fevrier. P-A, Approches,op.cit, I, p181.

ثانيا –العهد البيزنطي :

1–احتلال المدينة وتحصينها:

يبدأ عهد الاحتلال البيزنطي بمدينة تبسة منذ عام 534 م بعد معركة تريكاماروم الفاصلة التي أدت إلى هزيمة الوندال و القضاء على دولتهم. حيث كانت من أوائل المدن التي دخلوها و ثبتوا عليها سيطرتهم بحكم أهمية موقعها .و بعد رحيل القائد البيزنطي بليزاريوس الذي نظم شؤونها ووضع فيها حامية بيزنطية إلى ايطاليا عهد بادارة الجيش والبلاد إلى مساعده صولومون الذي واجه منذ الوهلة الأولى مقاومة عسكرية عنيفة من قبائل المزاق ثم من قبائل الأوراس بقيادة ايبداس . و قد اتخذ صولومون منذ الوهلة الأولى من تبسة قاعدة لعملياته العسكرية ضد جبال الأوراس في حملتين متتاليتين لقربها منها، الأولى انتهت بفشل ذريع وهزيمة منكرة أجبرته على الانسحاب نحو المدينة و الاحتماء بها.[1]

أما الثانية فقد حضر لها جيدا واستفاد من الأخطاء التي ارتكبها في الحملة الأولى وتمكن بعد أخذ استعداداته في المدينة من ملاحقة الثوار الموريين داخل جبال الأوراس والاستيلاء على معاقلهم الأساسية ومطاردتهم حتى

[1] Procope. Bell. Vand., II, 18, 19-21 ; II, 8, 22-24 ; II, 10, 1 ; 11, 10, 2-4 ; II, 11, 23 ; II, 10, 5 ; ., II, 12, 10 ; II, 12, 17-18. II, 12, 25-26 ; II, 13, 21 ; II, 13, 30 ; II, 13, 31-34 ; II,13, 35-38

حدود موريطانيا السطيفية مؤمنا الجنوب النوميدي من خطر الهجمات التي كان عرضة لها زمنا طويلا.[1]

كانت تبسة (Theveste) من أهم المدّن المحصنة التي بنيت إثر فشل حملة صولومون الأولى في القضاء على القبائل المورّية الثائرة*، ففي هذا السياق يشير محتوى النقيشة التالية إلى أن هذا القائد شيّدها من أساسها بعد انتصاره على الوندال وإبادة الموريين [2]:

"***[(croix)] Nutu divino, feliciss(imis) temporib(us) piissimor(um) dom[i/ ((mi))]nor(um) nostror(um) Iiistiniani et Theodorae / [au]g(ustorum) post ahsci-sos ex Africa Vandalos / [extincta]mque per Solomonem gloriosiss(imo) / et excell(entissimo) [mu]gistro militimi, exconsul(e), praefect(o) / [L]ihia[e ac putrido] Universum muuriisiam gentem, / [p~\rov[identia eiusd~\em aeminitensi-mi viri, The/ves_te civitas a fun]dament(is) aedificata est [(croix)].***

(croix) Avec l'assentiment divin, au temps très heureux de nos maîtres Justinien et Theodora, Augustes, après l'expulsion des Vandales, de l'Afrique

[1] Procope. Bell. Vand., II, 12, 25-26 ; II, 13, 21 ; II, 13, 30 ; II, 13, 31-34 ; II,13, 35-38

* **تحمل نقوش التحصينات التي تعود لفترة حكم صولومون الأولى(534–536) عبارة حاكم إفريقية « Praefectus Africae » ، في حين أن نقوش التحصينات الدفاعية التي شيدت خلال فترة حكمه الثانية (536–539) تحمل عبارة « Bis Preafectus Africae » أي حاكم إفريقية للمرة الثانية و تنتمي نقيشة سور تبسة (Théveste) للنوع الأول من النقوش و بالتالي تعود لفترة حكمه الأولى :**

Diehl .Ch, op.cit., p 74 n 4 et 5.

[2] IRA, 3089 ; C.I.L, VIII. , 1863= 16507 ; I.L.Alg, I, 3042, 3059 ; Diehl .Ch , Justinien et la civilisation Byzantine au VI^e siècle, Leroux, Paris, 1901,p242.

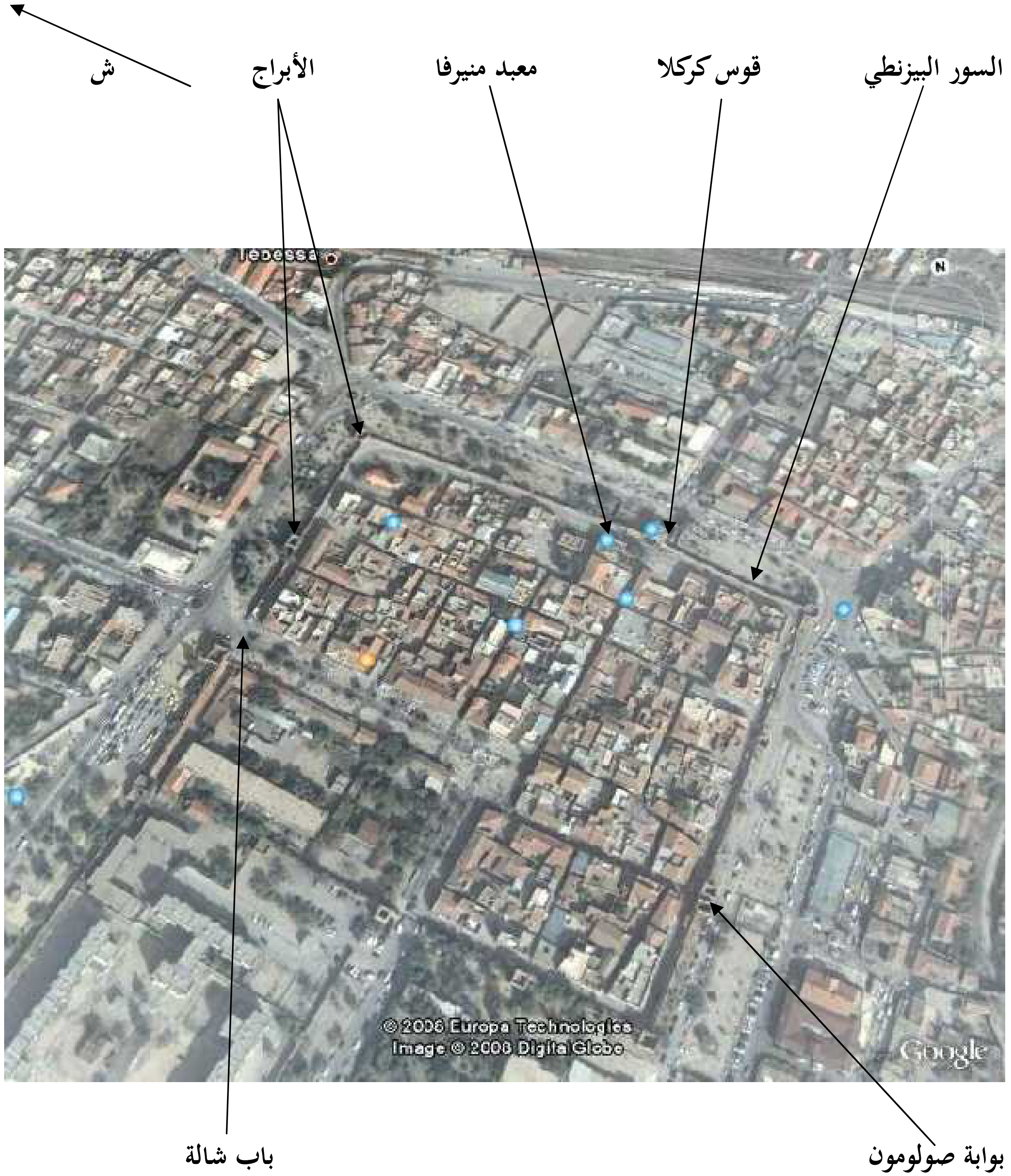
et l'anéantissement du peuple maure par Solomon, très glorieux et très excellent magister militum, exconsul, préfet de Libye, cette ville de Theveste a été construite à partir de ses fondations par la prévoyance de ce même très eminent personnage".

"تحت رعاية الرب وفي عهد سيدينا السعيدان جدا جوستنيانوس و ثيودورا الأغسطان. بعد طرد الوندال من إفريقيا و إبادة شعب المور من قبل صولومون المنصور جدا و القائد المحنك للجيش ، و القنصل السابق و حاكم ليبيا . شيدت مدينة تفست من أساسها بإشراف هذه الشخصية البارزة."

و كانت هذه المدينة قد تعرضت لتخريب كامل من قبل المورّيين في نهاية القرن الخامس[1]، ثم في نهاية سنة 535 و مطلع سنة 536[2]. ولكن يجب أن ننبه إلى المبالغة التي كتبت بها النقيشة، فان القائد صولومون لم يبد كل الشعب الموري بل ألحق الهزيمة فقط بعدد من قبائل المزاق و جنوب نوميديا . علاوة على ذلك فالمدينة كما سنرى لم تدمر كلية حتى تبنى من أساسها، ولكن هذه العبارات وظفت قصدا من أجل الدعاية السياسية للسلطة البيزنطية و لممثلها و من ورائه الإمبراطور جوستنيانوس. وإلا فان مجموعة المعالم الرومانية التي وجدها البيزنطيون قائمة وأدمجوها في تحصيناتهم تدل جليا على أن المدينة كانت حتى قدومهم في حالة معمارية جيدة.

[1]Moll, Mémoire ,R.S.A.C, 4, 1859-60,loc.cit, p 74 ; Durliat . J, Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique byzantine, École Française de Rome, Rome, 1981,p22.n°8,p24-25.
[2]Moll, Mémoire , R.S.A.C, 5, 1860-61,loc.cit, p 20.

لقد انتبه البيزنطيون منذ الوهلة الأولى لأهمية موقع تبسة الاستراتيجي و العسكري في الدفاع عن المنطقة المشرفة عليها و في حراسة حدود نوميديا و البيزاكيوم شرقا. و كونها قاعدة للحملات العسكرية ضد



صورة رقم 08 :تبسة .منظر جوي للسور البيزنطي و المعالم المدمجة فيه

الجيتول في الشرق و جبليو الأوراس و الجنوب النوميدي. وقد استفادوا جيدا من كل الإمكانيات التي وفرها لهم موقعها المتميز. فقد كانت تقع في وسط خطهم الدفاعي بين البحر شرقا و منطقة الحضنة غربا. و توسطت السهل الذي تشقه عدد من الطرق المهمة القادمة من كل الاتجاهات . من ناحية الغرب من تازولت عبر تيمقاد وخنشلة، ومن الجنوب الغربي عبر مشارف الصحراء . و من الجنوب الشرقي من قفصة و فريانة ، ومن الشمال الشرقي آتية من قرطاجة . وبتمركزها وسط هذه الشبكة أغلقت تبسة أمام القبال المورية المنافذ نحو الجنوب وحمت الطرق في الشمال. [1]

لقد قدر النقيب الفرنسي مول « Moll »أن بناء سور تبسة (Théveste) استغرق سنتين و توظيف حوالي 800 إلى 850 عامل يوميا، كما أن السرعة التي صاحبت إنشائه بسبب ضرورات الدفاع أدّت إلى إدماج منشآت رومانية سابقة في البناء كقوس كراكلا « Caracalla » الذي تحول إلى برج من الأبراج الأربعة عشر التي تدّعم السّور، كما اعتبرها أفضل نموذج للهندسة العسكرية في القرن السادس[2].

اضطر البيزنطيون لتأمين دفاع جيّد عن مدينة تبسة (Théveste) إلى تقليص سورها، مما أدى إلى تقليص مساحة المدينة كثيرا عما كانت عليه خلال الفترة الرومانية، بحيث بقي خارج السور البيزنطي الجزء الأكبر

[1] Diehl .Ch, Rapports sur deux missions archéologiques dans l’Afrique du Nord, Nouvelles archives des missions scientifiques et littéraires,1888,p45.
[2]Moll, Mémoire,R.S.A.C,1860-61, loc.cit,p204-208 ; Girol A, Notes ,R.S.A.C, 10, 1866, loc.cit, p 183.

من المدينة الذي يضم المسرح و الحمامات، و اكتفوا بتحويل كنيسة و أحد الأديرة إلى قلعة لتأمين حمايتها[1]. كما حول المدرج بدوره إلى حي محصن اعتبارا من انتهاء استعماله من أجل الألعاب، و تعود الأجزاء المحصنة إلى فترة الاحتلال البيزنطي، و تعتبر دليلا آخر على انحسار و تراجع مساحة المدينة خلال هذه الفترة حيث بلغت 7.50هكتار[2].

و السور عبارة عن مستطيل طوله 320متر وعرضه 280متر وقد بقي على حالة حسنة حتى رممه الفرنسيون بعد الاحتلال. وحسب طريقة البناء المتبعة آنذاك فقد جرى بنائه بمختلف المواد المأخوذة من المعالم الرومانية[3]. حيث بنيت نواة الجدار الجنوبي من عدد من الأعمدة الأسطوانية ، أما الجهة الداخلية منه فقد شكلت من مجموعة من الركائز القائمة في عين المكان ، وهي من مخلفات بناء سابق يكون على الأرجح المسرح الروماني الذي بني سور الواجهة الجنوبية الغربية على جدار منصته، و أعمدته الأسطوانية بارزة من الجدران . [4]

عرض الجدران يتراوح مابين 1.50 متر و 2.20متر يدعمها أربعة عشر برجا بما فيها قوس كركلا الذي حوله البيزنطيون إلى أداة دفاعية. وتبلغ سماكة جدران الأبراج مابين 1.50متر إلى 2.10متر ، وهي متينة البناء

---

[1]Diehl .Ch, op.cit. , p 190 ; Maitrot, Theveste, loc.cit, p 46 ; Boucher .J-P, Le temple, loc.cit,p 13-17.

[2]De laFuye .A, Notes sur quelques découvertes faites à Tébessa (1886-1887) , R.S.A.C, 24, 1886-1887, p 232 ; Lequément R, Fouilles, loc.cit,p 240.

[3] Moll, Mémoire, R.S.A.C,1861-61,p204-209. ;Cagnat. R, Carthage, Timgad, Tébessa,et les villes antiqes de l'Afrique du Nord, Librairie Renouard ,Paris,1927,p134.

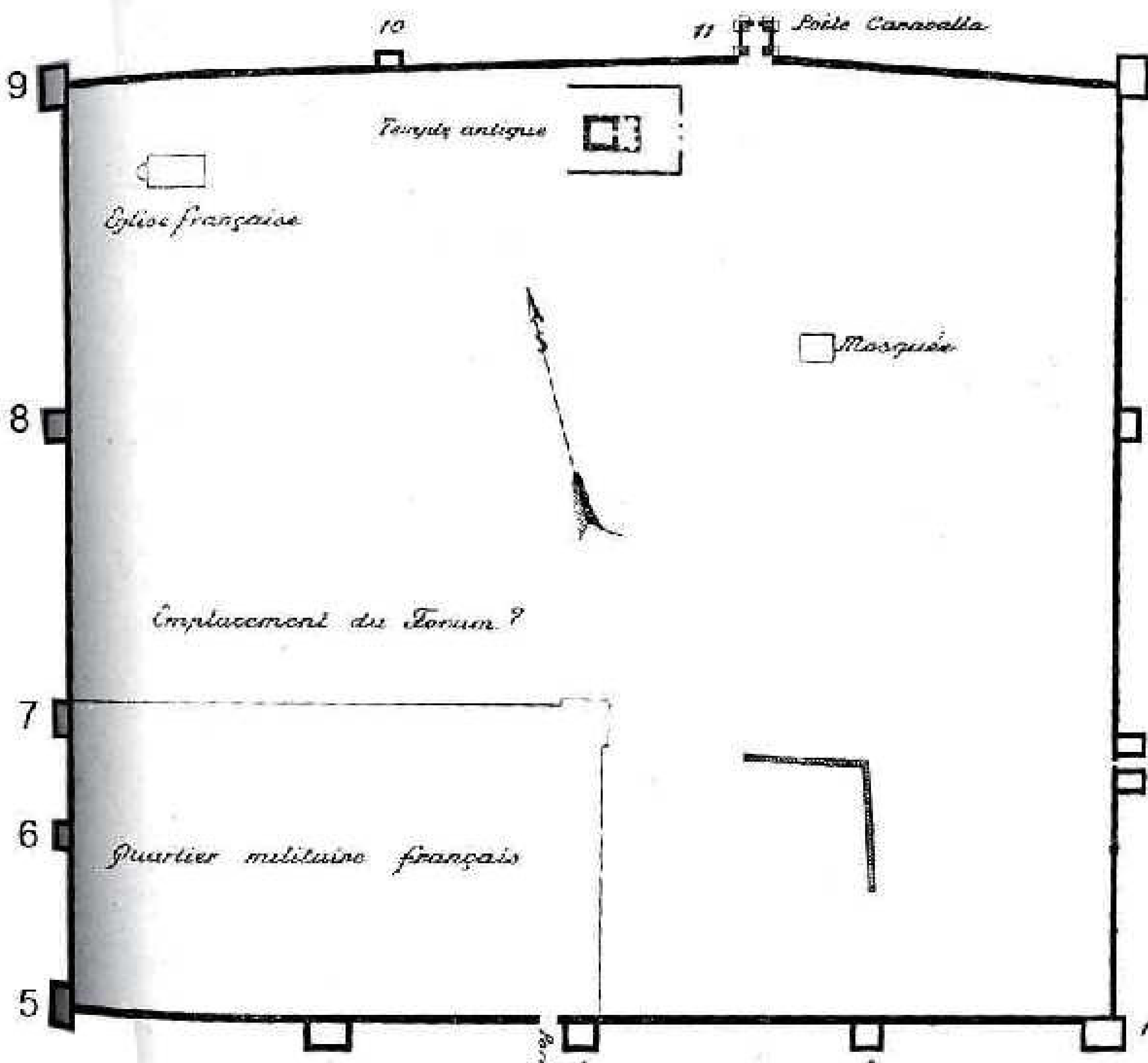
[4] Diehl .Ch, Rapports, op.cit, p44.

في الجهة الداخلية المقابلة للمدينة عنها في الجهة الخارجية[1]. وفي أعلى الأسوار التي ترتفع عن الأرض بنحو 7 إلى 8 أمتار و قريبا من الشرفات يمر درج عريض نسبيا على امتداد السور وترتفع بمحاذاته من الجهة الخارجية حجارة كبيرة بنيت بشكل غير منتظم مقارنة بالحجارة الواقعة أسفل منها ، وذلك لإعطاء حماية كافية للجنود الواقفين خلفها . وكان الصعود إلى هذا الطريق يتم عبر سلالم بنيت في أماكن معينة من السور ، يقع إحداها عند قوس كركلا و الثاني عند برج وسط الواجهة الشرقية للسور غير بعيد عن بوابة صولومون ، هذه الأخيرة التي تعد نموذجا جيدا عن التحصين العسكري المتقن لمداخل الأسوار . و يعد سور تبسة نموذجا لعدد من الأسوار و الأبراج التي بنيت بعده كسوسة مثلا.[2]

معظم الأبراج البيزنطية بتبسة مستطيلة الشكل وعلوها من 4إلى 5أمتار وبها ثلاثة طوابق تسمح بالصعود إلى أعلى السور[3]. وبني كل واحد منها على قوس حجري يغطي الغرف الواقعة أسفل منه و يرتكز على أربعة أعمدة عند الزوايا. و بمحاذاة الطابق الأول و ممشى الجنود العلوي جهز كل برج بمزغلين للحراس حتى يتسنى لهما مراقبة ما يحدث خارج السور . و كان الولوج إلى الغرفة العليا من البرج يتم عبر بابين مستطيلين

[1] Maitrot, Theveste,loc.cit,p136.
[2] Gsell. St, M.A.A,II, p355-356 ; Pringle. D, op.cit., p240.
[3] Pringle. D, op.cit., p240-242.

يوصلان إلى الشرفات. و في الأعلى تركت نافذة مربعة واسعة لإنارة الغرفة، وعلى الواجهات الأخرى تركت مزاغل في جدران السور.[1]



شكل رقم28 : مخطط السور البيزنطي

المرجع : Gsell. St, M.A.A,II, p355.

[1] Diehl .Ch, Rapports, op.cit, p45 ; Pringle. D, op.cit., p152,160,169.

و يحتمل أن الوقوف في وسط أعلى البرج كان يتم استنادا إلى مصطبة خشبية سميكة تدعمها أربعة دعامات خشبية قوية تستند إلى زوايا البرج الأربعة ، و يتم الوصول إليها بواسطة سلم داخلي يستند بدوره إلى أحد جدران البرج الداخلية . وكل الأبواب التي جهزت بها الأبراج سواء الواقعة في الأسفل أو تلك الموجودة على مستوى الممشى بأعلى السور كانت تغلق من الداخل.[1]

الأبراج متشابهة في ما بينها ما عدا بعض الفروقات الطفيفة وكعينة عن تفصيلاتها الهندسية نأخذ مثلا البرج رقم 8. فهذا الأخير كان سمكا جداره في الأسفل متران، وداخله نصادف قاعة مربعة طول ضلعها 4.55متر و علوها 7.30متر . وعند كل زاوية منها ينتصب عمود عرضه 0.50متر مهمته دعم السقف المقوس.و يبلغ علو الأبواب 4أمتار و النوافذ 0.50متر. وليس هناك أي اتصال بين الطابق السفلي و الأول و على جانبي البرج يمينا و شمالا يوجد بابان علوهما حوالي مترين وعرضهما 0.80متر.[2]

وبالنسبة لتأمين الحراسة لهذه الأبراج فقد اجتهد النقيب مول بحساب عدد الأفراد من جنود وضباط اللازمين يوميا من أجل الرصد و المراقبة . إذ توصل إلى أن القاعتين الموجودتان على مستوى كل برج تسعان 10 أشخاص لكل منها يقومون بالحراسة النهاريةExcubitores أو الليلية Excubiae أو من يشغلون أدوات الدفاع Tragularii. بحيث يوجد حارسان نهاريان في كل برج مع مشغل واحد لأداة الدفاع لقرابة 8 ساعات ،مما

[1]Diehl .Ch, Rapports, op.cit, p46.
[2] Maitrot,Theveste,loc.cit,p136-137.

يعني إجمالا 12 حارس و 6 مشرفين على آلات الدفاع. وكان يشرف على هؤلاء جميعا صف ضابط يدعى Semissalis (قائد 10 من جنود المشاة). و هذا كله يعني تجنيد 19 جندي لكل برج يوميا، وبما أن ثلاثة فقط كانوا في مهمة حراسة معا كل مرة، كان يكفي إسكان ثمانية بهم فقط في كل غرفة.[1]

وعليه كخلاصة فقط كان يتوجب لحماية السور بشكل دائم و فعال و تدعيم الأبراج الأربعة عشر بما فيها بوابة صولومون التي كان بها كوتان وزوجين من الجنود مشغلي آلات الدفاع، توفر العدد الإجمالي التالي :[2]

-جدول رقم 26: تعداد حامية السور البيزنطي

الصنف	مسؤول البرج	مسؤول البوابة	الحراس النهاريون	مشغلو آلات الدفاع	المجموع
الضباط	14	3	/	/	17
الجنود	/	/	186	86	284

يتوفر سور تبسة البيزنطي على ثلاثة بوابات ، الرئيسية منها كانت قوس كركلا نفسه بعد تعديله و غلق الفتحات الجانبية في الغرب و الشرق وتقليص الفتحة الداخلية الواقعة جهة الشمال. و عند الجانب الشرقي

[1]Maitrot,Theveste,loc.cit,p143.
[2] Ibid,p144.

من السور ينفتح ممر مقوس بين برجين قريبين من بعضهما يسمى اليوم بوابة صولومون ، ثم هناك باب خلفي يدعى باب شالة أو شهلة عند أسفل أحد أبراجه الجنوبية.[1]

و لا تظهر آثار الحقبة البيزنطية فقط في عمارتها العسكرية بل نجدها أيضا بارزة و إن كان على نطاق ضيق في الأبنية الدينية ، حيث تظهر بشكل جلي مؤثرات الفن الديني البيزنطي على كنيسة تبسة الكبرى و الدير البيزنطي من حيث الزخرفة الفسيفسائية المصنوع من المكعبات الزجاجية الغنية بالرموز الدينية البيزنطية و التيجان الثيودوزية ذات الأصول الشرقية أو الفارسية.[2]

كما تشير نقوش جنائزية لاثنين من الأساقفة وهما فاوستينوس و بالاديوس حوالي عام 550م إلى هيمنة المسيحية الكاثوليكية مرة ثانية كديانة رسمية بالمدينة مباشرة بعد الغزو البيزنطي و التشجيع الذي لقيته من الإمبراطور جوستنيانوس بفضل جملة من المراسيم و التدابير الاستثنائية لصالحها[3]. هذه الظروف الملائمة أتاحت لها تشييد عدد من الأبنية الدينية الصغيرة كالأبرشيات والأسقفيات الصغيرة بالمدينة ومحيطها القريب، تحت رعاية رجال دين من مختلف الرتب الدينية من أمثال الشماس أركانتيوس Arcentius Diaconus.[4]

---

[1] Gsell. St, M.A.A,II, p357.
[2] Diehl .Ch, Manuel d'art byzantin, Tome 1, 2e édition, Auguste Picard, Paris,1925,p125,140-141.
[3] Cod.Jus., I, 27, 1, 1
[4] C.I.L. VIII., 4353=18539 ; Champetier. P, Les conciles africains durant la période byzantine , R.Af, 95, 1951, p105, pp 116-117.

لقد وفرت مدينة تبسة (Théveste) بدفاعاتها حتى آخر يوم من العهد البيزنطي لسكانها و للمزارعين المحيطين بها الحماية و الأمن وقت الحروب، وأتاح لها موقعها المتميز جدا حماية المناطق المحيطة بها في كل الاتجاهاتو المراقبة المستمرة لسكان جبال الأوراس[1].

كما أن تحكمها في مفترق العديد من الطرق الرئيسية، كالطريق الرابط بين قفصة (Capsa) و فريانة (Thélepté) ، و الطريق المؤدي إلى سبيطلة (Sufetula)و قرطاجة، و آخر نحو سوق أهراس (Thagaste) و قسنطينة (Cirta)كما أسلفنا، مكنها من أن تصير شوكة في جنب القبائل القادمة من الجنوب التي تسعى للتسلل إلى المزاق أو إلى السهول الخصبة في الشمال النوميدي.[2]

ولم يقتصر تشييد التحصينات الدفاعية خلال هذه الفترة على السلطة البيزنطية بل تعداه إلى السكان الذين عجز الجيش البيزنطي ن تأمين الحماية و الأمن لهم ، فلجئوا لتنظيم الدفاع عن أنفسهم بالاعتماد على مواردهم الخاصة . في هذا السياق تدل معطيات الآثار على بناء سكان هنشير كيسا الواقع على بعد عشرة كيلومترات شمال تبسة (Theveste) لحصن عند سفح جبل دير، و تدل بقايا أسواره على سرعة إنجازه، و اضطروا أثناء عملية البناء إلى دمج البوابة و القوس الروماني في سور ملتصق بالحصن لإتمامه ربحا للوقت.[3]

---

[1] Pringle. D,The defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest, Part I,BAR International Series 99(i),1981,p92.

[2] Diehl .Ch, op.cit., pp 237-238.

[3] Gsell .St, Notes sur quelques forteresses antiques du département de Constantine, R.S.A.C, 32, 1898, pp 258-287.

ولا يتسع المقام هنا لتعديد كل التحصينات البيزنطية الرسمية و غير الرسمية التي أنجزت خلال عهد صولومون بضواحي تبسة غير أن النقوش تشير لكثرتها و انتشارها بيوكس و هنشير قوراي وو مرسط و قصطل و هنشير كوشادة و القصور و غيرها[1] ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن المدينة وضاحيتها لم تكن في مأمن عن الحروب و الغارات بين الجيش البيزنطي و الموريين.

2-وضعية المدينة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي :

هذا و يبدو أن جرأة هؤلاء بلغت حدا دفع صولومون « Solomon » للتحالف مع زعيم موري يدعى كوتزيناس « Cutzinas »، لمحاربة ملك جنوب المزاق أنتلاس « Antalas » و حلفائه قرب تبسة (Theveste)، فهزمهم و أجبرهم على التراجع نحو الجنوب الغربي، ثم عاود المّوريون الهجوم بقيادة أنتلاس « Antalas ». و لم يستطع صولومون « Solomon » مقاومة تفوقهم العددّي بسبب تخلي جيشه عنه و انهماكه في جمع السلاب و الغنائم، فقتل و معه حرسه الخاص و انهزم البيزنطيون[2].

و لايبدو من سير الأحداث أن المنتصرين استغلوا انتصارهم و هاجموا المدينة ، فقد عين إثر هذه الهزيمة سرجيوس « Sergios » ليحل محل صولومون « Solomon » في القيادة و انسحب مع فلوله نحو المدينة.وكان أنتلاس « Antalas » مستعدا لوقف الحرب، و عادت قبائل لواتة « Levathae » المتحالفة

---

[1] C.I.L.VIII,10681-2=16727 ;Gsell.St, AAA,F29.n° 56,58,79,94,100.

[2] Albertini.E, Marçais, Yver .G, L'Afrique du Nord française dans l'histoire, des origines au VIIe siècle, Archat, Paris, 1939,p125.

معه إلى موطنها في مقاطعة طرابلس. غير أن خبر تعيين سرجيوس « Sergios » حاكما على شمال إفريقيا أشعل نار الثورة من جديد، إذ أرسل أنتلاس « Antalas » إلى الإمبراطور جوستنيانوس « Justinianus » يخبره بأن الحرب ستظل قائمة ما لم يعزل سرجيوس « Sergios » و يعين حاكما آخر مكانه[1].

يسكت بعد ذلك بروكوبيوس و كوريبوس عن ذكر المدينة و لو باشارة عابرة في كتابيهما .إذ توقف الأول عن تغطية الأحداث عند مقتل صولومون ، أما الثاني فقد خصص أشعاره لتغطية حروب خلفه القائد يوحنا تروقليتا ضد أنتلاس و قبائل طرابلس. وعلينا أن ننتظر حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي لكي تظهر أخبار مقتضبة عن المدينة و وضعيتها. وفي هذا السياق تشير أحد النقوش إلى إشراف قائد الجيش جناديوس « Gennadius » على تقوية دفاعاتها بأمر من توماس « Thomas » حاكم شمال إفريقيا « Praefectus Africae » بين سنتي (578-580)[2]، و ظلت هذه القلعة تراقب السهول الخصبة الممتدة شمال جبال الأوراس و تحميها من نهب قبائل الأوراس، وظل البيزنطيون يستخدمونها قاعدة لعملياتهم العسكرية ضد هذه الجبال[3].

[1]Procope. Bell. Vand., II, 21, 24-28 ; II, 22, 20, ; II, 22, 1-10.

[2]C.I.L. VIII., 2245=17671 ; Gsell .St, Chronique archéologique africaine , M.E.F.R, 15, 1895, pp 335-336.

[3]Gsell.St, Graillot .H, Ruines romaines au nord de l'Aurès, M.E.F.R, 14, 1894, p 500.

كما يعود إلى هذه الفترة دائما بناء سور ثاني حول المدينة لحمايتها من هجمات الموّريين التي تصاعدت خطورتها خلال ثورة غاسمول « Gasmul » ملك موريطانيا في الفترة بين سنتي (574-579)[1].

هذا وقد أشرف الشماس أركانتيوس « Arcentius » على بناء ملجأ للسكان في يوكس (Aquae Caesaris) الواقعة على بعد 18 كلم غرب تبسة (Theveste)، ليحتموا به من غارات قبائل الأوراس[2].

يتضح لنا مما سلف إذن أن تبسة عاشت أوضاعا أمنية و عسكرية مضطربة ، وحتى منشآتها الدينية حصنت و صارت أشبه بالقلاع مثل السور الذي ضرب حول الكنيسة الكبرى و جهز بأبراج للحماية و الدفاع. وسيظل الوضع على ذلك طيلة العهد البيزنطي حسبما أفضت إليه نتائج الحفريات .و بنهاية القرن السادس الميلادي تنقطع عنا أخبار مدينة تبسة نهائيا بحيث لم نعثر لها على أدنى إشارة في المصادر البيزنطية المعاصرة مثل كرونوغرافية اتيانوس البيزنطي، وعلينا أن ننتظر أخبار الفتح الإسلامي ليتسلط الضوء من جديد على تاريخها و لو بصورة غامضة.

[1] C.I.L. VIII., 10498 ; Moll, Mémoire, R.S.A.C, 5, 1860-61,loc.cit, p 216 ; Diehl .Ch, L'Afrique byzantine,op.cit., pp 269-498.

[2] Gsell.St, Graillot .H, loc.cit, p 82.

ثالثا– تبسة في نهاية العصور القديمة المتأخرة:

فتحت مدينة تبسة على يد المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الفهري عامي 62-63 هجرية/683م بعد إلحاق الهزيمة بالجيش البيزنطي المدافع عنها واقتحامها حسب رواية فتوح افريقية.[1] وهذه الرواية إن صحت فإنها تثبت أشياء عديدة منها أن المدينة كانت لاتزال خاضعة للسلطة للبيزنطية المباشرة ، وأنها كانت من المدن المهمة بالبروقنصلية بدليل وجود مقر للحاكم البيزنطي بها. زيادة على ذلك فان تحصينات المدينة وأسوارها كانت قوية و متينة أعجزت الجيش الإسلامي عن اقتحامها لمدة طويلة ، ولم يتمكن المسلمون منها إلا بعد خيانة من مستشار حاكمها البيزنطي الذي فتح لهم الأبواب.[2]

يعد نص ابن عبد الحكم أقدم إشارة للكتاب المسلمين عن تبسة القديمة ، ورغم طابعه الأسطوري فهو يصلح للاستدلال به على كون المدينة ظلت مأهولة طيلة العهد البيزنطي وبقيت كواحدة من ركائز دفاعاتهم بافريقية. وما يهمنا التركيز عليه أكثر في هذا العنصر هو تتبع ما أمكن من خلال مصادر العصر الإسلامي الوسيط المبكرة القريبة من الفترة القديمة أو المتأخرة عنها أو حتى كتابات عصر النهضة مدى استمرار ذكر المدينة في الكتابات

[1] Cherbonneau.A, Relation de la prise de Tébessa par l'armée Arabe en l'an 45 de l'Hégire traduite du *Fotoh Ifrikia,* R.Af,XIII, 1869,p236-237.

[2] Pringle. D, op.cit, p48.

بعد نهاية تاريخها القديم أو ما يصطلح على تسميته عادة بالعصور القديمة المتأخرة كإثبات على أن الحياة الحضرية لم تتوقف بها وأنها لم تفقد كل الأهمية الحضارية التي ميزتها قديما.

فحسب الباحثة مقرانطة بختة يظهر اسم الموقع في النصوص العربية تحت نفس الصيغة "تبسا" ولاحظت استمرارية اسم الموقع من العصور القديمة إلى العصور الوسطى[1] . و عثرت على ستة من النصوص العربية تتحدث عنها تغطي زمنيا مدة ستة قرون (من القرن 11 إلى القرن 16 م) [2].

غير أننا أثناء البحث عثرنا على نص آخر غفلت عنه الباحثة يعود للمقدسي البشاري ذكرها فيه إيجازا.

تحدثت النصوص العربية عن معالم تبسة لكن الوحيد الذي يلفت الانتباه حقا حول أهميتها وضرورة دراستها بشكل معمق يليق بعظمتها هو نص صاحب الاستبصار الذي قدمها على أنها ثاني مدن إفريقية ، ليس من أجل الناحية السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية فيها ، بل من أجل معالمها(تقريبا أغلب النص مخصص لها).بدأ هذا الكاتب وصفه لها بذكر المعالم العظيمة و الملفتة ؛بعدها قارنها بمدينة قرطاجة وواصل قائلا : " نجد بها آثارا عديدة من عمل الأولين ومبان عظيمة ؛ إنها بعد قرطاجة المدينة الأبرز بافريقية".[3]

---

[1] Moukraenta Abed .B, L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du Moyen Âge, Alger, 2013, V. 2, p1827.
[2] Ibid,, p1829.
[3] Ibid, p1834.

لكن يجب التنبيه على أن المدينة في هذه الفترة كانت في مرحلة أفول ، مما يجعلنا نستنتج بأن المعالم التي عاينها صاحب الاستبصار كانت عديدة وعلى جانب من الأهمية.

يقول صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار و هو كاتب مراكشي مجهول (القرن6هـ/12م) :"تبسة مدينة أزلية فيها آثار كثيرة للأول ومبان عجيبة، ليس بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها. فيها دار الملعب قد تهدم أكثره، أغرب ما يكون من البناء. و فيها هيكل يظن الرائي أنه كما رفع اليد عنه، ما يكاد يعرف الفرق بين أحجاره، ولو غرست الإبرة بين حجرتين من أحجاره ما وجدت منفذا. وفي داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض، و بيوت تحت الأرض وآزاج كثيرة لها منظر هائل. و يقال إن ذلك الهيكل كان لاستنزال الروحانيات، لأن فيه أثر الدخان، و فيه صور جميع الحيوانات وصور شاذة لا يعلم ما هي[1]. و في وسط المدينة هيكل عظيم، مبني على سواري رخام عظام، و قد صور خارج حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير، ويقال إنها كلها طلاسم. و توجد في خرائبها طلاسم، و لقد دخلتها فأعطاني إنسان من أهلها طلسما، وهو على صورة أسدين من نحاس أحمر، عجز الواحد منهما إلى عجز الأخر، قد صورتا بأعجب ما يكون من التصوير. وأخبرني أن بلدهم تبسَّة كان لا يدخلها عقرب، ولو أدخل فيها مات، حتى حفر إنسان أساس دار،

[1] كاتب مراكشي مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار،نشر و تعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد،دار النشر المغربية،الدار البيضاء ، 1985،ص161.

فوجد قدر نحاس فيها عقارب من نحاس، فسبكها و صرفها فيما يحتاج، فدخلت حينئذ العقارب المدينة، وأضرت بالناس فيها.[1]

والمسكون اليوم من تبسة إنما هو قصرها، وعليه سور من حجر جليل، متقن العمل كأنما فرغ منه بالأمس، وهو حصن عظيم. وفي مدينة تبسَّة أقباء تدخلها الرفاق بدوابهم في أيام الشتاء، يسع القبو منها ألفي دابة وأكثر.

و بقرب مدينة تبسة، واد يعرف بوادي ملان. و هو يقل في أيام الصيف، و هو صعب المجاز كثير الدهس، و عليه جبل يسمى ملان يرى على مسيرة أيام لعلوه، و ذهابه في الجو. و على مقربة من تبسة جبل يعرّف بالكّتف. و في أعلاه مغارة لا يقدر الوصول إليها لا من فوق الجبل، و لا من أسفله. و يقال إن فيها مالاً ، فإن عظيما. و إن الطير إذا نزلت في تلك المغارة و طارت عنها سقطت منها دنانير كبّار من ذهب نفيس، وهذا متعارف في تلك البلاد. ولمدينة تبسة بساتين كثيرة، و فواكه عجيبة، و يجود فيها الجوز حتى يضرب به المثل بإفريقية.". [2]

[1] كاتب مراكشي مجهول ،المصدر السابق، ص161-162.

[2] نفسه ، ص163.

ويعتبر فاغنان إشارات صاحب الاستبصار عن تبسة القديمة ومعالمها من أوثق المعلومات و أقدمها عنها وتبرز هذه الأهمية عنده أكثر في احتفاظه بوصف عدة معالم اختفت حاليا نهائيا أو أجزاء مهمة منها، إلى جانب أنه ينقل إلينا صورة مدينة حية لم تتأثر بعامل الزمن ، وهي على جانب مهم من الثروة و رخاء العيش.[1]

من جهته تحدث **عبد المنعم الحميري**(**ت900هـ/1495م**) في كتابه روض المعطار في أخبار الأقطار عن تبسة ناقلا كلام صاحب الاستبصار بلفظه بحيث لم يزد عما ذكره هذا الأخير عنها.[2]

أما **المقدسي**(**ت380هـ/990م**) **صاحب التقاسيم** فيقول عنها: " وتأخذ من مجانة إلى تبسة ."[3]

ويخصها **أبو عبيد الله البكري**(**ت487هـ/1094م**) بالوصف التالي :" ومنها إلى نهر ملان نهر عظيم عليه آثار عظيمة و في الشرق منه مدينة تبسا وهي مدينة أولية فيها آثار للأول كثيرة و هي كثيرة الثمار و الأشجار. ...."[4]

---

[1] Fagnan, L'Afrique septentrionale au XIIe siècle de notre ère d' après Kitab el Istibçar, R.S.A.C, 33,1899,p90-92.

[2] **عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار،تحقيق الدكتور إحسان عباس،ط2، مكتبة لبنان، بيروت ،1984،ص129-130.**

[3] **المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1991،ص.228.**

[4] **أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، دت، ص49.**

أما **الشريف الإدريسي** في القرن الثاني عشر الميلادي فقد كان مختصرا جدا بشأنها (**ت560هـ/1165م**) إذ يقول عنها :"و بين بجاية و تبسة ستة أيام"[1]. **ويقول الوطواط** :"وتبسة مدينة قديمة، بها وديان وأشجار."[2]

من جهته توسع صاحب معجم البلدان **ياقوت الحموي**(**574-622هـ/1178-1225م**) في ذكرها أكثر بقوله:" تبسة بالفتح ثم بالكسر وتشديد السين المهملة : بلد مشهور من أرض إفريقية ، بينه و بين قفصة ست مراحل في قفر سببية، وهو بلد قديم به آثار الملوك ، وقد خرب الآن أكثرها ، ولم يبق بها إلا مواضع يسكنها الصعاليك لحب الوطن لأن خيرها قليل ، بينها و بين سطيف ست مراحل في بادية تسكنها العرب ، يعمل بها بسط جليلة محكمة النسج ، يقيم البساط منها مدة طويلة".[3]

ويرى أحد الباحثين أن هذا التفاوت في وصف المدينة بين الإطناب و الاقتضاب راجع على الحقيقة إلى وضعيتها في حد ذاتها. إذ يعتقد بأن ما نخرج به من مجموع هذه النصوص المبكرة أن تبسة قبل هجرة الهلاليين قد عاد إليها ازدهارها الزراعي و الاقتصادي القديم وصارت مركزا اقتصاديا مهما تمر عبره القوافل. أما بعد انتشارهم(القرن6هـ/12م) بالمنطقة فقد تغير المشهد الاقتصادي العام وأصاب المدينة و ناحيتها التدهور .[4]

---

[1] **الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2002،ص260.**

[2] Moukraenta Abed .B, op.cit, p734.

[3] **ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد 2، دار صادر ، بيروت ، 1995، ص 13.**

[4] Talbi .M, Tebessa,op.cit,p439-441.

و لانريد هنا التعليق على هذا الكلام لأنه خارج عن الإطار الزمني لهذه الدراسة و ندع الإجابة عليه لأهل الاختصاص من المشتغلين بالفترة الوسيطة الإسلامية.

ويعد نص **الحسن بن محمد الوزان(ليون الإفريقي)** العائد لمنتصف القرن السادس عشر عن تبسة من أوسعها وصفا وأكثرها تفصيلا وتركيزا على الأصول القديمة للمدينة، لأنه عاش زمنا طويلا في ايطاليا واكتسب ثقافة لاتينية واسعة وقرأ كتاب التاريخ الطبيعي لبلينوس القديم وغيره، وعاين عن قرب الآثار الرومانية بروما وكان يستطيع تمييزها عن غيرها من الآثار الأخرى بكل سهولة. لذا فملاحظاته في هذا الشأن مهمة و دقيقة للغاية ويوثق بها علميا لحد بعيد. كما أن وصفه للمعالم هندسي ومعماري أقرب للمقاييس الحالية في كثير من الجوانب. زد على ذلك أن بعض المعالم التي سنتناولها بالوصف في الفصل الموالي وردت عنده فقط دون غيره .

يقول عن تبسة ما يلي :"مدينة عتيقة حصينة بناها الرومان في تخوم نوميديا على بعد مئتي ميل جنوب البحر المتوسط تحيط بها أسوار عالية متينة سميكة ، مشيدة بحجر ضخم منحوت شبيه بحجر الكوليزي بروما. ولم أرى أسوارا بهذا الشكل لا في إفريقيا كلها و لا في أوربا ، لكن الدور بها قبيحة بقدر ماهي الأسوار جميلة. ويسيل قرب المدينة نهر عظيم يخترق جزءا من المدينة. و تشاهد في الساحة وفي أماكن أخرى أعمدة رخام منقوشة فيها الكتابة اللاتينية بحروف التاج، وبناية قائمة على أعمدة رخام مربعة تعلوها قبة. ورغما على أن التربة غير خصبة ، فان البادية منتجة، بحيث إن الآتي إلى تبسة عندما يصل إلى مسافة أربعة أميال أو خمسة يخالها واقعة في غابة

. لكن الأشجار ليست سوى أشجار جوز كبيرة. وبجوار المدينة جبل كبير فيه عدة حفر أحدثت بالمعول، تعتقد العامة أنها كانت منازل للعمالقة ، لكن من الواضح أن الرومان اقتطعوا من هناك الحجر الذي بنوا به أسوار تبسة......."[1].

أما **مرمول كربخال** (**1520-1600**) فيعد ما كتبه عن المدينة آخر إشارة لدينا عنها ، إذ جاء بعد ليون الافريقي بحوالي أربعين سنة و توسع في استخدام مادة كتابه دون الإحالة عليه في معظم الأحيان. وفيما يخص تبسة سنجد أن ما أورده عنها يختلف في كثير عما ذكره قبله الحسن الوزان . يصف مرمول تبسة في كتابه إفريقيا بما يلي :"تبسة مدينة عتيقة بناها الرومان على طرف نوميديا داخل البلاد بينها و بين البحر خمسة وخمسين فرسخا تحيط بها أسوار عالية مبنية بحجارة ضخمة شبيهة بتلك التي شيد بها الكوليزي بروما. وعلى مقربة من هذه المدينة يمر نهر ينحدر من الجبل، وبعد أن يشكل النهر عدة التواءات يخترق جانبا من المدينة. وتوجد في تبسة عيون غزيرة من المياه الجارية ومعالم بنايات ترجع إلى الزمن القديم، و تماثيل من الرخام نقشت عليها كتابات لاتينية على غرار ما يشاهد في روما وفي عدد من الأماكن في أوربا. وتحيط بالمدينة غابات من الأشجار المثمرة وأشجار جوز ضخمة تعطي غلة وافرة، ولكن بقية جهاتها عديمة الخصب، وجوها وخيم، و على مسافة من المدينة تزيد عن نصف فرسخ يوجد جبل كثير الكهوف و المغارات، ويعتقد العامة أنها مساكن للجن، بيد أنه

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1983، ص63-64

واضح للعيان أنها محاجر اقتلعت منها الحجارة التي استخدمت في بناء المدينة، وقد قام خلفاء محمد عدة مرات بنهب المدينة و سكنها فيما بعد أناس من البربر يتميزون بالبخل و الفظاظة و معاداة الأجانب و لطالما انتقضوا ضد ملوك تونس و حكام قسنطينة. و قد تجرأوا غير ما مرة على قتل الحكام الذي يعينون عليهم. و لما كان عام ألف و خمسمائة و خمسين مر مولاي امحمد قريبا منهم و هو في طريقه لقتال هوارة ، فلم يبادروا باستقباله، فأرسل إليهم يسألهم عمن هم يدينون إليه بالولاء فأجابوه مزهوين بأنهم لا يعترفون بالولاء لغير أسوارهم، فغضب لذلك الجواب ، وناجزهم بالهجوم و دخل بلدتهم عنوة و شنق منهم من لم يلقوا حتفهم في القتال، وهدم المدينة، ولكن عددا من فقراء الناس سكنوها بعد ذلك. و تتميز تبسة عن غيرها من مدن بلاد البربر بثلاثة أشياء لها أهميتها و هي أسوارها و ما بها من أشجار الجوز و ما بها من مياه العيون و المجاري، و ما عدا هذا فليس فيها شيء معتبر........."[1].

هذه إذن الصورة العامة لمدينة تبسة في نهاية العصر القديم المتأخر Antiquité tardive من خلال أخبار الكتابات العربية في مطلع العصور الوسطى و التي تعطينا مظهرا مغايرا نوعا لما كانت عليه قديما. فهي بالتأكيد لم تعد تلك المستعمرة العتيدة التي ألفناها على عهد الرومان، و لا المدينة المستعصية على الحصار و الغارات كما

---

[1] مرمول كربخال ،افريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، الجزء 3، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط،1988-1989 ص15.

رأينا مع البيزنطيين. لكن المؤكد أنه بقي شيء من معالمها القديمة التي تحكي للناظر مجدها الغابر. وهذا هو موضوع الفصل الأخير من هذا البحث.

الفصل الثامن

معالم المدينة و نواحيها

أولا– المسرح المدرج:

1–موقعه

2 –الدراسة المعمارية

أ– الجدران الخارجية

ب– الحلبةArena

ج– جوف المدرجCavea

ثانيا–الفوروم

ثالثا– المسرح والدار الرومانية

رابعا– قوس نصر كركلا و قوس شارع سيرتا

خامسا– معبد مينرفا

سادسا– القصر القديم

سابعا–الحمامات

ثامنا–المقبرة الرومانية أو مقبرة مدرسة الدكتور سعدان

تاسعا– معصرة بير سغاون (بريزقال)

عاشرا–الكنيسة الكبرى

حادي عشر– تبسة العتيقة أو الخالية

إن تبسة تستمد اليوم شهرتها في الأوساط العلمية بكثرة معالمها الأثرية التي تعود إلى العهدين الروماني و البيزنطي، وقد مر بنا في الفصول السابقة ذكر العديد منها ولو باشارة عابرة . وهي تعد برغم وضعيتها الحالية من أحسن المعالم القديمة حفظا ببلاد المغرب القديم، ولايزال ترابها يضم العديد من أطلال و أساسات المعالم القديمة المندثرة. ويجب أن نميز نوعين من هذه المعالم ؛ تلك التي لاتزال قائمة مثل السور البيزنطي و المدرج الروماني وقوس كركلا و الكنيسة المسيحية و المقبرة الرومانية و القصر القديم وغيرها.



شكل رقم 29: مخطط السور البيزنطي مقارنة بالمدينة الرومانية

. **المرجع:** Lequement (J), Les fouilles de l'amphithéâtre de Tébessa, p18

والأخرى التي اختفت أطلالها نهائيا منذ القديم أو خلال القرن التاسع عشر على غرار المسرح ، الحمامات، الفوروم، الدار الرومانية ، الحي السكني التي كان بعضها قائما و محل تنقيبات و رفوع معمارية و مخططات قبل أن تختفي تحت وطأة معاول الهدم الفرنسية في بداية الاحتلال، مثلما هو حال

الحمامات و الفوروم التي هدم ما تبقى منها واستخدمت حجارتها في بناء معسكر للحامية الفرنسية بالمدينة.

ومما يلاحظ أيضا أن تحديد مكان هذه المعالم أو وصفها لم يكن دوما علميا دقيقا ، و موضع بعضها مثل معسكر الفيلق الثالث الأغسطي و الكابيتول رغم ورود ذكره في أحد النقوش[1]، لم يحدد بعد إلى الآن بصورة قطعية.و مما يزيد المشكل حدة أن التوسع العمراني الحالي الآخذ بالازدياد بدأ يزحف على أجزاء من المدينة القديمة لم يكن قد مسها من قبل و التي كانت تشكل حدود المدينة الرومانية القديمة لوجود المقابر بها التي تقع عادة خارج النسيج العمراني[2] ، والتي نجدها في الجنوب الغربي ، الجنوب الشرقي و الشمال الشرقي . و من هذا المنطلق سنتعرض في ما يلي من هذا الفصل

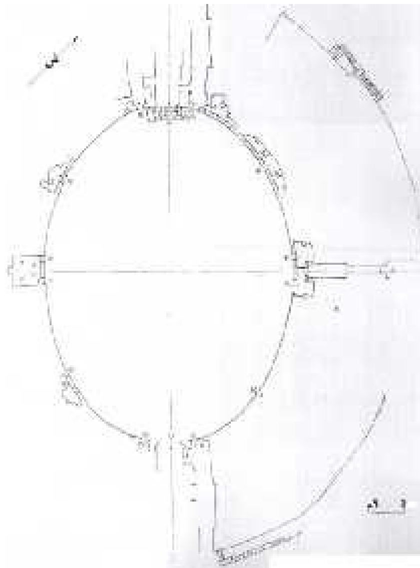
للمعالم التالية الباقية أو المندثرة على حد سواء:

أولا- المسرح المدرج:

1-موقعه:

شيد احتمالا في عهد الإمبراطور فسباسيانوس من قبل جنود الفيلق الثالث حوالي سنة 77م ، يقع حاليا على الضفة اليسرى لواد زعرور و يبعد عن السور البيزنطي بحوالي 150مترا قبالة باب صولومون عند الطرف الشرقي للحصن .





[1] I.L.Alg,I,3040 .

[2] extra-muros

صورة رقم09: منظر جوي للمدرج الروماني   شكل رقم30: مخطط أرضية المدرج

المرجع: Lequement.R , Les fouilles de l'amphitéatre,loc.cit,p28.

كان حتى سنة 1965 مأهولا بعدد من المساكن قبل أن تتدخل السلطات البلدية و ترحلهم وتمنعهم نهائيا من سكناه. وقد كشفت الحفريات عن أطلال مسكن يعود لعهد متأخر ،كما وجدت أبنية أخرى في أسفل الخنادق الممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.[1]



صورة رقم 10: بوابات جدار الحلبة   **صورة رقم11: بوابة المدرج الرئيسية**

(تصوير الطالب)

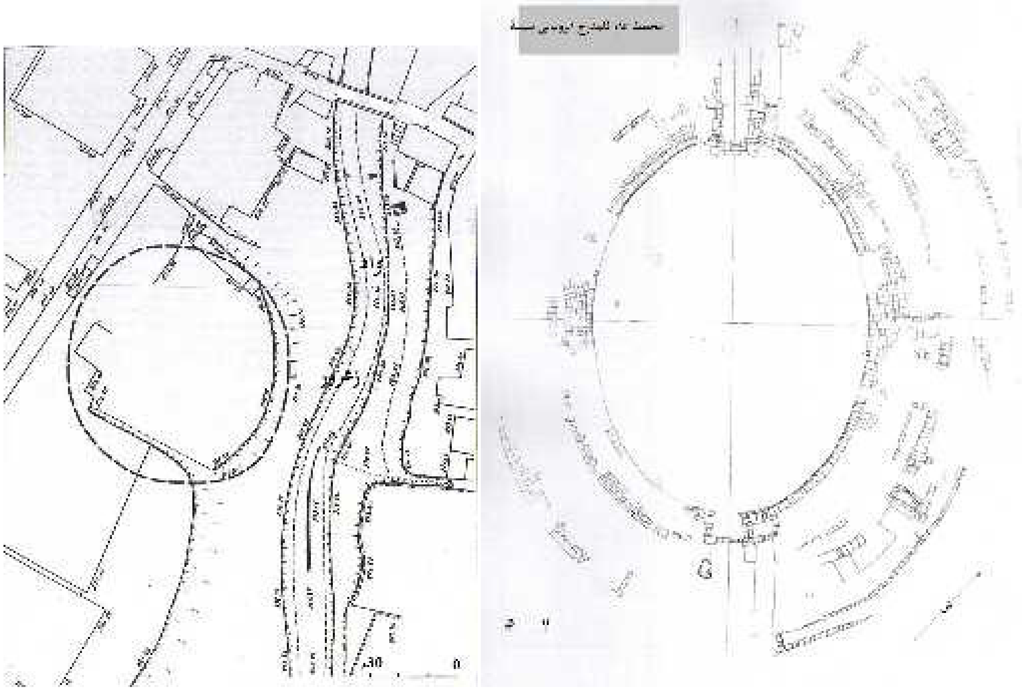
بدأت الحفريات به سنة 1950 تحت إشراف سيري دوروش وجان لاسوس وعلى امتداد 40مترا أسفرت عن اكتشاف المدخل الرئيسي للمدرج في الجهة الجنوبية الشرقية و الجهة العليا من جدار الحلبة .[2] و مابين سنوات 1965 و1966و 1967 قامت مصلحة الآثار بثلاث حملات تنقيبية كان الهدف منها دراسة المبنى الأثري و الأخذ بعين الاعتبار تاريخ هذا الحي السكني من تبسة القديمة.

لقد تبين للوهلة الأولى بأن منذ انتهاء استعمال المدرج للألعاب صار موقع مساكن متعاقبة مما يدل

[1] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 60.

[2] De Pierre .M-C, op.cit,p 10.

على استمرار سكني ملحوظ منذ العصر الروماني حتى العصر الحديث مرورا بالعصر الوسيط الإسلامي.[1]



شكل رقم37: مخطط المدرج الروماني شكل رقم38: مخطط عام لموقع المدرج الروماني

المرجع : Lequement(R), Les fouilles de l'amphitéatre,p27, p168.

2 –الدراسة المعمارية:

أ– الجدران الخارجية :

شكله اهليليجي و تبلغ أبعاده 52.80طولا و39.50 متر عرضا أما أبعاد المبنى من الخارج فهي غير معروفة بعد بشكل دقيق لاسيما بالجهة الشمالية الغربية التي لم يتم كشفها بعد هي و الجهة الجنوبية الغربية. فهناك مسافة 44م تفصل مركز الحلبة عن المدخل الجنوبي الشرقي للمبنى في نفس اتجاه المحور الأكبر. بينما تبلغ المسافة بين مركز الحلبة و الجدار الخارجي للمبنى على المحور الأصغر 39.50م. إن هذه الأبعاد تسمح باعادة تشكيل بناء تبلغ أبعاد محاوره 86.50م ×80.50م. وهي

[1] Lequément .R, Fouilles ,loc.cit,p 6.

مازالت نظرية وستحدد بدقة عندما يتم الكشف تماما عن القسم الخارجي للمدخل الشمالي الغربي[1]. ومن الصعب حاليا تمييز حدود المبنى و ذلك لأن المدرج يستند من هذا الجانب على ربوة مغطاة بأبنية حديثة. وقد قام الأثريون بوضع حفر إختبارية سمحت لهم بالتعرف على أربعة مراحل متتابعة للجدران الخارجية.[2]





صورة رقم 12: بوابتا جدار الحلبة الشمالي الغربي صورة رقم13 :المنصة الشمالية

(تصوير الطالب)

ب- الحلبة :Arena

للوصول إلى الحلبة يجب سلوك واحدة من بوابتين تقعان على جهة المحور الأكبر للمبنى من الجانب الشمالي الغربي و الجنوبي الشرقي . وتتكون كل مجموعة منها من باب رئيسي يبلغ عرضه حوالي 3.75م مجنحة من الجانبين بباب صغير عرضه متر واحد، وتوصل هذه الفتحات الثلاث إلى ثلاث ممرات تؤدي إلى خارج المدخل. هذه الممرات مبنية بالحجر الطباشيري المتباين تماما مع الحجارة الكلسية المستعملة في كامل أنحاء المبنى.[3]

الحلبة قطرها ما بين 45 و50 متر محاطة بجدار علوه ثلاث أمتار بني من الحجارة الكلسية المتراصة ، وتتراوح ارتفاع سويات الكتل الحجرية بين 50 و55سم. البوديوم مرئي تقريبا بكامله من أعلى جدار الحلبة و يبلغ عرضه حوالي 1.20م. ومحفور على أطرافه حزات أثبت فيها فرض الدرابزينات الحجرية بلغت ارتفاعها 0.47م و عرضها 0.26م[4]. ولقد بقي منها درابزينان في مكانهما قرب البوابة

[1] Ibid., loc.cit,p 7-8.

[2] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 61

[3] Loquément .R, Fouilles , loc.cit,p 8.

[4] De Pierre .M-C, op.cit,p 11.

الجنوبية الشرقية. كما بقي في القسم العلوي من الدرابزينات نقوش أسماء للعائلات التي ساهمت ماليا بتبرعاتها في توسعة المدرج.[1]

أسفل البوديوم يمتد رواق تم الكشف عن نصفه فقط تقع أرضيته على نفس مستوى أرضية الحلبة . السقف مكون من بلاطات البوديوم و مدعوم بسلسلة من القناطر المقوسة و الموازية لجدار الحلبة . وينفتح في جدار الحلبة ذاك سبعة أبواب تربط بين الرواق و الحلبة .كلل كل واحد فيها بساكف نحت عليه اسم عائلة متبوع بفعل بصيغة الجمع، أربعة باسم عائلة هونوراتياني و اثنان لعائلة فيكتورياني وواحدة لعائلة فينيري[2].

ج- جوف المدرج:Cavea

منذ انطلاق الحفريات عام 1965 تم الكشف عن جوف المدرج تقريبا بازالة التراب الذي يغطيه باستثناء القسم العلوي من القطاع الجنوبي الغربي الذي لايزال مطمورا. وقد بقيت الدرجات لمتواجدة في الشرقية محفوظة على الأقل الدرجة الأولى بينما زالت الأخريات Maenianumالناحية الشمالية تماما . و هناك الصفوف التي تفصل بين مجموعة من المقاعد. و لابد أن المدرج كان يشتمل حسب غزيل على 15 أو 16 صفا منها ، أو على 13 حسب لوكيمون تقع على مسافات منتظمة[3]. واستنادا إلى بعض التقديرات كان يتسع لحوالي 7000متفرج.[4]



صورة رقم 14: منظر عام للمدرج من الجنوب صورة رقم15: اسم عائلة هونوراتياني على احد المداخل

تصوير الطالب

---

[1] Castel .P, op.cit,p14-15 :de Pierre .M-C, op.cit,p 11-12.

[2] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p20,23.

[3] Lequément.R,op.cit ,p 9. ; Gsell .St, M.A.A,I, p203.

[4]Maitrot,Tébessa,loc.cit ,p64 .سلطاني علي ، المرجع السابق ، ص61

يصنف مدرج تبسة مع المدرجات المتوسطة الحجم وذلك بين المدرجات المتواجدة بالجزائر ، فهو أصغر من مدرجي لامبيز و شرشال و أكبر من مدرجات تيبازة و سكيكدة و جميلة. وإذا ماقارناه بباقي مدرجات العالم الروماني سنجد أنه يشبه عددا من المدرجات في غاليا . هذا النوع يتميز باستعمال الارتفاع الطبيعي علاوة على تراب الردم الناتج عن حفر الحلبة و الذي تسوى عليه درجات المدرجات، و هي إما تبنى بالحجارة أو الخشب .فالتشابه ملحوظ بينه و بين المدرجات المرتبطة بالمعسكرات الحربية مثل جميلة و تازولت.[1]

إن النقوش المؤرخة التي وجدت أثناء الحفريات ستسمح لنا بتوضيح جوانب من حياة المجتمع التيفستي خلال القرن الرابع الميلادي عبر تحديد دور العائلات الكبرى الغنية سواء في ترميم هذا المعلم أو إقامة ألعاب لسكان المدينة الذي تطلب نفقات ضخمة شملت قتال المجالدين و الحيوانات المفترسة و عروض ترفيهية متنوعةMunera.[2]

إن الأسبار الأثرية التي أجريت على المدرج كان الغرض مها أولا معرفة هندسة عمارة المبنى بشكل جيد، وثانيا تتبع التطور المعماري و الزمني للمبنى خاصة على طول الجدران الخارجية . في هذا السياق نشير إلى أنه تبع مبنى مدرج القرن الأول مبنى آخر في القرن الثالث وجرى تعديل آخر ومهم في بداية القرن الرابع استخدمت فيه الحجارة الكلسية المنحوتة جيدة التي برهنت على نشاط و مهارة ورشات نحت الحجارة بالمدينة . وهناك نص من العهد الإمبراطوري الثاني و تحديدا عهد الحكومة الربعية يذكر إجراء تميم للمدرج ما بين 293 و305م . هذا وقد قدمت الطبقة الترابية رقم 5 كمية هامة من الخزف المبرنق بالإضافة إلى قطعة نقدية تعود لعام 270م .وأدت مقارنة كسر الخزف المبرنق المكتشف مع نوع آخر إلى تحديد تاريخه بالقرنين الثالث و الرابع الميلاديين.[3]

[1] Maitrot,Tébessa,loc.cit,p10
[2] CIL.VIII,1887-88,16555-16560 ;Gsell .St, M.A.A,I, p203 ; Id, A.A.A,F29.n°101.
[3] Lequément. R, op.cit ,p 12,17.



صورة رقم 16 : جوانب أخرى من المدرج الروماني (تصوير الطالب)

إن الملفت للنظر في مدرج تبسة الروماني هو أنه منذ بدأت التنقيبات التي قامت على يد فريق من مصلحة الآثار في سنة 1965 لم تنفك عدد من مستويات المساكن في الظهور في القسم الأوسط لمبنى المدرج ، حيث يتواجد الأكثر حداثة منها على ارتفاع 3أمتار فوق الحلبة وكانت تستند على الوجه الأمامي للبوديوم . وقد أمكن أيضا من خلال الحفر التوصل لوجود ثلاث مستويات من المساكن أثبت البحث في الردوم من التراب و الحجارة الناتج عن تهدمها أن استعمال المدرج يتسلسل في الزمن من العهد الروماني حتى الوقت الحاضر بدون انقطاع [1].

وبشكل عام أظهرت حفريات المدرج كيف يمكن للحياة في حي سكني خلال العصور الوسطى أن تتحول لحياة ريفية ثم تعود بعد ذلك إلى طابعها الحضري ، و أن المدرج يعد دليلا واضحا على استمرار الحياة في المدن القديمة رغم تغير السلط الحاكمة المسؤولة عنها على مر العصور. ونحن نعتقد بأن المدرج لم يبح بكل أسراره ومازال قسم كبير منه تحت أنقاض بحاجة لمن يكشف عنها ، و في انتظار بعث التنقيبات فيه من جديد ننتظر من الجهات الأثرية المسؤولة بالعاصمة و البلدية بمدينة تبسة الالتفات أكثر لهذا المعلم الذي طاله التخريب و الإهمال وصار مزبلة عمومية، ولم يعد السياج الحديدي الذي ضرب حوله يوفر له الحماية الكافية من أيدي العابثين.

[1] de Pierre.M-C, op.cit,p 12-13.

ثانيا-الفوروم :

كان لتبسة الرومانية فوروم أو الساحة العامة أحد معالم المدينة التي اختفت حتى وقت متأخر. ورد ذكره في وثائق الشهيد ماكسيمليانوس [1]، وفي نقيشة أشار إليها ستيفان غزيل تعود إل عهد كركلا [2].
كما ورد عند صاحب الاستبصار في القرن 6هـ/12م وصف له [3]،و عند الرحالة الحسن الوزان في القرن 16م الذي ذكره بقوله :" وتشاهد في الساحة العامة كما في أماكن عدة من المدينة أعمدة رخامية منقوش عليها بكتابة لاتينية بحروف التاج ، وبناية قائمة على أعمدة رخام مربعة تعلوها قبة ". [4]
أما النقيب مول في عام 1859م فقد أكد وجوده حينما قال أن أطلال الفوروم كان جزء منها ما يزال قائما عندما وصلت طلائع الجيش الفرنسي إلى المدينة. ثم اختفت كلية منذ احتلالنا لها ، وكانت تقع تماما أما القصبة الحالية. [5]

إن مجموع الأدلة المتوفرة حول الفوروم تحملنا على الاعتقاد بأنه يجب البحث عن مكانه في القسم الغربي من مركز المدينة المحصور بين السور البيزنطي و الحيز المشجر المسمى النزهة أين لاحظ جيرول أثناء تسوية الأرض من أجل غراستها وجود بقايا أحجار منحوتة و تيجان و أعمدة من الرخام نقلت إلى المتحف و عثر على كتابة تعود إلى عهد فسباسيانوس. [6]

و نقل محافظ الآثار عن شيوخ المدينة أنهم ذكروا له أنهم كانوا يشاهدون أعمدة وركائز بالسوق قائمة غير بعيد عن موقع الحراسة العسكرية الحالي الذي ضم داخل السور البيزنطي ، وأن نصفه ألحق بالثكنة العسكرية المشيدة في العهد الفرنسي سنة 1859 . [7]وهو ما يوافقه عليه المحافظ السابق سيري دوروش الذي يرى بأن نصف الفوروم أدمج في الثكنة العسكرية ، وأبرز دليل على ذلك اكتشافات أثرية عفوية في الموقع إبان أشغال تمرير قنوات مياه عامي 79/1978م في قلب المدينة [8]. وعثرت

---

[1] Ruinart , Acta martyrum,p309.
[2] CIL.VIII,1858 : " ***tetrastylis duobus , cum statuis [……..e]t Minervae , quae in foro fieri prae[cepit]*** ";Gsell.St,A.A.A,29,n°101.
[3] Fagnan, L'Afrique, loc.cit,p 90.
[4] الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المرجع السابق ، ص63.
[5] Moll, Mémoire, loc.cit,p .64
[6] Girol .A , Etude, loc.cit,p145.
[7] سلطاني علي ، المرجع السابق ، ص67.
[8] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p19-20.

محافظة الآثار على عدة تحف أهمها قطعة من إفريز عليه رسوم نباتية وآدمية وحيوانية لعلها كانت إحدى أفاريز الفوروم.[1]

ثالثا- المسرح والدار الرومانية:

يعد من معالم المدينة المختفية و يرجح أنه كان يقع بين دار البلدية و السور البيزنطي في اتجاه الدار الرومانية على يمين باب شالة بحوالي 5أمتار[2] . وهناك نقيشتان ورد فيها الإشارة إليه ؛ تعود الأولى لعهد الولاية الربعية 305/293م تحدثت عن أعمال ترميم طالت منصة المسرح خلال عهدي ديوكليتيانوس و ماكسيميانوس و نائبيهما [3] .

أما الثانية فمجهولة التاريخ وجدت أثناء حفريات في الجنوب الشرقي من السور البيزنطي تشير إلى أشغال تهيئة في المسرح ربما كانت سابقة للأولى[4]. و حسب كاستل فقد شيد المسرح خلال عهد الأنطونيين و كان موجودا قبل عهد كومودوس 192/180م و احتل جزءا كبيرا من ساحة"ارقوت" خلال العهد الفرنسي. تألفت واجهته الرئيسية من سبعة أعمدة رئيسية واحدة على استقامة يفصل عن كل واحد منها مسافة 3.75م حملت أقواسا و متصلة ببعضها بجدار يمتد على طول الكاردو الكبير[5]. وراء هذه الواجهة يقع المدخل أو البهو الذي تقع أرضيته على نفس مستوى أرضية المدينة ، وكان الوصول إليه يتم عبر درج يقع أمام أو جانبي البهو. وخلف هذه الواجهة الرئيسية جنوبا كانت تقع المنصة[6]. و يرجح بأن قطع الأعمدة الأسطوانية الكبيرة أدمجت في السور البيزنطي عام 1886 من قبل قبل أحد العسكريين الفرنسيين و هو ألوت دولافوي لتفادي ضياعها . و بالنسبة للبعض فهذه الأعمدة كلها من بقايا المسرح الروماني .[7]

---

[1] سلطاني علي ، المرجع السابق ، ص68

[2] نفسه ، ص 71

[3] Berbrugger.A,Chronique,R.Af,III,1858-59,p74 ; CIL.VIII, 1862,p 1576 ;I.L.Alg .,I, 3051 ***: «saeculo beatissimo ? dominorum nostrorum Diocletiani et Maximiani augg…………….prOscaenium sVmtV Amplisimae civitatis Thevestinorum…………..*** //// // /////».

[4] I.R.A,3094 ; CIL.VIII, 1892=16511,p 1576 ;I.L.Alg .,I, 3073 ***: «……M INGRESSUS THEATRI……..pROPTER CUSTODIAM LOCI IVSSERNT »***

[5] Gsell.St, A.A.A, 29.n°101.

[6] de Pierre.M-C, op.cit,p 23 ; De Roch. S, Tébessa, op.cit, p.26.

[7] Maitrot , Tébessa, loc.cit ; p121.Castel.P,op.cit,p29-30 ; علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 73

وفيما يخص الدار الرومانية، فتقع داخل السور البيزنطي على يمين الداخل على باب شالة المسمى كذلك باب السيرك أو الساعة ، على بعد 20مترا جنوب قوس النصر . كما تدعى أيضا بقصر قائد القلعة. الجدران بنيت من الحجارة المصقولة و يبلغ ارتفاعها ما بين 6 إلى 7 أمتار و لم يبقى منها الآن سوى إفريز طوله 49.10متر . الدار مستطيلة الشكل وقد شيدت على مساحة واسعة تتألف من الداخل من عدة غرف و لها ثلاث مداخل ؛ الباب الرئيسي و بابان جانبيان. و نعتقد أن الولوج إليها كان يتم بواسطة صحنAtrium كان ينفتح عليها تلك المداخل.[1]

و خلص دوروش بعد معاينة بعض الثقوب في حجارة الجدران التي استخدمت لحمل ركائز ودعامات لطابق علوي و ربط هذه الدار معماريا بعدد من الأبنية التي تقع على خط واحد معها وتتضمن آثار دكاكين وأبواب و سلسلة من الأقواس الرومانية التي تحمل فوقها طابقا آخر، إلى القول بأنه يمكن أن تكون مقر إقامة قائد الفيلق حين كان هذا الأخير مرابطا بالمدينة[2].

لكن اكتشاف حجارة ضخمة عام 1926 تحمل جزءا من نقيشة إهدائية للامبراطور فسباسيانوس و ابنه تيتوس تبين أنها قسم من عمود اسطواني تنتمي للبازيليكا المدنية التي كانت تزينها من ناحية الغرب ، و أن الدار الرومانية شكلت الجزء الخارجي منها ، لاسيما و أن الديكومانوس الكبير كان يمر قريبا منها.[3]

رابعا- قوس نصر كركلا و قوس شارع سيرتا:

يقع على بعد 450متر إلى الشمال الغربي من المدرج ، شرع في بنائه عام 211 أو212 م وتم تدشينه عام 214م خلال عهد كركلا[4]. وهو على غرار قوس تراجانوس بروما ينتمي إلى طراز الأقواس الأقواس المربعة ذات الواجهات الأربع والأبواب الأمامية و الفتحة الواحدة[5] . و تعد كل واجهة فيه قوس

---

[1] de Pierre.M-C, op.cit,p9.

[2] de Pierre.M-C, op.cit,p 9 ; De Roch. S, Tébessa, op.cit, p24-25.

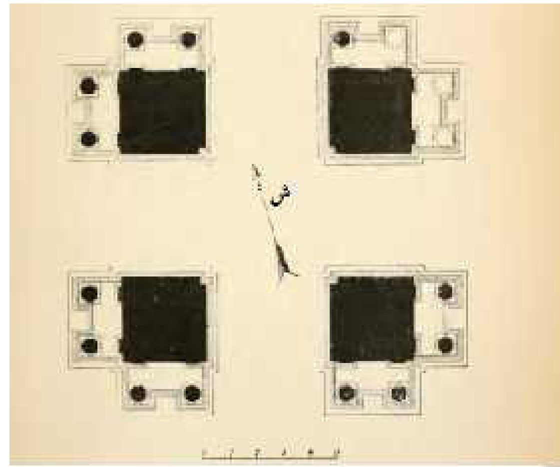
[3] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p25 ; علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 75-76

[4] Duruy.V,Histoire des romains depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'invasion des Barbares, Tome VI,Hachette, Paris,1883,p 136. ;Gsell.st,A.A.A, 29.n°101 ;Id, M.A.A,I,p180-5.

[5] Gros. P, L'architecture romaine,1.Les monuments publics , Picard éditeurs, Paris,1996,p80. ; Ginouvès. R, Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III .Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles, De Boccard, Paris, 1998,p71, et Pl36.n°6.

قوس نصر لوحده، ويعده المختصون خلافا لرأي غزيل و قرو [1] ، من أحسن النماذج عن هندسة الأقواس الرومانية في القرن الثالث الميلادي.[2]

ويعتقد عدد كبير من الباحثين بأنه كان يقع عند ملتقى الكاردو وأحد تفرعات الديكومانوس أو في وسط منشأة عمومية. وباستثناء اختفاء ثلاث أعمدة [3]، مازال يحتفظ بكل أجزائه الأساسية رغم حالته المتدهورة التي زادتها عمليات الترميم العشوائي وغير المدروسة سوءا.[4]



الشكل 8: قوس نصر كركلا
المرجع: Gsell.St,M.A.A.I,p279

شكل رقم33 : رفع معماري لقوس نصر كركلا

يتألف بدن القوس الرئيسي من أربعة ركائز مربعة عرض كل جهة مها 3.17متر مجموعة إلى بعضها مثنى مثنى بواسطة أقواس صغيرة يبلغ طولها 8.30متر، اثنان من هذه الركائز يحمل في جهته الداخلية نقوشا تتضمن إجراءات تنفيذ وصية كايوس كورنيليوس إغريليانوس قائد الفيلق الرابع عشر جمينا.[5]

---

[1] Id, M.A.A,I,p182 ; Gros. P,op.cit,p 198.
[2] Castel.P,op.cit,p16 ; De Roch. S, Tébessa, op.cit, p33.
[3] de. Pierre.M-C, op.cit,p8. ; Berthier .A, L'Algérie et son passé, Picard, Paris, 1951,p27.
[4] Meunier . J, L'arc de Caracalla à Théveste (Tébessa).Relevé et restitution, R.Af,82, 1938, p84-107.
[5] I.R.A,3085-86 ; CIL.VIII, 1858-59=16504,p 1576 ;I.L.Alg .,I, 3040-41.

علو القوس يبلغ 10.93متر من الأرض حتى الإفريز وهو يتركب من الأجزاء التي نجدها عادة في هذا النوع من الأقواس و هي الأساس أو البوديوم الذي تقع عليه قواعد الأعمدةSocles

تعلوها أعمدة تحمل تيجانا من النوع الكورنثي مزينة بأوراق الغار و نباتات زهرية. و يعلو هذه الركائز



صورة رقم16 : تبسة. قوس نصر كركلا

و الأقواس معا سقف خارجي حجري واحد معمد زين إفريزه بأشكال هندسية ونباتية متنوعة . أما داخل القوس فنجد السقف مؤلف من بلاطات حجرية طويلة أدخلت أطرافها في جدران الواجهات من الداخل، وكانت تزينه صندوقيات صغيرة لم يبقى منها اليوم إلا آثار قليلة.[1]

و استنادا إلى رأي بعض الأثريين كانت هناك قبة تعلو القوس محاطة بأربعة تماثيل آلهة شبيهة بتلك التي بقيت إلى الآن. لكن يظهر أنه رأي في غير محله إذا ما وضعنا في الحسبان بأن النقيشة الموجودة في الداخل على أحد ركائز القوس و التي تشير إلى وصية اغريليانوس التي تتضمن إنشاء قوس نصر تعلوه مجموعتين من أربعة أعمدة تحوي تمثالي الامبراطورين كركلا و أخوه سبتيميوس جيتا. وإذا ما تم احترام تعليمات الوصية فلم يكن قوس النصر تعلوه إلا مجموعتين من أربعة أعمدة تلك بدون قبة التي يتطلب بنائها أربعة مجموعات مؤلفة من أربعة أعمدة لكل منها.[2]

[1] Letronne .A, Arc de triomphe, loc.cit, p361.

[2] Gsell.st, M.A.A,I,p182-3. ; de. Pierre.M-C, op.cit,p8.

لقد خصصت كل واجهة من واجهات القوس لواحد من أعضاء العائلة الإمبراطورية . فالواجهة الغربية كانت حسب الجزء المتبقي من النقيشة ليوليا دومنا زوجة سبتيميوس سيفيروس ووالدة الإمبراطورين كركلا و جيتا وضمت مجموعة الأعمدة التي تعلوها تمثالها. وأهديت الواجهة الشرقية لسبتيميوس سيفيروس تحمل تمثاله هو الآخر. أما الجنوبية فكرست لكركلا مع تمثال يعلوها ، في حين كانت الشمالية منه في الأصل مخصصة لأخيه جيتا مع تمثال له، لكن بعد مقتله على يد كركلا اضطر المهندس الروماني إلى إجراء تغيير طارئ أثناء الانجاز تماشيا مع هذا الحدث.[1]

ويميل أغلب الباحثين اليوم إلى تبني الرأي القائل بأن هذه الواجهة الأخيرة أهديت إلى الإلهة

مينرفا وأن تمثالها كان موجودا هناك في فترة ما. وقد عثر جيرول أثناء جولاته في المدينة فعلا على تمثالها و تماثيل أفراد العائلة الإمبراطورية الآخرين.[2]

لقد تعرض قوس كركلا لتعديلات مهمة في السنوات اللاحقة للقرن الثالث الميلادي ، لكن أخطرها و أهمها هو ما وقع له خلال العهد البيزنطي ، فالتعديل — أو بعبارة أدق التخريب– الذي أجراه البيزنطيون عليه أدى لسد أقواسه الجانبية بحجارة رصت بعضها فوق بعض بشكل فوضوي دون استخدام الملاط . كما أغلقوا كذلك القوس الداخلي الموجود في الخلف في ناحية الشمال تاركين فتحة ضيقة جدا لمرور السكان . وبهذه الطريقة تحول إلى أحصن باب في السور كله يسهل الدفاع عنه.

وخلال العهد التركي حول إلى استراحة لجنود الحامية ، أما خلال العهد الفرنسي فقد قام سلاح الهندسة العسكرية بإزاحة الردوم عن الأقواس الجانبية و القوس الشمالي.[3]

أما قوس شارع سيرتا فكان يقع على طريق تبسة —سيرتا على بعد 100متر من باب قسنطينة عند طرف الديكومانوس الكبير من جهة الغرب ولم يبقى منه سوى الركيزة اليمنى و البلاط. كان بفتحة

[1] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p36.
[2] Girol .A , Etude, loc.cit,p152 ; Gsell.st, M.A.A,I,p184.
[3] de. Pierre.M-C, op.cit,p9.

واحدة و الركيزة الباقية صارت جزءا من أساس استخدم لإسناد بناء آخر لتخليد ذكرى الحملة الفرنسية على تونس عام 1882م.[1]

خامسا– معبد مينرفا :

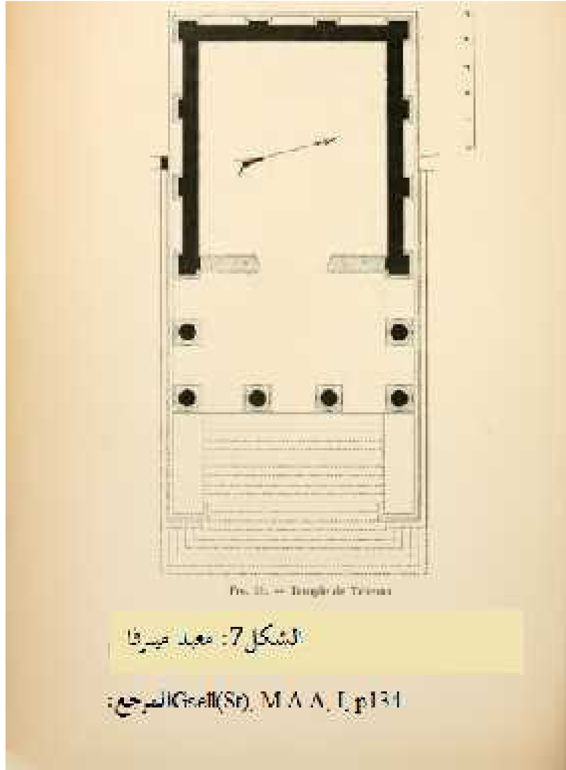
عندما ننطلق من الفوروم و نتجه شمالا نصل إلى ساحة بها أحد أهم معالم المدينة يقع داخل السور البيزنطي على امتداد الجدار الشمالي منه ، جنوب غرب قوس كركلا[2]. إنه المعبد المنسوب خطئا إلى مينرفا إلهة الحكمة و الفنون عند الرومان ابنة الإله الأكبر جوبيتر. و قد بذل الرومان جهدا كبيرا في



صورة رقم18 :منظر لمدخل المعبد والواجهات الشمالية و الشماليةالشرقية و الغربية

(تصوير الطالب)

[1]Gsell.st,A.A.A, 29.n°101 ;Id, M.A.A,I, p169-170. ; De Roch. S, Tébessa, op.cit, p27.
[2] Gsell.st,A.A.A, 29.n°101.



شكل رقم 34:

معبد مينرفا

المخطط العام

بنائه و ذلك أن أجمل المنشآت عندهم و أعظمها شأنا كانت دور العبادة. يعد هذا المعبد من بين أجمل المعابد الرومانية بالجزائر و أحسنها حفظا ، و قد وقع تصنيفه في الجريدة الرسمية بتاريخ 28 يناير 1968 كواحد من المعالم الأثرية القديمة بالجزائر.[1]

أستخدم المعبد في العهد الفرنسي لأغراض شتى، فمن ورشة لصناعة الصابون إلى مكتب للهندسة إلى مقر للقاضي المسلم ، ثم مطعم، فسجن، وأخيرا لحول لمتحف.[2] يتخذ المعبد شكلا مستطيلا إذ تبلغ أبعاده 18.80متر ×9 أمتار و يستند على قاعدة علوها 4 أمتار .و يتم الصعود إليه عبر سلم من 20درجة لم يبقى منها اليوم سوى 13 ، وربما يعني ذلك أنه تعرض لعملية رفع و إعادة بناء لا تتفق مع مخططه الأصلي.[3]

ينقسم المعبد إلى قسمين رئيسيين و هما البهو أو مقدمة الهيكل أو الايوان Pronaos و غرفةCellaالإله.ويقع هذان القسمان اللذان تصل بينهما بوابة كبيرة على نفس المستوى.و التبليط[4] الحالي للفسيفساء حديث و لاشك في أن الأصلي السابق له كان أكثر جودة وفخامة . لقد كان الجدار الأمامي للمعبد متهدما عند قدوم الفرنسيين ، أما داخله فقد احتلته عدد من الأكواخ التي

[1] de. Pierre.M-C, op.cit,p6.
[2] Gsell.st, M.A.A,I, p132-133.Berthier .A, op.cit ,p75.
[3] Gsell.st, M.A.A,I,p135.
[4] Letronne .A, Arc de triomphe, loc.cit, p364-365 ;Moll, Mémoire, loc.cit,p 45-54.

سكنها الأهالي في وقت ما. وحتى الفرنسيين أنفسهم أساءوا استخدامه مرات عدة كما أشرنا غلى ذلك سابقا قبل أن يقرروا تحويله إلى متحف للآثار القديمة.[1]

سمحت التنقيبات الأولى بالكشف عن آثار دهليز كان يحيط بالمعبد عثر على بقايا جداره الخارجي و البوابة الرئيسية بالقرب من الكاردو ، وكانت زاوية سيدي بن سعيد تقع قبالة المتحف حيث لوحظ بلاط روماني في باحتها . كما أن بوابة الضريح لم تكن إلا بوابة المعبد الأصلية.[2]

و تتألف جبهة المعبد من أربعة أعمدة أسطوانية رخامية ضخمة بيضاء مشربة بزرقة و خالية من النقوش ، و على جانبيها يرتفع عمودان آخران مشابهان. جدران الغرفة مزينة بدعائم نصف مدمجة فيها و كلا الأعمدة و الدعائم تعلوها تيجان كورنثية. و إلى الأعلى منها يمتد إفريز أفقي مزين بمنحوتات بسيطة .[3]

إن النظام الهندسي المتبع في بناء هذا المعبد على غرار المعابد الأخرى المماثلة التي تنتهي واجهتها العلوية برأس مثلث ، يوحي بأن تماثيل كانت تعلو واجهته الرئيسية وربما كل عمود ودعامة فيه. إن أكثر الرسومات المحفورة في الإفريز العلوي هي لطائر العقاب رمز الإله جوبيتر

و شعار الدولة الرومانية. وكان يعتقد أنها لطائر البوم رمز الإلهة مينرفا ، ومن هنا جاء الاعتقاد الخاطئ بأن المعبد أقيم خصيصا لها.[4]

إننا لا نعلم على وجه اليقين لأي واحد من الآلهة شيد هذا المعبد ، فالرسومات في مجملها لا ترمز إلى جوبيتر أو جونون أو مينرفا و هم ثالوث الكابيتول[5] . ولذلك يعتقد بأن المعبد أقيم للإلهين هرقل و باخوس الإلهان الحاميان للإمبراطور سبتيميوس سيفيروس . ويؤكد هذا الاحتمال أن الزخرفة و التقنية المستعملة في البناء تعود بلا شك إلى عهد السيفيريين[6] .

في حين يجزم "ميترو" بعد دراسة تفصيلية مستفيضة للرسومات و الزخارف المنحوتة على الإفريز العلوي و التي تخص عددا من الآلهة لا تقل عن عشرة منها كيريس ، هرقل ، مارس ، أطلس ، ايسكولاب، بأن هذا المعبد كان هو مبنى الكابيتول الذي يعد مجمعا للآلهة الرومانية كلها. أما كون أن

[1] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p29.
[2] De Villefosse.H , Tébessa et ses monuments , Le tour du monde, II, 1880,p 483.
[3] Gsell.st, M.A.A,I, p135.
[4] De Villefosse.H , Les monuments de Tébessa , loc.cit,p 21.;Gsell.st, M.A.A,I, p137.
[5] Maitrot ,Theveste, loc.cit,p76.
[6] Moll, Mémoire, loc.cit,p 48. ;Lezine.A, Architecture romaine d'Afrique. Recherches et mises au points, P.U.F, Paris, 1961,p129.

جوبيتر أو مينرفا ذكرا فيه أكثر من الآلهة الأخرى ، فذلك لأن الأول أعتبر الإله الحامي للمدينة ، أما الثانية فقد كانت لها مكانة وقدسية خاصة لدى سكانها.[1]

ويرى غزيل بأن المعبد استخدم ككنيسة خلال العهد البيزنطي إذ عثر في سنوات الأربعينات في الفسحة الواقعة بين السلم و باب السور الخارجي المحيط بالمعبد على قبور مسيحية عائدة إلى هذه الفترة.[2]

سادسا- القصر القديم :

وقع اكتشاف عفوي للقصر القديم بحي الزاوية عقب أشغال وقعت في شهر أفريل من عام 1972م

بوسط المدينة جنوب شرق السور البيزنطي عندما قامت مقاولة أولاد تتار ببناء أربعين سكنا في أرض المقبرة الإسلامية القديمة. وأثناء الحفر على الأساسات تم اكتشاف الآثار التي ضمت عدة مستويات طبقية تمتد على عدة عصور ، وكانت رغبة السلطات المحلية في إتمام مشروع السكنات و لو على حساب الآثار. وبعد محاولات عديدة و اللجوء إلى قانون حماية الآثار تم الاتفاق على ترك مساحة16 مترا مربعا لوضع حفر اختبارية . و خلال شهر واحد فقط بدأت الحفريات وأخذت تتسع مساحتها متخذة شكل شبه منحرف بلغت أضلاعه الأبعاد التالية :شرقا 37.15متر ، غربا 36.94متر، شمالا 31.10متر، و جنوبا 31.35متر. وتحيط به من جميع جهاته طرق أو مساكن باستثناء الناحية الشرقية التي لا تزال مقترحة لمواصلة التنقيبات الأثرية وهي رقعة مربعة تدخل ضمن أملاك البلدية طول ضلعها 150متر[3] . و هو حاليا مغلق أمام الزوار باستثناء البعثات العلمية و الوفود الرسمية ، و محاط بسياج حديدي قوي ومحكم. وعلى الموقع حارس يتولى حراسته و مرافقة الزائرين له. وقد رافقني شخصيا أثناء زيارتي للموقع و معاينته وقدم لي كل المساعد الممكنة.

يظهر من الدراسات الأولية أن القصر يعود إلى فترة غير محددة بصورة قطعية قد تكون القرنين 5 و6 وهو رأي يحتاج لتأكيد في انتظار الكشف عن الأجزاء المطمورة منه تحت التراب. ويتكون القصر من 12 غرفة كانت كلها مبلطة بلوحات فسيفسائية جميلة ، و لاتزال 8 منها مفروشة بها لحد الآن وأربعة نزعت لا ندري متى(1994). و توضح الرسوم و الزخارف على اللوحات مدى غنى صاحب المنزل و

[1] Maitrot ,Theveste, loc.cit,p69-76.
[2] CIL.VIII, 2016=16517,10636-38,=16519,10639.Gsell.St, M.A.A,I, p137 ;Id, M.A.A,II, p291-292.
[3] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 134.

المستوى الفني الذي أنجزت به وفي كثرة الألوان و تناسقها وتداخلها ، ما يعتبره البعض دليلا على تقدم الفنون الزخرفية في المدينة.[1]

مما عثر عليه في هذا الموقع بعض الشواهد على الفترة الإسلامية وحتى الحديثة منها هياكل عظمية دفنت في مساحة أبعادها 30×20متر بعضها فوق بعض. و لما تم التحري عن هذه الحفرة ذكر بعض المسنين في المدينة آنذاك (1993) أن المسؤول الفرنسي عن البلدية حينها و يدعى جول كامبون أمر بدفن تلك الجثث جماعيا بسبب وباء ضرب المدينة عام 1920.و الملفت أن تلك القبور وجدت في مستوى طبقي يقع فوق مستوى اللوحات الفسيفسائية .[2]



صورة رقم19 : القصر القديم (تصوير الطالب)

أما عن الفترة القديمة فقد كشف التنقيب عن مجموعة من القبور و التوابيت الحجرية متعددة الأشكال منها الشكل المستطيل و المربع و الأسطواني. كما وجد رماد الموتى داخل أواني فخارية

بعد حرق الجثث و هو ما يدل على عادة وثنية . علاوة على المصابيح الزيتية و أواني فخارية كثيرة مهشمة وكؤوس زجاجية ربما كانت للاستعمال اليومي أو لحفظ عقاقير طبية ، كل ذلك على مساحة

[1] علي سلطاني ، المرجع السابق ،ص 134.
[2] نفسه ، ص 135

مبلطة بالأحجار مع ممرات مبلطة بالقرميد. و اكتشفت في الجهات القريبة من القصر لوحات فسيفسائية أخرى عند مفترق الطرق بالشمال الغربي سنة 1978 ، حيث عثر على قصور مماثلة عاينها سكان المدينة أثناء بناء العمارات السكنية .[1]

لقد تبين من دراسة المسكوكات البرونزية التي وجدت بالقصر أنها تعود إلى القرن الرابع لميلادي ، وبعد مقارنة زخارف فسيفساء البازليك المسيحية مع تلك الموجودة على فسيفساء القصر لوحظ شبه تطابق تام بينهما مع تحويرات بسيطة قد تعود لختلاف الحرفيين والمواد المستعملة لكن المهم هو غياب الرسوم و الصور الآدمية و الحيوانية في كل زخارف القصر وصحن الكنيسة ، مما يعني أنهما من العهد المسيحي مع أسبقية الكنيسة زمنيا.[2]

يبدو من المخطط العام للقصر وطرازه المعماري و عناصر الفسيفساء التي تختلف كلية عن رموز القرون الثلاثة الميلادية (من القرن الثاني إلى الرابع) و التي تميزها المواضيع الميثولوجية المستمدة من الأساطير الإغريقية و الرومانية مثل تتويج فينوس ربة الحسن و الجمال [3]، و الحضور الزائد للصليب المحفور في الحجر مع وفرة في الأشكال الهندسية المتنوعة ، يمكن القول في ظل المعطيات الحالية بأن القصر يعود للعهد المسيحي و على الأرجح العهدين الوندالي أو البيزنطي حيث تحمل لوحاته خصائص و مميزات الفسيفساء البيزنطية.[4]

سابعا-الحمامات :

تعد من المعالم المفقودة ، تم اكتشاف أطلالها عام 1886 من قبل الرائد ألوت دولافوي أثناء حفريات قام بها قرب حي الخيالة الواقع على بعد 200متر شمال غرب المدينة[5]، تلك الأطلال عبارة عن قسمين أحدهما عند الحي و الآخر عند ملحقة مكتب الهندسة العسكرية[6] و لم يبقى منهما أي أثر.[7] لكن الأول منهما أجري رفع معماري له و كان موضع تقرير مفصل من قبل النقيب ميترو الذي وضع

---

[1] **علي سلطاني ، المرجع السابق، ص 135.**

[2] **نفسه ، ص 137.**

[3] **لمزيد من التوسع حول مواضيع فسيفساء تبسة أنظر :إلياس عريفي ، مجموعة فسيفساء تبسة .دراسة أثرية وجرد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص آثار قديمة ،إشراف الدكتور فيلاح محمد المصطفى ، معهد الآثار ،الجزائر، السنة الجامعية 2009/2008.**

[4] **علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 138**

[5] De la Füye. A , Note sur quelques découvertes faites à Tébessa pendant les années 1886-87 ,R.S.A.C, 24, 1886-87,p199-233.

[6] CIL.VIII,16530, 16538.

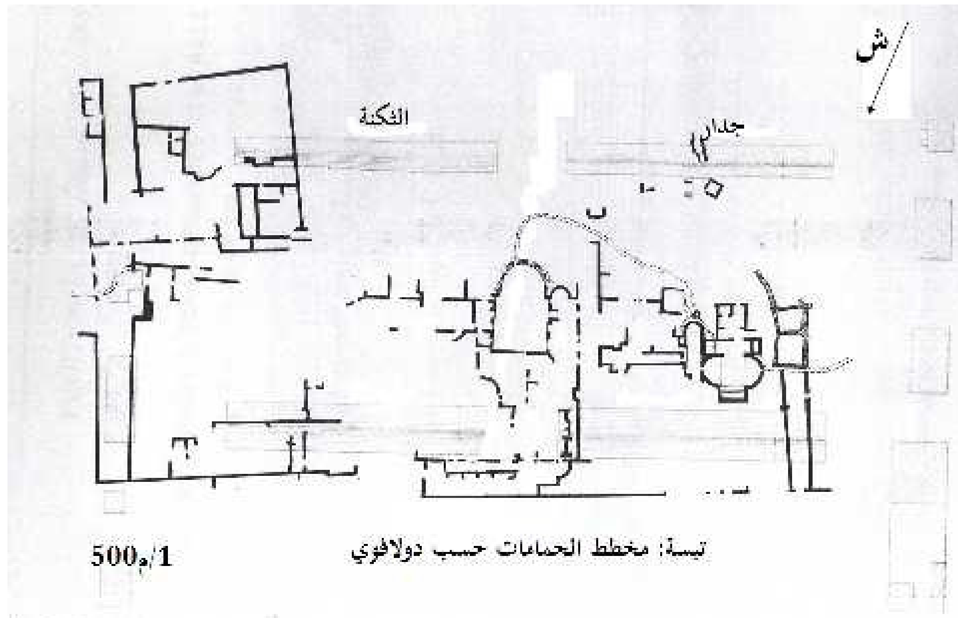
[7] Gsell.st, A.A.A,.F 29.n°101.

مخططا مفصلا عنه عام 1911 لكنه لم يكن موجها جغرافيا نحو الشمال كما تقتضي المواصفات العلمية.[1]

تألفت الحمامات الرومانية من ثماني قاعات مبلطة بلوحات فسيفسائية فاخرة على مساحة واسعة بلغت أبعادها 180× 100متر ، منها قاعة مخططها على شكل حرف T

تشمل قاعتين نصف دائريتين . القاعة رقم 1 تتصل بالقاعة رقم 2 بواسطة باب في أسفل إحدى

القاعتين النصف دائرية. و وجد باب آخر يفتح على القاعة رقم 1 في الجانب المقابل لحوض السباحة الأكبر يسمح بالدخول للقاعات الأخرى.[2]



شكل رقم35: تبسة .مخطط الحمامات

المرجع: De Villefosse .H, Les Mosaïques de Tébessa, loc.cit,PL XVI.

بلغت أبعاد القاعة الأولى بما فيها المسابح 9.80×5.20متر، و الثانية 11.60×2.30متر

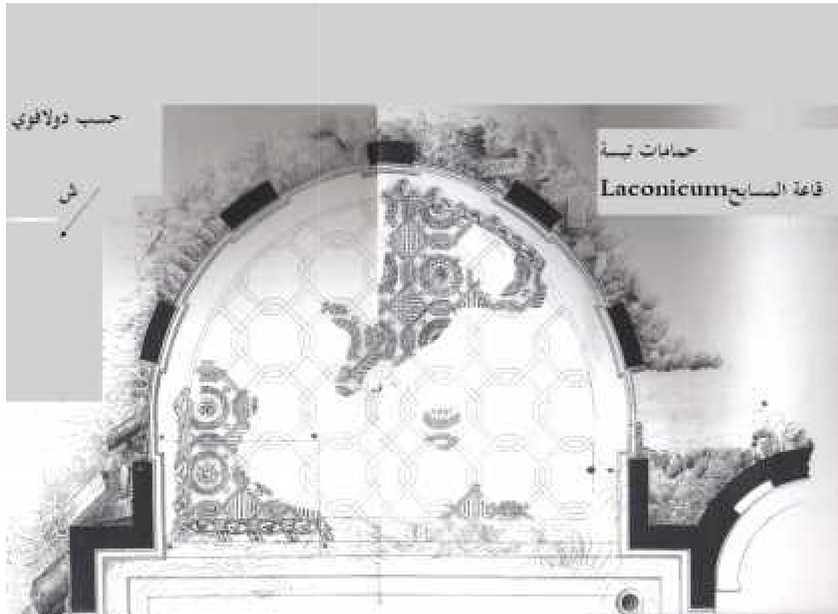
وعند طرفي حرف T نجد ثلاث مسابح مستطيلة أبعاد الصغيران منها تبلغ 2.80×1متر و الكبير 5.20×1.50متر. و هناك قاعة أخرى واسعة الجوانب على شكل نصف دائرة قطرها 7أمتار تغطي كل واجهة قبة ترتكز على عمودين كبيرين تظهر المساحة نصف الدائرية تحت القاعة رقم 1 على عمق

[1] Maitrot, Theveste, loc.cit, p91-100.
[2] Gsell.St, M.A.A,I, p 234 ; Maitrot, Theveste, loc.cit, p91-96.

30سم حيث وجد مجرى للمياه القذرة مصنوع من أنابيب رصاصية.كما تصب فيها مياه الأمطار و الغسيل تذهب كلها إلى موزعين يصبان في المجرى الرئيسي. و زينت جدران وقاع المسابح بالفسيفساء والقاعة هذه التي كانت هي الغرفة الدافئة للحمام Tepidariumكانت مبلطة كلها بلوحة فسيفسائية تمثل انتصار فينوس وهي خارجة من اليم.[1]

القاعة الثانية مستطيلة الشكل أيضا أبعادها 11.50×3.50متر مفتوحة في أحد جوانبها على مسبح نصف دائري عرضه2.50م ، وهناك قناة تمر على ارتفاع متر واحد فوق الأرضية تحمل الماء إلى المسبح الكبير و الصغير. هذه المياه مصدرها بئر عمقه 20مترا مبني بحجارة منحوتة . وحافتها نحتت عليها أربعة رؤوس بارزة . وأرضية هذه القاعة زينت بالفسيفساء مثل القاعة 1. و هي التي تدعى عند الرومان بالقاعة الباردة . Frigidarium[2]

أما القاعتين 3و4 فتتضمنان بقايا الموقد والأساسات القرميدية ، ولابد أنها كانت تستعمل لتسخين الكالداريوم أو الغرفة الساخنة و الدوداتوريومDudatorim. و فيما يتعلق بالقاعات الباقية فقد كانت متصلة ببعضها ، فالقاعة 6 كانت متصلة بالقاعتين رقم 5 و رقم 7 و عليها زخارف كثيرة من



شكل رقم 36: مخطط قاعة المسابح Laconicum

المرجع:. De Villefosse .H, Les Mosaïques de Tébessa, loc.cit,PL.XVIII

[1]De Villefosse .H, Les Mosaïques de Tébessa, loc.cit,p 234-238. ; CIL.VIII,1858 ; Gsell.St, M.A.A,II, p109 ; de. Pierre.M-C, op.cit,p23-24.
[2] De la Füye. A , Note, loc.cit ,p204-210.

الفسيفساء تمثل مناظر الطيور و الورود ، ومنها قبة مغطاة بقطع من الزجاج عليه رسوم طيور و أكاليل الزهور . و القاعتان 7 و8 تقعان أسفل القاعات الأخرى على عمق 30سم و هما مبلطتان بالرخام.[1]

و تتميز القاعة 8 بتبليط رخامي أوسع من القاعة 7 مع وجود عدة تيجان كورنثية كانت مزخرفة بأوراق الغار ثم حورت إلى رسومات دلافين. وحسب ميترو كانت مجموع هذه الغرف الأربعة مكرسة للإلهين أبولون و ديانا. ولعل في هذا الرأي شيء من الوجاهة خاصة إذا ماعلمنا أنه تم اكتشاف في عين المكان لوحتان رخاميتان عليهما في أحد الوجهين اسماهما ، و على الآخر اسم الإمبراطورين كركلا و أخوه جيتا ابنا سبتيميوس سيفيروس[2]. و غير بعيد إلى اليسار منها؟ ، نصادف قاعات أبسط وأصغر لا تحتوي زخرفة فسيفسائية كثيرة و مهمة مثلما هو الحال مع القاعات السابقة ، ربما لأنها كانت موجهة لعامة الناس[3]، و لعلها هي التي أقيمت فيه ألعاب الجمنازيا التي أوصى بها كايوس كورنيليوس أغريليانوس في وصيته[4] ، و التي يظهر بعض أبطالها على اللوحات الفسيفسائية التي وجدت بالحمامات سنة 1886 مثل انتصار الرياضي الإفريقي الشهير ماركيلوس، أو ألعاب التسلية و الترفيه التي كان المستحمون يلعبونها طيلة اليوم و التي تبرز البعد الاجتماعي و الترفيهي للحمام الروماني في مدينة تبسة و سائر المدن الرومانية القديمة.[5]

نضيف إلى هذه الحمامات الكبرى أخرى صغيرة عثر عليها خارج باب قسنطينة على بعد 200متر على يسار الباب ، حيث أكتشفت فيها قطع قرميدية تحمل شعار الفيلق الثالث الأغسطي على نموذجين: الأول LEG III A V G و الثاني LEG III A G[6].

فربما حسب ميترو عنى ذلك أنه كان عسكريا مخصصا لجنود الفيلق دون سواهم.[7]

---

[1] De la Füye. A , Note, loc.cit , p 215-218.

[2] Gsell. St, Musée de Tébessa, p69-70 ;Maitrot, Theveste, loc.cit, p98-99.

[3] Gsell. St, M.A.A,II, p110 ;Maitrot, Theveste, loc.cit, p99.

[4] IRA,3085 ;CIL.VIII,1858-59=16509 et p939 ;I.L.Alg, I,3040 ; « ***……gyMANSIA POPVLO PVBLICE IN THERMIS PRAEbentur***…………..»

[5] Thébert .Y, op.cit ,p 445,454 . ; Dondin-Payre.M, Theveste et ses thermes, le dossier de François-Maurice Allotte de la Fuÿe(1886) :In B.S.N.A.F,2009,2012,pp279-291. ;Id, Les thermes romains de *Theveste*-Tébessa et l'album de François-Maurice Allotte de la Fuÿe : In document sur des vestiges méconnus.In : C.R.A.I,154 année, N2,2010,pp709-738.

[6] Gsell. St, Musée de Tébessa, p76.n°4 ;Cagnat .R, Armée romaine, p 430 ; I.L.Alg, I,3098.

[7] Maitrot, Theveste, loc.cit, p100.

ثامنا-المقبرة الرومانية أو مقبرة مدرسة الدكتور سعدان :

تقع غرب السور البيزنطي على بعد حوالي 300متر على مقربة من شارع قسنطينة (الأمير عبد القادر حاليا). هذه المنطقة تقع على حافة النسيج العمراني لمدينة تبسة و لم تزحف عليها المشاريع السكنية إلا متأخرة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي . لذلك لم تكتشف المقبرة الرومانية بها إلا مع انطلاق أشغال التهيئة العمرانية مثل مد شبكات الهاتف و الماء و الصرف الصحي و تعبيد الطرق.[1]

فبتاريخ 26 جانفي 1976 اكتشفت إحدى المقاولات أثناء الحفر في مدرسة الدكتور سعدان لبناء أقسام دراسية مقبرة رومانية مسيحية بها قبور مغطاة بلوحات قرميدية وتوابيت. و مباشرة بعد اخطارها بالأمر أوقفت مديرية الآثار الأشغال مؤقتا بالتنسيق مع السلطات البلدية و باشرت حملة حفريات إنقاذية.

كانت الحصيلة الأولى للأعمال مشجعة خاصة وأن التي أشرفت عليها بعثة أثرية برئاسة الآنسة فاطمة قادرية خضرة طيلة شهر ماي من سنة1978.[2]

لقد سمح فقط لمديرية الآثار بالتنقيب في مساحة 12 متر مربع في الركن الجنوبي الشرقي للمدرسة ، فعثر على 49 تابوتا حجريا مغلقا باحكام بواسطة بلاطات حجرية .علاوة على 8 قبور لايزال عليها التبليط بالفسيفساء الجنائزية عليها كتابات لاتينية تتصدرها أشكال دائرية و يتوسطها حرفا الألفا و الأوميغا الدالة على الهوية المسيحية للمتوفى. كما اكتشف أيضا 60قبرا آخر من القرميد في مرحلة لاحقة من الحفر بها ما لايقل عن 10شواهد جنائزية.[3]

وزيادة على ما تقدم أجريت أعمال بحث بمنطقة ذراع الغودار الواقعة على بعد كيلومتر ونصف شمال مقبرة الدكتور سعدان .في هذه المنطقة الثانية عثر على مقبرة أخرى في شهر مارس سنة1979 بها توابيت مغطاة

---

[1] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 126

[2] Khadra. F-K, Recherches et travaux en 1977-1979, B.A.A,VII, 1977-1979,p9-28.

[3] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 126

وقبور شهداء مسيحيين ونقوش جنزية مسيحية كشفت عنها التنقيبات .ومن المحتمل أن مقبرة الدكتور سعدان وذراع الغودار تنتميان لمجموعة جنزية مسيحية متأخرة زمنيا تقع شمال غرب تبسة القديمة.[1]

إن دراسة النمط الباليوغرافي للكتابة و المعالم المكتشفة و مقارنتها مع نظيراتها المدروسة و المكتشفة في الكنيسة الكبرى من قبل الباحث بول ألبير فيفريي الذي نشرها في أحد أعداد مجلة الآثار الجزائرية عام 1967 [2]، إلى جانب دراسة الكتابات اللاتينية التي عثر عليها من طرف الباحثة خضرة أوصلتاهما إلى أن المقبرة تعود إلى القرنين الرابع أو الخامس الميلاديين.[3]

و تدل محتويات بعض القبور التي فتحت على أن أصحابها كانوا على درجة من الغنى و اليسار، وقد ظهر في بعضها أسباب موت المتوفى بدليل وجود هياكل ملفوفة في الجير بين أحد أضلاعها

سهما و رأس حربة. ولا يعرف يقينا المساحة الفعلية للمقبرة إذ بلغت امتدادتها حوالي كيلومتر واحد.[4]

لقد حاولت معاينة هذه المقبرة في إحدى جولاتي الاستطلاعية لآثار مدينة تبسة ، ورغم أنني كنت أحوز ترخيصا من مصلحة حماية التراث الأثري بوزارة الثقافة و موافقة مديرة الدائرة الأثرية لتبسة إلا أنني لم أتمكن من الولوج اليها ولا حتى تصويرها لمحاولة نقل صورة أقرب عن حالته المادية بسبب معارضة مدير المدرسة الابتدائية الملاصقة لها ، و التي تعد السبيل الوحيد للنزول اليها عبر سلم من ساحتها . ونظرا لعلو السور من ناحية الطريق العام ووجود سياج حديدي كان من المستحيل التقاط و لو صورة عامة لها.

تاسعا– معصرة بير سغاون (بريزقال):

وتسمى كذلك بير سغاون، و رغم أنها ليست من معالم المدينة إلا أنها تعد واحدة من أبرز معالم الضاحية ، لذلك رأينا أنه من الضرورة عدم إهمال معلم بهذه الأهمية التاريخية و الأثرية لمجرد أنه يقع

---

[1] Khadra(F-K), " Recherches et travaux en 1977-1979", B.A.A,VII, 1977-1979,pp12-22.

[2] Baghli .S-A, Fevrier. P-A," Recherches et travaux(1966-1967) " II,B.A.A, 1967-1968,pp1-9.

[3] Kadria.F-K, Nécropoles tardives de l'antique Theveste :mosaïques funéraires et *mensae*,Africa romana,Sassari 16-18 dicembre 1988, Edizione Gallizzi,Sassari,1989,p269,274-281.

[4] **علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 128**

خارجها. و توجد هذه المعصرة على الطريق الرابط بين تبسة و بئر العاتر على بعد حوالي 35كلم جنوب المدينة و تبعد عن الطريق المعبد بكيلومتر واحد. و من المرجح أنها كانت ملكا لأحد الملاك الكبار بالمنطقة الذي أقامها على ضيعته لعصر الزيتون الذي كانت تنتجه أراضيه و المزارع المحيطة به و المنتشرة بكثرة خلال العهد الروماني ؛ حيث تم رصد ما لايقل عن أطلال 200معصرة زيت في المنطقة المحصورة بين جنوب الماء البيض و نقرين.[1]

بلغت أبعاد الجزء القائم منها 20.20×18.60متر ، و يظهر من الأطلال الباقية أنها كانت مؤلفة من ثلاث طوابق ، وتنتشر حجارتها على مساحة قدرها 800متر مربع ، وربما كانت تبلغ خلال العهد الروماني 2000متر مربع نظرا للامتداد الواسع للأطلال و طول السياج المحيط بها[2]. لقد زارها غزيل بصحبة أحد المهندسين الذي وضع لها مخططا مع رفع معماري ومقاطع لإظهار الأجزاء الأساسية فيها.[3]

شيدت المعصرة على أساسات من الحجارة الكبير المنحوتة أو من الحجارة الصغيرة و الدبش. وتظهر الجدران كأنها سلسلة من الحجارة المتوضعة بعضها فوق بسبب اختفاء الحشوة أو الملاط الذي كان يشدها إلى بعضها البعض ، ومع ذلك من المدهش أنها لا تزال قائمة. و تتوزع داخليا إلى أربعة أقسام متوازية تفصل بينها ركيزتين تحملان أقواسا وتضفي منظرا بهيا على المعلم. و بين القسمين الثالث و الرابع تنتصب سلسلة من الأعمدة –العاصرة عددها ستة في حالة حفظ جيدة يعلوها جدار ممتلئ.[4]

تلك الأعمدة بها إلى الآن آثار الفجوات على ارتفاع مناسب كانت تثبت فيها جذوع الأشجار أو الدعامات الخشبية المستعملة في عملية الضغط على سلة الزيتون لاستخراج الزيت. ويعتقد غزيل أن حفريات بسيطة محدودة زمنا و مكانا ستؤدي للكشف بسهولة عن الطاولات الحجرية و الفجوة التي كان يتسرب منها الزيت نحو أحواض التصفية و التجميع، هذه الأحواض التي تم الكشف عنها ليس بفضل عمل أثري و لكن عن طريق حفر عشوائي قام به البدو الرعاة لاستخدامها كمشارب لماشيتهم.

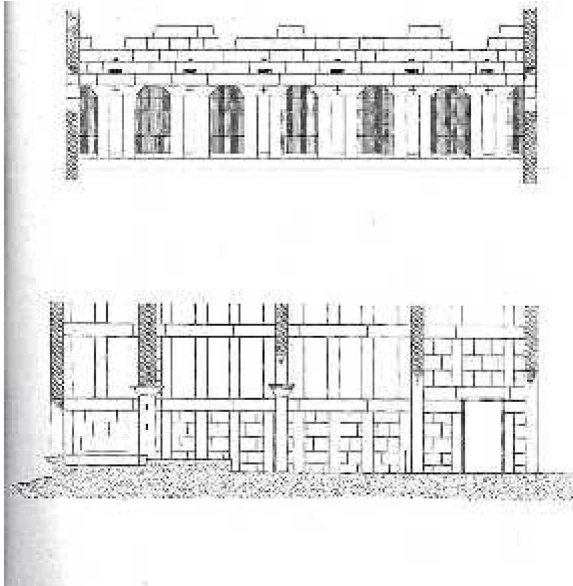
[1] De Bosredon . L, Mémoire,loc.cit, XVI, 1873-4, p. 54 et pl. 1.

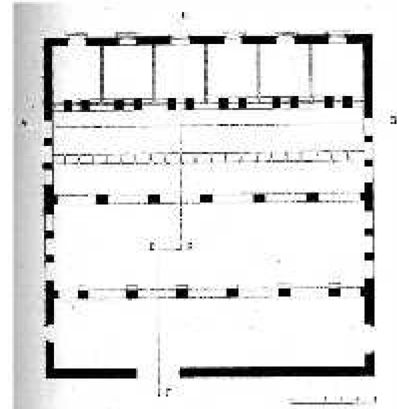
[2] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 79

[3] Gsell.St, M.A.A,II, p30.

[4] Camps-Fabrer.H, L’olivier, op.cit, p53-54.

و حسب جان –بيار بران الذي قام بعمل ميداني محدود فيها عام 1984 فقد بلغت أبعادها 2.25×1.45×1.10متر وسعتها 3600لتر[1] . و القاعة الرئيسية لابد و أنها ضمت مطاحن الزيتون أو حتى مخزن لحفظ الجرار.[2]





شكل رقم 38:معصرة بير سغاون– مقطع عرضي

شكل رقم 37:معصرة بير سغاون

مخطط عام

المرجع:Gsell.St, M.A.A ,I, p197

[1] Brun. J-P, Archéologie du vin et de l'huile dans l'empire romain, édition Errance ,Paris,2004, p221.
[2] Gsell.St, M.A.A,II, p30-31.



صورة رقم **20**: المعصرة من الداخل صورة رقم **21**: المعصرة من الخارج

(تصوير الطالب)

يعتقد القائمون على الآثار بولاية تبسة بأن هذه المعصرة الكبرى الآن في حالة حفظ جيدة و أنه لا خوف عليها لاسيما بعد تصنيفها عام 1980م كمعلم أثري وطني و رصدت لها ميزانية للترميم و الحفظ و الأعمال جارية من قبل السلطات المعنية على كل المستويات الإدارية منها و التقنية ووضع مشروع لترميمها سنة 1994/1993[1](هذا الكلام في عام 1994) . و رغم أنهم ثمنوا قيمة المعلم الأثرية و التاريخية إلا أن كل ذلك بقي حبرا على ورق .

نعم أقول حبرا على ورق و لست هنا متجنيا أو متحاملا على أي كان. لأن زيارة ثانية لموقع المعصرة في شهر سبتمبر عام 2003 جعلتني أقف على كارثة حقيقية ألمت بالمعلم . فقد ضربت عاصفة رعدية المنطقة بتاريخ 27 أوت وهطلت أمطار غزيرة وهبت معها رياح قوية بلغت سرعتها 100كلم/سا أطاحت بجدارين من جدرانها كانا قائمين لعدم تماسكهما بسبب غياب أعمال الترميم التي كانت مقررة منذ 10سنوات خلت ولم ينجز من المشروع سوى سياج حديدي وحارس يأخذ أجرته من بلدية الماء الأبيض و ليس حتى الدائرة الأثرية بتبسة. ولست أدري إلى الآن ما الذي حل بالمعصرة لاسيما و أن رئيس البلدية المذكورة أخطر السلطات في مدينة تبسة التي بدورها رفعت تقريرا عن الواقعة إلى الجهات المعنية بالعاصمة. فأي هوان حل بآثارنا في عهد الحرية و الاستقلال.

وحتى يطمئن قلبي فقد راجعت العديد من الصور الجوية التي التقطت في الثلاثينيات للمعصرة من نواحي عدة وقارنتها بحالة المعصرة اليوم ، فلم ألحظ فارقا يذكر سوى اختفاء المزيد من الحجارة المنحوتة من الموقع ، عدد منها بنى به حارس المعصرة زريبة لماشيته تحت سمع السلطات و بصرها. وحين يأتي باحث أو أثري لمجرد الاستطلاع يمنع بشدة من الاقتراب منها فضلا عن التقاط صور بحجة أن القانون يمنع ذلك.فهل من مجيب ؟

[1] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص 80

عاشرا-الكنيسة الكبرى:

تقع هذه المؤسسة الدينية الكبرى التي بنيت وفق الطراز الكورنثي على بعد 500متر تقريبا شمال قوس نصر كركلا [1]، و تبلغ مساحة هذا المجمع الكنسي أزيد من 20 ألف متر مربع يحيط بها سور مربع غير مستوي. ورغم آراء وأعمال الباحثين الكثيرة التي تعاقبت على الموقع و حاولت أن ترى فيه معالم عدة مثل الفوروم الحيواني [2]، أو البازيليكا المدنية أو مقر المحكمة [3]، أو حتى دير محصن يعود للعهد البيزنطي . [4]

شكل رقم 39:الكنيسة الكبرى و ملحقاتها. (بتصرف الطالب)

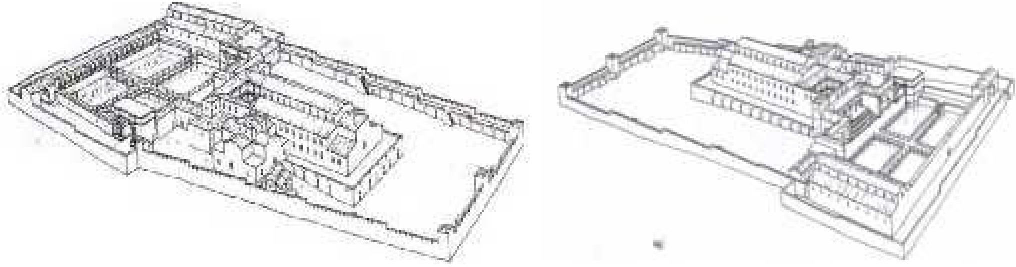
المرجع: Christern . J, IL complesso, loc.cit, p104.Fig1.

غير أن ستيفان غزيل عام 1901 بعد عدد كبير من الحفريات و الدراسات التي أجريت على اللقى الأثرية حسم هذه المسألة و رد هذه الآراء مؤكدا بأنها كنيسة تعود إلى العهد الإمبراطوري الثاني في فترة

[1] Mesquesse,Notes sur la basilique de Théveste,R.Af,30,1886,p477-478.
[2] Girol .A, Etude,loc.cit , R.S.A.C, 10,1866, pp 186-213.
[3] Castel .P, op.cit, p50-51.
[4] Moll , Theveste, loc.cit ; 1860-1861, p 209-213 ; Ballu .A, *Tébessa, Lambèse, Timgad* ,Paris,1894, p15-20 et planches 4-13 ;Id, le Monastère byzantin de Tébessa ,Paris, 1897. ;Gsell.St, Chronique archéologique,R.Af,38,1897,p219.

انتصار المسيحية مع نهاية القرن الرابع و مطلع القرن الخامس الميلاديين ، وكل المعطيات الأثرية تشير إلى أنه بني منذ البداية ليكون مكان عبادة للديانة الجديدة ، ولم يعدل عن أبنية سابقة.[1]

لقد أظهر ميترو شغفا شديدا بهذه الكنيسة حتى إنها كادت تنسيه باقي معالم المدينة الأخرى التي لا تقل عنها أهمية . وواضح هنا أن العاطفة الدينية كانت تحركه لإبراز الماضي المجيد للديانة المسيحية بالمدينة إلى درجة أنه خصص القسم الأكبر من دراسته حولها للكنيسة ، حيث قسم تاريخها لأربعة فيهما[2]، ومع أن معطيات الآثار تشير إليه إلا أنه يصعب زمنيا ربطه بهما لعدم كفاية الأدلة.



شكل رقم 40 و41: الكنيسة الكبرى .إعادة تصور للواجهتان الغربية و الجنوبية الشرقية

المرجع : Gui .I et autres, Basiliques, op.cit ,PL CLIV.

خلال حفريات شهر ماي 1944 م اكتشفت رواق طويل مسقف بقوس اسمنتي طوله 200متر . هذا السرداب الذي بلغ عمقه 9 أمتار تمر تحت الممشى الكبير ثم الدرج الكبير ويحيط بالكتلة الرئيسية للكنيسة ناحية الشرق ، ثم يمتد أسفل القاعة المثلثة لينعطف بعدها ناحية الشمال الغربي ويدخل عبر الرواق الكبير إلى سرداب آخر يقع تحت المذبح.[3]

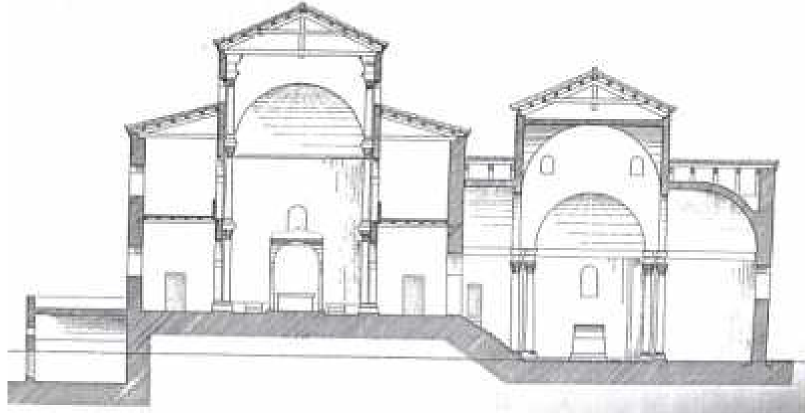
داخل السرداب تم اكتشاف عدة قبور متوضعة بعضها فوق بعض مؤلفة من ألواح رخامية ومغطاة ببلاطات كبيرة من الحجر الكلسي الأبيض و موصولة ببعضها بقطع رصاصية. و حسب دوروش فان

---

[1] Gsell.St, M.A.A,II, p266-70. ; Cagnat. R, Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord, Librairie Renouard ,Paris,1927, p141-151.
[2] Maitrot, Theveste, loc.cit, p165-263.
[3] de. Pierre.M-C, op.cit, p13.

هذه القبور بحسب طريقة صنعها كانت للعائلات النبيلة و محل تقديس خاص، ويمكن أن تكون حتى لشهداء دفن إلى جانبهم مسيحيون آخرون على وجه التبرك.[1]

بصدور اعلان ميلانو عام 311م الذي نادى بالتسامح الديني صار بامكان مسيحيي تبسة الخروج من سراديبهم و تشييد أماكن العبادة الخاصة بهم دون خوف من السلطات ، فجرى بناء الكنيسة وفتح أروقة السراديب و تشييد السقيفة المثلثة[2]. و استنادا إلى بول ألبير فيفريي فان الضخامة البالغة للكنيسة و علوها وارتفاعها فوق أساسات(بوديوم) يعكس في نظره قوة الديانة الجديدة مطلع



شكل رقم 42:الكنيسة الكبرى.مخطط الأقسام الداخلية

المرجع : Gui .I et autres, Basiliques, op.cit,Pl CLIV

القرن الرابع ، كما يمكن أن يفهم من منظور أنها شيدت منذ البداية لتخليد ذكرى شهداء المدينة التي كانت كريسبينا أشهرهم ليس في المدينة فحسب ، بل في كل أرجاء المقاطعة[3].

وقد روعي منذ البداية هذا الاعتبار في بنائها، إذ بسبب وجود رفات الشهداء بالمدينة كان من المتوقع أن يفد عدد كبير من الزوار عليها للزيارة و التبرك.و عليه كان لابد من أن تتسع الكنيسة و لواحقها لهم ، لذلك خضعت هندستها وأقسامها لهذه الضرورة و تميزت بخصائص لاتتوفر في كنائس

---

[1] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 40-41.
[2] Truillot.A, Autour, loc.cit,p151-152.
[3]Maitrot, Theveste, loc.cit, p165-263 ; De Roch. S, Tébessa, op.cit, p41 ; de. Pierre.M-C, op.cit, p13. ; Leshi.L,Note,op.cit,p130.

أخرى مثل تعدد المذابح داخل الكنيسة الواحدة ،كما هو الحال بالنسبة لسقيفة غابنيلا. كما يلاحظ أنها الوحيدة ببلاد المغرب القديم التي تضم قبور شهداء بمعزل عن الكنيسة ذاتها.[1]

بعد السور المحيط بها و المقسم إلى قسمين مستطيلين غير مستويين بواسطة ممشى وجهته جنوبية-شرقية و شمالية غربية نلج إليه بواسطة باب موجه ناحية المدينة ، تتألف الكنيسة من الأقسام التالية :

1-البوابة :

البوابة الحالية هي الأثر الوحيد من مدخل كبير كان يمتد إلى الأسطوانتين الضخمتين اللتان تقعان في الحديقة. وكان هناك قوس مسقوف كبير يرتكز على أربعة أعمدة بقواعدها أضافوا لها عمودين من الرخام على كل واحد منهما تمثال . طراز القوس روماني غير أن التيجان بيزنطية.[2]

2-الممشى الكبير المبلط:

طوله 52متر و عرضه شرقا 7.50متر و غربا 7.80متر و هو يغطي قنوات صرف صحي ويمتد حتى الاصطبلات . وعلى يساره تقع الحدائق و الدواميس و عن يمينه الدرج الكبير.[3]

3-الساحة المستطيلة و الحدائق:

في شمال هذا الممشى تتضمن المعالم المهمة في هذا المجمع الهندسي : الكنيسة الكبرى نفسها محاطة من ثلاث جوانب بقاعات. و كنيسة صغرى مثلثة أو نفلية جنوب شرق الكنيسة الكبرى مع قاعات ملحقة . و سقيفة أخرى تسمى سقيفة "غابنيلا " في شرق الكنيسة الصغرى[4] . و عند جنوب الممشى الكبير تتضمن الحدائق المقسمة إلى قسمين على شكل صليب و مبنى مستطيل في الجنوب الغربي.[5]

---

[1] Lassus.J, Questions sur l'architecture chrétienne de l'Afrique du nord,Actas del VIII congreso internacional de arqueologia cristiana, Barcelona 5-11 octubre1969,1972,p109,116,121-122.

[2] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 46.

[3] de. Pierre.M-C, op.cit, p14.

[4] Gsell.St, M.A.A,II, p265-66. ; Gui.I, Duval.N, Caillet.J-P,Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord,I,Inventaire de l'Algérie, Texte, Institut d'études augustiniennes, Paris, 1992,p313-317.

[5] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 46. ;Février P-A, Travaux et découvertes en Algérie, Actas del VIII congresso internacional de arqueologia cristiana,Barcelona,5-11 Octubre1969,1972 p301-304.

4 – الكنيسة :

عند وسط الممشى المبلط على الجانب الشمالي الشرقي ينتصب سلم كبير عرضه20متر مؤلف من 17 درجة. تقود إلى **Nartex** المستطيل الذي اختفت اليوم الأعمدة المزينة له و لم يبقى منه سوى بعض حجارة جدار المدخل. هذا الرواق يتصل في ناحية الشمال الشرقي Atriumالرواق بالصحن بثلاث سلالم جانبية من درجتين ، أحدها في الوسط و عرضه 3.80متر و آخران جانبيان أصغر منه. و الأتريوم مكون من ساحة مربعة مفتوحة على الفضاء مبلطة بحجارة كبيرة و محاطة بحوامل تسندها أعمدة كورنثية تتعاقب عليها قواعد قمعية ذات غرض تزييني ، و يحتمل أنها حملت مزهريات أو تماثيل.[1]

هذه الدعامة يغطيها سقف مائل نحو الداخل ، وهناك حوض للغسل الطقسي يقع بوسط الساحة. وهي محفورة على شكل نفل مورق داخل قطعة حجرية واحدة من الكلس كانت مزينة فيما مضى بالفسيفساء[2]. وشرق الصحن توجد غرفة أخرى صغيرة مستطيلة تمثل المعمدانية ، إذ تحتوي على قمع بثلاث درجات مخصص لتعميد المسيحيين عن طريق غمسهم جزئيا فيه. وقد وجدت قبور مسيحية تعرضت اليوم للانتهاك في الصحن و الرواق.[3]

وتسمح ثلاث أبواب وهي فتحة كبيرة مركزية تقع شمال شرق الأتريوم و آخران جانبيان بالولوج إلى الكنيسة. ويتألف مخططها من ثلاث أجزاء ، رواق مركزي عرضه 8.30متر و جانباه 4.50متر يفصلهما عنه صفان من الأعمدة المربعة الكبيرة التي تحمل الأقواس . وينتهي الرواق المركزيNef

بحنية مرتفعة عن الأرض بمقدار 0.80متر يصعد إليها بواسطة سلمين صغيرين . داخل هذا الحيز نصف الدائري كان يقف الأسقف ليعظ السكان منه و فيما يخص الجوانب فقد كانت مضاءة و حسنة التهوية من الغرب و الشرق عن طريق نوافذ كبيرة لم يبقى من آثارها شيء يذكر.[4]

5 -القاعة المثلثة :

على الجانب الأيمن من الكنيسة يوجد سلم كبير من 13 درجة يسمح بالنزول إلى القاعة النفلية أو المثلثة . هذ القاعة كانت محل دراسات عديدة من قبل الأثريين الذين عثروا في أرضيتها على لقى أثرية

---

[1] Gsell.St, M.A.A,II, p266-72. ; De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 46-47.
[2] Gsell.St, M.A.A,II, p155-156.
[3] Gsell.St, M.A.A,II, p271-273. ;De Roch.S, Tebessa(Theveste) : Le baptistère de la basilique,Libyca A-E,I,1953,p288-293.
[4] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 47-49.

غنية سمحت بتحديد الوظيفة الحقيقية لها و للكنيسة و الفترة التي شيدت فيها. كما زودتنا بفكرة واضحة عن الذهنية الدينية للعاصر المسيحية الإفريقية في مطلع القرن الرابع الميلادي.[1]

لقد كانت محل تفتيش و تنقيب منذ نهاية القرن 19 م من قبل عدد من الشخصيات العسكرية و المدنية و الدينية التي وحدها الهدف الديني المشترك ، وقاموا بنشر نتائج أعمالهم كما أشرنا إلى ذلك

مفصلا في الفصل الأول من هذا العمل. ثم واصل كريسترن من المعهد الأثري الألماني قرنا بعد ذلك هذه الجهود وحاول إزالة الغموض عن كثير من الجوانب لم يتوصل سابقوه إلى رأي قاطع بشأنها.[2]



صورة رقم 22:المدخل الرئيسي و الحدائق صورة رقم23: الحنية و الرواق الكبير و المعمدانية

وعموما تتركب من ثلاث حنيات نصف دائرية مجاورة لبعضها داخل مبنى مستطيل ، وهناك أربع قاعات تحتل الفراغ بين الحنيات أحدها ذات شكل صليبي أبعادها 8.70×5متر . و من هذه الأخيرة ينفتح باب على باحة يمكن منها الوصول إلى الممشى المبلط الذي يقع عند الدرج الكبير للكنيسة . وداخل القاعة المثلثة هذه يمكننا بلوغ من الحيز المركزي المربع إلى الحنيات المرتفعة نسبيا بمقدار 0.20متر .[3]

[1] Gsell.St, M.A.A,II, p271-275. ; Duval .N, Les églises africaines à deux absides .Recherches archéologiques sur la liturgie chrétienne en Afrique du Nord, Tome II,De Boccard, Paris,1973,p35-38.
[2] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 49-51 ; de Pierre.M-C, op.cit, p15.
[3] Maitrot, Theveste, loc.cit, p209-219.



صورة رقم 24: نزل الضيوف وكنيسة غابنيلا صورة رقم25: القاعة المثلثة والاصطبلات و الباحة

أسفل السلم أكتشف تابوت رخامي كبير برموز مسيحية ووضع في الكنيسة في العهد الفرنسي ليستخدم كطاولة مذبح ، ولم يترك منه في عين المكان سوى غطائه الرخامي المثلث الضخم. و في القاعة المستطيلة اكتشفت عدة فسيفساء كانت تغطي قبور سبعة أشخاص و عدد من الشخصيات الأخرى رجال و نساء منهم الأسقف بالاديوس و الشماس فيكتور و امرأتان فلورنتينا و سبتيميانا.[1]

إن الخلاصة التي نخرج بها من دراسة المخطط الهندسي للقاعة المثلثة أنها ربما كانت مدفن الشهداء السبعة رفقاء الشهيدة كريسبينا[2]، ولعل القاعة المثلثة بنيت فوق مكان ضم رفاتهم و اكتسب قدسية خاصة لذلك[3]. وكان رجال الدين المسيحيين فضلا عن عامة الناس يحرصون على أن يدفنوا بجوارها لاسيما منذ النصف الأول للقرن الرابع الميلادي، وصارت منذ سنة 351 م قبلة لمسيحيي المنطقة و المقاطعات الأخرى بغرض الزيارة و التبرك.[4]

6-كنيسة غابنيلا الصغرى :

يقع شمال شرقي القاعة المثلثة وهو محصور بين السور الخارجي و جدار الكنيسة، مساحته 11× 8.90متر ، ويتم الدخول إليه بواسطة ثلاثة أبواب محمولة على ستة أعمدة و لتكون أنصاف قباب وحنايا .وجدت داخله لوحة فسيفسائية مسيحية على خلفية بيضاء بكتابة جميلة تشير إلى صاحبة القبر الذي كانت تزينه وهي كيليا دومتيا غابنيلا التي عاشت وحكمت38 سنة.[5]

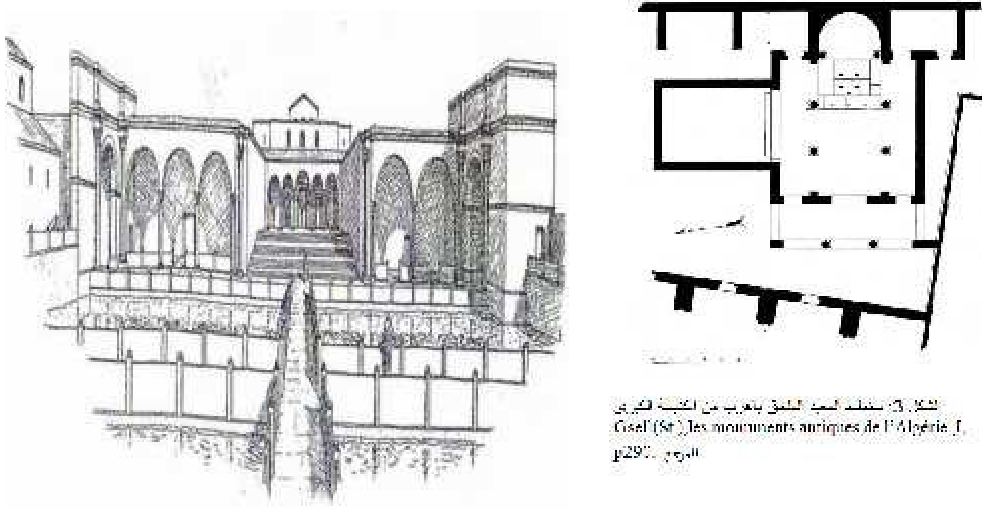
---

[1] De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 51-53.
[2] Van der Meer. F, Mohrmane. Ch, Atlas des antiquités chrétiennes , éditions Séquoia, Paris,-Bruxelles,1960, p115.
[3] Février. P-A, Art de l'Algérie antique, éd. .Boccard,Paris1971, p43.
[4] Duval .N, Février. P-A, Lassus. J, Groupes épiscopaux de Syrie et de l'Afrique du Nord, Colloque Apamée de Syrie,15-18 avril 1972,pp233-235.
[5] Gsell. St, M.A.A,II, p289-291 ; De Roch. S, Tébessa, op.cit,p 55-56.

7- الغرف الملحقة و الحدائق :

شيدت في الجنوب الغربي و الشمالين الشرقي و الغربي للكنيسة مجموعة هامة من الغرف و المساكن الكبيرة مسندة إلى جدارها. و الحجارة التي بنيت بها ثقيلة و مستوية من الخارج لكن من الداخل استخدمت الصندوقيات و القبور الوثنية.و يعتقد أن هذه البناءات التي أنجزت على عجل كانت بغرض إسناد جدران الكنيسة لضعف أساساتها في هذه الناحية ، ثم استخدمت لاحقا كمخازن أو غرف.[1]

أما الحدائق فتوجد قبالة الدرج الكبير المؤدي للكنيسة وهي مقسمة إلى قسمين بواسطة ممرين كبيرين على هيئة صليب. و هناك متنزه تحده أعمدة أسطوانية مزدوجة تتعاقب مع أعمدة مربعة يحيط بهذه



شكل رقم43 : مخطط كنيسة غابنيلا الصغرى شكل رقم 44 : إعادة تصور للجهة الشمالية الغربية

المرجع: Gui .I et autres, Basiliques, op.cit,PL CLII. Fig3.

الحدائق الواسعة. وتوجد درجات في نهاية الممرين تسمح بالصعود إليه . كما أن الحدائق كانت محاطة بأعمدة مربعة فيها حفر تثبت أنها كانت موصولة ببعضها بعارضات خشبية.[2]

[1] de Pierre.M-C, op.cit, p18.
[2] Truillot .A, Autour de la basilique de Tébessa, loc.cit,p 182.

8 –الاصطبلات:

أو غرف الضيافة كما يحلو لغزيل وغيره الاعتقاد[1] ، مع أن الدراسات الحديثة لا تميل كثيرا إلى هذا الرأي لنقص وغموض كبيرين في هندستها ووظيفتها[2]. وهي تقع على الجهة اليسرى من الممشى الكبير المبلط في الاتجاه الرئيسي لباب الشرق في الركن الغربي و به عدة غرف تابعة لبعضها في صفين متقابلين بينهما مسافة كبيرة واسعة لعلها كانت مشغولة بصفين آخرين من الغرف، مع العلم أن كل حصان أو دابة له بيت مسقف و أحواض من الحجر للعلف وثقب في الباب لربط الحيوان. و كانت رسوم غربان من الحجر فوق كل بيت من بيوت الاصطبلات وفوقها وضع ممشى كبير من الأخشاب للنزول و الصعود إلى الطابق الثاني للإتيان بعلف الحيوانات. و لازالت بقايا المدرج واضحة و الاصطبلات مجهزة بصناديق حجرية مثقوبة من الأسفل لوضع العلف و الماء ما يكفي لثمانين حصانا.[3]

حادي عشر– تبسة العتيقة أو الخالية :

وتسمى كذلك قصر التميمات، تقع بالجنوب الغربي من وسط المدينة الحالية على بعد حوالي 3 كيلومتر عند السفح الشمالي الغربي لجبل الدكان على ربوة قليلة الارتفاع في منطقة كانت إلى عهد قريب خالية ثم امتد إليها العمران و صار يهدد الآثار القديمة بها، خاصة وأنه لا يوجد سياج يحميها.

هذه الأطلال الجميلة الواقعة في مكان خلاب مساحتها 115×102 متر وتضم العديد من المنشآت التي للأسف ما نجهله عنها أكثر مما نعرفه. وذلك راجع إلى أن الأثريين و الباحثين ركزوا على معالم وسط المدينة و أهملوا التعرض لها ، و قلة منهم فقط أظهرت اهتماما بها. فقد ذكر جيرول أنها زودت ثكنات تبسة بالحجارة اللازمة لبنائها ، في حين أهملها كل من مول و غزيل[4]. و أول عمل ميداني جرى بها كان في سنة 1882 على يد الرائد شيدي ، ثم أعقبتها حفريات أهم على يد" لاووت" محافظ متحف تبسة لكنها توقفت بسبب الحرب.[5]

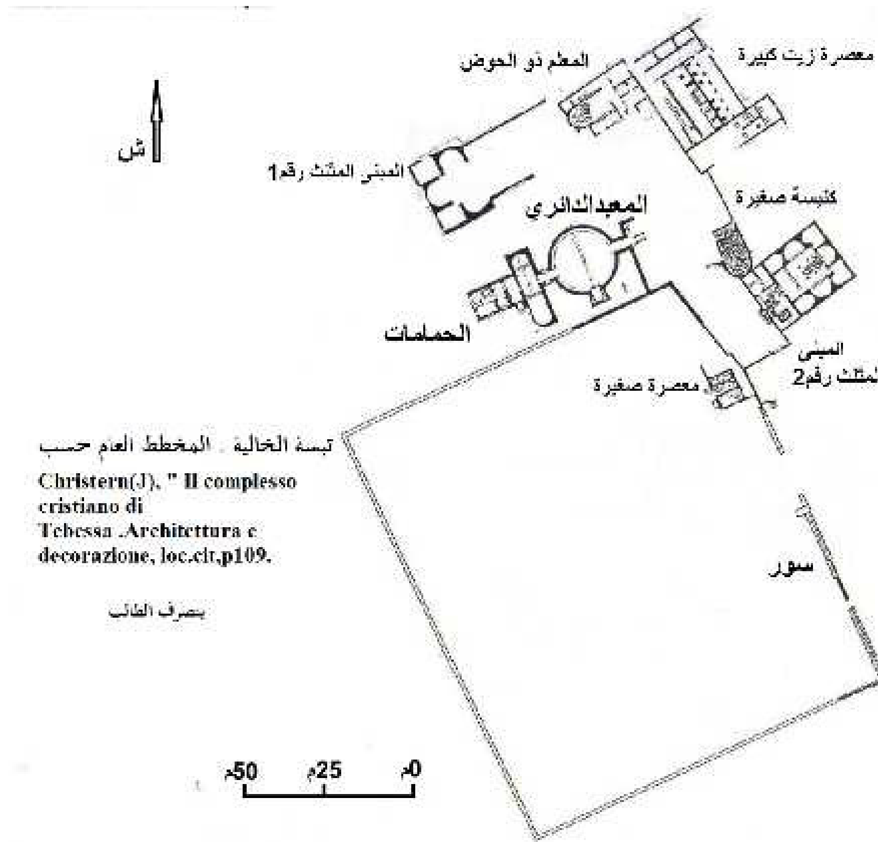
كان بها سور من الحجارة يحيط بها وقد أظهرت الحفريات أن أساساته كانت تقع على عمق

---

[1] Gsell. St, M.A.A,II, p286-287. ;Maitrot de la Motte Carpon.A, La quatrième époque de la basilique de Tébessa, R.S.A.P.T,I,1936-37,p310.
[2] Duval .N, et autres, Groupes épiscopaux, loc.cit, p233.
[3] Audollent .A , Letaille . J , Mission épigraphique en Algérie, M.E.F.R, 10,1890,p516-17.
[4] Gsell. St, M.A.A,I, p110,256 ; Id, A.A.A,.F 29.n°144.
[5] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p 64-65.

كبير في الأرض وعلوه شاهق بالنظر لكثرة الحجارة المنحوتة المتناثرة حول مساره. و قد لاحظ الرائد شيدي أن الأمر لا يتعلق بمنزل عادي بل بمعلم كبير[1]. داخل هذا السور المائل قليلا نحو الغرب وجد ستة أعمدة أسطوانية تحيط ببناء مستوي الأضلاع وسطه منخفض اعتقد أنه معبد صغير محمول سقفه على ستة أعمدة، كانت أربعة منها منتصبة آنذاك (1882)وقد اختفت الآن كلية(1952)[2].

في تلك الرقعة المنخفضة اكتشفت بئر عمقها 20مترا وجدت داخلها شقف فخارية، ويعتقد أن ذلك البناء كان يتوسط ساحة عامة أو حديقة ويزود زوارها بالماء. و على امتداد الجدار الشمالي ودائما من الداخل كشف "لاووت" أثناء تنقيباته عن معصرة زيت صغيرة بها أحواض.[3]



شكل 45: تبسة الخالية.المخطط العام

[1] Chedé, Fouilles, loc.cit, p269-279 , pl XVIII-XXI.
[2] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p65.
[3] Duval. N, Encore les « monuments à auges » d'Afrique, loc.cit, p949-950.




صورة رقم 26: أحواض تجميع الزيت صورة رقم 27: منظر للمعصرة من الغرب

علاوة على المعالم و اللقى الأثرية التي وجدت داخلها أو بجوارها و التي اكتشفت سابقا مثل أعمدة الرخام و اللوحات الفسيفسائية الفاخرة في المنازل الخاصة و المعابد و الكنائس و المباني العامة أو الحمام [1]. هذه الفسيفساء التي تمثل وحدة في الموضوع و التصاميم و الألوان المستخدمة في تلك التي عثر عليها في معالم وسط المدينة.[2]

إن أهم معلم في تبسة القديمة الذي استرعى اهتمام الباحثين وجهودهم هو المعبد الدائري الذي يعتقد أنه بني خصيصا للإله اسكلبيوس[3]، وقد شيد من الحجار المستطيلة المنحوتة جيدا الذي يبلغ قطره .16.30 متر وسمك جدرانه 1.04متر[4]، وقائم على قاعدة من الحجارة المنحوتة الصغيرة من نفس النوعية الجيدة تبلغ أبعادها 0.65متر عرضا وارتفاع 0.42متر كانت تحمل فيما مضى 16 دعامة كورنثية جميلة موزعة على كامل محيط المعبد.[5]




[1] إلياس عريفي ، المرجع السابق ، ص 82-84.

[2] علي سلطاني ، المرجع السابق ، ص .98

[3] Benabou. M, op.cit, p360.

[4] Gsell. St, Rapport archéologique sur les fouilles faites en 1901 par le service des monuments historiques de l'Algérie, B.A.C ,1902, 3e livraison, p332-333.

[5] Chedé, Fouilles,loc.cit,p275-279 ; Boucher J.P , Le temple , loc.cit, p 1-32.

صورة رقم28: الكنيسة رقم 03. منظر عن بعد من الغرب صورة رقم 29: الكنيسة رقم 03. الحنية من الداخل

كانت توجد عدد من الأبواب عند نهاية الممرات في الناحية الشمالية و الجنوبية الغربية . والباب الذي عند الجنوب ينفتح على مسبحين ينتهيان بحنية كانت تزينها لوحة فسيفسائية بنسيج متعرج بقيت منه فقط بعض القطع. و عند نهاية الرواق نصادف غرف التدفئة التي تظهر على جدرانها آثار اللهب، وقد وقع الخلاف حول كونها تابعة لمعبد أو حمام. لكن في حال رجح الرأي الأول لأي اله بني ذاك المعبد تحديدا. يبقى هذا سؤالا بلا جواب لغياب أي نقوش أو قطع منحوتات يمكنها أن ترشدنا في هذا الشأن.[1]

و إلى الجنوب الغربي من المعبد الدائري كشفت تنقيبات "باري" عن قاعة مثلثة الشكل ذات بناء جميل و محكم ، عبارة عن كنيسة صغيرة تعرضت في فترة متأخرة لإعادة بناء شوهت منظرها نسبيا.

ويشبه حجم حجارتها و شكلها و استواءها و ارتفاعها تماما تلك التي بني بها المعبد الدائري.[2]

و اكتشفت كنيسة ثالثة على يد "لاووت " خصها بدراسة معمارية موجزة أشاد فيها بالخصائص الزخرفية و الفنية و الهندسية التي ميزت عمارتها و الدقة التي بنيت بها أساسات الجدران، والمهارة التي نقشت بها السقف و الملاط الإسمنتي القوي و المتماسك الذي لبست به الجدران من الداخل، ثم زينت بالرسوم الشريطية و الأشكال الهندسية المستوحاة من الرموز والمواضيع الليتورجية المسيحية .[3]





صورة رقم 30: الكنيسة رقم 03. حوض التعميد صورة رقم31: منظر عن قرب من الناحية الغربية

(تصوير الطالب)

[1] Id., Nouvelles recherches à Tébessa Khalia , M.E.F.R, 71, 1954, pp 165-187. ; Gui.I et autres ,op.cit, p309-310.

[2] Gsell. St, Rapport archéologique, loc.cit ,p233. ; Gui.I et autres ,op.cit, p305-306.

[3] Id, Musée de Tébessa, p 49-50. ;Duval.N ,Février.P-A, Le décor des monuments chrétiens d’Afrique (Algérie-Tunisie),Acta del congresso VIII internationale di archeologia cristiana,1969,p42,45.

وعلى الصعيد الزمني حاول باحثون و أثريون وضع إطار زمني لهذه الأطلال القديمة عن طريق إيجاد علاقة ما بين علامات ورشات صقل الحجارة التي عثر عليها في حجارة معالم وسط المدينة و تلك التي وجدت بتبسة الخالية و التي تنتمي لنفس الورشة. مما قد يعني أن الكنيسة الصغرى الواقعة في الجنوب الغربي و المعبد الدائري الكبير و الكنيسة الأكبر في الشمال الشرقي بنيت في نفس الوقت الذي بنيت فيه كنيسة تبسة الكبرى ، أي نهاية القرن الرابع الميلادي. و مما يدعم هذا الرأي هندسة البناء التي تتسم بالشكل المثلث الذي أعطي لها و الذي له علاقة وطيدة بأضرحة الشهداء التي انتشرت في نفس الفترة تقريبا.[1] لكن تبقى مسائل كثيرة بحاجة لتوضيح منها الرموز المسيحية كالأسماك المتقابلة على أعلى مداخل ما نعتبره إلى الآن معبدا وثنيا .[2]

أخيرا نشير إلى أهمية أطلال تبسة الخالية وان كانت الدراسات الأثرية لم تفها حقها إلى الآن ، وإلى الأضرار التي مازالت تطال الموقع الأثري رغم وجود حارس عليه.

---

[1] Duval.N, Cintas .J, Etudes d ‘architecture chrétienne nord Africaine . (I),Le martyrium de Cincari et les Martyria triconiques et tétraconiques en Afrique,M.E.F.R.A,88, 1976-2,p910-911.

[2] De Roch. S, Tébessa, op.cit, p 69.

خاتـــــمة

خاتمة

في خاتمة هذا البحث نود الإشارة إلى مجموعة من الملاحظات خرجنا بها من وراء دراسة مختلف الجوانب التاريخية و الحضارية لمدينة تبسة عبر العصور القديمة بما أتاحته لنا المادة العلمية المتوفرة، و التي حاولنا استغلالها ما أمكن لتسليط الضوء خاصة على الفترات الانتقالية أو الغامضة من تاريخها.

إن الملاحظة الأولى المسترعية للانتباه هو مقدار و أهمية التواصل الحضاري الذي ميز تاريخ المدينة حيث لمسنا استمرارية تاريخية عبر مختلف العصور القديمة. فمنذ عصور ما قبل التاريخ المبكرة تتوافر الأدلة الأثرية التي تثبت أنها كانت منطقة مأهولة بشريا منذ عصور سحيقة. وخلفت الأقوام التي سكنتها آثار ذلك الاستقرار البشري في أكثر من موقع على شكل مدافن ميغاليتية و أدوات حجرية و صناعة فخارية وأثاث جنائزي متنوع و حلي و غيرها من مخلفات عصري ما قبل التاريخ وفجر التاريخ.

ويستمر سكنى المدينة وضاحيتها في العصور القديمة دون انقطاع حتى وإن سجلت المصادر الكتابية هذا الانقطاع في شكل سكوت عن ذكر المدينة نهائيا. لكننا نعلم أن من وراء هذا الظل الذي ألقي على تاريخها في فترة معينة أسبابا أخرى غير أنت تكون قد تعرضت بالضرورة للهجران أو فقدت مكانتها كمدينة مهمة لأي سبب كان من الأسباب كما حدث في العهد القرطاجي، لأن تسلط الضوء عليها من جديد بعد ذلك يظهرها بمظهر المدينة التي توسع عمرانها و زاد عدد سكانها.

إن الفترتين البونية و النوميدية لهما أهميتهما في تاريخ المدينة على قصرهما وغموضهما ، ولا النصوص الكلاسيكية و لا حتى معطيات الآثار عكستا كما يجب هذه الأهمية. و نحن نعتقد بأن الكتاب القدامى لم يقصدوا التقليل من شأنها كمدينة ليبية محلية ، بل لأنهم كانوا في شغل عنها بما هو أهم في نظرهم و هي الحرب البونية الأولى ضد روما التي كانت مصيرية بالنسبة إليهم .

و الدليل عندنا على ذلك هو أنهم التفتوا إليها حالما صارت مرتبطة بمجريات الصراع الذي يخوضونه و تجشموا عناء تجريد حملة عليها و اقتحامها رغم بعدها عنهم بسبب أهميتها الاقتصادية و الإستراتيجية و خوفهم من وقوعها بيد أعدائهم من الجنود المرتزقة. و أخذهم الرهائن ليس معناه بالضرورة وجود عداوة بينهم و بين سكانها.

كما أن النظم الادارية التي وجدت بها يعود الفضل إليهم في إرسائها، و لم يفعل الرومان بعد ذلك أكثر من تطويرها لتتناسب و نظمهم. و تدل المعطيات على أن بعضها ظل على حالته البونية دون تغيير كنوع من استقلال إداري ذاتي. وعموما نلاحظ بعد العهد النوميدي تسلسلا زمنيا متصلا من العهد الروماني إلى نهاية العهد البيزنطي مع وضوح في الرؤية عن حياة المدينة و حضارتها أكثر خلال الفترة الرومانية لأسباب سبق إيرادها.

ثانيا تقدم لنا تبسة نموذجا للمدينة البوتقة التي تنصهر فيها جميع المؤثرات الحضارية وتتفاعل فيما بينها لتقدم لنا نتاجا هو مزيج من ثقافات و تجارب الشعوب التي تعاقبت عليها إلى جانب معتقداتها و منجزاتها في شتى الميادين.ما بين نظم بونية و نوميدية و انجازات سياسية و عسكرية و دينية و عقائدية رومانية ، و أخبار عن الحكم الوندالي إلى عمارة عسكرية بيزنطية حاضرة بقوة. فالناظر إلى تبسة القديمة اليوم هو كمثل الناظر إلى كل هذا الموروث الحضاري الغني الذي يعد بحق تثاقفا بأتم معنى الكلمة.

ثالثا أن العنصر الليبي أو مهما تعددت أسمائه عبر العصور من نوميدي إلى جيتولي إلى موزولامي إلى موري أو غيرها من المسميات، لم يكن بمنأى عن تاريخ المدينة القديم ، فهو يتظاهر مرة في أشكال المقاومة الايجابية العسكرية و الدينية للمحتل الأجنبي حينما تكون تلك المقاومة مجدية . أو يتفاعل معه سلبيا لكن دون أن يستسلم كلية للمحتل و لمشاريعه الاستيطانية الاحتلالية للأرض و الاستيعابية الاندماجية للشخصية و الهوية القبلية المحلية التي تعد نواة الممانعة و المقاومة لدى أهل البلاد.

و لقد بينا من خلال الجوانب الاجتماعية للمدينة خلال العهد الروماني مدى تغلغل العناصر المحلية في مجتمع المدينة، و محاولتها إيجاد موقع يتيح لها في يوم من الأيام منافسة الطبقة الرومانية المسيطرة و أخذ زمام المبادرة منها في القيادة و تسيير كل مناحي الحياة في المدينة حين يحين الوقت المناسب لذلك.

لقد خضعت تبسة لتطور إداري شبيه بالمدن الرومانية الأخرى، ولم نرصد أية خصوصية مخالفة للشروط القانونية العامة للترفيع الإداري للمدن عند الرومان. كما لم يكن الأهالي أغلبية عددية مثلما بينته النقوش لذلك ظل تأثيرهم في إدارة المدينة ضعيفا على الأقل حتى نهاية القرن الرابع الميلادي.

لقد ظلت المدينة محافظة على ازدهارها وريادتها الاقتصادية للمنطقة المحيطة بها طيلة القرون الأربع الأولى الميلادية ، و كانت أحد الأقطاب الاقتصادية بنوميديا. و تدل شبكة طرقها الكثيفة و المعقدة التي تغطي الجنوب النوميدي و شماله وغربه و تربطها بأهم المدن فيه بأنها كان معولا عليها في دعم اقتصاديات نوميديا و أنها كانت رقما أساسيا في معادلة الأباطرة لضمان الإمدادات لعاصمتهم المبجلة. و في هذا السياق علينا أن نشير إلى أن قوتها الاقتصادية لم تكن كامنة فقط في وضعيتها كمستعمرة زراعية رومانية فقط، بل في ظهيرها الريفي الواسع الذي كان الركيزة الأساسية للاقتصاد الزراعي و التحويلي الذي قام عليه نشاطها.

غير أنه للأسف لا يمكن لمعطيات الآثار اليوم بما وصلت إليه من إهمال و تخريب أن تسعفنا بأي معلومات من شأنها أن تدعم هذا الرأي بصورة قطعية .فآثار المعاصر و المنشآت الاقتصادية الأخرى التي لم يكشف عنها التنقيب كلية بعد بتبسة القديمة و التي تحتاج لسنوات من الحفر وحدها كفيلة برفع النقاب عن هذا الغموض.

و لنا أن نطرح التساؤل التالي : لماذا مدينة بهذا الحجم التاريخي و الازدهار المادي بلغت من الرقي الحضاري مبلغا جعل الرومان المتحفظين جدا حيال المدن خارج ايطاليا يصفونها بعبارة المستعمرة العظيمة

Colonia Splendissima اندثرت معالمها بهذه السرعة و أصابها الخراب في وقت قياسي .هل للعوامل الاقتصادية و الأمنية الدور الأكبر في ذلك أم هناك عوامل أخرى. أم هل الموريون الحاقدون على الحضارة الرومانية و كل ما تمثله وراء ذلك الخراب كما تريدنا المصادر القديمة و آراء الباحثين الفرنسيين المبنية عليها أن نعتقد.

شخصيا ومن خلال مقارنة المعطيات الأثرية بالكتابات الإسلامية المبكرة سيتضح لنا أن عمران المدينة استمر بعد نهاية العصور القديمة، و بقيت معالمها الأثرية محفوظة مصانة، وحتى التي اختفى منها اختفى منذ عهد قريب. فلم يكن للعرب المسلمين دور في إلحاق الضرر بها و استمرت سكنى المدينة في عهدهم، الأمر الذي وثقته جيدا كتابات الرحالة العرب و المسلمين الأوائل التي أشادت برخاء المدينة و كثرة سكانها .

كما نعتقد ونحن مطمئنين أن مسؤولية خراب المدينة تقع على أنماط التسيير القديمة فيها حيث حملت هذه الأخيرة في طياتها بذور خرابها و زوالها بعد ذلك. فالنخب الإدارية التي قام على كاهلها و ثرواتها وجود و رخاء المدينة، بقدر ماكانت سببا في نموها العمراني و الاقتصادي ، تحولت إلى العامل الأول في انهيارها و زوالها، لأنه باختفائها المباغت اختفت أسباب ذلك النمو مما عجل بنهايتها، ولم يكن لعوامل الهدم الخارجية إلا أثر ضئيل.

ولم يكن برأينا ينبغي لروما أن تعطي أرستقراطية المدن ذلك القدر من الحرية الادرية في التسيير و تعلق مصير مدينة بكاملها على تبرعات فئات محدودة من المدينة مهما بلغت ثرواتها من ضخامة ، لأنها ستؤول في يوم ما إلى زوال بتغير الظروف و الأحوال الاقتصادية.

ثم ألم يكن كما رأينا للبيزنطيين في القرن السادس و الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلاديين نصيبهم من التخريب و الهدم في معالم المدينة و تاريخها عندما حلوا بها. إنه مما لا شك فيه أن الرؤية التقليدية حول خراب المدينة إن حدث أو أسبابه أو احتمال انقطاع في صيرورتها التاريخية لا تجد لها سندا أمام الاستقراء الجيد و المتمعن و الغير المنحاز لمجموع النصوص المتاحة قديما و في العصر الإسلامي المبكر، ولما أفضت إليه حتى الآن نتائج البحوث الأثرية.

إن هذا العمل لا يدعي الإحاطة بكل تاريخ المدينة القديم خاصة في ظل وجود معطيات أثرية غير كاملة ، فالبحث الأثري في المدينة و ضواحيها لا يزال في بدايته ومازال هنالك الكثير و الكثير لعمله . و العديد مما نعده اليوم مسلمات في تاريخ المدينة سيحتاج لمراجعات في ضوء ما قد يكتشف مستقبلا. فالفترة الرومانية مثلا لوحدها بها نقاط كثيرة غامضة بحاجة لاستجلاء.

أخيرا إن معالم المدينة كما نقلت صورتها إلينا مصادر الفترة البيزنطية تبين أن مظهر المدينة القديمة انتقل نحو المدينة الاسلامية الوسيطة بسلاسة وهدوء، ولم يصحبه بالضرورة طمس فوري لمظاهر الحياة القديمة و تجلياتها المعمارية(مباني، ساحة عامة، منحوتات.....)، حيث تمت المحافظة على المعالم المدنية و الترفيهية في حالة معمارية جيدة . لذا فالصورة القاتمة المرسومة عن تبسة في نهاية عصورها القديمة هي أشد بياضا مما تفترضه الدراسات الحديثة ، و كل من يخالفنا هذا الرأي نطالبه بالدليل.

البيبليوغرافيا

I) المصادر

1) المصادر الأدبية

1 - Ammianus Marcellinus, *Histoire* .Tome2,(Livres XVII-XIX),Texte traduit et établit et annoté par Sabah.G, Les Belles lettres, Paris,1970.

2-Apulée, Florides, III, texte traduit par Vallette P., Les Belles Lettres, Paris, 1924.

3- Apulée, *L'âne d'or ou les métamorphoses*, Traduction et notes de Pierre Grimal, préface de Jean-Louis Bory, Gallimard, Paris ,1975.

4- Apulée, *Apologeticum*. Œuvres complètes d'Apulée, traduction Betolaud.V, Tome second , Panckoucke, Paris,1836.

5-Augustin, *In naratione in psalmis*.Oeuvres *complètes* de Saint Augustin, traduites pour la première fois en français, sous la direction de Raulx. M, Bar-Le-Duc,. Guérin et Cie Editeurs, Paris, 1868.

6- Augustin, *Oeuvres complètes* .Traduites pour la première fois en français, sous la direction de Raulx. M, Bar-Le-Duc,. Guérin et Cie Editeurs, Paris, 1868.

7- Augustin, *Sermon*. Perone et autres, œuvres complètes de Saint Augustin évêque d'Hippone, traduit en français et annotés par Perone et autres ,tome19, librairie de Louis de Vive, Paris, 1873.

8- Cornelius Nepos , *La vie des hommes illustres*, Texte établit et traduit par Paul Pedech, Dubochet, Paris,1850.

9-Corrippus, *Johannide*, texte traduit par Alix J., éd. Imprimerie Rapide, Tunis, 1900.

10 -Diodore de Sicile, *Fragments*, texte traduit par l'Abbé Terrasson, tome septième, Paris, 1744.

11- Cyprien, *Lettres.* Duchenne.L, Chronologie des lettres de S.Cyprien, collection Subsidia hagiographica,54,Bruxelles,1972.

12- Migne, *Patrologie latine* ,XXVI, Venit Apud Editorem,Paris,1845.

13- Optatus Milivensis, *De Schismate Donatistarum*,Tome I,(livre 1 et 2),introduction .texte critique .traduction et notes par Mireille Labrousse , les éditions du Cerf, Paris,1995.

14-Paul Orose, *Histoire contre les païens*, texte éditer et traduit par Armand-Lindet M.-P., éd. Les Belles Lettres, Paris, 1991-1992.

15-Polybius, *Histoire*, texte traduit et annoté par Roussel D., éd. Gallimard-Bruges, Paris, 1970.

16-Procope, *La guerre contre les vandales*, texte traduit et commenté par Denis Roques., éd. Les Belles Lettres, Paris, 1990.

17-Ptolomée, *Géographia*, éd Müller, 1888.

18-Saint Jérome, *Commentaire de la lettre de Saint Paul aux Galates*, 2, apud Migne, patrologie latine, XXVI, Paris, 1882.

19- Tacite,Annales, *Œuvres complètes de Tacite* .Traduites en français avec introduction et des notes de Burnouf .J-L, Hachette, Paris, 1859.

20-Tacite, *Histoire romaine*, texte traduit par Lassère E., éd. Garnier Frères, Paris, 1950.

2) النقوش:

21-Cagnat R., Schmidt J., *Corpus Inscriptionum Latinarum*, supplementum VIII, Pars I-II, Berlin, 1891-1894.

22-Corbeille M., *L'Année Epigraphique*, P.U.F, Paris, 2002.

23-De Rossi J.-B., *Inscriptiones Christianae Vrbis Romae*, Nova series, vol II, Pontifici Institutum Archeologiae Christianae, Romae, 1935.

24- Dessau. H, *Corpus inscriptionvm Latinarvm .Volme XIV. Inscriptiones latii veteris*,Berlin,1887.

25-. Dessau .H, *Incriptiones Latinae selectae*, vol. III, pars I. Berlin, Weidmann, 1914

26- *Ephemeris Epigraphica.Corporis Inscriptionum latinarvm Supplementvm,volumnis V*,Institvti archeologici Romani,Apud GeorgiumReimervm,Berolini,1884.

27-Gsell St., *Inscriptions latines de l'Algérie*, I, (*les inscriptions de la Proconsulaire*),Librairie Honoré Champion, Paris, 1922.

28- Mireille. C, *L'année épigraphique 1999*, Paris, P.U.F,2002.

29-Renier L., *Inscriptions romaines de l'Algérie,* Imprimerie Impériale, Paris, 1855.

30-Willmans G., Mommsen Th., *Corpus inscriptionum latinarum*, VIII, Berlin, 1881.

3) مدونات القوانين :

31-Kruger P., Codex Justinianus, Berlin, 1967.

32-Kruger .P, Codex Théodosianus ,Berlin, 1968.

33- Mommsen. Th , Kruger. P, Corpus juris civilis,1-3,Frankfaurt-Main,1968.

II) المراجع :

1) باللغة العربية:

34- الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة،2002.

35-أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، المطبعة الحكومية، 1857.

36-عبد القادر حليمي، المختار في جغرافية المغرب العربي،منشورات دار المعارف، القاهرة ،1389هـ./1968.

37-ياقوت الحموي، معجم البلدان ، المجلد 2، دار صادر ، بيروت ، 1995.

38-علي سلطاني، تبسة. مرشد عام للمتحف الوكالة الوطنية للآثار والمعالم و النصب التاريخية، تبسة، مؤسسة الطبع الجديدة،1999.

39-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى ، الجزائر، 2005.

40- بيومي محمد مهران ، المغرب القديم ،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،1990.

41-المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1991.

42-سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1990.

43-رشيد الناضوري ، المغرب الكبير : العصور القديمة .أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية ، المجلد الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.

44-الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر،الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1983.

45- محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، الطبعة1، دار الحكمة ، الجزائر،2003.

46-مرمول كربخال ،افريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، الجزء 3، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط،1988-1989.

47-عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار،تحقيق الدكتور إحسان عباس،ط2، مكتبة لبنان، بيروت ،1984.

48-كاتب مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار،نشر و تعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد،دار النشر المغربية،الدار البيضاء ، 1985.

2) باللغة الأجنبية:

49- Alimen .A, *Préhistoire de l'Afrique*, Edition Boubée ,Paris ,1955.

50-Harmand L., L'occident romain, Gaule, Espagne, Bretagne, Afrique du Nord (31 avant J.-C.-235 après J.-C), Payot*,* Paris,1960.

51-Aube. A, *Les Chrétiens dans l'Empire Romain, des Antonins au milieu du III siècle (180-249)*, Paris, 1881.

52- Aube.A, *Histoire des persécutions de l'église*, Paris,1878.

53-Aumassip.G, L'Algérie des premiers hommes, Editions Ibis Press, Paris,2001.

54-Ballu .A, *Tébessa, Lambèse, Timgad, Paris,* 1894.

55-Ballu A., *Le monastère byzantin de Tébessa*, Paris, 1897.

56-Ballu A., *Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l'année 1919*, Jourdan, Alger, 1921.

57-Ballu A., *Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations entrepris par le service des monuments historiques pendant l'année 1922*, Jourdan, Alger, 1923.

58-Ballu A., *Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l'année 1924*, Jourdan, Alger, 1925.

59-Ballu A., *Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en Algérie pendant l'année 1926*,Jules Carbonel,Alger, 1927.

60-Barnes T.-D., *The new empire of Diocletian and Constantine, Cambridge, Londres*, 1982.

61-Benabou M., *La résistance africaine à la romanisation*, Maspero, Paris, 1976.

62-Berthier A., *L'Algérie et son passé*, Picard, Paris, 1951.

63- Bertrand. L , *Les martyrs africains* ,édition Publiroc, Marseille,1930.

64-Birebent J.,*Aquae Romanae. Recherches d'hydrauliques romaines dans l'est algérien*, Alger, 1964.

65-Brahimi. C, *Initiation à la préhistoire de l'Algérie*, S.N.E.D, Alger, 1976.

66- Brisson. J-P, *Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale*, de Boccard, Paris,1958.

67-Brun. J.-P., *Archéologie du vin et de l'huile dans l'Empire Romain*, Errance, Paris, 2004.

68-Cagnat .R, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs*, Paris, 1896.

69-Cagnat. R, *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord*, Librairie Renouard, Paris, 1927.

70- Camps G., *Aux origines de la Berbérie .Monuments et rites funéraires protohistoriques,* Paris, 1961.

71- Camps.G, *Corpus des poteries modelés*, C.R.A.P.E, Paris, 1964.

72-Camps G., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974.

73-Camps G., *Les Berbères aux marges de l'histoire*, Editions des Hespérides, Toulouse, 1980.

74-Camps G., *Les Berbères. Mémoires et identités*, Errance, Aix-en-Provence, 1987.

75-Camps-Fabrer H., *L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, Imprimerie Officielle, Alger, 1953.

76- Camps-Fabrer.H, *Matière et art mobilier dans la préhistoire Nord-Africaine et saharienne*, Mémoire du C.R.A.P.E, Arts et métiers graphiques, Paris,1966.

77- Camps- Fabrer H, *Disparition de l'Autriche en Afrique du nord*, Mémoire du C.R.A.P.E, Arts et métiers graphiques, Paris, 1963.

78- Carton.L.,Les *Musulamii*, Guenard et Franchi imprimeurs, Tunis, sans date d'édition.

79-Carton. L., *Les Musulamii*, Vie Tunisienne illustrée,1924.

80-Castel P., *Tébessa. Histoire et description d'un territoire algérien*, 1, Paulin éditeurs, Paris, 1905.

81-Chastagnol A., *La fin du monde antique V^eme et le début du VI^eme siècle*, Nouvelles Éditions Latines, Paris, 1976.

82- Chastagnol.A , *L'Italie et l'Afrique a Bas-empire. Etudes administratives et prosopographiques*. Scripta Varia, Publications universitaires de Lille ,1987.

83- Cherry. D, *Frontier and society in Roman North Africa*,Clarendon press, Oxford,1998.

84-Clément Pallu De Lessert A., *Les Fastes des Provinces Africaines sous la domination romaine*, I, Paris,1896.

85-Clément Pallu De Lessert A., *Vicaires et comptes d'Afrique de Dioclétien à l'invasion vandale*, Adolphe Braham-Picard, Constantine-Paris, 1892.

86-Côte M., *Paysages et patrimoine .Guide d'Algérie*, Media Plus, Alger, 1996.

88-Courtois Ch., *Les Vandales et l'Afrique*, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1955.

89-De Pierre M.-C., *Tébessa. Notice manuscrite*, 1977.

90-De Villefosse H., *Rapport sur une mission archéologique en Algérie*, Imprimerie Nationale, Paris, 1875.

91-Decret F., Fantar M., *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, Payot*, Paris, 1998.

92-Demsiri-Laadoua L., *Les domaines impériaux en Afrique du Nord romaine. Etude de la géographique historique*, Presses Universitaires du Septentrion, Paris,1995.

93-Despois J., *Géographie de l'Afrique du Nord, I, l'Afrique Blanche*, P.U.F, Paris, 1964.

94-Despois J., Raynal R,. *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest,* Payot, Paris, 1967.

95-Diehl Ch., *L'Afrique Byzantine Histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709)*, Leroux, Paris, 1896.

96-Diehl Ch., *Justinien et la civilisation Byzantine au VI^{eme} siècle*, Leroux, Paris, 1901.

97-Diehl .Ch, *Manuel d'art byzantin*, II, 2^{e} édition, Auguste Picard, Paris, 1925.

98-Duncan Jones R., *Economy of the roman Empire*, Cambridge, 1974.

99- Dupuch. A-A, *Essai sur l'Algérie chrétienne,française et romaine*, Imprimerie royale, Tunis,1847.

100-Durliat J., *Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique byzantine*, École Française de Rome, Rome, 1981.

101- Duruy.V*, Histoire des romains depuis les temps les plus reculés jusqu'à l'invasion des Barbares*, Tome VI, Hachette, Paris,1883.

102-Dussert D., Berthier G., *Les mines et les carrières en Algérie*, Larousse, Paris, 1932.

103-Duval N., *Les églises africaines à deux absides .Recherches archéologiques sur la liturgie chrétienne en Afrique du Nord*, II, De Boccard, Paris, 1973.

104- Duval.Y, *Loca Sanctorum Africae.Le culte des martyrs en Afrique du VIe au VIIe siècle*,Tome I, Collection de l'école française de Rome 58, Paris, 1982.

105-Février P.-A., *Art de l'Algérie antique*, Edition Boccard, Paris, 1971.

106- Février P.-A., *Approches du Maghreb romain*, I, Edisud, Aix-en-Provence, 1989.

107-Février P.-A., *Approches du Maghreb romain*, II, Edisud, Aix-en-Provence, 1990.

108-Gascou J., *La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère*, École Française de Rome, Rome, 1972.

109- Grébénart .D, *Le Capsien des régions de Tébessa et d'Ouled Djellal. Algérie, Travaux de laboratoire d'anthropologie et de préhistoire et d'ethnologie des pays de la Méditerranée occidentale*, Paris,1972.

110-Gros P., *L'architecture romaine, 1. Les monuments publics*, Picard éditeurs, Paris, 1996.

111-Groslambert A., *L'archéologie algérienne de 1895 à1915. Les rapports d'Albert Ballu publiés au journal officiel de la république française de 1896 à 1916*, Boccard, Paris, 1997.

112-Gsell St., *Recherches archéologiques en Algérie*, Paris, Leroux, 1893.

113-Gsell St., *Les monuments antiques de l'Algérie*, I, Fontemoing, Paris, 1901.

114- Gsell St., *Les monuments antiques de l'Algérie*, II, Fontemoing, Paris, 1901.

115-Gsell St., *Musée de Tébessa. Dans Musées et collections archéologiques de l'Algérie et de la Tunisie*, deuxième séries, Leroux, Paris, 1902.

116-Gsell St., *Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens à l'est algérien*, Paris, 1902.

117-Gsell St., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*,II , Hachette, Paris,1918

118- Gsell St., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, III, Hachette, Paris,1918

119- Gsell St., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*,V , Hachette, Paris,1927.

120-Gsell St., *Atlas archéologique de l'Algérie*, Alger-Paris,1901.

121- Gui.I, Duval.N, Caillet.J-P,*Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I, Inventaire de l'Algérie*, Texte, Institut d'études augustiniennes, Paris, 1992.

122-Hamman A.-G., *La vie quotidienne en Afrique au temps de Saint Augustin*, Hachette, Paris, 1979.

123-Hugoniot C, *Rome en Afrique de la chute de la Carthage a la conquête Arabe*, Flammarion, Tours, 2000.

124- Jaubert. H, *Notes d'histoire et d'archéologie concernant le diocèse de Constantine et d'Hippone* ,Bone,1911.

125-Kotula T., *Les curies municipales en Afrique Romaine*, Wroclaw, 1968.

126- L'abbé Pillet. A, *Les Martyrs d'Afrique :histoire de sainte Perpétue et de ses compagnons*, J. Lefort Éditeur,Lille-Paris,1885.

127-Laffitte R., *Etude géologique de l'Aurès.*Bulletin du Service de la Carte Géologique de l'Algérie, 2e série, n°15, Alger,1939,

128- Lancel.S, *Acts de la conférence de Karthage en 411*, Tome IV, Edition du Cerf ,Paris , 1991.

129- Lancel.S, Mattel. P, *Chrétiens des premiers siècles en Algérie, Paris*,1979.

130- Lapie, *Recueil des itinéraires anciens. Itinéraires d'Antonin, choix des périples Grecs, Table de Peutinger*, Paris, 1885.

131-Lassère J.-M, *Ubique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères* (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.), C.N.R.S, Paris,1977.

132- Le Bohec. Y, *Histoire romaine .Textes et documents. Les chrétiens et le service militaire*, P.U.F,Paris,1997.

133-Le Bohec Y., *La III° légion Auguste*, C.N.R.S, Paris, 1999.

134-Le Coq A., *Le commerce de l'Afrique romaine*, Oran, 1912.

135-Leglay M., *Saturne Africaine, Monuments*, II, Arts et Metiers Graphiques, Paris, 1961.

136-Lenoir A., *Architecture monastique,* 2 et 3 parties, Paris, Imprimerie officielle, 1856.

137-Lepelley C., *Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, 1, (la permanence d'une civilisation municipale)*, Études Augustiniennes, Paris, 1979.

138- Les Benédictains, Les actes des martyrs, Tome 3, Julien Lanier Editeur,Paris ,1859.

139-Leschi L., *Études d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire Africaine*, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1957.

140-Lezine A., *Architecture romaine d'Afrique. Recherches et mises aux points*, P.U.F, Paris, 1961.

141-Lorin H., *L'Afrique du Nord (Tunisie, Algérie, Maroc)*, Armand Colin Paris, 1908.

142-Mac Mullen .R, *Les rapports entre les classes sociales dans l'empire romain.50 av J-C-284 ap J-C*, Seuil, Paris, 1986.

143-Martroye F., *Génseric. La conquête vandale en Afrique et la destruction de l'Empire d'Occident*, Hachette, Paris, 1907.

144-Mesnage J., *L'Afrique chrétienne, évêchés et ruines antiques*, Leroux, Paris, 1912.

145- Monceaux.P, *Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique*, Imprimerie nationale, Paris, 1907.

146-Monceaux P., *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Tome, II. Saint Cyprien et son temps* , Leroux, Paris, 1902.

147- Monceaux P., *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Tome III. Saint Optat et la polémique donatiste*, Leroux, Paris,1912.

148- Monceaux P., *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Tome* IV. Le *Donatisme*, Leroux, Paris,1915.

149- Monceaux.P ., *La vraie légende dorée.* Relations de martyre traduites avec introduction et notices, un volume.in 8°,Payot, Paris,1928

150- Morgan .J, *L'évolution de l'humanité. L'humanité préhistorique*, Paris,1924.

151-Moukraenta Abed .B, *L'image de l'Algérie antique à travers des sources arabes du Moyen Âge*, Alger, 2013.

151-Musurillo H., *The Acts of the Christian Martyrs*, Oxford, 1972.

152- Movers.F-K ,Die Phoenizers,II, Scientia Verlag Aalen ,Berlin, 1967.

153-Nouschi A., *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919. Essai d'histoire économique et sociale*, P.U.F, Paris, 1961.

154- Pallary .P, *instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest de l'Afrique*, Paris,1909.

155-Pflaum H.-G., *Les procurateurs équestres sous le Haut-Empire romain*, Paris, 1950.

156-Playfairs R-L., *Travels in the footsteps of Bruce in Algeria and Tunis*, -Kegan Paul Company, London, 1877.

157-Picard G.-Ch., *La ville antique de Mactar en Tunisie. «Civitas Mactaritana»*, tome VIII de Karthago, De Boccard, Paris, 1957.

158- Picard .G.Ch, La civilisation de l'Afrique romaine, Plon, Paris,1959.

159- Picard.Ch, *Les religions de l'Afrique antique*, Plon,Paris.1954.

160-Pomel A., *Carte géologique de l'Algérie*, Imprimerie Fontana, Alger, 1890.

161-Pringle D., *The defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest*, Part I, BAR International Series 99(i), 1981.

162-Rachet M., *Rome et les Berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien*, Latomus, Bruxelles, 1976.

163-Ragvenet A., *Temple de Minerve à Tébessa*, Imprimerie Réunies, Paris, 1897.

164-Reygasse M., *Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord*, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1950.

165- Rives.J, *Religion and authority in Roman Carthage from Augustus to Constantine*, Clarendon Press,Oxford,1995.

166- Vaufrey .R, *Préhistoire de l'Afrique. Tome II, au Nord e à l'Est de la grande forêt*, Paris, 1919.

167-Rostovetseff M., *Histoire économique et sociale de l'Empire Romain*, Robert Lafonte, Paris, 1988.

168-Ruinart, *Acat primorum matyrum sincera*, Ratisbonne, 1859.

169-Salama P., *Les voies romaines dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1967.

170-Salama P., *Bornes milliaires d'Afrique proconsulaire, un panorama historique du Bas-Empire romain*, 1ere éd, Institut national d'Archéologie, Tunis, 1987.

171- Sauter. M, *La préhistoire de la méditerranée*, Payot, Paris, 1948.

172- Saxer.V, *Les saints d'Afrique dans le martyrologe romain*, Paris,1979.

173- Saxer.V, *Morts Martyrs .Reliques en Afrique chrétienne au premiers siècles ,les témoignages de Tertullien,Cyprien et Augustin la lumière de l'archéologie africaine,* Edition Bauchesne, Paris 1980.

174-Saxer V., *Saints anciens d'Afrique du Nord*, Typographie Poliglotta, Vaticane, 1979.

175-Thebert Y., *Thermes romains d'Afrique du Nord et leurs contextes méditerranéens,* École française de Rome, Rome, 2003.

176-Tissot Ch., *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, Imprimerie Nationale, Paris, Tome I, 1884; Tome II,1885.

177-Toutaint J., *L'économie antique, La renaissance du livre*, Paris, 1927.

178-Van der Meer F., Mohrmane Ch., *Atlas des antiquités chrétiennes*, éditions Séquoia, Paris-Bruxelles, 1960.

179- Worth .Ch., Les routes et le trafic commercial dans l'empire romain,Paris,1949.

III) المقالات:

180- Albertini. E, « Hippone et l'administration des domaines impériaux »,B.A.H, 35,1922-24,pp55-62.

181-Albertini E., «La clientèle des Claudii», M.E.F.R, XXIV, 1904, pp247-276.

182-Albertini E., «Les fouilles d'Algérie en 1919 et 1920», B.S.G.A.O, XLII, 1921, pp. 1-8.

183-Albertini E., «Inscription funéraire inédite de Tébessa», R.S.A.C, 57, 1926, pp 275-277.

184-Albertini E., «Bulletin des Antiquités africaines», R.Af, 68, 1927, pp. 276-302.

185-Albertini .E, Recueil des inscriptions latines de l'Algérie, R.Af, 83, 1929, pp.247-273.

186-Albertini E., «Actes de ventes du V^e^ siècle trouvés dans la région de Tébessa (Algérie)», Journal des Savants, 1930, pp1-8.

187-Albertini E., «Quelques remarques sur l'histoire de Theveste», R.S.A.P.T, 1936-1937, pp1-4.

188-Alquier P., «Chronique archéologique», R.S.A.C, 59, 1928-1929, pp. 401-413.

189-Anonyme, «Inscriptions de Tebessa», R.Af, I, 1856-1857, pp. 502-507.

190-Audollent A., Letaille J., «Mission épigraphique en Algérie», M.E.F.R, 10, 1890, pp. 515-551.

191-Aumassip.G,« Dégraissant dans la céramique néolithique »,Libyca.A-P-E,XIV,1966,pp261-278.

192-Badellon A., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord du 15 février», B.A.C, 1921, pp. LV-LXX.

193-Baghli S-A., Février P.-A., «Recherches et travaux (1966-1967)», B.A.A, II, 1967-1968, pp. 1-9.

194-Ballu A., «Rapports sur les travaux de fouilles et de consolidations exécutés en 1919», R.Af, 63, 1920, pp297-338.

195-Ballu A., «Comptes rendus de la séance du 26 novembre», C.R.A.I, 25, 1897, pp. 692-693.

196-Balout L., Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1956», R.Af, 101, 1957, pp. 181-204, pp. 439-449.

197- Balout.L, Roubet .C, « Datation radiométrique de l'Homme capsien de l'Ain Dokkara et de son gisement (« Escargotière du chacal »),région de Tébessa,Algérie) », Libyca.A-P-E,XVIII,1970, pp23-34.

198-Baradez J., «Organisation militaire romaine de l'Algérie antique et évolution du concept défensif et ses frontières», Revue Internationale de l'Histoire Militaire, 13, 1953, pp. 25-42.

199- Benabou.M, L'Afrique et la culture romaine, C.T,XXIX,1981,3e et 4e trimestre, p9-22.

199- Bensedik.N, « Esculape », Ency.Ber,XVIII,1997,pp2691-2698.

200-Benseddik N., «Un nouveau témoignage du culte de Tanit-Caelestis à Cherchel», Ant, Afr, 20, 1984, pp. 175-181.

201-Berbrugger A., «Épigraphie Numidique», R.Af, VIII, 1846, pp. 267-284.

202-Berbrugger A., «Chronique», R.Af, III, 1858-1859, pp. 62-74.

203-Berbrugger A., «Chronique», R.Af., VI, 1862, pp. 462-480.

204- Berthier .A, « Les Bazinas de Tiddis », Libyca.A.P.E, IV,1e semestre,1956,pp147-153.

205-Besnier M., «Inscriptions et monuments figurées de Lambèse et de Tébessa», M.E.F.R, 17, 1897, pp. 445-465.

206-Boucher J.-P., «Le temple rond à Tebessa Khalia», Libyca, IV, Epigraphie-Archéologie, 1956, pp. 1-32.

207-Boucher J.-P., «Nouvelles recherches à Tebessa Khalia», M.E.F.R, 66, 1956, pp. 165-187.

208- Briga.E, « Djebel Dyr » ,Ency.Berb, XV,1995,pp2352-2353.

209-Briga. E, « Fer », Ency.Berb, XVIII,1997,pp2753-2763.

210-Cagnat R., « Rapport sur les recherches archéologiques faites par les brigades topographiques en Tunisie et en Algérie », B.A.C, 3, 1901,p p. CXLIII-CLX.

211-Cagnat .R, « Inscriptions découvertes aux environs de Tébessa par le commandant Guénin », C.R.A.I, 1906,pp 479-480.

212-Cagnat R., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord», B.A.C, 1936-1937, pp. 183-210.

213- Camps.G, « Dieux africains », Ency.Ber, XV,1995,pp2321-2340.

214- Camps.G, « Gastel », Ency.Berb,XIX,1997,pp2974-2993.

215-Camps G., «Recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord», Libyca, Anthropologie-Préhistoire, III, 1er semestre,1955, pp345-390.

215-Camps G., «Aux origines de la Bérbérie. Massinissa ou le début de l'histoire, Libyca-Archéologie-Epigraphie, VIII, 1960,pp1-320.

216- Lepelley .C, Dupuis .X, Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord (Hommage a Pierre a Salama). *Actes de la table ronde réunie a Paris le 2 et 3 Mai 1997 par le Centre de recherches sur l'antiquité tardive et le moyen âge. Université de Paris- Nanterre et le réseau universitaire d'études Africaines*, Sorbonne, 1999,pp43-70.

217-Camps G., «Les Numides et la civilisation Punique», Ant.Afr, 14, 1979, pp. 50-51.

218- Camps.G, « Les phénomènes de néolithisation en méditerranée occidentale et dans le nord de l'Afrique », L.A.P.E.M.O,1971,p1-10.

219- Camps.G, « Les escargotières », Ency.Berb, XVIII,1997,pp2683-2691.

220- Camps.G, « L' inscription de Béja et le problème des Dii Mauri », R.Af,98 ,1954,p233-260.

221- Camps .G, « Quelques réflexions sur les représentations des Equidés dans l'art rupestre de l'Afrique du Nord –Africain et Saharien », Bulletin de la société préhistorique Française, 81,1984,pp371-381.

222- Camps.G, « Qui sont les Dii Mauri »,Ant.Afr,26,1990,pp131-153.

223-Camps G., Morel J., «Alimentation», Encyclopédie Berbère, IV, 1987, pp. 472-483.

224- Camps-Fabrer .H, « Damous-el-Ahmar» , Ency.Berb, XIV, 1994,pp2194-2203.

225- Camps-Fabrer.H, « Figurations animales dans l'art mobilier préhistorique de l'Afrique du nord »,Libyca.A-P-E,IX-X,1961-62,pp107-112.

226- Camps-Fabrer.H, « Note sur les techniques d'utilisation des coquilles d'œufs d'autriches dans quelques gisements capsiens et néolithiques d'Afrique du Nord », B.S.P.F, LIX,1962,p255-535.

227-Capot Briggs L., «Tête osseuse du Khanguet-el-Mouhaad, (Fouilles J. Morel)», Libyca, Préhistoire-Ethnographie, I, 1953, pp. 120-140.

228-Carcopino J., «Inscriptions de Khamissa, Lambèse, Tébessa, Timgad », B.A.C, 2eme livraison,1905, pp. 218-245.

229-Carton L., «Le domaine des Pulleni», R.T, X, 1903, pp288-298.

230-Carton.L, « Une inscription relative au territoire des Musulamii»,C.R.A.I, Volume 67, Numéro 1,1923 ,p 71-73.

231- Carton.L, « Les Musulamii »,Guenard et Franchi imprimeurs,Tunis, p1-15.

232- Chaligne, «Occupation romaine de l'Afrique», R.S.A.C,53,1921-22, pp3-50

233- Chamla .M-C, « Anthropologie », Ency. Berb ,V,1988,pp 713-721.

234- Chamla .M-C, « Etude anthropologique de l'homme capsien de l'Ain Dokkara(Algérie orientale) », Ency. Berb ,XXII,1973,pp9-53.

235- Champetier. P, « Les conciles africains durant la période byzantine » , R.Af, 95, 1951, p105, pp103-119 .

236-Chastagnol A., «Les légats du proconsul d'Afrique au Bas-Empire, Libyca, Archéologie-Epigraphie, VI, 1958, pp7-22.

237- Chedé , « Fouilles à Tébessa Khalia »,R.S.A.C,22,1882,pp269-279.
238-Cherbonneau A., «Inscriptions de Tébessa», R.Af, 1, 1856-1857, pp502-507.

239-Cherbonneau A., «Inscriptions découvertes dans la province de Constantine», R.S.A.C, 6, 1862, pp. 76-160.

240-Cherbonneau A., «Relation de la prise de Tébessa par l'armée Arabe en l'an 45 de l'Hégire traduite du *Fotoh Ifrikia», R.Af,* XIII, 1869, pp225-238 .

241-Christern J., «Il complesso cristiano di Tebessa. Architettura e decorazione», Estratto da corsi di cultura sulla'arte ravennate e bizantina», Ravenna, 1970, pp. 103-117.

242-Clarinval, «Rapport sur les fouilles faites à la basilique de Tébessa pendant l'année 1870», R.S.A.C, 14, 1870, pp. 605 -611.

243- Couvert. M, « Traduction des éléments de la flore préhistorique en facteurs climatiques » ,Libyca, A-P-E,XXIV,1976, pp9-20.

244- Couvert .M, « Variations paléoclimatiques en Algérie , traduction climatique des informations paléobotaniques fournies par les charbons des gisements préhistoriques », travaux de L.A.P.E.M.O,1973, p1-6.

245- Dalloni.M, Pliocène et quaternaire de l'Algérie, B.S.G.A.O,60-61,1939-40,pp8-23.

246- Dastuge.J, « Ain Dokkara »,Ency.Berb,III,1986,pp326-330.

247- David .J-M, « Réformes des administrations de l'annone et des domaines en Numidie pendant la persécution de Valérien(257-260), à propos de C.I.L,VIII,2757 »,Ant.Afr,11,1977,p149-160.

248-De Bosredon L., «Notice sur quelques monuments de l'occupation romaine dans le cercle de Tébessa», R.S.A.C, 16, 1873-74, pp. 53-76.

249-De Bosredon L., « Inscriptions tumulaires recueillis à Tébessa pendant l'année 1873-1874», R.S.A.C, 16, 1873-1874, pp. 471-477.

250-De Bosredon L., «Inscriptions recueillis à Tébessa et les environs pendant les années 1876 et 1877», R.S.A.C, 18 ,1876-77, pp. 356-381.

251-De Bosredon L., «Promenade archéologique dans les environs de Tébessa», R.S.A.C, 18, 1876-1877, pp. 382-427.

252-De la Füye A., «Notes sur quelques découvertes faites à Tébessa (1886-1887)», R.S.A.C, 24, 1886-1887, pp. 199-233.

253-De Pachtère F-G., «Les camps de la III° légion en Afrique», C.R.A.I, N°3,1916, pp273-284.

254-De Roch S., «Quelques fouilles à Tébessa», Recueil de Tébessa, 1936-1937, pp. 287-293.

255- De Roch. S, « Quelques remarques sur « un broyeur » de Khanguet El Mouhad »,R.S.A.P.T,I,1963-37,p291-297.

256- De Roch.S, « Tebessa(Theveste) : Le baptistère de la basilique »,Libyca A-E,I,1953,pp288-293.

257- Desjardins.V, « Les saints et les Martyrs en Oranie sous la domination Romaine et Vandale », *B.S.G.A.O*, 68-69, 1947,pp 102-122.

258-De Villefosse H., «Rapport sur une mission archéologique en Algérie», Archives des Missions, 2, 1875, pp. 373-496.
259-De Villefosse H., «Les monuments de Tébessa», Le Tour du Monde, II, 1880, pp481-515.
260-De Villefosse H., «Les mosaïques de Tébessa (Théveste)», R.S.A.C , 24, 1886-1887, pp. 234-245.
261-Debruge A., «Stations préhistoriques des environ de Tébessa», R.S.A.C, 43, 1909, pp. 225-232.
262-Debruge A., «Le préhistorique dans la région de Tébessa», R.S.A.C, 44, 1910, pp. 53-100
263-Debruge A., «A propos des escargotières de la région de Tébessa», R.S.A.C, 45, 1911, pp. 377-392.
264-Debruge A., «Essai de chronologie sur les escargotières», R.S.A.C, 55, 1923-1924, pp. 53-81.
265-Debruge A., «Chronique d'archéologie algérienne en 1925», R.Af, 67, 1926, pp. 237-244.
266-Debruge A., «Chronique d'archéologie algérienne en 1927», R.Af, 9, 1928, pp. 155-157.
267-Desanges J., «Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine», Ant.Afr, 15,N°1, 1980, pp87-99.
68-Despois J., «La bordure saharienne de l'Algérie orientale», R.Af, 86, 1942, pp197-219.
268- De Villefosse.H , « Tébessa et ses monuments » , Le tour du monde, II, 1880,pp 481-515.

269-Diesner.H.J, « Gildos Herschaft und die Niederlege bei Theveste (Tebessa) »,Klio,XL,1962,pp178-186.

270-Di Vita-Evrard G., «L.Volusius Bassus Cerealis, légat du proconsul d'Afrique .T. Claudius Aurelius Aristobulus et la création de la province de Tripolitaine», 1984, Africa romana, III, Sassari, 1985, pp149-177.

271-Diehl Ch., « Deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord », Nouvelles Archives des Missions, IV, 1885, pp 42-48.

272-Diehl Ch., « Rapports sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord », Nouvelles Archives des Missions, 1888,pp42-48.

273- Desanges.J, « Réflexions sur l'organisation de l'espace selon la latitude ». Dans Lepelley .C, Dupuis .X, Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord (Hommage a Pierre a Salama). *Actes de la table ronde réunie a Paris le 2 et 3 Mai 1997 par le Centre de recherches sur l'antiquité tardive et le moyen âge. Université de Paris- Nanterre et le réseau universitaire d'études Africaines*, Sorbonne, 1999,pp27-40.

274- Dondin-Payre.M, *Theveste et ses thermes*, le dossier de François-Maurice Allotte de la Fuÿe(1886) :In B.S.N.A.F,2009,2012,pp279-291.

275- Dondin-Payre.M, *Les thermes romains de Theveste-Tébessa et l'album de François-Maurice Allotte de la Fuÿe* : In document sur des vestiges méconnus.In : C.R.A.I,154 année, N2,2010,pp709-738.

276-Duncan Jones R., «City population in roman Africa», J.R.S, LIII, part I and II , 1963, pp85-99 .

277-Duprat Ch., «L'âge de pierre à Tébessa», R.S.A.C, 29, 1894, pp. 543-551.

278-Duprat Ch., «Monographie de la basilique de Tébessa», R.S.A.C, 30, 1895-1896, pp. 5-87.

279- Duprat .Ch, « Tombeaux creusés dans le roc à Tébessa », R.S.A.C,26,1890-91,pp280-283.

280-Durand J.-H., «Les croutes calcaires et gypseuses en Algérie : Formation et âge», Bulletin de la Société Géologique de L'Algérie, V, 1963, pp.

281- Duval.N, Cintas .J, « Etudes d'architecture chrétienne nord Africaine . (I),Le martyrium de Cincari et les Martyria triconiques et tétraconiques en Afrique »,M.E.F.R.A,88, 1976-2,p853-927.

282- Duval.N, Duval.Y, « Fausses basiliques (et faux martyrs) :Quelques «Batiments à Auges » d'Afrique, M.E.F.R.A,84,,1972-1, p 675-719 .

283-Duval N., « Encore les «monuments à auges» d'Afrique. Tébessa Khalia, Hr Faraoun », M.E.F.R.A, 88, 2, 1976, pp. 929-958.

284- Duval.N, « Sur la date de déposition des reliques africaines », B.A.A,I,1962-65,p183-187.

285- Duval.N, « Les mosaïques funéraires d'Algérie comparée à celle de Tunisie »,Corsi di cultura dell'arte ravennate e byzantina,1970,pp149-159.

286- Duval.Y, « Evêques et évêchés d'Afrique .Ce qu'on en ignore », Etudes Augustiniennes, XXVI,1980, pp228-237.

287- Fadel .L, « Considérations anthropologiques sur les Capsiens ,peuple épipaléolithique du Maghreb oriental », Islamic Culture Review,18,2013, pp431-450.

288-Fabre A., «Chronique archéologique», B.S.G.A.O, 29, 1909, pp. 110-117.

289-Fagnan L., «L'Afrique septentrionale au XII siècle de notre ère d'après Kitab-el-Istibsar», R.S.A.C, 37, 1899, pp. 1-299.

290-Farges A., «Simples réflexions au sujet de la découverte d'un sacrum à Tébessa», R.S.A.C, 20, 1879-80, pp. 215-253.

291-Farges A., «Notes sur divers petits objets de fabrications romaines découvertes à Tébessa, Tifech, Souk Ahras et autres localités limitrophes de la Tunisie», Bulletin de l'Académie d'Hippone, 18,1883, pp. 79-90.

292-Farges A., «Appendice au sacrum de Theveste», R.S.A.C, 23, 1884, pp. 135-151.

293-Feraud. Ch, «Histoire des villes de la province de Constantine», R.S.A.C, 15, 1871-72, pp. 1-340.

294-Feraud. Ch, «Notes sur Tébessa», R.Af, 18, 1874, pp430-473 .

295-Ferauld.Ch, Monuments dits celtiques de la province de Constantine, R.S.A.C, 65,1864, pp108-132.

296-Feraud M., Truillot A., «Les bains de Seleucus», R.Af, 81,1937, pp455-473 .

297- Février.P -A, « Deux inscriptions chrétiennes de Tébessa et Henchir Touta », Rivista di archeologia cristiana, anno XLII,nn1-4,pp177-187.

298- Février.P-A, « Nouvelles recherches dans la salle tréflée de la basilique de Tébessa »,B.A.A,III,1968,p167-191.

299-Février P.-A., «Recherches archéologiques en Algérie (1964-1967)»,C.R.A.I, 1967, pp. 92-109.

300-Février J.-G., «Sur la bilingue de Guellaa Bousba», B.A.C, 1951, pp. 38-43.

301- Février P-A, Travaux et découvertes en Algérie, Actas del VIII congresso internacional de arqueologia cristiana,Barcelona,5-11 Octubre1969,1972 ,pp299-304.

302-Gascou J., «Inscriptions de Tébessa», M.E.F.R, 81-2, 1969, pp537-599.

303-Gascou J., «Le Cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique romaine», M.E.F.R, LXXX, II, 1970, pp723-736.

304-Gascou J., «Les curies africaines ; origine punique ou italienne», Ant.Afr, 10, 1976, pp33-48.

305- Gascou J, «Inscriptions de Tébessa »,M.E.F.R,81-2,1969,pp537-599.

306-Girol A., «Notes archéologiques sur Theveste et ses environs», R.S.A.C, 10, 1866, pp. 171-215.

307- Grébénart.D, « Vues générales sr le peuplement capsien au nord des Némenchas :secteurs de Chéria,Téldjène et Ras el Euch », Libyca. A-P-E, XIX,1971, pp17-177.

308-Gsell St., Graillot H., «Ruines romaines au nord de l'Aurès», M.E.F.R, 13, 1893, pp. 18-86.

309-Gsell St., Graillot H., «Ruines romaines au nord de Batna», M.E.F.R, 14, 1894, pp. 501-609.

310-Gsell .St, «Chronique archéologique africaine», M.E.F.R, 15, 1895, pp33-70.

311-Gsell St., «Inscriptions inédites de l'Algérie», B.A.C, 1896, pp156-220 .

312- Gsell.St, Inscriptions latines découvertes en Algérie, B.A.C,1917,2 livraisons, pp309-348.

313-Gsell St., «Chronique archéologique», R.Af, 37,1893, pp. 56-128.

314- Gsell.St, « Chronique archéologique »,R.Af,38,1894,pp109-233.

315-Gsell St., «Notes sur quelques forteresses antiques du département de Constantine», R.S.A.C, 32,1898, pp. 249-295.

316-Gsell St., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord, 12 mars 1925», pp. CXLV-CLXII.

317-Guenin, «Inventaire archéologique du cercle de Tébessa», Nouvelles Archives des Missions, XVII, Fasc4, 1909, pp. 75-230.

318-Inizan M.-L., «Outils lithiques capsiens ocrés», L'Anthropologie, 80, 1, 1976, pp. 39-64.

319- Janon(M) , « L'Aurès au VI[ème] siècle .Note sur le récit de Procope », Ant.Afr,15,1980,pp345-351.

320-Jaubert Ch., «Anciens évêchés de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne», R.S.A.C, 46,1912, pp. 84-98.

321- Jaubert.J- M, « Mosaïques tombales de Tébessa »,R.Af, 71,1930, pp413-423.

322-Joleaud L., «Ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine», R.S.A.C, 43, 1909, pp. 101-160.

323-Kallala N., « Nouvelles bornes milliaires de la voie Carthage-*Theveste* découvertes dans la région du Kef (*Sicca Veneria*) en Tunisie », Africa Romana, XVI, 2006, pp. 1795-1824.

324- Khadra. F-K, « Mosaïque funéraire inédite de Tébessa », Ant.Afr,17,1981,pp241-244.

325-Khadra F.-K., «Recherches et travaux en 1977-1979», B.A.A, VII, 1977-1979, pp. 9-28.

326-Kolendo J., « Le culte impérial et la faute du lapicide. A propos d'une inscription des environs de Theveste, (I.L.Alg.I.371è5) », Africa Romana,IV convengo 12-14 dicembre 1986, Sassari, 1987, pp331-336.

327-Kotula T., «Les Augustales d'Afrique», B.C.T.H.S, 17, 1984, pp345-357.

328- Le Du .R, « Quelques remarques sur le capsien supérieur de la région de Tébessa. La station D'Ain-Khanga »,R.S.A.P.T,I,1936-37,pp221-250.

329- LeRoux.P, « le culte impérial dans les provinces occidentales : évolution d'Auguste à Domitien », In Pallas,40, 1994, p397-411.

330- Lancel.S, « Une nécropole chrétienne à Tébessa », Libyca A-E,IV,2 e semestre1956,p319-331.

331- Lassère.J-M, « La vie religieuse dans les cités de l'Afrique », Journal of Roman archéology,9,1996, pp490-502.

332-Lassère J.-M., «Recherches sur la chronologie des épitaphes païennes de l'Africa», Ant.Afr, VII, 1973, pp7-151.

333-Lassère J.-M., «Chronologie des épitaphes des régions militaires», B.A.A, V, 1971-1974, pp139-162.

334- Lassère. J-M, « Sentiments et culture d'après les épitaphes latines d'Afrique ». In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n°2, juin 1965, pp. 209-227.

335-Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1955», Libyca Archéologie-Epigraphie, IV, 1956, pp. 161-189.

336-Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1956», Libyca Archéologie-Epigraphie, 1957, pp. 123-152.

337-Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1958», R.Af, 102, 1959, pp. 169-192.

338-Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1958», Libyca Archéologie-Epigraphie, VII, 1959, pp. 233-346.

339-Lassus J., «L'archéologie algérienne en 1960», R.Af, 105,1961, pp. 438-448.

340-Le Dû I., «Stations atérienne de l'Oued Djouf El Djebel. Région de Tébessa-Chéria», R.S.A.C, 64, 1934, pp. 201-217.

341-Le Dû I., «Les gravures rupestres dans de la région de Tébessa», R.S.A.C, 63, 1935-1936, pp. 107-124.

342-Le Dû I., Saccardy J., «Etudes de quelques charbons préhistoriques de la région de Tébessa», R.Af, 92, 1948, pp.111-119 .

343-Le Dû I., De Roch S., «Le gisement capsien de Bekkaria (commune mixte de Morsott- Département de Constantine) », Libyca, Ethnographie –Préhistoire, I, 1953, pp. 141-155.

344-Leglay M., «L'archéologie algérienne en 1953», Libyca, Archéologie-Epigraphie, II, 1954, pp. 481-517.

345-Leglay M., Balout L., «L'archéologie algérienne en 1954», R.Af, 99,1955, pp. 209-233.

346-Leglay M., «L'archéologie algérienne en 1954», Libyca Archéologie-Epigraphie, III, 1955, pp. 183-206.

347-Leglay M., «Les Flaviens et l'Afrique», M.E.F.R, 80, 1968, pp.201-246.

348-Leglay M., «La place des affranchis dans la vie municipale et la vie religieuse», M.E.F.R, 102- 2, 1990, pp621-638.

349-Lequement L., «Fouilles de l'amphithéâtre de Tébessa (1965-1966)», B.A.A, 2, 1966-1967, pp. 107-122.

350-Leschi L., «Une mosaïque de Tébessa», M.E.F.R, XLI, 1924, pp. 95-110.

351-Leschi L., «Un quartier de Théveste», R.S.A.C, 55, 1923-1924, pp. 209-213.

352-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1928», R.Af, 70,1929, pp. 196-205.

353-Leschi L., «Recherches épigraphiques dans le pays des Nemenchas», R.Af, 72, 1931, pp. 262-295.

354-Leschi L., «Une famille thevestine au IIe siècle de notre ère, R.Af, 73, 1931, pp295-306.

355-Leschi L., «Inscriptions romaines de Tébessa», B.A.C, 1936-1937, pp183-186.

356-Leschi L., «Inscriptions de la plaine de Guert», R.S.A.P.T, 1936-1937, pp119-130.

357-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1936», R.Af, 81, 1937,pp 120-122.

358-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1937», R.Af, 82, 1938, pp190-192 .

359-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1938», R.Af, 83,1939, pp151-154 .

360-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1939», R.Af, 84,1940, pp. 146-148.

361-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1941», R.Af, 86, 1942, pp. 172-174.
362-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1942», R.Af, 87, 1943, pp. 145-148.
363-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1943», R.Af, 88, 1944, pp. 163-166.
364-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1944», R.Af, 89,1945, pp. 131-134.
365-Leschi L., «Inscriptions de Tébessa», B.A.C, 1943-1945, pp. 429-437.
366-Leschi L., «Inscriptions de Tébessa», B.A.C, 1946-1949, pp. 419-422.
367-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1945», R.Af, 90, 1946, pp. 228-232.
368-Leschi L., «La recherche archéologique en Algérie (Octobre1945-Décembre1946)», Documents Algériens, 1947, pp. 253-256.
369-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1946», R.Af, 91, 1947, pp. 195-198.
370-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1947», R.Af, 92, 1948, pp. 225-229.
371-Leschi L., «L'archéologie algérienne en 1949», R.Af, 94, 1950, pp. 201-207.
372-Leshi L., «L'archéologie algérienne en 1950», R.Af, 95, 1951, pp.204-212 .

373-Letrone A., «L’arc de triomphe de Thévesté (Tébessa) et sur les autres ruines romaines de cette ville située dans la province de Constantine», R.A, 1847, XI pp. 1-16.

374-Lubell D., et autres, «The préhistoric cultural ecology of Capsien escargotières», Libyca, Préhistoire-Ethnographie, XXIII, 1975, pp. 43-122.

375- Maitrot de la Motte Carpon.A, « La quatrième époque de la basilique de Tébessa », R.S.A.P.T,1936-37,p309-340.

376-Maitrot, «Théveste. Étude militaire d’une cité romano-byzantine», R.S.A.C, 45, 1911, pp. 31-263.

377-Manguellone J., «Chronique archéologique», RSAC, 1907, pp. 263-274.

378-Manguellone J., «Chronique archéologique», R.S.A.C, 43, 1909, pp. 289-304.

379-Manguellone J., «Chronique archéologique départementale», R.S.A.C, 49, 1915, pp251-260 .

380-Manguellone J., «Les principales voies romaines de la région de Tébessa», R.S.A.C, 51,1917-1918, pp. 1-25.

381-Marcillet-Jaubert.J, « Bornes milliaires de Numidie », Ant.Afr,16,1980,pp161-184.

382-Mellis L., «Quelques remarques sur les lampes romaines funéraires trouvées à Tébessa», Recueil de Tébessa, 1936-1937, pp. 197-220.

383-Merlin A., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord», B.A.C, 1943-1945, pp. 415-444.

384-Merlin A., «Séance de la section archéologique», B.A.C, 1946-1949, pp. 249-265.

385-Merlin A., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord», B.A.C, 1946-1949, pp. 415-425.

386-Merlin A., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord», B.A.C, 1954, pp. 181-203.

387- Mesquesse, « Notes sur la basilique de Théveste »,R.Af,30,1886, pp477-482.

388-Méthy N., «Apulée (II[e] siècle ap. J.-C.), rhéteur africain de la province Romaine», Les Africains, V, 1977, pp. 45- 73.

389-Meunier J., «L'arc de Caracalla à Théveste (Tébessa). Relevé et restitution», R.Af, 82, 1938, pp. 84-107.

390-Mitrad .A-E, Considérations sur la subdivision morphologique de l'Algérie orientale, R.Af, 81, 1937, pp.561-570.

391-Moderan Y., «Gildon.les Maures et l'Afrique, M.E.F.R, 101-2, 1989, pp.821-872.

392-Moll, «Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste) et ses environs», R.S.A.C, 3- 4, 1859-60, pp. 26-85.

393-Moll, «Inscriptions romaines découvertes à Tébessa et les environs pendant les années 1858 et 1859», R.S.A.C, 3- 4, 1859-60, pp. 177-208.

394-Moll, «Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste), et ses environs», R.S.A.C, 5, 1860-61, pp. 188-221.

395-Moll, «Inscriptions romaines trouvées à Tébessa et les environs pendant les années 1860 et 1861», R.S.A.C, 5, 1860-61, pp. 257-265.

396- Monceaux .P, « Inscriptions chrétiennes du cercle de Tébessa », R.S.A.C,42,1908,pp193-236.

397- Monceaux .P, « Inscriptions chrétiennes du cercle de Tébessa », R.S.A.C,42,1908,pp209-233.

398-Morel J., «La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod (Sud-algérien). Ce qu'elle nous apprend de l'alimentation et des conditions des populations du Capsien supérieur», L'Anthropologie, 74, 2, 1974, pp. 299-320.

399- Morel.J, « L'industrie Atérienne de l'Ain Mansoura. Région de Tébessa (Est algérien) »,Libyca. A-P-E,XXV,1977,pp9-29.

400- Morel.J, « Découverte d'une pierre à gorge dans une escargotière capsienne de la région de Tébessa »,Libyca,A-P-E, XV,1967,p126-137.

401-Morel.J, « Les témoins des activités non immédiatement utilitaire dans le capsien supérieur de Dra –Mta-El-Ma-El-Abiod(Région de Tébessa-Algérie) »,Libyca,A-P-E,XXVI-XXVII,1978-79,pp117-131.

402-Morel J., «L'industrie lithique de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod dans le sud est algérien. Sa composition, son évolution», L'Anthropologie, 82, 3, 1978, pp. 335-372.

403-Morel J., «L'industrie osseuse du Capsien supérieur de Dra –Mta –El- Ma-El-Abiod», Libyca, Anthropologie- Ethnographie, XXIV, 1976, pp. 181-188.

404- Morel.J, « Pierres gravées , pierres incisées et palettes à ocre du capsien supérieur de la région de Tébessa », Libyca A-P-E,XX,1972,p169-177.

405-Muratti P., «Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébessa», R.Af, 81, 1937, pp.256-280.

405-Négrier F.-M.-C., «Relation officielle sur la prise de Tébessa adressé a M. le Ministre de la guerre, Président du conseil», Le Moniteur Universel, n°180, 29 juin, 1842.

406- Pallary .P, « Le Préhistoire dans la région de Tébessa », M.E.F.R, XXII,1911, p561-566.

407-Pallary P., «Notes critiques de préhistoire africaine», R.Af, 63, 1922, pp. 369-424.

408-Pelletier A., «Les Sénateurs d'Afrique Proconsulaire d'Auguste à Gallien», Latomus, XXIII, 3, 1964, pp511-531.

409-Piganiol A., «Note sur une inscription inédite de Tébessa», M.E.F.R, 28, 1908, pp. 314-344.

410-Poinssot L., «Les Inscriptions de Thugga», N.A.M., XIII, 1906, pp103-355.

411-Poulle A., «Inscriptions de la province de Constantine», R.S.A.C, 15, 1871-1872, pp. 415-426.

412-Poulle A., «Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie», R.S.A.C, 19, 1878, pp. 336-338.

413-Poulle A., «Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie», R.S.A.C, 24 ,1886-1887, pp. 160-162.

414-Poulle A., «Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie», R.S.A.C, 26,1890-1891, pp. 324-326.

415- Poulle. A, « Notes archéologiques »,R.S.A.C,19,1878,pp454-457.

416-Randon J.-C., «Itinéraire suivi par la colonne sur les ordres de M. Général Randon, pendant les mois de mai, juin et juillet 1846», Les Journaux de Marche 1837 1846.

417-Reinach S., «Sarcophage de Tébessa», B.A.C, Fasc1, 1891, pp. 159-160.

418- Renault –Miskorsky .J , « L'environnement végétale des sites algériens .Données actuelles de la paléobotanique », l'Anthropologie, 89,1985,pp307-318.

419-Reygasse M., Latapie J., «Découvertes préhistoriques dans le cercle de Tébessa», R.S.A.C, 45, 1911, pp352-354.

420- Reygasse. M, « Etude de palethnologie Maghrébine »,

R.S.A.C,52,1919-20, pp513-570.

421-Reygasse M., «L'escargotière de Chéria», R.S.A.C, 51, 1917-18, pp. 263-274.

422-Reygasse M., «Notes sur la distribution géographique et la morphologie de diverses stations préhistoriques relevées sur le territoire de la commune mixte de Tébessa (Sud Constantinois)», R. S. A.P.T,I, 1936-37, pp29-47.

423-Rocco N., «Quelques bijoux et objets romains trouvés dans la région de Tébessa», R.S.A.P.T, 1936-37, pp. 299-302.

Roesch.P, Une tablette de malédiction de Tébessa ,B.A.A,II,1966-67,p231-237.

424-Roubet C., «Les pendeloques en plaques dermiques de tortue dans le néolithique de l'Afrique du Nord», Libyca.,Préhistoire-Ethnographie, XIV, 1966, pp. 233-259.

425- Sabatier, « Musée de Tébessa »,R.S.A.C,XL,1906,pp1-70.

426-Saglio .E., «Séance de la commission de l'Afrique du Nord» , Bulletin de la Société des Antiquaires de France, 1886,pp261-286.

427-Saglio. E., Comptes rendus sur les travaux de la société, Bulletin de la Société Nationale des antiquaires de France, Paris, 1886, pp. 265-268.

428- Santa. S, Essai de reconstitution des paysages végétaux quaternaires d'Afrique du nord, Libyca.A-P-E, VI-VII,1985-59,pp37-77.

429- Saumagne.Ch, « la population rurale de la région de Musti », C.T,37-40,1962,pp263-278.

430- Saumagne.Ch, « Esquisse des circonscriptions domaniales dans l'Afrique romaine », C.T,37-40,1962,pp245-255.

431- Smadja Elisabeth. « Divination et idéologie impériale en Afrique romaine. In: Pouvoir, divination et prédestination dans le monde Antique ». Besançon : Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 1999, pp. 299-316.

432-Seriziat L., «Épigraphie de Tébessa», R.Af , XII, 1868 , pp. 61-68.

433-Seriziat L., «La basilique de Tébessa », R.S.A.C, 12, 1868, pp. 475-477.

434-Seriziat L., «Etude sur Tébessa et ses environs», B.A.H, XVII, 1881, pp. 27-66.

435-Sériziat, «Études sur Tébessa et ses environs», Bulletin de l'Académie d'Hippone, XXII, 1886, pp. 27   66.

436-Tixier J., «L'industrie lithique capsienne de l'Ain Dokkara .Région de Tébessa, Algérie. Fouille de L. Balout», Libyca, Préhistoire-Ethnographie, XXIV, 1976, pp. 21-54.

437-Toussaint M., «Étude du réseau routier et ses principales ruines de la région de Khamissa, Mdaourouch, Tifech, Ksar Sbehi», B.C.T.H.S, 1897, pp. 260-286.

438-Touze, «Étude sur deux pièces byzantines», R.S.A.C, 51 ,1917-1918, pp. 287-289.

439-Truillot A., «Autour de la basilique de Tébessa .Première partie», R.S.A.C, 64, 1934, pp. 115-200.

440-Truillot A., «Inscriptions inédites de la région de Tébessa», R.S.A.C, 59,1928-29, pp. 247-287.

441-Truillot A., «Notice sur trois bornes miliaires de la route de Théveste à Carthage portant le même numéro : CLXXXIII», R.S.A.C, 57, 1926, pp. 247-254.

442-Truillot A., «Stèle trouvée à Tébessa», R.S.A.C, 55 ,1923-1924, pp215-216.

443- Truillot.A, « Une nouvelle hypothèse sur le sarcophage chrétien de Tébessa », R.Af,76,1935,pp15-16.

444-Vars Ch., «Inscriptions inédites de la province de Constantine», R.S.A.C, 29, 1894, pp. 688-690.

445- Vars.Ch, « Inscriptions inédites de la province de Constantine pour l'année 1899 »,,R.S.A.C,XXXIII,1899,p320-434.

446-Vaufrey L., «Notes sur le Capsien», L'Anthropologie, 43,1933, pp, 457-483.

447-Vaufrey L., «Le Capsien des environs de Tébessa», R.S.A.P.T, 1936-1937, pp. 131-172.

III) الرسائل و الأطاريح و المذكرات :

1) باللغة العربية:

448-محمد عبد الرؤوف إفراح، بازينات جبل مستيري بتبسة ، مذكرة نهاية ليسانس في علم آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر ،1994.

449-مسعود عباس، الموازنة المائية لشمال الجزائر(1950/1980) ،أطروحة لنيل شهادة الماجستير فرع الجغرافيا، جامعة الجزائر، السنة الجامعية ،1982/1983.

450- إلياس عريفي، مجموعة فسيفساء تبسة .دراسة أثرية وجرد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص آثار قديمة ، معهد الآثار ،الجزائر، السنة الجامعية 2008/2009.

2) باللغة الأجنبية:

451-Espanet Carissan .C, Theveste, étude sociale. Mémoire de maitrise en histoire ancienne sous la direction du professeur Paul Corbier, faculté des lettres et sciences humaines, université Aix-en-Provence,1994-1995.

452-Ghaki M., Recherches sur les rapports entre les Phénico-puniques et les Libyco-Numides entre le V^{e} et le I^{e} siècle avant J-C, Thèse en Histoire, École Pratique des Hautes Études, Paris-Sorbonne, 1980.

453-Leveau Ph., Structures rurales et sociales en Afrique du Nord à l'époque romaine, D.E.A, Histoire du Maghreb, Université Paris III, 1990-1991.

IV)أعمال الملتقيات:

454-Bacchielli L., «Il testamento di C. Cornelio Egriliano ed il coronamento dell'arco di Caracalla a Tebessa», Atti di VI convegno di studio, 12-14 Dicembre 1986, Africa Romana, Sassari, 1987, pp. 295-321.

455- Camps. G, « Les nécropoles mégalithiques de l'Afrique du Nord » .Actes du 6^{e} colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord Antique et Médiévale, Pau, Paris ,CTHS 1993, 1995,pp17-31.

456-Di Vita-Evrard G., «La Fossa Regia et les diocèses de l'Afrique proconsulaire», Atti del III convegno di Studio, Sassari13-15 dicembre 1985, Africa Romana, III, Sassari, 1986, pp31-58.

457-Di Vita-Evrard G., «Une inscription errante et l'extra-territorialité de Théveste au IV[e] siècle», Atti di VI convegno di studio, 16-18 Dicembre 1988, Africa Romana, Sassari, 1989, pp. 293-319.

458- Duval.N ,Février.P-A, « Le décor des monuments chrétiens d'Afrique (Algérie-Tunisie) »,Acta del congresso VIII internationale di archeologia cristiana,1969,pp5-55.

459-Duval N., Février P.-A., Lassus J., «Groupes épiscopaux de Syrie et de l'Afrique du Nord», Colloque Apamée de Syrie, 15-18 avril 1972, pp215-251.

460–Février P.-A., «Mosaïques funéraires chrétiennes datés d'Afriques du Nord», atti del V Congresso Internazionale di Archéologia Cristiana, Ravenna 23-30 settembre1962, Rome, 1965, pp57-93.

461-Février P-A, Travaux et découvertes en Algérie, Actas del VIII congresso internacional de arqueologia cristiana,Barcelona,5-11 Octubre1969,1972 p299-304.

462- Kadria.F-K, « Nécropoles tardives de l'antique Theveste :mosaïques funéraires et *mensae* »,Africa romana,Sassari 16-18 dicembre 1988, Edizione Gallizzi, Sassari,1989,pp264-281.

463- Kolendo. J, « Le culte impérial et la faute du lapicide. A propos d'une inscription des environs de Theveste »,(I.L.Alg.I.3715), Africa Romana,IV convengo Sassari,12-14 dicembre 1986,p331-336.

464- Kolendo.J, « L'iscrizione di auriga a Theveste (IL.Alg ,I.3146)», Africana romana ,Atti del II convegno di studio, Sassari 14-16 dicembre1984, Edizione Gallizzi, Sassari, 1985,pp195-200.-
465Lassus.J, Questions sur l'architecture chrétienne de l'Afrique du nord »,Actas del VIII congreso internacional de arqueologia cristiana, Barcelona 5-11 octubre1969,1972,pp107-125.
466-Leglay M., «Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine», L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. – Ive siècle ap. J.-C.), Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987), Rome, École Française de Rome, 1990, pp.77-88.
467-Le Dû I., «Les tombeaux ronds du Djebel Mistiri», IV e Congrès de Fédérations des Savants de l'Afrique du Nord, Rabat, 18-20 Avril 1938, 2, Alger, 1939, pp. 567-587.
468-Mansouri Kh., «Les monuments publics de Theveste à travers les inscriptions», Colloque international sur l'Archéologie, Tebessa, Algérie (25-29 Avril 2009),pp1-10.
469-Morizot P., Le réseau de communications de la IIIe légion de Lambèse au Sahara à travers l'Aurès, IV colloque international d'Histoire et d'Archéologie de l'Afrique du Nord, Strasbourg, 1988, II, pp 409-426.
470-Salama P., « L'apport des inscriptions routières à l'histoire de l'Afrique romaine », Atti del III convegno di studio, Sassari 13-15 dicembre 1985, Africa romana,1986, pp 219-231.

V) القواميس و المعاجم :

471- Ginouvès. R, Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III .Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles, De Boccard, Paris, 1998

472-Talbi.A , Tébessa , Encyclopédie de l'Islam, Tome X, volume 4,Nouvelle édition, Leiden, Brill,2000,pp 429-441.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ي)

فهرس المدن و المواقع

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

فهرس الشعوب و القبائل

(أ)

(ت)

فهرس الجداول والصور و الأشكال و الخرائط

1- الجداول

2–الصور

3-الأشكال

4-الخـــــرائـط

فهرس المصطلحات

(أ)

(ب)

(ذ)

(ر)

(س)

(ف)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفصل السابع : تبسة في العصور القديمة

ملخص

تهدف هذه الأطروحة إلى تسليط الضوء على تاريخ مدينة تبسة (تفست) في العصور القديمة. حيث حاولنا تتبع التواصل الحضاري بها منذ عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر القديم مرورا بالمراحل التاريخية التي عرفتها مثل العصر القرطاجي و النوميدي و الروماني و الوندالي و البيزنطي. كما ركزنا على معالجة الجوانب الحضارية المختلفة في كل عهد (سياسية، إدارية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، دينية، ثقافية) بما سمحت به المادة التاريخية و الأثرية المتوفرة. علاوة على ذلك عالجنا الجانب المعماري في تاريخ المدينة من خلال دراسة معالمها المندثرة و المتبقية المنتمية لعصور مختلفة كالحمامات و الأسوار و المدرجات و المسارح و الكنائس و الأديرة و الساحة العامة و معاصر الزيت وغيرها. وقد أفضت نتائج البحث إلى رصد استمرارية حضارية في تاريخ المدينة وثقتها الأدلة النصية و الأركيولوجية.

الكلمات المفتاحية :

فجر التاريخ؛ القرطاجيون؛ الرومان؛ الوندال؛ المعالم الفجرية؛ الوثنية؛ المعبودات؛ شبكة الطرق؛ الأنوماستيكية؛ تبسة؛ تفست.

نوقشت يوم 6 مارس 2018